كتاب جمل

من

أنساب الأشراف

صنّفه

الإمام أحمد بن يحيى بن جابر

البلاذري

المتوفى ٢٧٩هـ/٨٩٢م

الجزء الثالث

أخبار علي بن أبي طالب وأبنائه عليهم السلام

حققه وقدّم له

الأستاذ الدكتور سهيل زكّار   الدكتور رياض زركلي

بإشراف

مكتب البحوث والدراسات

في

دار الفكر

للطباعة والنشر والتوزيع

١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م

الطبعة الأولى



بيروت لبنان

حارة حريك - شارع عبد النور - برقيا: فكسي - ص.ب: ١١/٧٠٦١

تلفون: ٨٣٨٣٠٥ - ٨٣٨٢٠٢ - ٨٣٨١٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦١١٨٣٧٨٩٨

دولي: ٠٠٩٦١١٨٦٠٩٦٢ - دولي وفاكس: ٠٠١ - ٢١٢ - ٤٧٨٢٣٠٨

الجزء الثالث

أخبار علي بن أبي طالب وأبنائه عليهم السلام

بســم الله الرحمن الرحيم

بيعة علي بن أبي طالب عليه السلام

حدثنا خلف بن سالم المخزومي ، حدثنا وهب بن جرير بن حازم حدثنا ابن جُعْدُبة .

عن صالح بن كيسان قال : قتل عثمان بن عفان لإثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة ، فدعا علي بن أبي طالب الناس إلى بيعته ، فبويع يوم السبت لإحدى عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة ، وكان أول من بايعه طلحة بن عبيد الله ، وكانت إصبعه أصيبت يوم أحد ، فشلت ، فبصر بها أعرابي حين بايع ، فقال : ابتدأ هذا الأمر أشل لا يتم ، ثم بايعه الناس بعد طلحة في المسجد ؛ ثم خرج حتى أتى مسجد بني عمرو بن مبذول من الأنصار فبويع فيه أيضاً .

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا أبو داود الطيالسي ، حدثنا إسماعيل بن مسلم العبدي :

عن أبي المتوكل ؛ قال : قتل عثمان وعليّ بأرض له يقال لها : البُغيبغة

فوق المدينة بأربعة فراسخ ، فأقبل علي ، فقال له عمار بن ياسر : لتنصبنّ لنا نفسك أو لنبدأنّ بك ، فنصب لهم نفسه فبايعوه .

وحدثني عباس بن هشام بن محمد الكلبي ، عن لوط بن يحيى أبي مخنف ، عن أبي روق الهمداني ، وعن المجالد بن سعيد :

عن الشعبي أن عثمان بن عفان ـ رضي الله تعالى عنه ـ لما قتل أقبل الناس إلى علي رضي الله تعالى عنه ليبايعوه ومالوا إليه فمدوا يده فكفّها ، وبسطوها فقبضها وقالوا : بايع فإنا لا نرضى إلا بك ولا نأمن من اختلاف الناس وفرقتهم . فبايعه الناس وخرج حتى صعد المنبر .

وأخذ طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام مفتاح بيت المال ؛ وتخلفا عن البيعة فمضى الأشتر حتى جاء بطلحة يتله تلا عنيفاً وهو يقول : دعني حتى أنظر ما يصنع الناس ، فلم يدعه حتى بايع علياً ، فقال رجل من بني أسد يقال له قبيصة بن ذويب : أول يد بايعت هذا الرجل من أصحاب محمد ﷺ شلاء والله ما أرى هذا الأمر يتمّ .

وكان طلحة أول من بايع من أصحاب رسول الله ﷺ ، وبعث علي بن أبي طالب من أخذ مفاتيح بيت المال من طلحة . وخرج حكيم بن جبلة العبدي إلى الزبير بن العوام حتى جاء به فبايع ، فكان يقول : ساقني لصّ من لصوص عبد القيس حتى بايعت مكرها .

قال : وأُتي عليّ بعبد الله بن عمر بن الخطاب ملبباً والسيف مشهورٌ عليه ، فقال له : بايع . فقال : لا أبايع حتى يجتمع الناس عليك . قال : فأعطني حميلا[1] ألا تبرح . فقال لا أعطيك حميلا ، فقال الأشتر : إن هذا

١ ـ في هامش الأصل : أي كفيلاً .

رجل قد أمن سوطك وسيفك فأمكني منه . فقال عليّ : دعه أنا حميله فوالله ما علمته إلا سيء الخلق صغيراً وكبيراً .

قال : وجيء بسعد بن أبي وقاص فقيل له : بايع . فقال : يا أبا الحسن إذا لم يبق غيري بايعتك . فقال عليّ : خلوا سبيل أبي إسحاق .

وبعث عليّ إلى محمد بن مسلمة الأنصاري ليبايع فقال : إن رسول الله ﷺ «أمرني إذا اختلف الناس أن أخرج بسيفي فأضرب به عرض أحد حتى ينقطع فإذا انقطع أتيت بيتي فكنت فيه لا أبرح حتى تأتيني يد خاطفة أو ميتة قاضية» . قال : فانطلق إذا . فخلى سبيله .

وبعث إلى وهب بن صيفي الأنصاري ليبايعه فقال : إن خليلي وابن عمك قال لي : «قاتل المشركين بسيفك فإذا رأيت فتنة فأكسره ، واتخذ سيفاً من خشب واجلس في بيتك» ، فتركه .

قال : ودعا أسامة بن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ إلى البيعة ؛ فقال : أنت أحبّ الناس إليّ وآثرهم عندي ، ولو كنت بين لحيي أسد لأحببت أن أكون معك ، ولكني عاهدت الله أن لا أقاتل رجلاً يقول : لا إله إلا الله .

قال : وبايع أهل المدينة علياً فأتاه ابن عمر فقال له : يا علي اتق الله ولا تنتزين على أمر الأمة بغير مشورة . ومضى إلى مكة .

حدثنا أبو قلابة عبد الملك بن محمد الرقاشي حدثني محمد بن عائشة ، حدثنا معتمر بن سليمان قال : قلت لأبي : إن الناس يقولون : إن بيعة علي لم تتم . قال : يا بني بايعه أهل الحرمين وإنما البيعة لأهل الحرمين .

حدثني عبد الله بن صالح بن مسلم العجلي قال : سمعت إسرائيل

يحدث عن أصحابه :

أن الأحنف بن قيس لقي طلحة والزبير ؛ فقالا له : بايعت علياً وآزرته فقال : نعم ألم تأمراني بذلك ؟ فقالا له : إنما أنت ذباب طمع وتابع لمن غلب . فقال : يغفر الله لكما .

وقال أبو مخنف وغيره : قال عليّ لعبد الله بن عباس : سر إلى الشام فقد بعثتك عليها . فقال : ما هذا برأي ؛ معاوية ابن عم عثمان وعامله والناس بالشام معه وفي طاعته ، ولست آمن إن يقتلني بعثمان على الظنّة ، فإن لم يقتلني تحكم علي وحبسني ، ولكن اكتب إليه فمنّه وعده فإذا استقام لك الأمر بعثتني إن أردت .

وحدثنا عفان بن مسلم أبو عثمان ، حدثنا الأسود بن شيبان ، أنبأنا خالد بن سمير قال :

غدا علي على ابن عمر صبيحة قتل عثمان فقال : أيّم[1] أبو عبد الرحمن أيم الرجل اخرج إلينا ، فقال له : هذه كتبنا قد فرغنا منها فاركب بها إلى الشام . فقال : أذكرك الله واليوم الآخر فإن هذا أمر لم أكن في أوله ولا آخره ، فلئن كان أهل الشام يريدونك لتأتينّك طاعتهم وإن كانوا لا يريدونك فما أنا برادّ منهم عنك شيئاً فقال : لتركبنّ طائعاً أو كارها . ثم انصرف فلما أمسى دعا بنجائبه أو قال : برواحله في سواد الليل فرمى بها مكة وترك علياً يتذمّر عليه بالمدينة .

وقال أبو مخنف وغيره : قال المغيرة بن شعبة : أرى أن تقرّ معاوية على الشام وتثبت ولايته وتولي طلحة والزبير المصرين يستقيم لك الناس ، فقال

١ ـ أيم هنا معناها أين هو أبو عبد الرحمن ، أو أين أنت . انظر النهاية لابن الأثير .

عبد الله بن العباس : إن الكوفة والبصرة عين المال وإن وليتهما إياهما لم آمن أن يضيّقاً عليك ، وإن وليت معاوية الشام لم تنفعك ولايته . فقال المغيرة : لا أرى لك أن تنزع ملك معاوية فإنّه الآن يتّهمكم بقتل ابن عمه ، وإن عزلته قاتلك فوله وأطعني . فأبى وقبل قول ابن عباس .

حدثنا عمرو بن محمد الناقد ، حدثنا إسحاق الأزرق ، عن عبد الملك بن سليمان ، عن سلمة بن كهيل ، عن سالم بن أبي الجعد :

عن محمد بن الحنفية ، قال : إني لقاعد مع علي إذاً أتاه رجل فقال : ائت هذا الرجل فإنه مقتول . فذهب ليقوم فأخذت بثوبه وقلت : أقسمت عليك أن تأته ، ثم جاء رجل آخر فقال : قد قتل فقام فدخل البيت ودخل الناس عليه فقالوا : ابسط يدك نبايعك . فقال ؛ لا ، أنا لكم وزير خير مني لكم أمير . فأبوا فقال : أما إذ أبيتم فإن بيعتي لا تكون سراً فاخرجوا إلى المسجد فخرجوا .

وحدثت أيضاً عن إسحاق بن يوسف الأزرق ، عن عبد الملك عن سلمة ، عن سالم :

عن ابن الحنفية قال : كنت عند علي إذ أتاه رجل فقال : أمير المؤمنين مقتول الساعة . قال : فقام واخذت بسوطه فقال : خل لا أم لك . فانطلق إلى الدار وقد قتل الرجل ، فأتاه الناس فقالوا : إنه لابدّ للناس من خليفة ولا نعلم أحداً أحق بها منك . فقال لهم : لا تريدوني فإني لكم وزيراً خير منى أميراً ، قالوا : والله ما نعلم أحق بها منك . قال : فإذ ابيتم فإن بيعتي لا تكون سرّاً ، ولكن اخرج إلى المسجد فمن شاء بايعني . فخرج إلى المسجد فبايعه الناس .

حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا وهب بن جرير حدثنا جويرية بن اسماء ، حدثني مالك بن أنس ، عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله :

عن المسور بن مخرمه قال : قتل عثمان وعلي في المسجد ، فمال الناس قِبَلَ طلحة ليبايعوه ، وانصرف علي يريد منزله ، فلقيه رجل من قريش عند موضع الجنائز ، فقال : انظروا إلى رجل قتل ابن عمّته وسلب ملكه ، فولّ راجعاً فرقى المنبر فقيل : هذا عليّ على المنبر . فترك الناس طلحة ومالوا إليه فبايعوه .

حدثنا أحمد بن إبراهيم ، حدثنا وهب بن جرير ، عن ابن جعدبة .

عن صالح بن كيسان قال: لما بايع الناس علياً كتب إلى خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة يؤمِّره على مكة، وأمره بأخذ البيعة، فأبى أهل مكة أن يبايعوا علياً، فأخذ فتى من قريش يقال له: عبد الله بن الوليد بن زيد بن ربيعة بن عبد العزّى بن عبد شمس الصحيفة فمضغها وألقاها فوطئت في سقاية زمزم، فقتل ذلك الفتى يوم الجمل مع عائشة.

قال: وسار علي بن عدي بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس - وكان حين قتل عثمان أمير مكة - إلى البصرة فقتل بها وله يقال:

يارب فاعقر لعلي جمله ولاتبارك في بعير حَمَلَه
إلا علي بن عدّي ليس له

وقال أبو مخنف وغيره: وجّه عليّ عليه السلام المسور بن مخرمة الزهري إلى معاوية - رحمه الله - لأخذ البيعة عليه؛ وكتب إليه معه: إن الناس قد قتلوا عثمان عن غير مشورة منّي وبايعوا لي فبايع رحمك الله موفقاً، وفِدْ إليّ في

اشراف أهل الشام. ولم يذكر له ولاية، فلما ورد الكتاب عليه؛ أبى البيعة لعلي واستعصى، ووجّه رجلاً معه صحيفة بيضاء؛ لا كتاب فيها ولاعليها خاتم - ويقال كانت مختومة - وعنوانها: من معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب فلما رآها علي قال: ويلك ماوراؤك؟ قال: أخاف أن تقتلني؟ قال: ولم اقتلك وأنت رسول! فقال: إني اتيتك من قبل قوم يزعمون انك قتلت عثمان وليسوا براضين دون أن يقتلوك به. فقال عليّ: يا أهل المدينة والله لتقاتلنّ أو ليأتينكم من يقاتلكم.

فبايع عليا أهل الامصار الاما كان من معاوية وأهل الشام وخواص من الناس.

«وحدثنا» خلف بن سالم المخزومي، حدثنا وهب بن جرير، عن ابن جعدبة:

عن صالح بن كيسان قال: قتل عثمان وبويع علي وعائشة في الحج فأقامت بمكة؛ وخرج إليها طلحة والزبير، وقد ندما على الذي كان من شأنهما في أمر عثمان، وكتب علي إلى معاوية:

إن كان عثمان ابن عمك فأنا ابن عمك، وإن كان وصلك فإني اصلك وقد امّرتك على ماأنت عليه، فأعمل فيه بالذي لحقّ عليك.

فلما ورد الكتاب على معاوية دعا بطومار لاكتاب فيه ثم كتب:

«بسم الله الرحمن الرحيم» فقط، ثم طواه وختم عليه وكتب عنوانه: من معاوية إليّ عليّ بن أبي طالب. وبعث به مع رجل من عبس يقال له: يزيد ابن الحرّ، فقدم به على علي فقال لعليّ: أجرني. قال: قد اجرتك إلا من دم. فدفع الكتاب إليه، فلما نظر فيه عرف ان معاوية مباعدله ثم إن

يزيد بن الحرّ قال: يامعشر قريش الخيل الخيل، والذي نفسي بيده ليدخلنها عليكم أربعة آلاف فارس ـ أو قال: فرس

المدائني أبو الحسن عن اشياخ ذكرهم، وعلي بن مجاهد.

قالوا: لما بويع عليّ أتى الكوفة الخبر فبايع هشام بن عتبة لعلي وقال: هذه يميني وشمالي لعلي وقال:

أبـايـع غـير مكتتم عليـا ولا أخشى أميري الأشعريا

وقدم ببيعته على أهل الكوفة يزيد بن عاصم المحاربي فبايع أبو موسى لعلي فقال عمّار ـ حين بلغته بيعته له ـ: والله لينكثنّ عهده ولينقضنّ عقده وليفِرنَّ جهده وليسلمنّ جنده. فلما كان من طلحة والزبير ماكان قال أبو موسى: الإمرة مأمر فيه، والملك ماغُلِبَ عليه. فلم يزل والياً على الكوفة حتى كتب إليه عليّ من «ذي قار» يأمره أن يستنفر الناس فثبَّطهم وقال: هذه فتنة. فوجّه عليّ حينئذ عمار بن ياسر، مع الحسن بن عليّ إلى الكوفة لاستنفار الناس.

حدثني عمر بن محمد، ومحمد بن حاتم، وعبد الله بن صالح، قالوا: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش عن أبي صالح قال: قال علي: لوظننت أن الأمر يبلغ مابلغ مادخلت فيه.

حدثني محمد بن سعد، حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد الزهري، عن أبيه، عن صالح بن كيسان، قال:

قال ابن شهاب: حدثني حميد بن عبد الرحمن، أن عمر بن الخطاب كان يناجي رجلاً من الأنصار؛ من بني حارثة فقال: من تحدثون أنه يستخلف من بعدي؟ فعدّ الأنصاري المهاجرين ولم يذكر علياً، فقال عمر:

فأين أنتم عن علي، فوالله إني لأرى أنَّه إن ولي شيئاً من أمركم سيحملكم على طريقة الحق.

حدثني روح بن عبد المؤمن، ومحمد بن سعد؛ قالا: حدثنا أبو داود الطيالسي، عن عبد الجليل القيسي قال:

ذكر عمر من يستخلف بعده فقال رجل: ياأمير المؤمنين علي. فقال: أيم الله لايستخلفونه، ولئن استخلفتموه أقامكم على الحق وإن كرهتموه.

وحدثني أحمد بن هشام بن بهرام، والحسين بن علي بن الأسود قالا: حدثنا عبيد الله بن موسى، أنبأنا إسرائيل، عن أبي إسحاق:

عن حارثة قال: حججت مع عمر، فسمعت حادي عمر يحدو:

إن الأمير بعده ابن عفان.

وسمعت الحادي يحدو في إمارة عثمان:

إن الأمير بعده عليّ وفي الزبير خلف رضيّ

حدثني محمد بن سعد، حدثنا أنس بن عياض، عن محمد بن أبي ليلى مولى الأسلميين، ومحمد بن عطية الثقفي:

إن عطية أخبره قال: لما كان الغد من يوم قتل عثمان أقبلت مع عليّ فدخلت المسجد، فوجدت جماعة من الناس قد اجتمعوا على طلحة، فخرج أبو جهم بن حذيفة العدوي فقال: ياعليّ إنّ الناس قد اجتمعوا على طلحة وأنت غافل. فقال: أيقتل ابن عمتي وأغلب على ملكه، ثم أتى بيت المال ففتحه فلما سمع النّاس بذلك تركوا طلحة وأقبلوا إليه.

حدثني محمد بن حاتم المروزي، وروح بن عبد المؤمن، قالا: حدثنا موسى بن إسماعيل، عن محمد بن راشد صاحب مكحول، عن عوف قال:

كنت عند الحسن فقال له أبو جوشن الغطفاني: ماأزرى بأبي موسى إلا إتباعه علياً. قال: فغضب الحسن ثم قال: ومن يتّبع؟ قتل عثمان مظلوماً فعمدوا إلى أفضلهم فبايعوه، فجاء معاوية باغياً ظالماً، فإذا لم يتّبع أبو موسى علياً فمن يتّبع؟.

حدثني إبراهيم بن محمد البيامي وبكر بن الهيثم، قالا: حدثنا عبد الرزاق بن همّام، حدثنا معمر:

عن الزهري قال: كان عليّ قد خلى بين طلحة وبين عثمان، فلمّا قتل عثمان برز عليّ للناس فدعاهم إلى البيعة فبايعوه، وذلك إنه خشي أن يبايع الناس طلحة، فلما دعاهم إلى البيعة لم يعدلوا به طلحة ولاغيره.

حدثنا محمد بن سعد، حدثنا صفوان بن عيسى الزهري عن عوف قال: لما قتل عثمان جعل الناس يبايعون علياً: قال: فجاء طلحة فقال له عليّ: هات يدك أبايعك. فقال طلحة: أنت أحق بها منّي.

وحدثت عن عبد الله بن علي بن السائب، عن صهبان مولى الأسلميين قال: جاء علي والناس معه والصبيان يعدون ومعهم الجريد الرطب، فدخل حائطاً في بني مبذول، وطرح الأشتر النخعي خميصته[١] عليه ثم قال: ماتنتظرون؟ ياعلي أبسط يدك. فبسط يده فبايعه ثم قال: قوموا فبايعوا، قم ياطلحة قم يازبير، فبايعا وبايع الناس.

حدثنا خلف بن هشام، حدثنا هشيم بن بشير، حدثنا حميد، عن الحسن قال: رأيت الزبير بايع علياً في حش من أحشاش المدينة.

---

١ ـ الخميصة: كساء أسود مربع له علمان. القاموس.

المدائني عن جعفر بن سليمان، عن مالك بن دينار: أن طلحة والزبير بايعا علياً.

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي، حدثني أبو زكريا يحيى بن معين حدثنا عبد الله بن نمير عن العلاء بن صالح، عن عدي بن ثابت:

حدثني أبو راشد قال: انتهت بيعة علياً[1] إلى حذيفة وهو بالمدائن، فبايع بيمينه شماله ثم قال: لاأبايع بعده لأحد من قريش، مابعده إلا أشعر أو أبتر.

قال أحمد بن إبراهيم: وروي عن حذيفة انه قال: من أراد أن يلقى أمير المؤمنين حقاً فليأت عليا.

حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي، حدثنا أبو نعيم، حدثنا محمد بن أبي أيوب، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب:

ان الحسن بن عليّ قال لعليّ: ياأمير المؤمنين إني لاأستطيع أن أكلمك وبكى، فقال عليّ: تكلم ولاتحن حنين المرأة. فقال: إن الناس حصروا عثمان فأمرتك أن تعتزلهم وتلحق بمكة حتى تؤوب إلى العرب عوازب أحلامها فأبيت، ثم قتله الناس فأمرتك أن تعتزل الناس فلو كنت في جحر ضبّ لضربت إليك العرب أباط الإبل حتى يستخرجوك؛ فغلبتني، وأنا آمرك اليوم أن لاتقدم العراق؛ فإني أخاف عليك أن تقتل بمضيعة، فقال عليّ: أما قولك تأتي مكة فوالله ماكنت لأكون الرجل الذي تستحل به مكة، وأما قولك حصر الناس عثمان فماذنبي إن كان بين الناس وبين عثمان ماكان وأما قولك اعتزل الناس ولاتقدم العراق فوالله لاأكون مثل الضبع أنتظر اللدم[2].

---

١ ـ وردت هكذا بالأصول والصواب: عليٌّ.

٢ ـ اللدم: اللطم والضرب بشيء ثقيل يسمع وقعه. القاموس.

حدثني عباس بن هشام الكلبي، عن أبيه، عن أبي مخنف قال: حدثني أبو يوسف الانصاري: أنه سمع أهل المدينة يتحدثون ان الناس لما بايعوا علياً عليه السلام بالمدينة بلغ عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ أن الناس بايعوا لطلحة؛ فقالت: إيه ذا الإصبع لله أنت، لقد وجدوك لها محشاً[١]، وأقبلت جذلة مسرورة حتى إذا انتهت إلى سرف[٢] استقبلها عبيد بن مسلمة الليثي الذي يدعى ابن أم كلاب فسألته عن الخبر، قال: قتل الناس عثمان. قالت: نعم ثم صنعوا ماذا؟ قال: خيراً، حارت بهم الأمور إلى خير محار بايعوا ابن عم نبيهم علياً. فقالت: أو فعلوها؟ وددت أن هذه أطبقت على هذه إن تمت الأمور لصاحبك الذي ذكرت، فقال لها: ولم؟ والله ماأرى اليوم في الأرض مثله فلم تكرهين سلطانه؟ فلم ترجع إليه جواباً وانصرفت إلى مكة فأتت الحجر فاستترت فيه وجعلت تقول: إنا عتبنا على عثمان في أمور سميناها له ووقفناه عليها فتاب منها واستغفر ربّه فقبل المسلمون منه ولم يجدوا من ذلك بدّا، فوثب عليه من إصبع من أصابع عثمان خيرٌ منه فقتله، فقتل ـ والله ـ وقد ماصّوه كما يماص الثوب الرحيض[٣] وصفّوه كما يصفى القلب.

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي، وخلف بن سالم، قالا: حدثنا وهب بن جرير بن حازم، عن يونس بن يزيد الايلي:

عن الزهري قال سأل طلحة والزبير علياً أن يوليهما البصرة والكوفة فقال: تكونان عندي فأتجمّل بكما فإني أستوحش لفراقكما.

---

١ ـ المحش: ماتحرك به النار من حديدة أو عود، ويقال: فلان محش حرب أي موقدها ومؤرثها.
٢ ـ موضع على ستة أميال من مكة. معجم البلدان.
٣ ـ رحض غسل، والرحيض المغسول المطهر.

قال الزهري: وقد بلغنا أن علياً قال لهما: إن أحببتما أن تبايعاني فافعلا، وإن أحببتما بايعت أيكما شئتما؟ فقالا: بل نبايعك. ثم قالا بعد: إنما صنعنا ذلك خشية على أنفسنا، وقد عرفنا أنه لم يكن ليبايعنا. ثم طمرا[1] إلى مكة بعد قتل عثمان بأربعة أشهر.

حدثني الحسن بن علي، عن أبي بكر بن عياش، عن أبي حصين قال:

دعا عبد الله بن عامر بن كريز: طلحة والزبير إلى البصرة، وأشار عليهما بها وقال: لي بها صنائع، وكان واليها من قبل عثمان بعد أبي موسى الأشعري فقال أبو موسى الأشعري: ياأهل البصرة قد أتاكم فتى من قريش كريم الأمهات والعمات والخالات، يقول بالمال فيكم كذا وكذا.

---

١ ـ أي ذهبا سراً.

وقعة الجمل

بسم الله الرحمن الرحيم

خبر الجمل:

حدثني أحمد بن إبراهيم، وخلف بن سالم، قالا: حدثنا وهب بن جرير، عن أبيه، عن يونس بن يزيد الايلي:

عن الزهري قال: صار طلحة والزبير إلى مكة وابن عامر بها بحرّ الدنيا قد قدم من البصرة، وبها يعلى بن منية ـ وهي أمّه وأبوه أميّة تميمي ـ ومعه مال كثير قدم به من اليمن، وزيادة على أربعمائة بعير، فاجتمعوا عند عائشة فأداروا الرأي فقالوا: نسير إلى المدينة فنقاتل علياً. فقال بعضهم: ليست لكم بأهل المدينة طاقة، قالوا: فنسير إلى الشام فيه الرجال والأموال وأهل الشام شيعة لعثمان؛ فنطلب بدمه ونجد على ذلك أعوانا وأنصاراً ومشايعين. فقال قائل منهم: هناك معاوية وهو والي الشام والمطاع به، ولن تنا لوا ماتريدون، وهو أولى منكم بما تحاولون لأنه ابن عم الرجل. فقال بعضهم: نسير إلى العراق، فلطلحة بالكوفة شيعة، وللزبير بالبصرة من يهواه ويميل إليه،

فاجتمعوا على المسير إلى البصرة، وأشار عبد الله بن عامر عليهم بذلك وأعطاهم مالاً كثيراً قوّاهم به، وأعطاهم يعلى بن منية التميمي مالاً كثيراً وإبلا، فخرجوا في تسعمائة[١] رجل من أهل المدينة، ومكة، ولحقهم الناس حتى كانوا ثلاثة آلاف رجل. فبلغ علياً مسيرهم، ويقال: إن أم الفضل بنت الحارث بن حزن كتبت به إلى عليّ، فأمّر عليّ سهل بن حُنيف الأنصاري[٢] وشخص حتى نزل ذاقار.

حدثني عباس بن هشام، عن أبيه، عن أبي مخنف:

أن طلحة والزبير استأذنا علياً في العمرة، فقال: لعلكما تريدان الشام أو العراق؟ فقالا: اللهم غفراً إنما نوينا العمرة. فأذن لهما فخرجا مسرعين وجعلا يقولان: لا والله مالعليّ في أعناقنا بيعة، ومابايعناه إلا مكرهين تحت السيف. فبلغ ذلك علياً فقال: أخذهما[٣] الله إلى أقصى دار وأحرّ نار.

وولىّ علي عثمان بن حُنيف الأنصاري البصرة، فوجد بها خليفة عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن عبد شمس، وهو ابن عامر الحضرمي حليف بني عبد شمس، فحبسه وضبط البصرة.

وحدثني خلف بن سالم، حدثنا وهب بن جرير، حدثنا ابن جُعدبه، عن صالح بن كيسان قال:

قدم طلحة والزبير على عائشة فأجمعوا على الخروج إلى البصرة للطلب

---

١ - في هامش الأصل مايفيد في نسخة أخرى «سبع».
٢ - أي استخلفه على المدينة أميراً.
٣ - في هامش الأصل مايفيد في رواية أخرى «أبعدهما».

بدم عثمان، وكان يعلى بن منية قد قدم من اليمن فحملهم على أربعمائة بعير، فيها «عسكر» جمل عائشة الذي ركبته.

وحدثني روح بن عبد المؤمن، عن وهب بن جرير، عن ابن جُعدبة، عن صالح بن كيسان.

وحدثني عباس بن هشام، عن أبيه، عن أبي مخنف في اسناده ـ فسقت حديثهما ورددت من بعضه على بعض ـ :

قالوا: قدم طلحة والزبير على عائشة فدعواها إلى الخروج، فقالت: أتأمراني أن أقاتل؟ فقالا: لا ولكن تعلمين الناس أن عثمان قتل مظلوما، وتدعيهم إلى أن يجعلوا الأمر شورى بين المسلمين، فيكونوا على الحالة التي تركهم عليها عمر بن الخطاب وتصلحين بينهم.

وكان بمكة سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية، ومروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، وعبد الرحمن بن عتّاب بن أسيد بن أبي العاص بن أمية، والمغيرة بن شعبة الثقفي قد شخصوا من المدينة، فأجمعوا على فراق علي والطلب بدم عثمان والمغيرة يحرض الناس ويدعوهم إلى الطلب بدمه، ثم صار إلى الطائف معتزلا للفريقين جميعا.

فجعلت عائشة تقول : إن عثمان قتل مظلوماً وأنا أدعوكم إلى الطلب بدمه وإعادة الأمر شورى .

وكانت أم سلمة بنت أبي أمية بمكة ، فكانت تقول : أيها الناس آمركم بتقوى الله ، وأن كنتم تابعتم علياً فارضوا به فوالله ما أعرف في زمانكم خيراً منه .

وسار طلحة والزبير وعائشة فيمن اجتمع إليهم من الناس فخرجوا في ثلاثة آلاف ، منهم من أهل المدينة ومكة تسعمائة .

وسمعت عائشة في طريقها نباح كلاب فقالت : ما يقال لهذا الماء الذي نحن به ؟ قالوا : الحَوْأَب . فقالت : إنا لله وإنا إليه راجعون ردّوني ردّوني فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول وعنده نساؤه : «أيتّكن ينبحها كلاب الحوأب»[1] وعزمت على الرجوع فأتاها عبدالله بن الزبير فقال : كذب من زعم أن هذا الماء الحوأب ، وجاء بخمسين من بني عامر فشهدوا وحلفوا على صدق عبدالله .

وكان مروان بن الحكم مؤذنّهم فقال : من أدعو للصلاة ؟ فقال عبدالله بن الزبير : ادع أبا عبدالله . وقال محمد بن طلحة : ادع أبا محمد . فقالت عائشة : مالنا ولك يا مروان أتريد أن تغري بين القوم وتحمل بعضهم على بعض ؟ ليصلّ أكبرهما فصلّى الزبير .

ولّما قربت عائشة ومن معها من البصرة بعث إليهم عثمان بن حُنيف عمران بن الحصين الخزاعي أبا نجيد ، وأبا الأسود الديلي فلقياهم بحفر أبي موسى ، فقالا لهم : فيما قدمتم ؟ فقالوا : نطلب بدم عثمان وأن نجعل الأمر شورى فإنا غضبنا لكم من سوطه وعصاه أفلا نغضب له من السيف ؟!

وقالا لعائشة : أمرك الله أن تقرّي في بيتك فإنك حبيس رسول الله ﷺ وحليلته وحرمته . فقالت لأبي الأسود : قد بلغني عنك يا أبا الأسود ما تقول في . فانصرف عمران وأبو الأسود الى ابن حنيف وجعل أبو الأسود يقول :

---

١ ـ الحوأب موضع بئر في طريق البصرة . معجم البلدان .

يا بن حنيف قد أُتيت فانفر وطاعن القوم وضارب واصبر
وابرز لهم مستلئماً وشمّر[1]

فقال عثمان : أي ورب الحرمين لأفعلن .

ونادى عثمان [بن حنيف في الناس] فتسلّحوا ، وأقبل طلحة والزبير وعائشة حتى دخلوا المربد مما يلي بني سليم ، وجاء أهل البصرة مع عثمان ركباناً ومشاة ، وخطب طلحة فقال : إن عثمان بن عفان كان من أهل السابقة والفضيلة من المهاجرين الأولين ، وأحدث أحداثاً نقمناها عليه فبايناه ونافرناه ، ثم اعتب حين استعتبناه ، فعدا عليه امرؤ ابتز هذه الأمة أمرها بغير رضى ولا مشورة فقتله ، وساعده على ذلك رجال غير أبرار ولا أتقياء ، فقتلوه بريئاً تائباً مسلماً فنحن ندعوكم إلى الطلب بدمه فإنّه الخليفة المظلوم .

وتكلم الزبير بنحو من هذا الكلام ، فاختلف الناس فقال قائلون : نطقا بالحقّ ، وقال آخرون : كذبا ولهما كانا أشدّ الناس على عثمان وارتفعت الأصوات .

وأتي بعائشة على جملها في هودجها فقالت : صه صه ، فخطبت بلسان ذلق وصوت جهوري ، فأسكت لها الناس فقالت :

إن عثمان خليفتكم قتل مظلوماً بعد أن تاب إلى ربّه وخرج من ذنبه ، والله ما بلغ من فعله ما يستحلّ به دمه ، فينبغي في الحق أن يؤخذ قتلته فيقتلوا به ويجعل الأمر شورى .

فقال قائلون : صدقت . وقال آخرون : كذبت حتى تضاربوا بالنعال

١ ـ ديوان أبي الأسود ـ ط . العراق ص ٢٣٠ .

وتمايزوا فصاروا فرقتين : فرقة مع عائشة وأصحابها ، وفرقة مع ابن حنيف ، وكان على خيل ابن حنيف حكيم بن جَبَلة فجعل يحمل ويقول :

خيلي إليّ أنها قريش ليردينها نعيمها والطيش

وتأهبوا للقتال فانتهوا إلى الزابوقة ، وأصبح عثمان بن حنيف فزحف إليهم فقاتلهم أشدّ قتال ، فكثرت بينهم القتلى وفشت فيهم الجراح .

ثم إن الناس تداعوا إلى الصلح فكتبوا بينهم كتاباً بالموادعة إلى قدوم علي على أن لا يعرض بعضهم لبعض في سوق ولا مشرعة ، وان لعثمان بن حُنيف دار الامارة وبيت المال والمسجد ، وأن طلحة والزبير ينزلان ومن معهما حيث شاؤوا ، ثم انصرف الناس وألقوا السلاح .

وتناظر طلحة والزبير فقال طلحة : والله لئن قدم علي البصرة ليأخذن بأعناقنا ، فعزما على تبييت ابن حُنيف وهو لا يشعر ، وواطآ أصحابهما على ذلك ؛ حتى إذا كانت ليلة ريح وظلمة جاؤوا إلى ابن حنيف وهو يصلي بالناس العشاء الآخرة فأخذوه وأمروا به فوطىء وطئاً شديداً ، ونتفوا لحيته وشاربيه فقال لهما : إن سهلاً حيّ بالمدينة والله لئن شاكني شوكة ليضعنّ السيف في بني أبيكما . يخاطب بذلك طلحة والزبير فكفّا عنه وحبساه .

وبعثا عبدالله بن الزبير في جماعة إلى بيت المال وعليه قوم من السبابجة [١] يكونون أربعين ، ويقال : أربعمائة فامتنعوا من تسليمه دون قدوم علي ، فقتلوهم ورئيسهم أبا سلمة الزطي [٢] وكان عبداً صالحاً .

وأصبح الناس وعثمان بن حنيف محبوس ، فتدافع طلحة والزبير

١ ـ قوم أصلهم من السند عملوا بالبصرة كمرتزقة .
٢ ـ الزط هم زنوج الهند .

الصلاة وكانا بويعا أميرين غير خليفتين ، وكان الزبير مقدماً ، ثم اتفقا على أن يصلّي هذا يوماً وهذا يوماً .

وركب حكيم بن جبلة العبدي حتى انتهى إلى الزابوقة ، وهو في ثلاثمائة ، منهم من قومه سبعون ، وتألف إخوة له : وهم الأشرف والحكيم والزعل ، فسار إليهم طلحة والزبير فقالا : يا حكيم ما تريد ؟ قال : أريد أن تحلّوا عثمان بن حنيف وتقرّوه في دار الإمارة وتسلموا إليه بيت المال ، وأن ترجعا إلى قدوم علي . فأبوا ذلك واقتتلوا فجعل حكيم يقول :

أضربهم باليابس ضرب غلام عابس

من الحياة آيس

فضربت رجله فقطعت فحبا وأخذها فرمى بها ضاربه فصرعه وجعل يقول :

يا نفس لا تراعي إن قطعوا كراعي

إن معي ذراعي

وجعل يقول أيضاً :

ليس عليّ في الممات عار والعار في الحرب هو الفرار

والمجد أن لا يفضح الذمار

فقتل حكيم في سبعين من قومه وقتل إخوته الثلاثة .

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا وهب بن جرير بن حازم ، عن أبيه ، عن الزبير بن الخرّيت :

عن أبي لبيد قال : قال حكيم لامرأة من الأزد : لأعملنّ بقومك اليوم عملاً يكونون به حديثاً . فقالت : أظن قومي سيجعلونك حديثاً . فضربه

رجل من الحُدّان يقال له : سُحَيم ضربة فبقي رأسه متعلقاً وصار وجهه مقبلاً على دبره .

وحدثني أحمد بن إبراهيم ، حدثنا أبو عامر العقدي ، عن الأسود بن شيبان :

عن خالد بن سمير ، قال : قالت : عائشة : لا تبايعوا الزبير على الخلافة ولكن على الإمرة في القتال ، فإن ظفرتم رأيتم رأيكم .

وقال أبو مخنف : خطب طلحة بن عبيدالله الناس بالزّابوقة فقال : يا أهل البصرة توبة بحوبة ، إنما أردنا أن نستعتب عثمان ولم نرد قتله فغلب السفهاء الحكماء حتى قتلوه . فقال ناس لطلحة : يا أبا محمد قد كانت كتبك تأتينا بغير هذا من ذَمِّهِ والتحريض على قتله .

وحدثني أبو خيثمة زهير بن حرب ، حدثنا وهب بن جرير ، عن أبيه ، عن النعمان بن راشد :

عن الزهري قال : لما قدم طلحة والزّبير البصرة ، أتاهما عبدالله بن حكيم التميمي بكتب كتبها طلحة إليهم يؤلِّبهم فيها على عثمان ، فقال له حكيم :

أتعرف هذه الكتب؟ قال: نعم. قال: فما حملك على التأليب عليه أمس والطلب بدمه اليوم؟ فقال: لم أجد في أمر عثمان شيئاً إلا التوبة والطلب بدمه.

قال الزهري: وبلغ علياً خبر حُكَيم بن جبلة، وعثمان بن حنيف، فأقبل في اثني عشر ألفاً حتى قدم البصرة وجعل يقول:

والهفتياه على ربيعة ربيعة السامعة المطيعة
نبئتها كانت بها الوقيعة[1]

وحدثني أبو خيثمة؛ وخلف بن سالم المخزومي، وأحمد بن إبراهيم، قالوا: حدثنا وهب بن جرير، عن ابن جعدبة:

عن صالح بن كيسان، قال: بلغ سهل بن حنيف ـ وهو والٍ على المدينة من قبل علي ـ ماكان من طلحة والزبير إلى أخيه عثمان وحبسهما إيّاه فكتب إليهما: «أعطي الله عهداً لئن ضررتموه بشيء ولم تخلّوا سبيله لأبلغن من أقرب الناس منكما مثل الذي صنعتم وتصنعون به». فخلوا سبيله حتى أتى علياً.

قال: ووجّه عليّ من ذي قار إلى أهل الكوفة ـ لينهضوا إليه ـ عبد الله بن عباس وعمار بن ياسر، وكان عليها من قبل عليّ أبو موسى، وقد كان عليها من قبل عثمان، فكلّم الأشتر فيه علياً فأقرّه، فلما دعا ابن عباس وعمار النّاس إلى علي واستنفراهم لنصرته قام أبو موسي خطيباً فقال:

«أيها الناس إنكم قد سلمتم من الفتنة إلى يومكم فتخلفوا عنها وأقيموا إلى أن يكون الناس جماعة فتدخلوا فيها».

وجعل يثبّط الناس، فرجع عبد الله بن عباس وعمار إلى علي فأخبراه بذلك، فكتب إليه: «يابن الحائك» وبعث الحسن بن علي ليندب الناس إليه، وأمره بعزل أبي موسى فعزله، وولّى الكوفة قرظة بن كعب الأنصاري فانتدب معه عشرة آلاف أو نحوهم فخرج بهم إلى إبيه.

ثم سار علي عليه السلام حتى نزل البصرة فقال: ماتقول الناس؟

١ ـ ديوان الامام علي ص٦١ مع فوارق.

قالوا: يقولون: يالثارات عثمان. فرفع يده ثم قال: اللهم عليك بقتلة عثمان.

وحدثني عمرو بن محمد حدثنا عبد الله بن إدريس بن حصين، عن عمر بن جاوان:

عن الأحنف أن طلحة والزبير دعواه إلى الطلب بدم عثمان، فقال: لاأقاتل ابن عمّ رسول الله ومن أمر تماني ببيعته، ولاأقاتل أيضاً طائفة فيها أم المؤمنين وحواري رسول الله، ولكن اختاروا مني إحدى ثلاث: إما أن تفتحوا لي الجسر فألحق بأرض الأعاجم، أو بمكة، أو أعبر فأكون قريباً. فأتمروا فرأوا أن يكون بالقرب وقالوا: نطأ صماخه. فاعتزل بالجلحاء من البصرة على فرسخين، واعتزل معه ستة آلاف.

ثم التقى القوم فكان أول من قتل طلحة وكعب بن سور، ولحق الزبير بسفوان فلقيه النعر المجاشعي فقال له: إليّ فأنت في ذمتي لايوصل إليك. قال: فأقبل معه، فأتى الأحنف فقيل له: ذاك الزبير بسفوان فما تأمر؟ قال: جمع بين غارّين من المسلمين حتى ضرب بعضهم وجوه بعض بالسيوف ثم يلحق ببيته بالمدينة. فسمعه ابن جرموز، وفضالة ونُفيع ـ أو نُفيل ـ فركبوا في طلبة فقتلوه.

وقال أبو مخنف في اسناده: لما بلغ علياً ـ وهو بالمدينة ـ شخوص طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة؛ استنفر الناس بالمدينة، ودعاهم إلى نصره فخفّت معه الأنصار وجعل الحجّاج بن غزية يقول:

سيروا أبابيل وحثّوا السيرا كي تلحقوا التيمي والزبيرا

فخرج علي من المدينة في سبعمائة من الأنصار وورد الربذة، فقدم عليه

المثنى بن مُحَرَّبة العبدي؛ فأخبره بأمر طلحة والزبير وبقتل حُكيم بن جبلة العبدي فيمن قتل من عبد القيس وغيرهم من ربيعة، فقال عليّ عليه السلام:

يالهف أُمّاهُ على الربيعة ربيعة السامعة المطيعة
قد سبقتني بهم الوقيعة دعا حكيم دعوة سميعة
نال بها المنزلة الرفيعة[1]

وقال أبو اليقظان: هو المثنى بن بشير بن مُحَرّبة واسم محربة مدرك بن حوط، وإنما حرَّبه السلاح لكثرة لبسه إياه وقد وفد إلى النبي ﷺ.

قال: وبعث عليّ من الربذة هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهري إلى أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري ـ وكان عامله على الكوفة، بكتاب منه يأمره فيه بدعاء الناس واستنفارهم إليه، فجعل أبو موسى يخذلهم ويأمرهم بالمقام عنه؛ ويحذّرهم الفتنة، ولم ينهض معه أحداً وتوعَّد هاشماً بالجيش[2] فلما قدم على عليّ دعا عبد الله بن عباس ومحمد بن أبي بكر؛ فبعثهما إليه وأمرهما بعزله، وكتب إليه معهما كتاباً ينسبه وأباه إلى الحياكة، فعزلاه وصيّرا مكانه قرظة بن كعب الانصاري.

وارتحل علي بن أبي طالب حتى نزل بفيد، فأتته جماعة طيء، ووجّه ابنه الحسن بن عليّ وعمار بن ياسر إلى الكوفة لاستنفار أهلها، فلما قدما انصرف ابن عباس ومحمد بن أبي بكر الصديق، ويقال: بل أقاما حتى كان انصرافهم جميعاً.

١ ـ ديوان الامام علي ص٦١ .
٢ ـ كذا بالأصل، والمرجح أنها تصحيف صوابه «الحبس».

وقال قوم: كان قيس بن سعد بن عبادة مع الحسن وعمار.

والثبت أن علياً ولّى قيساً مصر ـ وهو بالمدينة ـ حين ولّى عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب اليمن، ثم إنه عزله عن مصر، وقدم المدينة وشخص هو وسهل بن حُنيف إلى الكوفة؛ فشهدا صفين والنهروان معه، وانه لم يوجّه مع الحسن إلا عمار بن ياسر.

وقال أبو مخنف وغيره: لما دعا الحسن وعمار أهل الكوفة إلى انجاد علي والنهوض إليه سارعوا إلى ذلك، فنفر مع الحسن عشرة آلاف على راياتهم، ويقال: اثنا عشر ألفاً، ـ وكانوا يدعون في خلافة عثمان وعلي «أسباعاً»، حتى كان زياد بن أبي سفيان فصيّرهم «أرباعاً» ـ فكانت همدان وحمير سبعاً عليهم سعيد بن قيس الهمداني ـ ويقال: بل أقام سعيد بالكوفة وكان على السبع غيره. وإقامته بالكوفة أثبت.

وكانت مذحج والأشعريون سبعاً عليهم زياد بن النضر الحارثي، إلا أن عدّي بن حاتم، كان على طيء مفرداً، دون صاحب سبع مذحج والأشعرين.

وكانت قيس عيلان وعبد القيس سبعاً عليهم سعد بن مسعود، عم المختار بن أبي عبيد الثقفي.

وكانت كندة وَحضرموت وقضاعة ومهرة، سبعا عليهم حجر بن عدي الكندي.

وكانت الأزد وبجيلة وخثعم والأنصار سبعاً عليهم مخنف بن سليم الأزدي.

وكانت بكر بن وائل وتغلب،وسائر ربيعة ـ غير عبد القيس ـ سبعاً

عليهم وَعْلة بن محدوج الذهلي.

وكانت قريش وكنانة وأسد، وتميم وضبّة والرباب ومزينة سبعاً، عليهم معقل بن قيس الرياحي.

فشهد هؤلاء الجمل وصفين والنهر وهم هكذا.

حدثني عبد الله بن صالح، عن شريك، عن رجل عن أبي قبيصة عمرو بن قبيصة، عن طارق بن شهاب قال:

قال الحسن بن علي لعليّ بالربذة وقد ركب راحلته وعليها رحل له رثّ: إني لأخشى أن تقتل بمضيعة. فقال: إليك عنّي فوالله ماوجدت إلا قتال القوم أو الكفر بما جاء به محمد ـ أو قال: بما أنزل على محمد ﷺ.

وحدثني أبو قلابة الرقاشي، عن يزيد بن محمد العمي، عن يحيى بن عبد الحميد، عن شريك، عن أُبيّ الصيرفي عن أبي قبيضة عمرو بن قبيصة، عن طارق بن شهاب بمثله، إلا أنه قال: أو الكفر بما أنزل على محمد.

وقال أبو مخنف وغيره: سار الحسن بالناس من الكوفة إلى أبيه وعلى الكوفة قرظة بن كعب، فوافاه بذي قار، فخرج عليّ بالناس من ذي قار حتى نزل بالبصرة؛ فدعاهم إلى الجماعة ونهاهم عن الفرقة، وخرج إليه شيعته من أهل البصرة من ربيعة؛ وهم ثلاث آلاف، على بكر بن وائل شقيق بن ثور السدوسي، وعلى عبد القيس عمرو بن مرحوم العبدي.

وانخزل مالك بن مسمع أحد بني قيس بن ثعلبة بن عُكابة عن علي.

وبايعت أفناء قيس من سليم وعامر، وباهلة وغني أصحاب الجمل، وبايعهم أيضاً حنظلة وبنو عمرو بن تميم، وضبّة والرباب، وعليهم هلال بن وكيع بن بشر بن عمر بن عُدس بن زيد بن عبد الله بن دارم،

وقتل يوم الجمل .

وبايعهم الأزد ورئيسها صبرة بن شيمان الحدّاني فقال له كعب بن سور بن بكر : أطعني واعتزل بقومك وراء هذه النطفة ، ودع هذين الغارين من مضر ؛ وربيعة يقتتلان . فأبى وقال : أتأمرني أن أعتزل أم المؤمنين وأدع الطلب بدم عثمان ، لا أفعل .

وبعث الأحنف بن قيس إلى علي : إن شئت أتيتك فكنت معك ، وإن شئت اعتزلت ببني سعد فكففت عنك ستة آلاف سيف ـ أو قال أربعة آلاف سيف ؟ فاختار اعتزاله ، فاعتزل بناحية وادي السباع .

قال: وكان علي يقول : منيت بفارس العرب ـ يعني الزبير ـ وبأيسر العرب ـ يعني يعلى بن منية التميمي ـ وبفيّاض العرب ـ يعني طلحة ـ وبأطوع الناس في الناس ـ يعني عائشة .

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا وهب بن جرير ، عن أبيه ، حدثني الجلد بن أيّوب عن أبيه عن جدّه قال :

أتاني كعب بن سور فركبت معه فجعل يطوف في الأزد ويقول : ويحكم أطيعوني واقطعوا هذه النطفة فكونوا من ورائها وخلوا بين الغارين . فجعلوا يسبّونه ويقولون : نصراني صاحب عصا ـ وذلك لأنه كان في الجاهلية نصرانياً ـ فلما أعيوه رجع إلى منزله وأراد الخروج من البصرة ، فبلغ عائشة الخبر وهي نازلة مسجد الحدّان أو عنده فجاءت على بعيرها فلم تزل به حتى أخرجته ومعه راية الأزد .

قال وهب : وكان كعب قاضياً على البصرة من قبل عمر بن الخطاب ، ولاه القضاء بعد أبي مريم الحنفي وأقرّه عثمان بعد ذلك .

وقال ابن الكلبي : أتاه سهم فقتله وفي عنقه مصحف .

وقال أبو مخنف وغيره : أرسل عمران بن الحصين إلى بني عدي يأمرهم بالقعود عن الفريقين ، وقال : لأن أرعى غنماً عفراً في جبل حَضَن[1] أحب إليّ من أن أرمي في الفريقين بسهم . فقالوا : أتأمرنا أن نقعد عن ثقل رسول الله ﷺ وحرمته ؟ لا نفعل .

وقال الحارث بن حوط الليثي لعلي : أترى أن طلحة والزبير ، وعائشة اجتمعوا على باطل ؟ فقال علي : يا حار أنت ملبوس عليك ، إن الحق والباطل لا يعرفان بأقدار الرجال ، وبإعمال الظن ، إعرف الحق تعرف أهله ، واعرف الباطل تعرف أهله .

قالوا : وزحف علي بن أبي طالب بالناس غداة يوم الجمعة لعشر ليال خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين ، وعلى ميمنته مالك بن الحارث الأشتر النخعي ، وعلى ميسرته عمار بن ياسر العنسي وعلى الرجال أبو قتادة النعمان بن ربعي الأنصاري ، وأعطى رايته ابنه محمداً ـ وهو ابن الحنفية ـ ثم واقفهم من صلاة الغداة إلى صلاة الظهر ، يدعوهم ويناشدهم ويقول لعائشة : إن الله أمرك أن تقري في بيتك فاتقي الله وارجعي ، ويقول لطلحة والزبير : خبأتما نساءكما وأبرزتما زوجة رسول الله ﷺ واستفززتماها ؟! فيقولان : إنما جئنا للطلب بدم عثمان ، وأن ترد الأمر شورى .

وكان ميمنة أصحاب الجمل الأزد؛ وعليهم صبرة بن شيمان، وعلى ميسرتهم تميم وضبة والرباب ، وعليهم هلال بن وكيع بن بشر بن عمرو بن عُدس .

---

١ ـ حضن : جبل بنجد (من هامش الأصل) .

وأتي بالجمل فأبرز وعليه عائشة في هودجها وقد ألبست درعا ، وضربت على هودجها صفائح الحديد . ويقال : إن الهودج ألبس دروعاً . فخطبت عائشة الناس فقالت : إنا كنا نقمنا على عثمان رحمه الله ضرب السيوط ، وإمرة بني أمية وموقع السحابة المحماة ، وانكم استعتبتموه فأعتبكم من ذلك كله ، فلما مصتموه كما يماص الثوب الرحيض عدوتم عليه فركبتم منه الفقر الثلاث[1]: سفك الدم الحرام في البلد الحرام في الشهر الحرام ، وأيم الله لقد كان من أحصنكم فرجا وأتقاكم لله .

وحدثني أحمد بن ابراهيم الدورقي ، والحسين بن علي بن الأسود ، قالا : حدثنا أبو اسامة حماد بن أسامة ، حدّثنا مسعر بن كدام ، عن عبد الملك بن عمير :

عن موسى بن طلحة ، قال : خطبت عائشة فقالت : اسمعوا نحاجّكم عمّا جئنا له : إنا عتبنا ـ أو نقمنا ـ على عثمان في ثلاث : امرة الفتى ، وموقع الغمامة ، وضرب السيوط والعصا ، حتى اذا مصتموه كما يماصّ الثوب الصابون عدوتم عليه الفقر الثلاث : حرمة البلد ، وحرمة الخلافة ، وحرمة الشهر الحرام ، وان كان عثمان لمن أحصنهم فرجاً وأوصلهم للرحم .

وقال أبو مخنف وغيره : وأمر علي أصحابه أن لا يقاتلوا حتى يُبدأوا ، وأن لا يجهزوا على جريح ولا يمثلوا ولا يدخلوا داراً بغير اذن ، ولا يشتموا أحداً ، ولا يهيِّجوا امرأة ، ولا يأخذوا إلّا ما في عسكرهم .

ثم زحف الناس ودنا بعضهم من بعض . وأمر عليّ رجلاً من عبد

---

١ ـ في هامش الأصل : الموص الغسل ، والفقر : الدواهي .

القيس أن يرفع مصحفاً ، فرفعه وقام بين الصفين فقال : ادعوكم إلى ما فيه ، أدعوكم الى ترك التفرق ، وذكر نعمة الله عليكم في الألفة والجماعة ، فرمي بالنبل حتى مات ، ويقال : بل قطعت يده اليمنى فأخذ المصحف بيده اليسرى فقطعت ، فأخذه بأسنانه فرمي حتى قتل ، فقال علي : هذا وقت الضراب .

وقال بعضهم : قطعت يده فأخذ المصحف بأسنانه وهو يقاتل باليد الباقية ، فرمي حتى قتل ، فقال عليّ : الآن طاب الضراب .

وأخذ المصحف بعد قتل هذا الرجل رحمه الله رجل من بني تميم يقال له : مسلم فدعاهم الى ما فيه فقتل فقالت أمه :

يــارب إن مسلماً دعــاهم يتلو كتاب الله لا يخشاهم
فرملّوه رمّلت لحاهم

قالوا : وسمع علي أصوات أصحاب الجمل وقد علت فقال : ما يقولون ؟ قالوا : يدعون على قتلة عثمان ويلعنونهم . قال : نعم فلعن الله قتلة عثمان ، فو الله ما قتله غيرهم وما يلعنون إلاّ أنفسهم ، ولا يدعون إلاّ عليها .

ثم قال عليّ لابن الحنفية ـ ومعه الراية ـ: أقدم ، فزحف برايته نحو الجمل ، وأمر على الأشتر أن يحمل فحمل وحمل الناس ، فقتل هلال بن وكيع التميمي واشتدّ القتال ، فضرب مخنف بن سليم على رأسه فسقط ، وأخذ الراية منه الصقعب بن سليم أخوه فقتل ، ثم أخذها عبد الله بن سليم فقتل .

ثم أمر علي محمد بن الحنفية أن يحمل فحمل وحمل الناس فانهزم أهل

البصرة ؛ وقتلوا قتلاً ذريعاً ، وذلك عند المساء ، فكانت الحرب من الظهر إلى غروب الشمس .

وكان كعب بن سور ممسكاً بزمام الجمل ؛ فأتاه سهم فقتله ، وتعاور الناس زمام الجمل فجعل كلما أخذه أحدهم قتل ، واقتتل الناس حوله قتالاً شديداً .

وسمعت عبد الأعلى النرسي يقول : بلغني انه قطعت عليه سبعون يداً .

وروي عن أبي عبيدة معمر بن المثنى أنّه كان يقول : قتل ممن أخذ بزمام الجمل سبعون .

وقال أبو مخنف وعوانة : أقبل رجل من بني ضبّة ومعه سيف وهو يخطر ويقول :

نحن بنو ضبة أصحاب الجمل والموت أحلى عندنا من العسل
ننعي ابن عفان بأطراف الأسل ردّوا علينا شيخنا ثم بَجل[1]

وجعل هانىء بن خطاب الهمداني يقول :

أبت سيوف مذحج وهمدان بأن تردّ نعثلاً كما كان
خلقاً جديداً بعد خلق الرحمن

وحدثني خلف بن سالم ، وأحمد بن إبراهيم ، قالا : حدثنا وهب بن جرير بن حازم ، عن أبيه عن ابن عون :

عن أبي رجاء العطاردي قال : رأيت ابن يثربي يرتجز ويقول :

نحن بنو ضبة أصحاب الجمل ننزل بالموت إذا الموت نزل

١ - بجل : أي حسبك حيث انتهيت . القاموس .

والقتل أحلى عندنا من العسل   ننعي ابن عفان بأطراف الأسل
ردّوا علينا شيخنا ثم بجل

وقال أبو مخنف وغيره : واقتتل مالك الأشتر وعبد الله بن الزبير ، فاختلفا ضربتين ثم تعانقا حتى خرّا إلى الأرض يعتركان ؛ فحجز بينهما أصحابهما وكان عبد الله بن الزبير يقول حين اعتنقا : اقتلوني ومالكاً . وكان الأشتر يقول : اقتلوني وعبد الله . فيقال : إن ابن الزبير لو قال : اقتلوني والأشتر . وإن الأشتر لو قال : اقتلوني وابن الزبير . لقتلا جميعاً . وكان الأشتر يقول ما سرّني بإمساكه عن أن يقول الأشتر حمر النعم وسودها .

وقيل لعائشة : هذا الأشتر يعارك عبد الله ، فقالت : واثكل أسماء ، ووهبت لمن بشّرها بسلامته مالاً .

وروي عن عاصم بن كليب أن المعانق للأشتر عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد ؛ فجعل يقول : اقتلوني ومالكا ، وجعل الأشتر يقول : اقتلوني وابن عتاب . والأول أشهر .

وحدثتُ عن أبي بكر بن عياش ، عن مغيرة عن إبراهيم بن علقمة انه قال : سألت الأشتر فقلت : أنت عاركت ابن الزبير؟ فقال : والله ما وثقت بقوتي حتى قمت له في الركابين ثم ضربته ، وكيف أصارعه ؟ إنما ذلك عبد الرحمن بن عتاب .

وحدثني روح بن عبد المؤمن، عن أبي عبيدة، عن أبي عمرو بن العلاء قال:

أخذ ابن الزبير بزمام الجمل فقالت عائشة: من أنت؟ قال: ابن أختك. قالت: واثكل أسماء، أقسمت عليك لما تنحيّت ففعل فأخذه بعض

بني ضبّة فقتل.

قالوا: وجاء محمد بن طلحة بن عبيد الله، وكان يدعى السجّاد فأخذ بزمام الجمل فحمل عليه رجل فقتله، فيقال: انه من أزد الكوفة يقال له: مكيسر. ويقال: بل حمل معاوية بن شداد العبسي. ويقال إن الذي حمل عليه عصام بن المقشعر النصري حمل عليه بالرمح فقال محمد: أذكرك «حميم» فطعنه برمحه فقتله وقال في ذلك:

وأشعث قوّام طويل سهاده قليل الأذى فيما ترى العين مسلم
هتكت له بالرمح جيب قميصه فخرّ صريعاً لليدين وللفم
يناشدني حميم والرمح دونه[1] فهلا تلا حميم قبل التّقدم
على غير شيء غير أن ليس تابعاً علياً ومن لايتبع الحق يظلم

قالوا: وجعل بعض بني ضبة يقول:

نحن بنو ضبة لانفرُ حتى نرى جماجماً تخرّ
صبراً فما يصبر إلا الحرّ

وقتل عمرو بن يثربي الضبّي ثلاثة من أصحاب علي: زيد بن صوحان العبدي ويكنى أبا عائشة، وعلباء بن الهيثم السدوسي من ربيعة، وهند بن عمرو بن جدارة الجملي من مراد، وهو الذي يقول:

إني لمن أنكرني ابن يثربي قاتل علباء وهند الجملي
ثم ابن صوحان على دين علي

وكان هند الجملي يقول وهو يقاتل حتى قتل:

أضربهم جهدي بحد المنصل والموت دون الجمل المجلل

---

١ - في هامش الأصل: ويروى «حميم والرمح شاجر».

إن تحملوا قدماً علي أحمل

وقتل يومئذ ثمامة بن المثنى بن حارثة الشيباني فقال الأعور الشني:

ما قاتل الله أقواماً هم قتلوا   يوم الخريبة علباءً وحسّانا
وابن المثنى أصاب السيف مقتله   وخير قرائهم زيد بن صوحانا

وكانت وقعة الجمل بالخريبة، وحسان الذي ذكره: حسّان بن محدوج بن بشر بن خوْط، كان معه لواء بكر بن وائل، فقتل فأخذه أخوه حذيفة بن محدوج فأصيب، ثم أخذه بعده عدة من الحوطيين فقتلوا حتى تحاموه.

وبعضهم ينشد: «علباءً وسيحاناً» يعني سيحان بن صوحان.

حدثني الواقدي، عن هشام بن بهرام، حدثنا وكيع، عن سفيان عن مُخّول بن راشد، عن العيزار بن حريث قال:

قال زيد بن صوحان يوم الجمل: لاتغسلوا عني دماً ولاتنزعوا عني ثوباً، وانزعوا الخفين وأرمسوني في الأرض رمساً فإني محاج أحاج.

وقاتل طلحة بن عبيد الله يومئذ قتالاً شديداً، فشدّ عليه جندب بن عبد الله الأزدي فلما أمكنه أن يطعنه تركه كراهة لأن يقتله.

وقال الهيثم بن عدي: جعل جندب بن زهير يرتجز يومئذ ويقول:

يــا أمّنــا أعق أمٍّ تـعلم   والأم تغذو ولدهـا وترحم

وجعل أيضاً يرتجز - أو غيره - ويقول:

قلنا لها وهي على مهواة   إن لـنــا ســواك أمهــات
في مسجد الرسول ثاويات

وشد رجل من الأزد على ابن الحنفية وهو يقول: يامعشر الأزد كروا.

فضربه ابن الحنفية فقطع يده وقال: يامعشر الأزد: فروا.

حدثني عمرو بن محمد الناقد، حدثنا روح بن عبادة، حدثنا أبو نعامة العدوي عن شيخ منهم قال:

أخذ رجل منّا بخطام الجمل وهو يقول:

نحن عدي نبتغي علياً نحمل مادياً[1] ومشرفياً
وبيضة وحلقاً ملوياً نقتل من يخالف الوصيا

١ ـ المادي: الرمح، سمي بذلك لأنه يميد، أي يتحرك ويضطرب.

مقتل طلحة بن عبيد الله

قالوا: أحيط بطلحة عند المساء ومعه مروان بن الحكم يقاتل فيمن يقاتل، فلما رأى مروان الناس منهزمين قال: والله لاأطلب ثاري بعثمان بعد اليوم أبداً، فانتحى لطلحة بسهم فأصاب ساقه فأثخنه والتفت إلى أبان بن عثمان فقال له: قد كفيتك أحد قتلة أبيك. وجاء مولى لطلحة ببغلة له فركبها وجعل يقول لمولاه: أما من موضع نزول؟ فيقول: لا قد رهقك القوم. فيقول: مارأيت مصرع شيخ أضيع، مارأيت مقتل شيخ أضيع، اللهم أعط عثمان مني حتى يرضى. وأدخل داراً من دور بني سعد بالبصرة فمات فيها.

حدثنا عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، حدثنا وكيع عن اسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن حازم قال:

قال مروان يوم الجمل: لاأطلب بثاري بعد اليوم، فرمى طلحة بسهم فأصاب ركبته فكان الدم يسيل فإذا أمسكوا ركبته انتفخت فقال: دعوه فإنما هو سهم أرسله الله، اللهم خذ لعثمان مني اليوم حتى ترضى.

حدثني عمرو بن محمد الناقد، وأحمد بن إبراهيم الدورقي، قالا: حدثنا أبو أسامة، عن إسماعيل:

عن قيس قال: رمى مروان طلحة يوم الجمل في ركبته فمات فدفنوه على شاطىء الكلاء[1] فرأى بعض أهله أنّه قال: ألا تريحوني من هذا الماء فإني قد غرقت. فنبشوه فإذا قبره أخضر كأنه السلق فنزفوا عنه الماء ثم استخرجوه واشتروا له داراً بعشرة آلاف درهم ودفنوه فيها.

وحدثني خلف بن هشام البزار، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء الخفاف، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة:

عن الحسن قال: أصيبت ثغرة نحر طلحة يوم الجمل بسهم فجعل يقول: مارأيت مصرع شيخ أضيع، اللهم خذ لعثمان مني اليوم حتى ترضى.

وقال أبو مخنف وعوانة وغيرهما: قتل مجاشع بن مسعود السلمي مع عائشة أصابه سهم.

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي، حدثنا وهب، حدثني أبو بكر بن الفضل عن أبيه:

أن راية العتيك كانت يوم الجمل مع عمرو بن الأشرف فقتل يومئذ وعشرة من بيته.

وقال هشام بن الكلبي: التقى الحارث بن زهير بن عبد الشارق بن لعط بن مظة الغامدي وهو من أصحاب علي، وعمرو بن الأشرف العتكي فقتل كل واحد منهما صاحبه.

قالوا: فمال الناس بعد مقتل طلحة إلى عائشة فاقتتلوا حول الجمل، فكان أول من أخذ زمامه زفر بن الحارث الكلابي أخذه وجعل يقول:

يـاأمنـا عـائش لاتـراعي كـل بنيـك بـطل شجـاع

١ ـ الكلاء: اسم محلة مشهورة وسوق بالبصرة. معجم البلدان.

واشتدّ القتال فقتل من الأزد ألفان وخمسمائة واثنان وخمسون رجلاً، ومن بكر بن وائل ثمانمائة، ومن ضبة خمسمائة،ومن بني تميم سبعمائة.

ولما رأى عليّ أن القتال حول الجمل قد اشتدّ قال: اعقروا الجمل. فشدّ نحوه عدي بن حاتم الطائي أبو طريف، ومالك الأشتر، وعمار بن ياسر والمثنى بن مخرّبة العبدي - من شيعة علي بن أبي طالب من أهل البصرة - وعمرو بن دُلجة الضبي من أهل الكوفة ، وأبو حية بن غزية الأنصاري، وقال بعض العبديين:

نحن ضربنا ساقه فانخـزلا ... وضربة بالعنق كانت فيصلا
لـو لم تكـوني للنبي ثقـلا ... وحرمة لاقيت أمراً معضلا

وقال هشام بن الكلبي عن أبيه: الذي عرقب جمل عائشة المسلم بن معدان من ولد شَزَن بن نُكرة بن لُكيز بن أفصى.

قالوا : وجاء أعين بن ضبيعة - أبو النوار امرأة الفرزدق - إلى الهودج وكأنه فرخ مقصب مما فيه من النبل فاطلع فيه فقال : والله ما أرى إلا حميراء . فقالت : هتك الله سترك وأبدى عورتك وقطع يدك .

وانتهى عليّ إلى الهودج فضربه برمحه وقال : كيف رأيت صنيع الله بك يا أخت إرم ؟ فقالت : ملكت فأسجح . ثم قال لمحمد بن أبي بكر : انطلق بأختك فأدخلها البصرة . فأنزلها محمد في دار صفية بنت الحارث بن طلحة بن أبي العبدريّ وهي أم طلحة الطلحات بن عبد الله بن خلف الخزاعي ، فمكثت بها أياماً ، ثم أمرها علي بالرحلة فأستأجلته أياماً فأجلّها ، فلما انقضى الأجل أزعجها فخرجت إلى المدينة في نساء من أهل البصرة ورجال من قبله حتى نزلت المدينة ، وكانت تقول إذا ذكرت يوم

الجمل : وددت أني متّ قبله بكذا وكذا عاماً .

وحدثنا زهير بن حرب أبو خيثمة ، وابن الدورقي ؛ قالا : حدثنا وهب بن جرير بن أسماء ، عن عبد الملك بن حسّان العنبري قال :

لقد شكت السهام الهودج حتى كأنه جناح نسر ، وفقد علي طلحة والزبير ، فقال : ما أراه يقاتلكم غير هذا الهودج . فكشف عمار عرقوب الجمل ، فقال علي لمحمد بن أبي بكر : أدخل رأسك وانظر أحيّة هي ؟ وهل أصابها شيء ؟ ففعل ثم أخرج رأسه فقال : خموش في عضدها أو قال في جسدها .

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا أبو النضر ، حدثنا إسحاق بن سعيد ، عن عمرو بن سعيد ، حدثني سعيد بن عمرو :

عن ابن حاطب قال : أقبلت مع علي يوم الجمل إلى الهودج وكأنه شوك قنفذ من النبل ، فضرب الهودج ؛ ثم قال : إن حميراء إرم هذه أرادت أن تقتلني كما قتلت عثمان بن عفان . فقال لها أخوها محمد : هل أصابك شيء ؟ فقالت : مشقص في عضدي . فأدخل رأسه ثم جرها إليه فأخرجه .

وحدثني خلف بن سالم وأبو خيثمة ، قالا : حدثنا وهب بن جرير بن حازم ، عن أبيه ، عن يونس بن يزيد الايلي :

عن الزهري قال : احتمل محمد بن أبي بكر عائشة ؛ فضرب عليها فسطاطا ، فوقف علي عليها فقال : استفززت الناس وقد فزوا حتى قتل بعضهم بعضاً بتأليبك . فقالت : يابن أبي طالب ملكت فأسجح . فسرحها إلى المدينة في جماعة من رجال ونساء ، وجهزها باثني عشر ألفا .

وحدثني عباس بن هشام الكلبي ، عن أبيه ، عن خالد بن سعيد عن أبيه :

عن محمد بن حاطب الجمحي ـ وكان قد شهد الجمل مع عليّ ـ قال : قال لي علي : يابن حاطب هل في قومك جِراح ؟ قلت : أي والله . قال : مرهم بالسمن فإني لم أر علولاً مثل السمن للجرح .

مقتل الزبير بن العوام

حدثني بكر بن الهيثم ، عن عبد الرزاق ، عن معمر :

عن قتادة قال : رأت امرأة من أهل البصرة علياً فقالت : كأنّه قد كسر ثم جبر ، ورأت طلحة فقالت : كأن وجهه دينار هرقلي ، ورأت الزبير فقالت : كأنّه أرقم يتلمّظ .

فلما تواقفوا قال عليّ لطلحة : خبأت عرسك في خدرها وجئت بعرس رسول الله ﷺ تقاتل بها ، ويحك أما بايعتني ؟ قال: بايعتك والسيف على عنقي .

ثم قال: يا زبير قف بنا حجزة فتواقفا حتّى اختلفت أعناق فرسيهما فقال: ويحك يا زبير أما سمعت رسول الله ﷺ يقول لي : أما إن ابن عمتك هذا سيبغي عليك ويريد قتالك ظالما ؟ قال : اللهم بلى . فخرج من العسكر متوجهاً إلى المدينة فقتله ابن جرموز بوادي السباع[1] .

حدثني إسحاق بن أبي إسرائيل ، حدثنا رفاعة بن أياس أبو العلاء الضبي ، حدثنا أبي عن أبيه .

---

١ ـ بين البصرة ومكة ، وبينه وبين البصرة خمسة أميال .معجم البلدان .

أن علياً دعا الزبير فقال له : أنت آمن ابرز إليّ أكلمك ، فبرز له بين الصفّين حتى اختلفت أعناق دابتيهما ، فقال : يا زبير أنشدك الله أخرج نبي الله يمشي ، وخرجنا معه فقال لك : يا زبير تقاتله ظالماً وضرب كتفك ؟! فقال : اللّهم نعم ، قال : أفجئت تقاتلني ؟ فرجع عن قتاله وسار من البصرة ليلة فنزل ماءً لبني مجاشع فلقيه رجل من بني تميم يقال له : ابن جرموز فقتله وجاء بسيفه إلى علي فقال : بشر قاتل ابن صفية بالنار .

حدثنا أبو بكر الأعين ، حدثنا الحسن بن موسى الأشيب ، عن ثابت بن يزيد ، عن رجل ، عن عِكرمة :

عن ابن عباس انه أتى الزبير فقال له يا بن صفية بنت عبد المطلب ، أتقاتل عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب ؟ فرجع الزبير ، فقتله ابن جرموز .

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا عمرو بن عاصم أنبأنا المبارك بن فضالة :

عن الحسن أن رجلاً قام إلى الزبير فقال : أأقتل علياً ؟ قال : كيف تقتله ومعه الجنود والناس ؟ قال : أكون معه ثم أفتك به . فقال الزبير : لا ؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن الايمان قَيَّدَ الفتك، فلا يفتك مؤمن» .

وقال أبو مخنف وغيره : مضى الزبير حين هزم الناس ؛ يريد المدينة حتى مرّ بالأحنف أو قريباً منه ، فقال الأحنف ـ رافعاً صوته ـ: ما أصنع إن كان الزبير ؛ لفّ بين غارين من المسلمين فضرب أحدهما بالآخر ، ثم يريد اللحاق بقومه . فأتبعه عمرو بن جرموز ، وفضيل بن عابس ونفيل بن

حابس من بني تميم فركضوا أفراسهم في إثره ، وقد كان النعر بن زمام المجاشعي لقيه فأجاره ؛ وأجاره أيضاً رجل من بني سعد يكنى أبا المضرحي ، فلما لحقه ابن جرموز وصاحباه خرجا هاربين ، فقال لهما الزبير : إلى أين ؟إليّ إنما هم ثلاثة ونحن ثلاثة ، فأسلماه ولحقه القوم فعطف عليهم فحمل عليه ابن جرموز ، فنصب له الزبير فانصرف عنه ، وحمل عليه الإثنان من ورائه فالتفت إليهما وحمل عليه ابن جرموز فطعنه فوقع فاعتوروه فقتلوه .

واحتز ابن جرموز رأسه فجاء به إلى الأحنف ، ثم أتاه علياً فقال : قولوا لأمير المؤمنين : قاتل الزبير بالباب . فقال : بشروا قاتل ابن صفية بالنار . وأمر عليّ برأسه فحمل إلى وادي السباع فدفن مع بدنه ، وجاءه ابن جرموز بسيفه فقال عليّ : سيف طال ما جُلي به الكرب عن وجه رسول الله ﷺ ، ولكنه الحين ومصارع السوء . ثم أقبل علي وولده يبكون فقال ابن جرموز : ظننت أني قتلت عدواً له ، ولم أظنّ أنيّ قتلت له ولياً وحميماً .

المدائني في اسناد له : ان مصعب بن الزبير دعا الناس إلى العطاء فقال مناديه : أين ابن جرموز ؟ فقيل : إنه ساح في الأرض فقال : أظنّ أني قاتله بأبي عبد الله ، ليظهر آمناً وليأخذ عطاءه سالماً .

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، عن وهب بن جرير بن حازم عن يونس بن يزيد ، عن الزهري قال :

لما وقف عليّ وأصحاب الجمل ؛ خرج عليّ على فرسه فدعا الزبير فتواقفا فقال له علي : ما جاء بك ؟ قال : جاء بي أني لا أراك لهذا الأمر أهلاً ولا أولى به منا . فقال علي : لست أهلاً لها بعد عثمان ؟ قد كنا نعدّك من بني عبد المطلب حتى نشأ ابنك ابن السوء ففرق بيننا وبينك، وعظم عليه أشياء

وذكر أن النبي ﷺ مر عليهما فقال لعلي : ما يقول ابن عمتك ؟ ليقاتلنك وهو لك ظالم . فانصرف عنه الزبير وقال : فإني لا أقاتلك . ورجع إلى ابنه عبد الله بن الزبير فقال : مالي في هذه الحرب بصيرة ، فقال : لا ولكنك جبنت عن لقاء علي حين رأيت راياته فعرفت أن تحتها الموت ، قال : فاني قد حَلَفْتُ أن لا أقاتله قال : فكفر عن يمينك بعتق غلامك سرجس . فأعتقه وقام في الصف معهم .

وحدثني عمرو بن محمد ، والحسين بن علي بن الأسود ، قالا : حدثنا عبيد الله بن موسى ، أنبأنا فضيل بن مرزوق ، عن شقيق بن عقبة ، عن قرّة بن الحارث :

عن جون بن قتادة قال قرة بن الحارث : كنت مع الأحنف ، وكان جون بن قتادة ابن عمي مع الزبير بن العوام فحدثني جون قال : إني لمع الزبير حتى جاءه فارس وكانوا يسلمون على الزبير بالإمرة ، فقال : السلام عليك أيها الأمير ، هؤلاء القوم قد أتوا إلى مكان كذا فلم أر قوماً أرث سلاحاً ولا أقل عدّة ولا أرعب قلوباً منهم ، ثم انصرف وجاء فارس آخر فقال : سلام عليك أيها الأمير . قال : وعليك . قال : جاء القوم إلى مكان كذا فسمعوا بما جمع الله لكم من العدد والعدّة ؛ فقذف الله في قلوبهم الرعب فولوا مدبرين . فقال الزبير : ايها عنك الآن فو الله لو لم يجد ابن أبي طالب إلا العرفج لدب إلينا فيه . قال : ثم انصرف فجاء فارس فسلم بالإمرة ثم قال : هؤلاء القوم قد أتوك وقد لقيت عماراً فقلت له وقال لي . فقال الزبير : إنه ليس فيهم ، قال : بلى والله إنه لفيهم ، قال : فلما رأى ان الرجل ثابت على قول لا يخالفه قال لبعض أهله : اركب معه فانظر أحقّ ما يقول ؟

فانطلقا ثم رجعا ؛ فقال الزبير لصاحبه : ما عندك ؟ قال : صدقك الرجل فقال الزبير : يا جدع أنفاه يا قطع ظهراه . ثم أخذه أفكل[1] حتى جعل السلاح ينتقض عليه ، فقال جون : ثكلتني أميّ أهذا الذي كنت أريد أن أموت أو أعيش معه ، والذي نفسي بيده ما هذا إلا لأمر سمعه وهو فارس رسول الله ﷺ فلما تشاغل الناس انصرف فجلس على دابته ثم ذهب ، قال : ثم انصرف جون فجلس على دابته فلحق بالأحنف ، قال : ثم جاء فارسان إلى الأحنف فاكبّا عليه يناجيانه فرفع الأحنف رأسه فقال : يا عمرو بن جرموز يا فلان . فأتياه فأكبّا عليه فناجاهما ساعة ثم انصرفا ، ثم جاء عمرو بن جرموز إلى الأحنف فقال : أدركته في وادي السباع فقتلته . فكان قرة بن الحارث يقول : والذي نفسي بيده إن صاحب الزبير إلا الأحنف .

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، عن عبيد الله بن موسى بمثله .

حدثنا خلف بن سالم ، حدثنا وهب بن جرير ، عن جويرية ، عن يحيى بن سعيد قال : كتب معاوية إلى الزبير : أن أقبل إليّ أبايعك ومن يحضرني . فكتم ذلك طلحة وعائشة ، ثم بلغهما فكبر ذلك عليهما ، وأخبرت عائشة به ابن الزبير ، فقال لأبيه ، أتريد أن تلحق بمعاوية ؟ فقال : نعم ولم لا أفعل وابن الحضرمية ينازعني في الأمر ؟! ثم بدا له في ذلك ، وأحسبه كان حلف ليفعلنّ ، فدعا غلاماً له فأعتقه ، وعاد إلى الحرب .

وحدثني بكر بن الهيثم ، حدثنا أبو حكيم الصنعاني ، عن معمر عن قتادة ، قال :

---

١ ـ أي أخذه ارتعاد وارتعاش .

لما اقتتلوا يوم الجمل كانت الدبرة على أصحاب الجمل ؛ فأفضى عليّ إلى الناحية التي فيها الزبير ، فلما واجهه قال له : يا أبا عبد الله أتقاتلني بعد بيعتي ، وما سمعت من رسول الله ﷺ في قتالك لي ظالماً ؟ فاستحيا وانسلّ على فرسه منصرفاً إلى المدينة فلما صار بسفوان ، لقيه رجل من مجاشع يقال له : النعر بن زمام فقال له : أجرني . قال النعر : أنت في جواري يا حواري رسول الله . فقال الأحنف : واعجبا الزبير لف بين غارين من المسلمين ثم قد نجا بنفسه وهو الآن يريد أهله ، فأتبعه ابن جرموز وأصحابه وهو يقول : أذكركم الله ان يفوتكم . فشدوا عليه فقتلوه ، وأتى ابن جرموز علياً برأسه فأمر أن يدفن مع جسده بوادي السباع .

المدائني ، عن عامر بن أبي محمد ، وسعيد بن عبد الرحمن السّلمي عن أبيه :

أن الزبير بن العوام قال حين طعنه ابن جرموز : ما له قاتله الله يذكر بالله وينساه ، ثمّ قال الزبير :

ولقد علمت لو انّ علمي نافعي ... أن الحياة من الممات قريب

قال : وقال طلحة يوم الجمل :

صرف الزبير جواده ... اما لتدركه وفاته

وحدثني خلف بن سالم ، وأحمد الدورقي ، انبأنا وهب بن جرير :

عن جويرية بن أسماء قال : بلغني أن الزبير حيث ولّى ولم يكن بسط يده بسيف اعترضه عمار بن ياسر بالرّمح وقال : إلى اين تريد يا أبا عبد الله ، والله ما أنت بجبان ولكني أحسبك شككت . قال : هو ذلك ، ومضى حتى نزل بوادي السباع فقتله ابن جرموز .

حدثني عباس بن هشام الكلبي ، عن أبيه ، عن لوط بن يحيى في إسناده قال :

لما قتل الزبير ؛ قالت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ـ وكانت تحت عبد الله بن أبي بكر فخلف عليها عمر بن الخطاب ، ثم الزبير ـ :

غدر ابن جرموز بفارس بهمة ... يوم اللقاء وكان غير معرد
يا عمرو لو نبّهته لوجدته ... لا طائشاً رعش اللسان ولا اليد
هبلتك أمك أن قتلت لمسلما ... حلت عليك عقوبة المتعَمِّدِ

وقال جرير بن عطية بن الخطفي :

إن الرزية من تضمن قبره ... وادي السباع لكلّ جنب مصرع
لما أتى خبر الزبير تضعضعت ... سور المدينة والجبال الخشع[1]

وقال سحيم بن وثيل اليربوعي :

لحا الله جيران الزبير مجاشعا ... على سفوان ما أدق وأخورا

وقال جرير :

لو كنت حرّا يا بن قين مجاشع ... شيّعت ضيفك فرسخا أو ميلا
قتل الزبير وأنتم جيرانه ... غيّاً لمن قتل الزبير طويلا[2]

المدائني عن أبي بكر الهذلي ، عن الحسن قال : قال خطيبهم يوم الجمل : كان عثمان يلبس خفين ساذجين .

المدائني عن رجل عن الحسن قال : باع طلحة أرضاً من عثمان بسبع مائة ألف فحملها إليه فقال : إن رجلاً تبيت هذه عنده ولا يدري ما يطرقه

١ ـ ديوان جرير ـ ط . صادر بيروت ص ٢٧٠ .
٢ ـ ديوان جرير ص ٣٦٥ مع فوارق .

من أمر الله لغرير بالله . فبات ورسله يفرقونها ويختلفون في سكك المدينة ، حتى أصبح وما عنده درهم منها ، ثم جاء ها هنا يطلب الصفراء والبيضاء .

وقال الهيثم بن عدي : كان عدي بن حاتم الطائي يقول : والله لاحبقت في قتل عثمان عناق أبداً[1] فلما كان يوم الجمل قتل ابنه طريف ـ وبه كان يكنى ـ وفقئت عينه وجرح فقيل له : يا أبا طريف هل حبقت في عثمان عناق ؟ قال : إي والله والتيس الأعظم .

وحدثني حفص بن عمر ، عن الهيثم قال :

مرّ عليّ على عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد بن أبي العيص ـ وهو صريع يوم الجمل في جماعة من قريش صرعى ـ فقال : يا حسن هذا يعسوب قريش ، جدعت أنفي وشفيت نفسي وأدركت ثأري وأفلتتني الأعيار من بني جمح .

يعني ناساً منهم كان يأتيه عنهم الأذى .

حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا سفيان بن عيينه ، أنبأنا عاصم بن كليب الجرمي ، عن أبيه أن علياً لم يخمّس أهل الجمل .

حدثني عمرو بن محمد ، وبكر بن الهيثم قالا : حدثنا أبو نعيم حدثنا فطر بن خليفة ، عن منذر الثوري :

عن ابن الحنفية أنّ علياً لما نزل بذي قار بعث الحسن وعماراً فاستنفرا أهل الكوفة ؛ فنفر معهما تسعة آلاف وكنّا عشرة آلاف إلّا مائة ، ولحقنا من أهل البصرة من عبد القيس قريب من ألفين فكنّا إثني عشر ألفاً إلا مائة ، فرأى منّي نكوصاً ، فلما دنا بعض الناس من بعض أخذ الراية منّي فقاتل

١ ـ أي لم يكن قتله ليساوي شيئاً . فحبقت : ضرطت ، والعناق : انثى الماعز .

بها ، فلما هزموا قال : لا تجهزوا على جريح ولا تتبعوا مدبراً ، ومن أغلق بابه فهو آمن . وقسم بينهم ما قوتل به من سلاح وكراع .

وحدثنا أحمد بن إبراهيم ، عن أبي نعيم ، عن قيس بن عاصم عن زِرّ وشقيق قالا :

قسم عليّ يوم الجمل ما تقوّوا عليه به من سلاح وكراع .

عباس بن هشام ، عن أبيه عن جده عن أبي صالح :

عن ابن عباس أن علياً أخذ يوم الجمل مروان بن الحكم وموسى بن طلحة فأرسلهما .

حدثني محمد بن سعد ، عن أنس بن عياض ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه عن جده علي بن الحسين .

ان مروان بن الحكم حدثه ـ وهو أمير على المدينة ـ قال : لما تواقفنا يوم الجمل لم يلبث أهل البصرة أن انهزموا فقام صائح لعليّ فقال : لا يقتل مدبر ، ولا يدفف على جريح ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن طرح السلاح فهو آمن .

قال : فدخلت داراً ثم أرسلت إلى حسن وحسين وابن جعفر وابن عباس فكلموه فقال : هو آمن فليتوجه حيث ما شاء . فقلت : لا تطيب نفسي حتى أبايعه ، قال : فبايعته ثم قال : اذهب حيث شئت .

حدثنا محمد بن سعد ، حدثنا روح بن عبادة قال :

بلغني أن مروان صار يوم الجمل إلى قوم من ربيعة .

وقال أبو مخنف في اسناده : ارتث مروان يوم الجمل فصار إلى قوم من عنزة ، وبعث إلى مالك بن مسمع يستجيره فأشار عليه أخوه مقاتل أن يفعل

فأجاره ، وسأل علياً له الأمان فآمنه ، وعرض عليه أن يبايعه حين بايعه الناس بالبصرة ؛ فأبى وقال : ألم تؤمني ؟ قال : بلى . قال : فإني لا أبايعك حتى تكرهني . قال علي : فإني لا أكرهك ، فوالله أن لو بايعتني بأُسْتِك لغدرت .

ثم إنه مضى إلى معاوية .

وصار ابن الزبير إلى دار رجل من الأزد ، وبعث بالأزدي إلى عائشة ليعلمها مكانه ، فبعثت إليه محمد بن أبي بكر ؛ فجاءها به وقد تغالظا في الطريق .

وصار إليها أيضاً عتبة بن أبي سفيان بعد أن أجاره عصمة بن الزبير[1] فبلغ علياً مكانهما عند عائشة فسكت ولم يعرض لهما .

قالوا : وقام علي حين ظهر وظفر خطيباً فقال :

يا أهل البصرة قد عفوت عنكم فإياكم والفتنة ؛ فإنكم أول الرعية نكث البيعة وشق عصا الأمة . ثم جلس وبايعه الناس وكتب إلى قرظة بن كعب بالفتح ، وجزي أهل الكوفة على نصرة آل نبيهم خيراً .

حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا وهب بن جرير ، عن أبيه :

عن محمد بن أبي يعقوب قال : قتل يوم الجمل ألفان وخمس مائة من أهل البصرة ، منهم من الأزد ألف وثلاثمائة وخمسون ، ومن بني ضبّة ثمانمائة ، ومن أفناء الناس ثلاثمائة وخمسون .

وقال أبو مخنف وغيره : قتل مع عائشة عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد ، وعلي بن عدي بن ربيعة بن عبد شمس ، ومسلم بن قرظة من بني

١ - في هامش الأصل ما يفيد في رواية أخرى «أبير» .

نوفل بن عبد مناف ، وعبد الله بن حكيم بن حزام ، ومعبد بن المقداد بن الأسود ، وأمه ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب ، وهو الذي مرّ به علي فقال : لاجزاك الله من ابن أخت خيراً . في آخرين .

وقال أبو مخنف : قتل يوم الجمل من بني ناجية أربعمائة ، ومن الأزد أربعة آلاف ، ومن بني عدي الرباب سبعون كلهم قد قرأوا القرآن ، ومن بني عقيل سبعون كلهم له ضربان[1] .

وكان جميع من قتل من الناس من أهل البصرة عشرين ألفاً .

حدثني إبراهيم الدورقي ، حدثنا أحمد بن يونس ، عن أبي بكر ، عن صدقة بن سعيد :

عن جميع بن عمير قال : قيل لعائشة : أخرجت على عليّ ؟ فقالت والله لوددت أني افتديت ذلك المسير بما عرض من شيء ، ولكنه قدر .

وحدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب ؛ وأحمد بن إبراهيم قالا : حدثنا وهب بن جرير ، عن أبيه ، عن النعمان بن راشد ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة أنها قالت :

ليتني كنت نسياً منسياً قبل أمر عثمان ؛ فوالله ما أحببت لعثمان شيئاً الا أصيب مني مثله ، حتى لو أحببت أن يقتل لقتلت .

حدثني بكر بن الهيثم ، حدثنا أبو عامر العقدي عن الأسود بن شيبان :

عن خالد بن سمين أن عائشة قالت : لا تبايعوا الزبير إلا على الإمارة . فقال عبد الله بن الزبير : إنما تريد هذه أن تجعل حارّ أمر الناس

١ ـ أي كل له مثيل . القاموس .

بك ، وبارده لابن عمتها طلحة . قال : ثم كانت تقول : ما أنا وطلحة والزبير وبيعة من بويع وحرب من حورب ، يا ليتني قررت في بيتي ؛ ولكنها بلية جاءت بمقدار .

حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا يعلى بن عبيد ، عن إسماعيل بن أبي خالد : عن علي بن عمرو الثقفي قال :

قالت عائشة : والله لأن أكون جلست عن مسيري أحب إليّ من أن يكون لي عشرة بنين من رسول الله ﷺ مثل ولد الحارث بن هشام .

حدثنا محمد بن حاتم بن ميمون ، وروح بن عبد المؤمن ، قالا : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى قال :

حدثني من سمع عائشة تقرأ : ﴿وقرن في بيوتكن﴾[1] فتبكي حتى تبلّ خمارها .

المدائني عن أبي خيران الحماني ، عن عوف الأعرابي :

عن أبي رجاء العطاردي قال : رأيت رجلاً مصطلم الأذن فقلت له : أخلقة أم حادث ؟ قال : بل حادث ، بينا أنا يوم الجمل أجول في القتلى إذ مررت برجل فيهم صريع وهو ينشد :

لقد أوردتنا حومة الموت أمّنا فما صدرت إلا ونحن رواء
أطعنا قريشاً ضلة من حلومنا ونصرتنا أهل الحجاز عناء
لقد كان عن نصر ابن ضبّة أمّه وشيعتها مندوحة ومباء
أطعنا بني تيم بن مرة شقوة وما التيم إلا أعبد وإماء

١ ـ سورة الأحزاب ـ الآية : ٣٣ .

فقلت: من أنت؟ قال: أدن مني أخبرك. فدنوت منه فأزمّ أذني فقطعها وقال: إذا أتيت أمك فأخبرها أن عمير بن الأهلب فعل هذا بك. ومات.

حدثنا شريح بن يونس، وعمرو بن محمد قالا: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن منصور بن عبد الرحمن قال:

قال الشعبي: لم يشهد الجمل من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار غير علي وعمار، وطلحة والزبير، فإن جاؤوا بخامس فأنا كذاب.

وحدثنا عباس بن هشام، عن أبيه، عن عدة حدثوه عن الزبير بن مسلم الجعفي، عن الحضين بن المنذر الرقاشي أبي ساسان قال:

اختصمت بكر بن وائل في الراية يوم الجمل فدعاني علي وأنا يومئذ فتى شاب فقال: ياحضين دونك هذه الراية فوالله ماأخفقت قط فيما مضى ولاتخفق، فيما بقي راية هي أهدى منها إلا راية خفقت على رسول الله ﷺ، قال: وفي ذلك يقول الشاعر:

لمن راية سوداء يخفق ظلها إذا قيل: قدمها حضين تقدما
يقدمها للموت حتى يزيرها حياض المنايا يقطر الموت والدما
جزى الله قوماً قاتلوا عن إمامهم لدى الموت قدماً ماأعف وأكرما
وأطيب أخباراًوأكرم شيمة إذا كان أصوات الرجال تغمغما
ربيعة أعني إنهم أهل نجدة وبأس إذا لاقوا خميساً عرمرما[1]

وقال الشاعر في يوم الجمل ويقال: هو عثمان بن حنيف:

١ ـ هذه الأبيات من قصيدة للامام علي كرم الله وجهه، انظرها في ديوانه ص٨٦ مع فوارق.

شهدت الحروب فشيبنني فلم أر يوماً كيوم الجمل
أشد على مؤمن فتنة وأقبل منه لخرق بطل
فليت الظعينة في بيتها ويا ليت عسكر لم يرتحل

حدثني شيبان بن فروخ، حدثنا جرير بن حازم، عن أبي سلمة: عن أبي نضرة قال: قال رجل لطلحة والزبير: إن لكما صحبة وفضلا، فأخبراني عن مسيركما هذا وقتالكما أشيء أمر كما به رسول الله ﷺ أم رأي رأيتما؟ فأما طلحة فسكت وأما الزبير فقال: حدثنا ان هاهنا بيضاء وصفراء ـ يعني دراهم ودنانير ـ فجئنا لنأخذ منها.

وحدثت عن زهير بن حرب، عن وهب بن جرير، عن أبيه في هذا الإسناد بمثله.

قالوا: ولما بايع علي أهل البصرة؛ أراد الشخوص إلى الكوفة؛ فاستخلف عبد الله بن العباس على البصرة، وخطب فأمر أهلها بالسمع والطاعة له، وضم إليه زياد بن أبي سفيان كاتباً، وكان يقال له يومئذ: زياد بن عبيد، وسار مع علي وجوه أهل البصرة فشيعوه إلى مَوْقُوع وهو موضع قريب من البصرة، منه يرجع المشيعون ـ ثم رجعوا، ومضى الأحنف بن قيس وشريك بن الأعور إلى الكوفة، ويقال: إنهما لم يبلغاها.

قالوا: وتلقى سليمان بن صُرَد الخزاعي علياً وراء نجران الكوفة[1] فصرف عليّ وجهه عنه حتى دخل الكوفة، وذلك إنه كان ممن تخلف عنه، فلما دخل الكوفة عاتبه وقال له: كنت من أوثق الناس في نفسي. فاعتذر وقال: ياأمير المؤمنين استبق مودتي تخلص لك نصيحتي.

١ ـ موضع على يومين من الكوفة فيما بينها وبين واسط. معجم البلدان.

حدثني أبو زكريا يحيى بن معين، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا أبو عوانة، عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر، عن أبيه، عن عبيد بن نُضيلة:

عن سليمان بن صُرَد، قال: أتيت علياً حين فرغ من الجمل فقال لي: تربصت وتنأنأت[1] فكيف ترى صنع الله؟ قال: فقلت: الشوط بطين وقد بقي من الأمور ماتعرف به صديقك من عدوك[2].

حدثنا عفان بن مسلم، حدثنا أبو عوانة، أنبأنا إبراهيم بن محمد بن المنتشر، عن أبيه عن عبيد بن نضلة:

عن سليمان بن صُرَد، قال: أتيت علياً بعد الجمل فقال: يابن صرد تنأنأت وتربصت وتأخرت فكيف ترى صنع الله: فقد أغنى الله عنك. قلت: إن الشوط بطين ياأمير المؤمنين، وقد بقي من الأمور ماتعرف به صديقك من عدوك، فلما قام قلت للحسن: ماأراك عذرتني عنده وقد كنت حريصا على أن أشهد معه. فقال: يلومك وقد قال يوم الجمل: ياحسن هبلتك أمك؛ ماظنك بأمرىء قد جمع بين هذين الغارين ماأرى أن بعد هذا خيراً. قال: فقلت: أمسك لايسمعك أصحابك فيقولوا: شككت فيقتلوك.

حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن شعبة، عن أبي عون، عن أبي الضحى مسلم بن صبيح قال:

قال سليمان بن صرد للحسن بن علي: اعذرني عند أمير المؤمنين فإنما منعني من الجمل كذا وكذا. فقال الحسن: لقد رأيته ـ يعني أباه حين اشتد القتال ـ يقول: لوددت أني متّ قبل هذا بعشرين سنة.

١ ـ التانىء: المقيم الذي لاينفر مع الغزاة. النهاية لابن الاثير.
٢ ـ أي الزمان طويل يمكن أن يستدرك به مافات. اللسان.

حدثني أبو قلابة الرقاشي، عن مسدد بن مسرهد، عن يحيى بن سعيد القطان، عن شعبة عن أبي عون، عن أبي الضحى عن سليمان بمثله.

المدائني عن عوانة، قال: قال علي: سرت في أهل البصرة سيرة رسول الله ﷺ في أهل مكة.

وقال أبو مخنف: قدم علي من البصرة إلى الكوفة في رجب سنة ست وثلاثين.

وقال غيره: في رمضان سنة ست وثلاثين.

ولما قدمها خطب فقال: إن قوماً تخلفوا عني فأنبّوهم وأسمعوهم المكروه. وسلم عليه قيس بن سعيد الهمداني[١] فقال وعليك وإن كنت من المتربصين. فقال: ياأمير المؤمنين لست من أولئك.

وقال بعضهم: قد كان سعيد بالبصرة. وليس ذلك بثبت.

وحدثني الحرمازي، عن العتبي قال:

قام الحارث بن حوط الليثي إلى علي فقال له: أتراني أظن[٢] طلحة والزبير وعائشة اجتمعوا على باطل؟! فقال له علي ياحار إنك ملبوس عليك، إن الحقّ والباطل لايعرفان بأقدار الرجال؛ اعرف الحق تعرف أهله، واعرف الباطل تعرف من أتاه[٣].

---

١ ـ كذا بالأصلين وفيه تقديم وتأخير صوابه «سعيد بن قيس الهمداني». انظر صفين لنصر بن مزاحم. ط. القاهرة ١٣٦٥ ص١٠ .

٢ ـ في هامش الأصل مايفيد في رواية أخرى: «أترى أن طلحة».

٣ ـ في هامش الأصل: آخر المجلد الثامن من الأصل ولله الحمد والصلاة على محمد وآله وجميع أصحابه.

أمر صفين

قالوا: كان جرير بن عبد الله البجلي بهمذان، فلما قدم علي عليه السلام الكوفة عزله عنها ووجهه إلى معاوية يدعوه إلى طاعته، وأن يسلم له الأمر، ويدخل معه فيما دخل فيه أهل الحرمين والمصرين وغيرهم، فأتى جرير معاوية، ودعاه إلى ماأمره عليّ بدعائه إليه، فانتظر معاوية قدوم شرحبيل بن السمط الكندي عليه فقال له جرير: إني قد رأيتك توقفت بين الحق والباطل وقوف رجل ينتظر رأي غيره.

وقدم شرحبيل فقال له معاوية: هذا جرير يدعونا إلى بيعة عليّ. فقام شرحبيل فقال: أنت عامل أمير المؤمنين عثمان، وابن عمّه وأولى الناس بالطلب بدمه وقتل من قتله. ولم ير جرير عند معاوية انقياداً له ولامقاربة لذلك، فانصرف يائساً منه.

فلما قدم جرير على علي رضي الله تعالى عنهما أسمعه مالك بن الحارث ـ الأشتر ـ وقال: أنا أعرف غدراتك وغشّك، وأن عثمان اشترى منك دينك بولاية همذان فخرج جرير فلحق بقرقيسيا[1]، ولحق به قوم من قومه من

١ ـ هي البصيرة (البوسرايا) في سورية حاليا حيث يلتقي الخابور بالفرات.

قَسْر، ولم يشهد صفين من قَسْر غير تسعة عشر رجلاً، وشهدها من أحمس سبعمائة وأتى علي، دار جرير فشعَّث منها وحرق مجلسه حتى قال له أبو زرعة بن عمرو بن جرير أصلحك الله إن في الدار أنصباء لغير جرير. فكف.

وقام أبو مسلم الخولاني ـ واسمه عبد الرحمن[1]. ويقال: عبد الله بن مشكم ـ إلى معاوية فقال له: على ما تقاتل علياً وليس لك مثل سابقته وقرابته وهجرته؟ فقال معاوية: ماأقاتله وأنا ادعي في الإسلام مثل الذي ذكرت أنه له ولكن ليدفع إلينا قتلة عثمان فنقتلهم به، فإن فعل فلاقتال بيننا وبينه، فقد تعلمون أن عثمان قتل مسلماً محرماً. قال: فاكتب إليه كتاباً تسأله فيه أن يسلم قتلة عثمان، فكتب إليه فيما ذكر الكلبي عن أبي مخنف، عن أبي روق الهمداني:

بسم الله الرحمن الرحيم

من معاوية بن أبي سفيان، إلى علي بن أبي طالب.

أما بعد فإن الله اصطفى محمداً بعلمه، وجعله الأمين على وحيه، والرسول إلى خلقه، ثم اجتبى له من المسلمين أعواناً أيّده بهم، فكانوا في المنازل عنده على قدر فضائلهم في الإسلام، وكان أنصحهم لله ورسوله خليفته ثم خليفة خليفته ثم الخليفة الثالث المقتول ظلماً عثمان، فكلهم حسدت وعلى كلهم بغيت، عرفنا ذلك في نظرك الشزر، وقولك الهجر، وتنفسك الصعداء، وإبطائك عن الخلفاء، في كل ذلك تقاد كما يقاد الجمل

١ ـ في هامش الأصل مايفيد في رواية أخرى «هرم».

المخشوش[1]، ولم تكن لأحد منهم أشد حسداً منك لابن عمتك، وكان أحقهم أن لاتفعل به ذلك لقرابته وفضله، فقطعت رحمه وقبّحت حسنه، وأظهرت له العداوة، وبطنت له بالغشّ، وألبت الناس عليه حتى ضربت آباط الإبل إليه من كلّ وجه، وقيدت الخيل من كل أفق، وشهر عليه السلاح في حرم رسول الله ﷺ فقتل معك في المحلة وأنت تسمع الهائعة[2]، لاتدرأ عنه بقول ولافعل، ولعمري يابن أبي طالب لو قمت في حقه مقاماً تنهى الناس فيه عنه، وتقبح لهم ماانتهكوا منه ماعدل بك من قبلنا من الناس أحداً، ولمحى ذلك عندهم ماكانوا يعرفونك به من المجانبة له والبغي عليه. وأخرى أنت بها عند أولياء ابن عفان ظنينا إيواؤك قتلته فهم عضدك ويدك وأنصارك، وقد بلغني أنك تتنصّل من دم عثمان، وتتبرأ منه، فإن كنت صادقاً فادفع إلينا قتلته نقتلهم به، ثم نحن أسرع الناس إليك، وإلا فليس بيننا وبينك إلا السيف، ووالذي لا إله غيره لنطلبن قتلة عثمان في الجبال والرمال والبر والبحر حتى نقتلهم أو تلحق أرواحنا بالله، والسلام.

فدفع الكتاب إلى أبي مسلم الخولاني وأمره أن يسير به إلى علي، فصار به إلى الكوفة فأوصله إلى علي واجتمع الناس في المسجد، وقرىء عليهم فقالوا: كلنا قتلة عثمان وكلنا كان منكراً لعمله، ولم يجبه عليّ إلى ماأراد، فجعل أبو مسلم يقول: الآن طاب الضراب. وكتب إليه في جواب كتابه:

١ ـ المخشوش: الذي جعل في انفه الخشاش ـ بكسر الخاء ـ وهو عويد يجعل في عظم أنف الجمل يشد به الزمام ليكون سريع الانقياد.
٢ ـ الهائعة: الصيحة والضجة.

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله علي أمير المؤمنين؛ إلى معاوية بن أبي سفيان.

أما بعد فإنّ أخا خولان قدم عليّ بكتاب منك تذكر فيه محمداً وماأكرمه الله به من الهدى والوحي، فالحمد لله الذي صدق له الوعد، ومكّن له في البلاد، وأظهره على الدين كله، وقمع به أهل العداوة والشنآن من قومه الذين كذبوه وشنّعوا له وظاهروا عليه وعلى إخراج أصحابه، وقلبّوا له الأمور حتى ظهر أمر الله وهم له كارهون، فكان أشد الناس عليه الأدنى فالأدنى من قومه إلا قليلاً ممن عصم الله.

وذكرت ان الله جلّ ثناؤه وتباركت اسماؤه اختار له من المؤمنين أعوانا أيده بهم فكانوا في منازلهم عنده على قدم[1] فضائلهم في الإسلام، فكان افضلهم خليفته وخليفة خليفته من بعده، ولعمري إن مكانهما من الإسلام لعظيم، وإن المصاب بهما لرزء جليل وذكرت ان ابن عفان كان في الفضل ثالثاً، فإن يكن عثمان محسناً فسيلقى رباً شكوراً يضاعف الحسنات ويجزي بها، وان يكن مسيئاً فسيلقى رباً غفوراً رحيما لايتعاظمه ذنب أن يغفره؛ وإني لأرجو إذا اعطى الله المؤمنين على قدر اعمالهم أن يكون قسمنا أوفر قسم أهل بيت من المسلمين.

إن الله بعث محمداً ﷺ فدعا إلى الإيمان بالله والتوحيد له، فكنا أهل البيت أول من آمن وأناب، فمكثنا ومايعبد الله في ربع سكن من أرباعي العرب أحد غيرنا فبغانا قومنا الغوائل وهمّوا بنا الهموم، والحقوا بنا

١ - في هامش الأصل مايفيد في رواية أخرى «قدر».

الوشائظ[1]، واضطرونا إلى شعب ضيق، وضعوا علينا فيه المراصد، ومنعونا من الطعام والماء العذب، وكتبوا بينهم كتاباً أن لايواكلونا ولايشاربونا ولايبايعونا ولايناكحونا ولايكلمونا أو ندفع إليهم نبينا فيقتلوه أو يمثلوا به، وعزم الله لنا على منعه والذب عنه، وسائر من أسلم من قريش أخلياء مما نحن فيه منهم من حليف ممنوع وذي عشيرة لاتبغيه كما بغانا قومنا، فهم من التلف بمكان نجوة وأمن، فمكثنا بذلك ماشاء الله، ثم أذن الله لرسوله في الهجرة وأمره بقتال المشركين، فكان إذا حضر البأس ودعيت نزال قَدَّمَ أهل بيته فوقى بهم أصحابه، فقتل عبيدة يوم بدر، وحمزة يوم أحد وجعفر يوم مؤتة، وتعرض من لو شئت ان اسميه سميته لمثل ماتعرضوا له من الشهادة، لكن آجالهم حضرت ومنيّته أخرت.

وذكرت إبطائي عن الخلفاء وحسدي لهم ، فأما الحسد فمعاذ الله ان أكون أسررته أو أعلنته ، وأما الإبطاء فما أعتذر إلى الناس منه ، ولقد أتاني أبوك حين قبض رسول الله ﷺ وبايع الناس أبا بكر ، فقال : أنت أحق الناس بهذا الأمر فأبسط يدك أبايعك . قد علمت ذلك من قول أبيك ، فكنت الذي أبيت ذلك مخافة الفرقة ؛ لقرب عهد الناس بالكفر والجاهلية ، فإن تعرف من حقي ما كان أبوك يعرفه تصب رشدك ، وإلا تفعل فسيغني الله عنك .

وذكرت عثمان وتأليبي الناس عليه ، فإنّ عثمان صنع ما رأيت فركب الناس منه ما قد علمت وأنا من ذلك بمعزل إلا أن تتجنّى فتجنّ ما بدالك .

---

١ ـ وشظ القوم إلينا: لحقوا بنا فصاروا معنا وهم قليل. والوشائظ: الأتباع والخدام والأحلاف ولفيف من الناس ليس أصلهم واحداً.. القاموس.

وذكرت قتلته ـ بزعمك ـ وسألتني دفعهم إليك وما أعرف له قاتلاً بعينه ، وقد ضربت الأمر أنفه وعينيه فلم أره يسعني دفع من قبلي ممن اتهمته وأظننته إليك ، ولئن لم تنزع عن غيك وشقائك ؛ لتعرفنّ الذين تزعم أنهم قتلوه طالبين لا يكلفونك طلبهم في سهل ولا جبل والسلام :

وأنفذ عليّ الكتاب إلى معاوية مع أبي مسلم الخولاني .

وقد قال بعض الرواة : إن أبا هريرة الدوسي كان مع أبي مسلم .

وحدثنا هشام بن عمار ، حدثنا الوليد بن مسلم :

عن عبد الوارث[1] بن مُحرّر ؛ قال : بلغني أن عمرو بن العاص لما عزله عثمان بن عفان عن مصر ؛ قال له : أبا عبد الله أعلمت أن اللقاح بمصر درت بعدك ألبانها ؟ فقال : لأنكم أعجفتم أولادها . فكان كلاماً غليظاً . فلما تكلم الناس في أمره أتاه فقال : لقد ركبت بالناس النهابير[2] ، فأخلص التوبة وراجع الحق . فقال له : وأنت أيضاً يا بن النويبغة تؤلب عليّ ، لأني عزلتك عن مصر ، لا تريني طلعتك ، فخرج إلى فلسطين فنزل ضيعة له بها يقال لها : عجلان[3] ، وبها له قصر ، فكان يحرض الناس على عثمان حتى الرعاة ، فلما بلغه أنه محصور قال : العير يَضْرِط والمكواة في النار . ثم بلغه قتله فقال : أنا أبو عبد الله ؛ إني إذا حككت قرحة أدميتها ـ أو قال : نكأتها ـ ثم دعا ابنيه عبد الله ومحمداً فقال : ما تريان ؟ فقال له

١ ـ عبد الواحد (في هامش الأصل) .

٢ ـ في هامش الأصل : النهابر : المهالك ، قال الأصمعي : النهابر جبال رمال مشرفه واحدها نهبر .

٣ ـ اسمها الآن خربة عجلان تقع إلى الشرق من قرية برير بنحو ثمانية كم ، وتبعد برير عن غزة ٢١ كم إلى الشمال الشرقي منها .

عبد الله : قد سلم دينك وعرضك إلى اليوم ؛ فاقعد بمكانك وقال له محمد بن عمرو : أخملت نفسك وأمتّ ذكرك فانهض مع الناس في أمرهم هذا ولا ترض بالدنية في العرب . فدعا وردان مولاه فأمره بإعداد ما يحتاج إليه وشخص إلى معاوية فكان معه لا يشركه في أمره ، فقال له : إني قصدت إليك وأنا اعرف موضع الحق لتجعل لي في أمرك هذا حظًّا إذا بلغت إرادتك ، ولأن تشركني في الرأي والتدبير . فقال له : نعم ونعمة عين ، قد جعلت لك ولاية مصر . فلما خرج من عند معاوية قال لابنيه : قد جعل لي ولاية مصر . فقال له : محمد ابنه : وما مصر في سلطان العرب . فقال : لا أشبع الله بطن من لم تشبعه مصر .

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا أبو داود الطيالسي ، حدثنا بشير بن عقبة أبو عَقِيل :

عن الحسن قال : لما كان من أمر علي ومعاوية ما كان ؛ دعا معاوية عمرو بن العاص إلى قتال عليّ فقال : لا والله لا أظاهرك على قتاله حتى تطعمني مصر ؛ فأبى عليه فخرج مغضباً . ثم إن معاوية ندم وقال : رجل طلب إليّ في شيء على هذه الحال فَرَدَدْتُه ؟ فأجابه إلى ما سأل .

وحدثنا خلف بن سالم ، وأحمد بن إبراهيم ، قالا: حدثنا وهب بن جرير ، عن جويرية بن اسماء :

عن عبد الوهاب الزبيري عن أشياخه قالوا : لما وقعت الفتنة لم يكن أحد من قريش أعفى فيها من عمرو بن العاص أتى مكة فأقام بها ، فلم يزل كافاً حتى كانت وقعة الجمل ، فقال لابنيه : إني قد ألفيت نفسي بين جزاري مكة وما مثلي رضي بهذه المنزلة فإلى من تريان أن أصير ؟ فقال له عبد الله :

صر إلى علي . فقال : إن علياً يقول : أنت رجل من المسلمين لك ما لهم وعليك ما عليهم ومعاوية يخلطني بنفسه ويشركني في أمره ،!! قالوا : فأتِ معاوية . فأتاه فما خير له .

المدائني ، عن سلمة بن محارب : كتب معاوية إلى عمرو بن العاص وهو بفلسطين ، بخبر طلحة والزبير ، وأن جرير بن عبد الله قد أتاه يطلب بيعته لعلي . فقدم عليه .

المدائني ، عن عيسى بن يزيد الكناني أن علياً لما بعث جرير بن عبد الله إلى معاوية ليأخذ له البيعة عليه ، قدم عليه وهو جالس والناس عنده فأعطاه كتاب علي فقرأه ثم قام جرير فقال : يا أهل الشام إن من لم ينفعه القليل لم ينفعه الكثير ، قد كانت بالبصرة ملحمة إن يشفع البلاء بمثلها فلا بقاء للإسلام بعدها فاتقوا الله وروئوا في علي ومعاوية وانظروا أين معاوية من عليّ ، وأين أهل الشام من المهاجرين والأنصار ؛ ثم انظروا لأنفسكم فلا يكون أحد أنظر لها منها . ثم سكت وسكت معاوية فلم ينطق وقال : أبلعني ريقي يا جرير . فأمسك فكتب من ليلته إلى عمرو بن العاص ـ وهو على ليال منه ، في المصير اليه ـ وصرف جريراً بغير إرادته ـ وكان كتابه إلى عمرو :

«أما بعد : فقد كان من أمر علي وطلحة والزبير ؛ ما قد بلغك ، وقد سقط إلينا مروان في جماعة من أهل البصرة ممن رفض علياً وأمره ، وقدم عليّ جرير بن عبد الله في بيعة علي ، وحبست نفسي عليك حتى تأتيني ، فاقدم عليّ على بركة الله وتوفيقه» .

فلما أتاه الكتاب دعا ابنيه عبد الله ومحمداً فاستشارهما ، فقال له عبد الله : أيها الشيخ إن رسول الله ﷺ قبض وهو عنك راض ومات أبو بكر

وعمر ، وهما عنك راضيان ، فإياك أن تفسد دينك بدنيا يسيرة تصيبها من معاوية ، فتكبّ كبّاً في النار .

ثم قال لمحمد : ما ترى ؟ فقال : بادر هذا الأمر تكن فيه رأساً قبل أن تكون ذنباً . فروّى في ذلك :

رأيت ابن هند سائلي أن أزوره ... وتلك التي فيها انثياب البواثق
أتاه جرير من علي بخطة ... أمرّت عليه العيش مع كل ذائق
فو الله ما أدري إلى أيّ جانب ... أميل ومهما قادني فهو سائقي
أأخدعه والخدع فيه دنـاءة ... أم اعطيه من نفسي نصيحة وامق
وقد قال عبد الله قولاً تعلقت ... به النفس إن لم تعتلقني علائقي
وخـالفـه فيـه أخـوه محمـد ... وإني لصلب العود عند الحقائق

فلما سمع عبد الله بن عمرو هذا الشعر ، قال : بال الشيخ على عقبيه وباع دينه ، فلما أصبح عمرو دعا مولاه وردان فقال : ارحل بنا يا وردان فرحل ، ثم قال : حط ، فحط ففعل ذلك مراراً ، فقال له وردان : أنا أخبرك بما في نفسك ، اعترضت الدنيا والآخرة في قلبك فلست تدرى أيّتهما تختار ، قال : لله درّك ما أخطأت ، فما الرأي ؟ قال : تقيم في منزلك فإن ظهر أهل الدين عشت في دينهم وإن ظهر أهل الدينا لم يستغن عنك ، فقال عمرو : ارحل يا وردان على عزم وأنشأ يقول :

يـاقاتـل الله وردانا وفـطنته ... أبدى لعمرك ما في النفس وردان

ثم قدم على معاوية فذاكره أمره، فقال: أما عليّ فلا تسوي العرب بينك وبينه في شيء من الأشياء،وإن له في الحرب لحظّاً ماهو لأحد من قريش. قال: صدقت، وإنما نقاتله على مافي أيدينا ونلزمه دم عثمان. فقال

عمرو: وإنّ أحق الناس أن لايذكر عثمان لأنا وأنت، أما أنا فتركته عياناً وهربت إلى فلسطين، وأما أنت فخذلته ومعك أهل الشام حتى استغاث بيزيد بن أسد البجلي فسار إليه، فقال معاوية: دع ذا وهات فبايعني. قال: لالعمرو الله لاأعطيك ديني حتى آخذ من دنياك فقال معاوية: سل قال: مصر تطعمني إيّاها. فغضب مروان بن الحكم وقال: مالي لاأستشار؟ فقال معاوية: اسكت فما يستشار إلا لك. فقام عمرو مغضباً فقال له معاوية: يا أبا عبد الله أقسمت عليك أن تبيت الليلة عندنا. وكره أن يخرج فيفسد عليه الناس، فبات عنده وقال:

معاوي لاأعطيك ديني ولم أنل   به منك دنياً فانظرن كيف تصنع
فإن تعطني مصراً فأربح صفقة   أخذت بها شيخاً يضرّ وينفّع
وما الدين والدنيا سواء وإنني   لآخذ ماتعطي ورأسي مقنّع
ولكنني أعطيك هـذا وإنني   لأخدع نفسي والمخادع يخدع

فلما أصبح معاوية دخل عليه عتبة بن أبي سفيان فقال له: يامعاوية ماتصنع؟ أما ترضى أن تشتري من عمرو دينه بمصر. فأعطاه إياها وكتب له كتاباً: لاينقض شرط طاعة. فمحا عمرو ذلك وقال: اكتب: لاتنقض طاعة شرطا. فقال له عتبة بن أبي سفيان:

أيّها المانع سيفا لم يّهز   إنّما ملت إلى خزّ وقزّ
إنما أنت خروف واقف   بين ضَرْعَين وصوف لم يجزّ
أعط عَمْراً إن عَمْراً باذل   دينه اليوم لدنيا لم تحزْ
أعطه مصراً وزده مثلها   إنما مصر لمن عزّ فبزّ
إنّ مصراً لعلي أو لنا   يغلب اليوم عليها من عجز

وقال معاوية فيما جاء به جرير بن عبد الله:

تطاول ليلي واعترتني وساوسي لآت أتى بالتّرهات البسابس
أتانا جرير من علي بحمقة وتلك التي فيها اجتداع المعاطس
يكاتبني والسيف بيني وبينه ولست لأثواب الذليل بلابس
وقد منحتني الشام أفضل طاعة تواصى بها أشياخها في المجالس
وإني لأرجو خير مانال طالب وما أنا من ملك العراق بيائس

وكان هشام بن عمار يقول: هذا حديث مصنوع، الشعر أتانا من ناحية العراق.

وقال الهيثم بن عدي لما كتب معاوية إلى عليّ يطلب قتلة عثمان، كتب الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى معاوية - والوليد بالرّقة -:

معاوي إنّ الشام شامك فاعتصم بشامك لاتدخل عليك الأفاعيا
وحام عليه بالقنابـل والقنا ولاتك ذا عجز ولاتلف وانيا
فإن كتاباً يابن حرب كتبته على طمع يجني عليك الدواهيا
سألت علياً فيه ما لاتناله ولو نلته لم يبق إلا لياليا
وإن علياً ناظر ماتريغه فأوقد له حرباً تشيب النواصيا

وكتب الوليد بن عقبة إلى معاوية يحرضه على قتال علي وأهل العراق:

ألا أبلغ معاوية بن حـرب فإنك من أخي ثقـة مليمٌ
يمنّيـك الخلافـة كـل ركـب لأنقاض العراق بهم رسيم
فـإنّـك والكتـاب إلى عـليّ كحـاليـة وقـد حلم الأديمٌ
طويت الدهر كالسدم المعنّى تهدّر في دمشق وما تـريم
لك الخيرات فابعثنا عليهم فخير الطالب التّرة الغشوم

وقومك بالمدينة قد أصيبـوا فهم صرعى كأنهم الهشيم
هم جدعوا الأنوف فأوعبوها ولم يتقوا فقد بلغ الصميم
فلو كنت العقيل وكان حيا لـشمّـر لا ألـفّ ولاسؤوم

وكتب إليه معاوية ببيت أوس بن حجر التميمي:

ومستعجم لاترعوي من إيابنا ولو زبنته الحرب لم يترمرم

وقال النجاشي الحارثي:

معاوي قد كنت رخو الخناق فسعرت حرباً تضيق الخناقا
فإن يكن الشام قد أصفقت عليك ابن حرب فإن العراقا
أجـابت عليـاً إلى دعـوة تعـزّ الهدى وتـذل النفـاقـا

قالوا: وكانت أم حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي ﷺ بعثت بقميص عثمان إلى معاوية، فأخذه أبو مسلم الخولاني من معاوية؛ فكان يطوف به في الشام في الأجناد، ويحرّض الناس على قتلة عثمان.

وكان كعب بن عجرة الأنصاري أيضاً ممن بالغ في الحث على الطلب بدم عثمان.

وحدثني العمري، عن الهيثم بن عدي، عن ابن عياش وعوانة قالا: قال علي:

لأصبحنّ العاصي بن العاصي تسعين ألفاً عاقدي النواصي
مستحقبيـن حلق الـدلاص آسـاد غيل حـين لامناص
مجنّبين الخيل بالقلاص[1]

فبلغ عمراً ذلك؛ فقال مجيباً له:

---

١ ـ ديوان الامام علي ص ٥٨ .

خـوفتني بـلابسي الـدلاص والقائدي الخيل مع القلاص
أهون بقوم في الوغى نكاص لو قد رأوها تنفض النواصي
لقال كُلٌّ أَرِني خَلَاصي

وقال معاوية ـ حين بلغه جد علي في النهوض نحوه وهو في طريق صفين:

لاتحسبّني يـا عـليّ غـافـلا لأوردنَ الكـوفـة القنـابـلا
والمشرفي والقنـا الـذوابـلا من عامنا هذا وعاماً قابلاً

فقال علي:

أصبحت عني يابن هند غافلاً اني لـرام منكم الكـواهـلا
بالحق والحق يزيل الباطـلا هذا لك العام وعاماً قابلا[1]

قالوا: ولما أجمع أمير المؤمنين على المسير إلى معاوية؛ كتب إلى عمّاله على النواحي في القدوم عليه؛ فاجتمعوا عنده، واستخلف عبد الله بن عباس أبا الأسود الديلي على صلاة البصرة، وزياداً على الخراج، ثم قدم الكوفة وجعل عليّ يخطب الناس ويحضّهم على محاربة معاوية وأهل الشام، فقام رجل من فزارة يقال لـه أربد بن ربيعة، فقال: ياعليّ أتريد أن تغزو بنا أهل الشام فنقتلهم كما قتلنا إخواننا من أهل البصرة؟ هذا والله مالايكون، فوثب إليه الأشتر، وعُنق من الناس فخرج هارباً فلحقوه بمكان كانت الدواب تباع فيه، فوطئوه وضربوه حتى مات، فقال أبو علاقة التيمي ـ تيم ربيعة:

معاذ إلهي أن تكون منيتي كما مات في سوق البراذين أربد
تعـاوره قـرّاؤنـا بنعـالهم إذا رفعت عنه يد وقعت يد

١ ـ ديوان الامام ص ٧٤ .

وفي رواية محمد بن إسحاق بن يسار: أن علياً كتب إلى معاوية يدعوه إلى بيعته، وحقن دماء المسلمين. وبعث بكتابه مع ضمرة بن يزيد، وعمرو بن زرارة اللخمي فقال: إن دفع إليّ قتلة ابن عمي وأقرّني على عملي بايعته، وإلا فاني لاأترك قتلة ابن عمي وأكون سوقة، هذا مالايكون ولا أقار عليه.

وقال أبو مخنف وغيره: قام علي خطيباً فأمر الناس بالمسير إلى الشام، فقال له: يزيد بن قيس الأرحبيّ: إن الناس على جهاز وهيئة وأهبة وعدّة، وأكثرهم أهل القوة؛ وليست لهم علة، فمر مناديك فليناد في النّاس أن يخرجوا إلى معسكرهم بالنخيلة.

وقال عبد الله بن بُدَيل بن ورقاء الخزاعي: إنّ أخا الحرب غير السؤوم ولا النؤوم، ولا الذي إذا أمكنته الفرص املى واستشار فيها، ولا من أخّر عمل اليوم إلى غد.

ويقال: إن الذي قال هذا القول يزيد بن قيس الأرحبي.

وتكلم زياد بن النضر الحارثي فصدق هذا القول. وتكلم الناس بعد، فدعا علي الحارث الأعور - وهو الحارث بن عبد الله الهمداني - فأمره أن ينادي في الناس أن يغدوا إلى معسكرهم بالنخيلة - وهو على ميلين من الكوفة - ففعل، وعسكر عليّ والناس معه.

وكان عبيد الله بن عمر بن الخطاب لما قتل أبوه؛ إتّهم الهرمزان، ورجلاً من أهل الحيرة - نصرانياً كان سعد بن أبي وقاص أقدمه المدينة معه فكان يعلم ولده [و] الناس الكتاب والحساب يقال له: جُفَيْنة - بالموالاة لأبي لؤلؤة، فقتلهما وقتل ابنة أبي لؤلؤة، فوقع بينه وبين عثمان في ذلك كلام حتى تناصيا

ثم بويع عليّ فقال: لأقيدنّ منه من قتل ظلما. فهرب إلى الكوفة، فلما قدمها عليّ نزل الموضع الذي يعرف بكويفة ابن عمر - وإليه ينسب، - ودسّ من طلب له من عليّ الأمان؛ فلم يؤمنه وقال: لئن ظفرت به فلا بدّ لي من أن أقيد منه وأقتله بمن قتل، فأتاه الأشتر - وكان أحد من طلب له الأمان - فأعلمه بما قال علي، فهرب إلى معاوية.

وكان مع عبد الله بن عباس - حين قدم من البصرة - خالد بن المعمر الذهلي ثم السدوسي على بني بكر بن وائل، وعمرو بن مرحوم العبدي ثم العصري على عبد القيس، وصبرة بن شيمان الأزدي على الأزد. وقيل: إنه لم يحضر من أزد البصرة إلا عبد الرحمن بن عبيد، وأقل من عشرة نفر، وشريك بن الأعور الحارثي على أهل العالية، والأحنف بن قيس على بني تميم وضبّة والرّباب.

وقد كان الأحنف وشريك قدما الكوفة مع عليّ، فردهما إلى البصرة ليستنفرا هؤلاء الذين ساروا معهما إلى الكوفة.

ويقال: إنهما شيّعاه فردّهما قبل أن يبلغا الكوفة ليستنفرا الناس إليه ففعلاُ، ثم أشخصهما ابن عباس معه.

وقدّم عليّ أمامه زياد بن النضر، وشريح بن هانىء الحارثيين، ثم اتبعهما.

وخلّف على الكوفة أبا مسعود عقبة الأنصاري. وولّى المدائن أخا عدي بن حاتم الطائي لأمه، واسمه لأم بن زياد بن غُطيف بن سعد بن الحشرج الطائي.

ووجّه معقل بن قيس الرياحي في ثلاث آلاف لتسكين الناس

وأمانهم، وأمره أن يأخذ على الموصل ونصيبين ورأس العين، حتى يصير إلى الرقة؛ ففعل ذلك.

وسار علي حتى عبر الصراة[١]؛ ثم أتى المدائن ثم الأنبار، وعلى طلائعه سعد بن مسعود الثقفي عم المختار بن أبي عبيد، وقصد قصد الرّقّة، وأخذ على شاطىء الفرات من الجانب الجزري.

وكان الأشعث بن قيس بآذربيجان، فلما قدم علي الكوفة، عزله وأمر بمحاسبته فغضب وكاتب معاوية، فبعث إليه من طريقه قبل أن ينفذ من الكوفة حجر بن عدي الكندي؛ وأمره أن يوافيه به بصفين؛ فوافاه بها وقد صار علي إليها أو قبل ذلك.

وقوم يقولون: إن عثمان ولّى الأشعث آذربيجان فأقرّه عليّ عليها يسيراً وولاه حلوان ونواحيها، فكتب إليه في القدوم؛ فقدم الكوفة من حلوان؛ فحاسبه على مالها ومال آذربيجان، فغضب وكاتب معاوية، والله أعلم.

قالوا: وكتب عليّ من طريقه إلى معاوية ومن قبله كتاباً يدعوهم فيه إلى كتاب الله وسنة نبيّه ﷺ وحقن دماء الأمة فكتب إليه معاوية:

ليس بيني وبين قيس عتاب غير طعن الكلى وضرب الرقاب

فقال عليّ: قاتلت الناكثين، وهؤلاء القاسطون وسأقاتل المارقين.

ووافى عليّ الرّقة وبها جماعة ممن هرب إليها من الكوفة من العثمانية الذين أهواؤهم مع معاوية، مثل الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وسماك بن مخرمة بن حُمَين الأسدي الذي مدحه الأخطل فقال:

---

١ ـ تستمد صراة من الفرات بنى عليها الحجاج بن يوسف مدينة النيل التي بأرض بابل. وقيل: هي نهر يأخذ من نهر عيسى من بلدة يقال لها المحول بينها وبين بغداد فرسخ. معجم البلدان.

إن سماكاً بنى مجداً لأسرته حتى الممات وفعل الخير يبتدر[1]

والمحتمل بن سماعة بن حصين بن دينـار الجعفي، وشمر بن الحارث بن البراء الجعفي والقشعم بن عمرو بن نُذير بن البراء الجعفي وسلمان بن ثمامة بن شراحيل الجعفي وغيرهم، فأمر أهل الرقة أن يتخذوا له جسراً يعبر عليه؛ فأبوا، فسار يريد جسر منبج للعبور عليه، وأقام مالك بن الحارث الأشتر النخعي بعده فقال: أقسم بالله ياأهل الرقة لئن لم تتخذوا لأمير المؤمنين جسراً عند مدينتكم حتى يعبر عليه، لأجردنّ فيكم السيف. فعقدوا الجسر، وبعث الأشتر إلى عليّ فردّه من دون المنزل، فعبرت الأثقال والرجال، وأمر علي الأشتر أن يقف في ثلاثة آلاف حتى لايبقى من الناس أحد إلا عبر، ثم عبر أمير المؤمنين علي والأشتر آخر الناس.

ودعا عليّ بزياد بن النضر، وشريح بن هانىء فأمضاهما أمامه على هيئتهما، وكانا قد أخذا على طريق هيت، ثم عبرا منها ولحقاه بقرقيسيا وسارا معه إلا أنهما يقدمان عسكره، وجعل الأشتر أميراً عليهما، فلقيهم أبو الأعور السّلمي وهو على مقدمة معاوية ـ واسم أبي الأعور: عمرو بن سفيان بن سعيد بن قانف بن الأوقص بن مرة بن هلال بن فالغ ـ فحاربوه ساعة عند المساء ثم انصرفوا.

ونزل معاوية ومن معه على الفرات على شريعة سبقوا إليها لم يكن هناك شريعة غيرها، وقال: لاتسقوا أصحاب علي الماء كما منعوه أمير المؤمنين عثمان.

وقال الهيثم بن عدّي: لما نزل معاوية صفين قال بعض الشعراء:

---

١ ـ ديوان الأخطل. ط. بيروت ١٩٨٦ ص١٨٧ .

أيمنعنا القوم ماء الفرات وفينا السيوف وفينا الجحف
وفينا علي له سورة إذا خوّفوه الردى لم يخف
ونحن الذين غداة الزبير وطلحة خضنا غمار التلف
فما بالنا أمس أسد العرين وما بالنا اليوم فينا الضعف

وكان الوليد بن عقبة قد صار إلى معاوية؛ فكان أشد الناس في ذلك.

وقوم يقولون: إن الوليد كان معتزلاً بالرّقة، والثبت انه صار إلى صفين[1].

قالوا فقاتل أصحاب علي ومعاوية على الماء أشد قتال حتى غلبوا على الشريعة، وجعل عبد الله بن أحمر يقول:

خلّوا لنا عن الفرات الجاري وأيقنوا بجحفل جرّار
بكل قَرْمٍ مستميت شار مطاعن برُمْحه كرار

وأقبل أميرُ المؤمنين عليّ فكان نزوله صفين لليالٍ بقين من ذي الحجة سنة ستّ وثلاثين، فغلب وأصحابه على الماء، فأمر رضي الله تعالى عنه أصحابه أن لايمنعوا أصحاب معاوية الماء، فجعل السّقاة يزدحمون عليه.

ويقال: إن معاوية ـ رضي الله تعالى عنه ـ لمّا رأى شدة قتالهم على تلك الشريعة أرسل إلى أصحابه أن خلّوا عن الماء ليشربوا وتشربوا.

وحدثنا أبو خيثمة، حدثنا وهب بن جرير، حدثني ابن جعدبة: حدثني صالح بن كيسان قال: لما بلغ معاوية وأهل الشام قتل الزبير، وطلحة؛ وظهور عليّ على أهل البصرة؛ دعا معاوية أهل الشام إلى القتال على الشورى والطلب بدم عثمان؛ فبايعوه على ذلك أميراً غير خليفة، فخرج على

١ ـ من المقدر أن موقع صفين حيث بلدة أبي هريرة قرب الرقة حالياً.

رأس سنة أو أكثر من مقتل عثمان، وخرج عليّ حتى التقوا بصفين.

وحدثني أبو مسعود الكوفي، عن عوانة بن الحكم عن أبيه قال: كتب عليّ إلى عمّاله في القدوم عليه واستخلاف من يثقون به، وكتب إلى سهل بن حنيف في القدوم وولّى مكانه قثم بن العباس بن عبد المطلب إلى ماكان يلي من مكة.

وكان قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري بالمدينة، قد قدم من مصر؛ وفي قلبه على عليّ شيء لعزله إيّاه عنها، فأقام بالمدينة متخلفاً عنه.

وكان مروان والأسود بن أبي البختري بن هاشم بن الحارث بن أسد بن عبد العزّى بن قصيُ ـ صاحبي معاوية ـ بالمدينة، والمكاتبين له، والمثبطين عن عليّ، فلقيا قيساً بماكَرِهَ، وتوعّداه بالقتل، فلما أراد سهل بن حنيف الشخوص إلى عليّ خاف قيس أن يبقى بعده فيقتلاه أو ينالاه بمكروه في نفسه، فشخص مع سهل إلى عليّ فكتب معاوية إلى مروان والأسود، يلومهما ويقول: لو أمددتما علياً بعشرة آلاف فارس ماكان ذلك بأغيظ لي من إمداد كما إياه بقيس بن سعد؛ وهو في رأيه وقوة مكيدته على ماتعلمان. وكان قيس جواداً حازماً ذا مكيدة.

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي، حدثنا وهب بن جرير بن حازم عن ابن جعدبة:

عن صالح بن كيسان قال: عزل عليّ قيس بن سعد؛ عن مصر، فلحق بالمدينة؛ وبها مروان والأسود بن أبي البختري، فبلغه عنهما أمر خافه وخشي أن يأخذاه فيقتلاه أو يحبساه، فركب راحلته وأتى علياً، فكتب معاوية إلى مروان والأسود، يعنفهما ويقول: أمددتما علياً بقيس ورأيه ومكيدته، والله

لو أمددتماه بمائة ألف مقاتل ماكان ذلك بأغيظ لي من إخراجكما قيساً إليه، والله لقد كان قيس يداري لعليّ أموراً يقصر رأي عليّ عنها.

قال: فشهد قيس معه صفين ثم ولاه أذربيجان.

وقال أبو مخنف وعوانة وغيرهما: مكث عليّ ومعاوية في عسكريهما يومين، لايرسل أحدهما إلى صاحبه، ثم إن علياًدعا سعيد بن قيس الهمداني، وبشير بن عمرو بن محصن أبا عمرة الأنصاري من بني النجار وشبث بن ربعي الرياحي من بني تميم، وعدي بن حاتم الطائي، ويزيد بن قيس وزياد بن خصفة فقال: ائتوا هذا الرجل وادعوه إلى الله وكتابه وإلى الجماعة والطاعة، ففعلوا فقال: وأنا أدعو صاحبكم إلى أن يسلم من قبله من قتلة عثمان إليّ لأقتلهم به، ثم يعتزل الأمر حتى يكون شورى.

قالوا: فتقاتل القوم باقي ذي الحجة، فكان هذا يخرج وجوه أصحابه ويخرج ذاك وجوه أصحابه نوائب فيقتتلون. ثم إن علياً ومعاوية تراسلا في المحرم ـ وهما متوادعان ـ فقال حابس بن سعد الطائي من أهل الشام:

كأنك بالتذابح بعد سبع　　بَقَيْنَ من المحرم أو ثمان
تكون دماؤنا طِلقاً حلالا　　لأهل الكوفة الحمر السمّان

وكان قول معاوية قولاً واحداً لاينثني عنه، فبعث إليه عليّ: لاأبقى الله عليك إن أبقيت؛ ولا أرعى عليك إن رعيت.

فلما أهلّ هلال صفر سنة سبع وثلاثين، أمر عليّ فنودي في أهل الشام بالإعذار إليهم، وحرّض الناس وأوصاهم أن يغضوا الأبصار ويخفضوا الأصوات، ويقلوا الكلام، ويوطّنوا أنفسهم على المجالدة والمنازلة ويستشعروا الصبر.

وجعل على ميمنته عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وعلى ميسرته محمد بن علي بن أبي طالب ، وعلى خيل الكوفة مالك بن الحارث الأشتر ، وعلى رجالتهم عمار بن ياسر ، وعلى خيل أهل البصرة سهل بن حنيف ، وعلى رجالة أهل البصرة قيس بن سعد بن عبادة ، وهاشم بن عتبة بن أبي وقاص ـ وهو المرقال ـ وكان أعور أصيبت عينه يوم اليرموك بالشام .

وكان شمر بن ذي الجوشن في كتيبة فيما يقول بعضهم .

وكان مسعر بن فدكي على القراء .

وقال الكلبي : كانت راية علي يوم صفين مع عمرو بن الحارث بن عبد يغوث بن قشر الهمداني .

وبعث عليّ إلى معاوية : أن أخرج إليّ أبارزك . فلم يفعل .

وكان القتال في أول يوم ـ وهو يوم الأربعاء في صفر ـ بين حبيب بن مسلمة الفهري والأشتر ؛ فانصرفا على انتصاف .

ثم كان القتال في اليوم الثاني بين هاشم بن عتبة المرقال وأبي الأعور السلمي .

وفي الثالث بين عمرو بن العاص وعمار بن ياسر .

وفي الرابع بين محمد بن عليّ بن أبي طالب ، وعبيد الله بن عمر بن الخطاب ، فنادى أهل الشام : معنا الطيب بن الطيب ابن عمر بن الخطاب . فرد أصحاب عليّ عليهم : معكم الخبيث بن الطيب .

وكان القتال في اليوم الخامس بين عبد الله بن عباس والوليد بن عقبة بن أبي معيط ، فجعل الوليد يسبّ بني عبد المطلب ويقول : قطعتم الأرحام وطلبتم ما لم تدركوه .

ومن قال : إن الوليد اعتزل القتال قال : كان القتال في اليوم الخامس بين عبد الله بن عباس ، ومِلْحان بن حارثة بن سعد بن الحشرج الطائي ، وهو من طيء الشام وفيه يقول الشاعر :

ليبك على مِلحان ضيف مُدَقَّع   وأرملة تزجي مع الليل أرملا

وفي اليوم السادس بين سعد بن قيس أو قيس بن سعد ، وبين ابن ذي الكلاع .

وفي اليوم السابع بين الأشتر أيضاً وحبيب بن مسلمة .

فلما كان اليوم الثامن عبّأ علي الناس على ما كان رتبهم عليه ، وعبّأ معاوية أهل الشام واقتتلوا قتالاً شديداً ، وجعل علي يقول لكل قبيلة من أهل الكوفة : اكفوني قبيلتكم من أهل الشام .

ثم غدوا يوم الخميس فاقتتلوا أبرح قتال وانتهت الهزيمة إلى علي فقاتل مع الحسن والحسين ، وقتل زياد بن النضر الحارثي ، وعبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي ، وانهزمت ميمنة علي ثم ثابوا فأهمّت أهل الشام أنفسهم وكثر القتال والجراح فيهم وركب معاوية فرسه وجعل ينشد شعر ابن أطنابة الأنصاري - وهو عمرو بن عامر الخزرجي ، وأمه الأطنابة بنت شهاب من بلقين - :

وقولي كلما جشأت وجاشت   مكانك تحمدي أو تستريحي

فكان معاوية يقول بعد ذلك : ركبت فرسي ومن شأني الهرب حتى ذكرت شعر ابن الأطنابة :

أبت لي عفّتي وأبى حيائي   وإقدامي على البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت   مكانك تحمدي او تستريحي

فأمسكني عن الهرب .

وقتل حابس بن سعد الطائي من أهل الشام ، قتله الحُمارس من أهل الكوفة فشد عليه زيد بن عدي بن حاتم فقتله ولحق بمعاوية ؛ ثم رجع بعد إلى الكوفة ؛ فخرج في جماعة يصيب الطريق فقتلته خيل للمغيرة بن شعبة ؛ وهو عامل معاوية على الكوفة .

وقال بعضهم : قتل مع الخوارج بالنهروان .

وقال شقيق بن ثور السدوسي : يا معشر ربيعة لا عذر لكم إن قتل علي ومنكم رجل حي . فتمثل علي قول رجل منهم يوم الجمل :

لمن راية سوداء يخفق ظلّها إذا قيل : قدِّمها حضين تقدما

المدائني ، عن عيسى بن يزيد ، قال :

لما قامت الحرب بين علي ومعاوية بصفين فتحاربوا أياماً قال معاوية لعمرو بن العاص في بعض أيامهم : إن رأس الناس مع علي عبد الله بن عباس ، فلو القيت إليه كتاباً تعطفه به ، فإنه إن قال قولاً لم يخرج منه علي وقد أكلتنا هذه الحرب . فقال عمرو : إن ابن عباس أريب لا يخدع ولو طمعت فيه لطمعت في علي . قال : صدقت إنه لأريب ولكن اكتب إليه على ذلك . فكتب إليه :

من عمرو بن العاص إلى عبد الله بن العباس .

أما بعد : فإن الذي نحن وأنتم فيه ، ليس بأول أمر قاده البلاء ، وساقه سفه العاقبة ، وأنت رأس هذا الأمر بعد علي ، فانظر فيما بقي بغير ما مضي ، فوالله ما أبقت هذه الحرب لنا ولا لكم حيلة ، واعلم أن الشام لا يملك إلا بهلاك العراق ، وأن العراق لا يملك إلا بهلاك الشام ، فما خيرنا

بعد إسراعنا فيكم وما خيركم بعد إسراعكم فينا ، ولست أقول : ليت الحرب عادت ولكن أقول : ليتها لم تكن ، وإن فينا من يكره اللقاء كما أن فيكم من يكرهه ، وإنما هو أمير مطاع ، أو مأمور مطيع ، أو مشاور مأمون وهو أنت ، فأما السفيه فليس بأهل أن يعدّ من ثقات أهل الشورى ولا خواص أهل النجوى . وكتب في آخر كتابه :

طال البلاء فما يرجى له آسٍ بعد الإله سوى رفق ابن عباس
قولا له قول مسرور بحظوته لا تنس حظك إن التارك الناسي
كـل لصاحبـه قرن يعـادله أسد تلاقي أسوداً بين أخياس
انظر فدى لك نفسي قبل قاصمة للظهر ليس لها راق ولا آسي
أهل العراق وأهل الشام لن يجدوا طعم الحياة لحرب ذات أنفاس
والسلم فيه بقاء ليس يجهله إلا الجهول وما النوكى كأكياس
فاصدع بأمرك أمر القوم إنهم خشاش طير رأت صقراً بحسحاس

فلما قرأ ابن عباس الكتاب والشعر أقرأهما علياً ، فقال علي : قاتل الله ابن العاص ما أغره بك ، يا بن عباس أجبه ، وليردّ عليه شعره فضل بن عباس بن أبي لهب . فكتب إليه عبد الله بن عباس :

أما بعد : فإني لا أعلم رجلاً من العرب أقل حياء منك ، إنه مال بك إلى معاوية الهوىٰ وبعته دينك بالثمن اليسير ، ثم خبطت للناس في عشواء طخياء[1] طمعاً في هذا الملك ، فلما لم تر شيئاً أعظمت الدماء إعظام أهل الدين ، وأظهرت فيها زهادة أهل الورع ، ولا تريد بذلك إلا تهييب الحرب وكسر أهل العراق ، فإن كنت أردت الله بذلك ، فدع مصر وارجع إلى

١ ـ الطيخاء : الليلة المظلمة . القاموس .

بيتك ، فإن هذه حرب ليس معاوية فيها كعليّ ، بدأها عليّ بالحق وانتهى فيها إلى العذر ، وابتدأها معاوية بالبغي فانتهى منها إلى السرف ، وليس أهل الشام فيها كأهل العراق ، بايع علياً أهل العراق وهو خير منهم ، وبايع أهل الشام معاوية وهم خير منه ، ولستَ وأنا فيها سواء،أردتُ الله ، وأردْتَ مصر ، فإن ترد شراً لا يفتنا ، وإن ترد خيراً لا تسبقنا .

ثم دعا الفضل بن العباس بن عتبة فقال : يا بن عم أجب عمرو بن العاص . فقال :

ياعمرو حسبك من خدع ووسواس — فاذهب فمالك في ترك الهدى آس
إلاّ بوادر يطعنْ في نحوركم — ووشك ضرب يُفرّي[1] جلدة الراس
هذا لكم عندنا في كل معركة — حتى تطيعوا علياً وابن عباس
أمّـا عـلي فـإنّ الله فضّله — فضلاً له شرف عال علي الناس
لا بارك الله في مصر فقد جلبت — شراً وحظك منها حسوة الحاسي

فلما قرأ معاوية الكتاب قال : ما كان أغنانا عن هذا .

وكان هشام بن عمروالدمشقي يقول : هذا الحديث مما صنعه ابن دابكم[2] هذا .

وقال الهيثم بن عدي الطائي : قاتل عبد الله بن بُدَيل بن ورقاء يوم صفين فقتل وهو يقول :

لم يبق إلا الصبر والتّوكل — وطعنــة وضربـة بــالمنصـل

١ ـ الجرح يفز فزيزا : سال وندّى . القاموس .

٢ ـ ابن داب : هو راوي هذا الخبر واسمه عيسى بن يزيد بن بكر بن داب ، أبو الوليد ، كان منكر الحديث ، واتهم أيضاً بوضع الحديث . الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي ـ ط . بيروت ١٩٨٦ ج ٢ ص ٢٤٣ .

فقتل فقال معاوية هذا والله كما قال الشاعر :

أخو الحرب إن عضّت به الحرب عضّها وإن شمرت يوماً به الحرب شمراً

وقال هشام بن الكلبي عن أبيه : وفد زِمْل بن عمرو بن العَتر العذري على النبي ﷺ فعقد له لواءاً فشهد به صفين مع معاوية ، وهو أحد شهوده على القضية .

مقتل عمار بن ياسر العنسي أبي اليقظان بصفين
رضي الله تعالى عنه

قالوا : جعل عمار بن ياسر يقاتل يوم صفين وهو يقول :

نحن ضربناكم على تنـزيله   ثم ضربنـاكم عـلى تـأويله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله   ويذهل الخليـل عن خليله
أو يرجع الحق إلى سبيله

فقتله أبو الغادية .

قال أبو مخنف : هو عاملي . وقال : هشام بن الكلبي : هو مري . حدثني أبي محمد بن السائب قال : رأيت أبا الغادية المري أيام الحجاج بواسط وعليه قباء مكتوب من خلفه : شهدت فتح الفتوح ـ يعني صفين .

المدائني عن أبي عمرو ، عن منبه بن عمرو المخزومي قال : شهدت موت أبي الغادية بواسط ، فقال الحجاج : لا يتخلف عن جنازة أبي الغادية المري إلا منافق . فحضرت جنازته .

وأهل الشام يقولون : قتل عماراً حوي بن ماتع بن زرعة بن بيحص السكسكي .

وحدثني أحمد بن هشام بن بهرام ، حدثنا عمرة بن عون أنبأنا هشيم بن بشير ، عن العوام بن حوشب ، عن الأسود بن مسعود ، عن حنظلة بن خويلد ـ وكان يأمن عند علي ومعاوية ـ قال : بينا أنا عند معاوية إذ أتاه رجلان يختصمان في رأس عمار ، فقال عبد الله بن عمرو بن العاص :

لتطب نفس كل واحد منكما لصاحبه برأس عمار ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «تقتل عماراً الفئة الباغية» ، فالتفت معاوية إلى عمرو بن العاص فقال ألا تغبي[1] عنا مجنونك هذا فلم يقاتل معنا إذاً ؟ قال : إن رسول الله ﷺ أمرني بطاعة أبي ، فأنا معكم ولست أقاتل .

وحدثني محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن عبد الله بن الحارث بن فضيل ، عن أبيه :

عن عمارة بن خزيمة بن ثابت قال : شهد خزيمة الجمل فلم يسلّ سيفا ، وشهد صفين فقال : لا أقاتل أبداً حتى يقتل عمار فأنظر من يقتله ؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «تقتله الفئة الباغية» . قال : فلما قتل عمار قال خزيمة : قد أبانت الضلالة . ثم اقترب فقاتل حتى قتل . قال : وكان الذي قتل عماراً أبو غادية المري ، طعنه برمحه فسقط . قال : وقتل وهو ابن أربع وتسعين سنة ، فلما وقع أكبّ عليه رجل آخر فاحتز رأسه فاختصما فيه ، فقال عمرو : ما يختصمان إلا في النار ، فقال معاوية : أتقول هذا لقوم بذلوا أنفسهم دوننا ، فقال عمرو : هو والله ذاك وإنك لتعلمه ؛ ولوددت أني مت قبل هذا بعشرين سنة .

وقال الواقدي : ويقال : إن عماراً قتل وهو ابن إحدى وتسعين سنة .

---

١ ـ أي تغيب وتخفي . القاموس .

والثبت أنه قتل ابن ثلاث وتسعين سنة .

وقال الواقدي في اسناده : قاتل عمار يوم صفين فأقبل إليه ثلاثة نفر : عقبة بن عامر الجهني ، وعمرو بن الحارث الخولاني وشريك بن سلمة المرادي فحملوا عليه فقتلوه . وقد قيل : إن عقبة بن عامر قتله ، وهو الذي كان ضربه حين أمر به عثمان .

حدثنا عفان بن مسلم الصفار ، حدثنا حماد بن سلمة ، أنبأنا كلثوم ابن جبر :

عن أبي غادية قال : سمعت عماراً يقع في عثمان ويشتمه بالمدينة ؛ فتوعدته بالقتل . فلما كان يوم صفين جعل عمار يحمل على الناس فقيل : هذا عمار . فحملت عليه فطعنته في ركبته ؛ فوقع فقتلته ، فأخبر عمرو بن العاص فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول «قاتله وسالبه في النار» . فقيل لعمرو : ها أنت تقاتله : قال : إنما قال : «قاتله وسالبه[1]» .

وحدثني عمرو بن محمد الناقد ، حدثني عفان بن مسلم ، حدثنا ربيعة بن كلثوم بن جبر :

أخبرني أبي قال : كنت بواسط القصب عند عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر بن كريز ، فقال الآذن : أبو الغادية بالباب . فأذن له ، فدخل رجل ضرب من الرجال كأنه ليس من هذه الأمة ، فلما قعد قال : بايعت رسول الله ﷺ . قلت : بيمينك هذه ؟ قال : نعم . وذكر حديثاً عن النبي ﷺ قال : «كنا نعدّ عمار بن ياسر فينا حنانا[2]» فبينا أنا في مسجد قباء إذاً هو

١ - انظر ترجمه عمار بن ياسر في طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٤٦ - ٢٦٤ .
٢ - أي موضع بركة ورحمة ورزق . النهاية لابن الأثير .

يقول : إن نعثل هذا فعل وفعل . فقلت : لو أجد عليه أعواناً لوطئته حتى أقتله وقلت : اللهم إن تشأ تمكنني من عمار ، فلما كان يوم صفين أقبل في أول الكتيبة حتى إذا كان بين الصفين طعنه رجل في ركبته بالرمح فعثر فانكشف المغفر عنه فضربته فإذا رأس عمار بالأرض أوكما قال . فلم أر رجلاً أبين ضلالة من أبي غادية إنه سمع من النبي ﷺ في عمار ما سمع ثم قتله قال : ودعا بماء فأتي به في كوز زجاج فلم يشربه ، فأتي بماء في خزف فشربه ، فقال رجل بالنبطية : تورع عن الشرب في الزجاج ولم يتورع عن قتل عمار .

وحدثني وهب بن بقية وسريج بن يونس وأحمد بن هشام بن بهرام ، قالوا : أنبأنا يزيد بن هارون ، أنبأنا شريك ، عن محمد بن عبد الله المرادي ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الله بن سلمة ، قال : كنا عند عمار بصفين وعنده شاعر ينشده هجاء في معاوية وعمرو ؛ وعمار يقول له : الصق بالعجوزين فقال له رجل : أيقال الشعر عندكم ويسب أصحاب رسول الله ويسبّ أصحاب بدر ؟! فقال : إن شئت فاسمع وإن شئت فاذهب فإن معاوية وعمراً قعدا بسبيل الله يصدان عنه ، فالله سابّهما وكل مسلم ، وإنه لما هجانا المشركون شكونا ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال : قولوا لهم كما يقولون لكم فإن كنا لنعلمه الإماء بالمدينة .

حدثنا عمرو بن محمد ، وإسحاق الهروي قالا : حدثنا أبو معاوية الضرير ، حدثنا الأعمش ، عن عبد الرحمن بن زياد ، عن عبد الله بن الحارث قال : إني لأسير مع معاوية منصرفه من صفين بينه وبين عمرو بن العاص فقال عبد الله بن عمرو : يا أبه سمعت رسول الله ﷺ يقول لعمار :

«ويحك يا بن سمية تقتلك الفئة الباغية» . فقال عمرو لمعاوية : ألا تسمع ما يقول هذا ؟ فقال معاوية : ماتزال تأتينا بهنة تدحض[1] بها في بولك ، أنحن قتلناه إنما قتله الذين جاؤوا به يعني علياً وأهل العراق .

حدثني روح بن عبد المؤمن النضري ، حدثني أبو داود الطيالسي أنبأنا شعبة ، أنبأني عمرو بن مرّة ، قال : سمعت عبد الله بن سلمة يقول : رأيت عمار بن ياسر يوم صفين شيخاً آدم في يده الحربة وإنها لترعد فقال : ـ ورأى مع عمرو بن العاص راية ـ لقد قاتلت هذه الراية مع رسول الله ﷺ ثلاث مرات ، والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمت أنا على الحق وأنهم على الضلال .

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا وهب بن جرير أنبأنا جويرية بن أسماء :

عن يحيى بن سعيد ، عن عمّه قال : لما كان اليوم الذي أصيب فيه عمار ، وإذا رجل جسيم على فرس ضخم ينادي : يا عباد الله روحوا إلى الجنة ـ بصوت موجع ـ الجنة تحت ظلال السيوف والأسل . وإذا هو عمار ، فلم يلبث أن قتل .

وقال الواقدي في إسناده : كان القتال الشديد بصفين ثلاثة أيام ولياليهنّ آخرهنّ ليلة الهرير ، شبهت بليلة القادسية ، فلما كان اليوم الثالث قال عمار لهاشم بن عتبة المرقال ـ ومعه اللواء ـ احمل فداك أبي وأمي . فقال هاشم : يا أبا اليقظان إنك رجل تستخفّك الحرب ، وإني إن خففت لم آمن الهلكة ، فلم يزل به حتى حمل فنهض عمار في كتيبة ونهض إليه ابن ذي

١ ـ أي تزلق ، ويروى بالصاد ، أي تبحث فيها برجلك . النهاية لابن الأثير .

الكلاع فاقتتلوا ، وحمل على عمار حوي بن ماتع بن زرعة بن بيحص السكسكي ، وأبو الغادية المري فقتلاه وقتل هاشم .

فحدثني أبو زكريا يحيى بن معين ، ومحمد بن حاتم المروزي ، قالا : حدثنا عبد الله بن نمير ، عن أشعث ، عن أبي إسحاق :

أن علياً صلى على عمار بن ياسر ، وهاشم بن عتبة ، فجعل عماراً مما يليه ، وهاشماً أمامه وكبر عليهما تكبيراً واحداً قالوا : ذو الكلاع الأكبر : يزيد بن النعمان الحميري من وحاظة بن سعد ، تكلعت عليه قبائل من حمير - أي تجمعت - والذي كان مع معاوية سميقع بن ناكور[1] وقد تكلع على سمقيع وناكور جميعاً وناكور بن عمرو بن يعفو بن يزيد بن النعمان ، فكان رسول الله ﷺ بعث جرير بن عبد الله إلى سمقيع هذا . ويقال : إلى ناكور فأعتق أربعة آلاف كانوا قناً له ، وقتل شرحبيل بن سميقع ذي الكلاع يوم الخازر في أيام المختار .

وحدثني أحمد بن هاشم بن بهرام ، حدثنا وكيع ، عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت :

عن أبي البختري قال : قال عمار يوم صفين : ائتوني بشربة من لبن فإن رسول الله ﷺ قال لي : «إن آخر شربة تشربها شربة لبن» ، فشربها وقاتل حتى قتل .

وحدثني إسحاق الفروي عن أبي الفضل الأنصاري قال : سمعت بعض أصحابنا يقول : حضر أبو الهيثم بن التيهان صفين ، فلما رأى عماراً

١ - جاء مقتل ذي الكلاع قبل مقتل عمار ، ومن المرجح أنه سقط من الأصل خبر مقتله حتى بدا خبر نسبه كأنه أقحم بالرواية . انظر صفين لنصر بن مزاحم ص ٣٤٠ - ٣٤٢ .

قد قتل قاتل حتى قتل فصلى عليه عليّ ودفنه .

وقال الواقدي : مات الهيثم بن مالك ـ وهو التيهان ـ سنة عشرين وهو من بلي حليف . وقال الكلبي : هو من الأوس . ويقال : إنه حليف لهم من بلي .

قالوا : وكان هاشم بن عتبة بن أبي وقاص يقاتل يوم صفين وهو يقول :

أعور يبغي اهلا محلا قد أكثر القول وما أقلا
لابد أن يفلّ أو يفلا قد عالج الحياة حتى ملا
أشلهم بذي الكعوب شلا

فحمل عليه الحارث بن المنذر التنوخي فقتله فقال الحجاج بن غزّية الأنصاري :

فإن تفخروا بابني بديل وهاشم فنحن قتلنا ذا الكلاع وحوشبا

يعني حوشب بن القباعي الالهاني ، من ولد الهان أخي همدان . وابنا بديل عبد الله أبو علقمة . وعبد الرحمن أبو عمرة .

وطعن بسر بن أبي أرطاة القرشي قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري فما شواه .

وبعض الرواة يزعم أن أويساً القرني العابد قتل مع علي بصفين ، ويقال : بل مات بسجستان .

قالوا : وكان علي عليه السلام بصفين في خمسين ألفاً ، ويقال : في مائة ألف . وكان معاوية ـ رحمه الله ـ في سبعين ألفاً . ويقال : في مائة ألف

فقتل من أهل الشام خمسة وأربعون ألفاً ، ومن أهل العراق خمسة وعشرون ألفاً ، والله أعلم .

قالوا : وطعن سعيد بن قيس الهمداني ابن الحضرمي فقتله فقال علي :

لو كنت بّواباً على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام[1]

ويقال : إن عون بن جعفر بن أبي طالب وأخاه محمداً قتلا مع علي بن أبي طالب بصفين .

ويقال : إنهما قتلا مع الحسين عليهم السلام ، وبعض البصريين يزعم أنهما قتلا بتستر من الأهواز حين فتحت .

وكان عمرو بن العاص يقاتل بصفين وهو يقول :

الموت يغشاه من القوم الأنف يوم لهمدان ويوم للصدف
وفي سدوس نحوه ما تنحرف نضربها بالسيف حتى تنصرف
ولتميم مثلها أو تعترف[2]

قالوا : ولما كان صبيحة ليلة الهرير ـ وهي ليلة الجمعة لإثنتي عشرة ليلة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين ـ اقتتلوا إلى ارتفاع الضحى ، ثم إن عمرو بن العاص أشار برفع المصاحف حين خاف أن ينقلع أهل الشام ورأى صبر أهل العراق وظهورهم ؛ فرفعوها بالرماح ونادوا : هذا كتاب الله بيننا وبينكم من لثغور الشام بعد أهل الشام ، ومن لثغور العراق بعد أهل العراق .

---

١ ـ ديوان الإمام علي ص ٨٨ .

٢ ـ روى نصر بن مزاحم هذه الأبيات بشكل مغاير ، صفين ص ٤٦٣ .

فقال علي : والله ما هم بأصحاب قرآن ، ولكنهم جعلوها مكيدة وخدعة ، بلغهم ما فعلت من رفع المصحف لأهل الجمل ففعلوا مثله ، ولم يريدوا ما أردت فلا تنظروا إلى فعلهم وامضوا على تقيتكم[1] ونياتكم .

فمال كثير من أصحاب علي إلى ما دعوا إليه وحرموا القتال واختلفوا ، وبعث علي الأشعث بن قيس الكندي إلى معاوية يسأله عن سبب رفعهم المصاحف فقال : رفعناها لتبعثوا رجلا ونبعث رجلا فيكونا حكمين ، فما اتفقا عليه عملنا به .

وحدثني عبد الله بن صالح العجلي ، قال : حدثت عن الأعمش عن شقيق بن سلمة أبي وائل أنه سئل : أشهدت صفين ؟ قال : نعم وبئست الصفون أشرعنا الرماح في صدورهم وأشرعوها في صدورنا حتى لو مشت الرجال عليها ما اندقت ، أو كما قال .

المدائني عن شعبة ، عن أبي عون الأعور ، عن أبي الضحى عن سليمان ، عن الحسن بن علي قال : لقد رأيت أبي حين اشتدّ القتال يقول : يا حسن وددت أني متّ قبل هذا بعشرين سنة .

---

١ ـ كذا ولعلها تصحيف «تعبئتكم» .

مقتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب بصفين

قال أبو مخنف وغيره : قاتل عبيد الله بن عمر بصفين حتى حمي القتال ؛ وذلك في آخر أيامهم ، فقتله هانىء بن الخطاب ، ويقال : محرز بن الصحصح من بني تيم الله بن ثعلبة . ويقال حريث بن جابر الحنفي ، وأخذ سيفه ذو الوشاح - وكان سيف عمر بن الخطاب - فلما ولّي معاوية أخذ السيف من قاتله ورده على آل عمر .

حدثنا أبو خيثمة وأحمد بن إبراهيم ، قالا : حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا جويرية بن أسماء ، حدثني سعيد بن أبي عروبة :

عن قتادة قال : استحرّ القتل في صفين بأهل اليمن ، وقد كان عليّ عبأ ربيعة لليمن وكانت ربيعة قوما أدركهم الإسلام وهم أهل حروب ، فكانوا يصفّون صفين فيقاتل صف ويقف صف ، فإذا ملوا القتال وقف هؤلاء وقاتل هؤلاء ، وكانت اليمن تحمل بأجمعها فأفنيت اليمن يومئذ ، فقال معاوية لأصحابه : من لربيعة ؟ فقال عبيد الله بن عمر بن الخطاب : أنا لهم إن أعطيتني ما أسالك . قال : سل . قال : الغمامة تصرفها معي - وهي

كتيبة معاوية كان يقال لها : الغمامة والخضراء والشهباء ـ فقال : [معاوية للغمامة] : انصرفوا معه . فمال عبيد الله إلى فسطاطه ومعه امرأته بحرية بنت هانىء بن قبيصة الشيباني ، فدعا بدرع فظاهرها على درعه ، قالت : ما هذا يا بن عمر ؟ قال : عبأني معاوية لقومك في الغمامة فما ظنك ؟ قالت : ظنّي أنهم سيدعوني أيّماً منك . فلم ينشب أن قتل .

فلما كان العشي وتراجع الناس أقبلت بحرية على بغل لها وعليها خميصة سوداء ومعها غلمة لها حتى انتهت إلى ربيعة فسلمت ثم قالت : يا معشر ربيعة لا يخزي الله هذه الوجوه ، فوالله ما كنت أحب أن تخزى . قالوا : من أنت ؟ قالت : أنا بحرية . قالوا : بنت هانىء بن قبيصة ؟ قالت : نعم . قالوا : مرحباً وأهلاً بسيدة نسائنا وابنة سيدنا ما حاجتك ؟ قالت : جيفة عبيد الله بن عمر ، قالوا : قد أذنا لك فيها وأشاروا إلى الناحية التي صرع فيها ، وكانت الريح هاجت عليهم عند زوال الشمس فقلعت أوتاد أبينتهم ، فإذا رجل من بني حنيفة قد أوثق طنباً من أطناب خبائه برجل ابن عمر ، وإذاً هو مسلوب فلما رأته رمت بخميصها عليه ، وأمرت غلمانها فحفروا له ثم أجنته وانصرفت وأنشدت قول كعب بن جعيل فيه :

ألا إنما تبكي العيونِ لفارس بصفين أجلت خيْله وهو واقف
تركن عبيد الله بالقاع مسنداً تمجّ دماً منه العروق النوازف

قال أبو مخنف : لما قتل عبيد الله بن عمر بصفين كلم نساؤه معاوية في جثته فأمر فبذلت فيها لربيعة عشرة آلاف درهم ، فاستأمروا عليّاً فقال : لا ولكن هبوها لابنة هانىء بن قبيصة . ففعلوا .

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا وهب بن جرير بن حازم ، حدثنا أبي عن النعمان بن راشد ، عن الزهري قال :

لما بلغ معاوية أمر طلحة والزبير ومن معهما ؛ دعا أهل الشام إلى القتال على الشورى والطلب بدم عثمان ، فبايعوه أميراً غير خليفة ، وخرج علي فاقتتلوا بصفين قتالاً لم يكن في الإسلام مثله قط ، فقتل من أهل الشام عبيد الله بن عمر ، وذو الكلاع وحوشب وحابس بن سعد الطائي . وقتل من أهل العراق عمار ، وهاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهري ، وابنا بديل الخزاعي ، وخزيمة بن ثابت ، وابن التيهان . فلما خاف أهل الشام ظهور القوم عليهم قال عمرو لمعاوية : ـ وهو على القتال ـ : هل أنت مطيع في أمر أشير به ؟ مر رجلاً فلينشر المصحف ، ثم يقول : يا أهل العراق بيننا وبينكم كتاب الله ، ندعوكم إلى ما بين فاتحته وخاتمته ، فإنك إن تفعل ذلك يختلفوا ، ولا يزدد أهل الشام إلا اجتماعاً وطاعة . فأمر رجلاً من أهل الشام يقال له : ابن لهية فنادى بذلك ، فاختلف أهل العراق فقالت طائفة منهم كرهت القتال : أجبنا إلى كتاب الله . وقالت طائفة : ألسنا على كتاب الله وبيعتنا وطلب الحق فإن كانت ها هنا شبهة أو شك فلم قاتلنا ؟ فوقعت الخصومة بين أهل العراق ، فلما رأى عليّ ما فيه أصحابه ، وما عرض لهم من الخلاف والتنازع ، ورأى وهنهم وكراهة من كره منهم القتال ، قارب معاوية فيما دعا إليه فقال : قبلنا كتاب الله ، نحن بيننا وبينكم كتاب الله ، فقال معاوية تختارون منكم رجلاً ونختار منا رجلاً . فاختار أهل الشام عمرو بن العاص ، واختار أهل العراق أبا موسى عبد الله بن قيس الأشعري ، وكتبوا بينهم كتاباً أن يحكما بكتاب الله والسنة الجامعة غير المفرقة .

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا وهب بن جرير ، عن جويرية ، عن يحيى بن سعيد :

عن عتبة قال : تنازلنا بصفين فاقتتلنا بها أيّاماً فكثرت القتلى بيننا وعقرت الخيل ، فبعث علي إلي عمرو : إن القتلى قد كثروا ، فأمسك حتى يدفن الجميع قتلاهم . فأجابه[1] : فاختلط بعض القوم ببعض حتى كانوا هكذا : ـ وشبك بين أصابعه ـ وكان الرجل من أصحاب علي يشدّ فيقتل في عسكره فيستخرج منه ، وكان عمرو يجلس بباب خندقه فلا يخفى عليه قتيل من الفريقين ، فمر عليه برجل من أصحاب علي قد قتل في عسكر معاوية فبكى عمرو وقال : لقد كان مجتهداً ، فكم من رجل أخشن في أمر الله قد قتل يرى عليّ ومعاوية أنهما بريئان من دمه .

وحدثني عمر بن بكير ، عن الهيثم بن عدي ، حدثني ابن عياش الهمداني قال :

قال معاوية لعمرو : أتذكر إذ غشيك ابن أبي طالب فاتّقيته بسوءتك ؟ فقال إني رأيت الموت مقبلاً إليّ معه فاتقيته كما رأيت ، وكان ورعاً فصرفه عنّي حياؤه ولكنّي أذكرك حين دعاك للمبارزة ، فقلصت شفتك ، ورعدت فرائصك وامتقع لونك .

حدثني بكر بن الهيثم ، حدثنا عبدالرزاق ، عن معمر ، عن قتادة :

ان أهل الشام لما رفعوا المصاحف يوم صفين فركن إلى ذلك من ركن ؛ كان الأشتر يقاتل أشدّ قتال ؛ حتى بعث إليه علي مرة أو مرتين يعزم عليه لينصرفن ، فقال : أحين طمعت بالنصر والظفر انصرف ؟ فقال الذين

١ ـ في هامش الأصل ما يفيد في رواية أخرى «فما أجابه عمرو» .

أحبوا الموادعة لعلي : أنت تأمره بالحرب ، فبعث إليه بعزيمة مؤكدة فكفّ وقال : خدعتم والله .

حدثنا زهير بن حرب أبو خيثمة ، حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا أبي ، قال :

سمعت محمد بن أبي يعقوب يحدث أن الأحنف بن قيس قال لعلي ـ حين أراد أن يحكم أبا موسى ـ: إنّك تبعث رجلاً من أهل القرى ، رقيق الشغر ، قريب القعر ، فابعثني مكانه آخذ لك بالوثيقة وأضعك من هذا الأمر بحيث أنت . فقال له ابن عباس : دعنا يا أحنف فإنا أعلم بأمرنا منك .

حدثني أبو خيثمة ، وأحمد بن إبراهيم ، قالا : حدثنا وهب بن جرير ، عن ابن جعدبة ، عن صالح بن كيسان قال : سار علي إلى معاوية بن أبي سفيان ، وسار معاوية إلى علي حتى نزلا بصفين ، وخلف علي على الكوفة أبا مسعود الأنصاري ، فمكثوا بصفين ما شاء الله ، ثم إن عبدالله وعبدالرحمن ابني بديل بن وَرقاء دخلا على علي فقالا : حتى متى لا تقاتل القوم ؟ فقال علي : لا تعجلا . فقال عبدالله بن بديل : ما تنتظر بهم ومعك أهل البصائر والقرآن ؟ فقال : اهدأ أبا علقمة . قال : إني أرى أن تقاتل القوم وتتركنا نبيّتهم . فقال : يا أبا علقمة لا تبيّت القوم ولا تدفّف على جريحهم ولا تطلب هاربهم .

ثم إن القوم اقتتلوا بعد ذلك بيومين فحرض معاوية أصحابه وهو يقول : فدى لكم أبي وأمي شدوا فإن علياً يزعم أنه لا حق لكم في هذا الفيء ومعاوية يتمثل في ذلك بقول ابن الأطنابة :

وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي

ومحمد بن عمرو بن العاص أمامه يقاتل أشد قتال وهو يقول : يا أمير المؤمنين إلزم ظهري ، وكان أشد الناس مع معاوية ، وقال عمرو لابنه عبدالله : أقسمت عليك لتأخذن الراية ثم لتلتزمنّها أبداً ، فكثرت القتلى وطفق معاوية يقول لعمرو : الأرض الأرض أبا عبدالله ، ثم رجع بعض القوم .

قال:وقال : عياض بن خليفة : خرجت أطوف في القتلى فإذا رجل معه إداوة مملوءة ماءاً، وإذاً رجل آخر مرّمل بالدماء يقول : أنا عبدالرحمن بن حنبل حليف بني جمح ـ وكان من أهل اليمن ـ اقرأوا على أمير المؤمنين السلام وقولوا له : الغلبة لمن جعل القتلى منه بظهر أي غيبهم ، ما تبغي يا عياض ؟ قال: قلت : أبتغي أصحابي : أخي ، وابن بديل ، قال : هيهات قتل أولئك أمس أول النهار ، فعرضت عليه الماء الذي مع الرجل في الإداوة ، فقال : سلني عمّا شئت قبل أن تسقيني فإني إذا شربت مت . قال : فسألته عما بدا لي ثم سقيته ، فما عدا أن شرب حتى مات ، وأتيت علياً فأخبرته بما قال فقال : صَدَق ، وأذن في الناس بالخروج وأمرهم أن يجعل القتلى منهم بظهر ، وغيب قتلاه حتى لا يرى رجل منهم .

ثم اقتتلوا قتالاً شديداً حتى قيل : انكشف معاوية وأقبل ابن لهّية معه مصحف بين أذني فرس وأقبل ناس معهم المصاحف بين أيديهم على خيلهم في رماحهم قد نشروها يقولون : بيننا وبينكم ما فيها . فقام فقال : قد قبلت ودعا بعضهم بعضاً إلى أن يحكم بينهم حكمان ، فزعموا أنهم دعوا إلى رجلين من الأنصار : عبادة بن الصامت ، وشداد بن أوس بن ثابت ، فقيل

لمعاوية : أجعلت أنصاريين ، والله ليحكمان عليك فقال معاوية : عمرو ، وقال علي: أبو موسى الأشعري ، وتراضيا بذلك، وكتبا كتاباً وأشهدا فيه من كل جند عشرة ، وتمثل علي عليه السلام :

واعجبا من أي يوميّ أفرّ أيوم لم يقدر أم يوم قدر[1]

وقال معاوية رحمه الله :

ثكلتك أمك إن تعطمطَ[2] بحرهم زبد غواربه وبَحْـرُكَ ساجي

وحدثني وهب بن بقية ، حدثنا يزيد بن هارون ، عن عمران بن جرير ، عن أبي مجلز ، قال : عابوا على عليّ تحكيم الحكمين فقال علي : جعل الله في طائر حكمين ، ولا أحكم أنا في دماء المسلمين حكمين ؟

وحدثني أبو زكريّا يحيى بن معين ، حدثنا عبدالله بن نمير ، أنبأنا الأعمش ، أنبأنا أبو صالح قال : قال علي : يا أبا موسى أحكم ولو في حزّ عنقي .

وقال أبو موسى الفَرْوي:سمعت ابن نمير يقول : لو حكموا بحكم القرآن نظروا أيّ الفئتين أبغى .

وحدثني المدائني ، عن عامر بن الأسود ، وإسماعيل بن عياش ، عن أبي غالب الجزري ، قال : لما صار الناس إلى الحكومة وأن يختاروا رجلين ، قال معاوية : قد رضيت عمرو بن العاص . وقال علي:قد رضيت عبدالله بن العباس ، فقال الأشعث : ابن عباس وأنت سواء لا يرضى القوم . قال : فأختار الأشتر ، قال : إذا والله يعيدها جذعة وهل نحن إلا في بليّة الأشتر ،

١ ـ ديوان الامام علي ص ٤٣ .
٢ ـ العطم : الصوف المنفوش . القاموس .

قال : فشداد بن أوس . فقال معاوية : لا يحكم فيها يثربي . فقال الأشعث وجميع القرّاء : فأبو موسى فإنه لم يحضر حربنا ، فقال عليّ : إنه قد خذل الناس عني وفعل ما فعل ، فأبوا أن يرضوا إلا به . فكتب إلى أبي موسى في القدوم وكان ببعض البوادي حذراً من الفتنة فقال له الرسول : إن الناس قد اصطلحوا وقد حكّموك . فقال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، ثم قدم على عليّ ، فقال الأشعث : لو لم يأتك ما طعن معك برمح ولا ضرب بسيف .

قالوا : وكانت القضية بين علي ومعاوية :

بسم الله الرحمن الرحيم :

هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان ، قاضي علي على أهل العراق ومن كان من شيعتهم من المؤمنين والمسلمين ، وقاضي معاوية على أهل الشام ومن كان من شيعتهم من المؤمنين والمسلمين ، أنّا ننزل عند حكم الله وبيننا كتاب الله فيما اختلفنا فيه من فاتحته إلى خاتمته ، نحيي ما يحيي ونميت ما أمات ، فما وجد الحكمان في كتاب الله فإنهما يتبعانه ، وما لم يجداه مما اختلفنا فيه في كتاب الله أمضيا فيه السنة العادلة الحسنة الجامعة غير المفرقة .

والحكمان : عبدالله بن قيس ، وعمرو بن العاص ، وأخذنا عليهما عهد الله وميثاقه ليحكمان بما وجدا في كتاب الله نصا ، فما لم يجداه في كتاب الله مسمّى عملا فيه بالسنة الجامعة غير المفرقة . وأخذا من علي ومعاوية ومن الجند كليهما وممن تأمّرا عليه من الناس عهد الله ليقبلن ما قضيا به عليهما وأخذا لأنفسهما الذي يرضيان به من العهد والثقة من الناس ؛ انهما آمنان على أنفسهما وأهليهما وأموالهما ، وأن الأمة لهما أنصار على ما يقضيان به على

عليّ ومعاوية ، وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين كليهما ، وان على عبدالله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه أن يصلحا بين الأمة ، ولا يردّاها إلى فرقة ولا حرب ، وان أجل القضية إلى شهر رمضان ، فإن أحبّا أن يعجّلاها دون ذلك عجّلا ، وإن أحبّا أن يؤخراها من غير ميل منهما أخّراها ، وإن مات أحد الحكمين قبل القضاء فإن أمير شيعته وشيعته يختارون مكانه رجلاً ، لا يألون عن أهل المعدلة والنصيحة والإقساط وأن يكون مكان قضيتهما التي يقضيانها فيه مكان عدل بين الكوفة والشام والحجاز ، ولا يحضرهما فيه إلا من أرادا ، فإن رضيا مكاناً غيره فحيث أحبا أن يقضيا ، وأن يأخذ الحكمان من كل واحد من شاءآ من الشهود ثم يكتبوا شهادتهم في هذه الصحيفة أنهم أنصار على من ترك ما فيها : اللهم نستنصرك على من ترك ما في هذه الصحيفة ، وأراد فيها إلحاداً أو ظلماً .

وشهد من كل جند على الفريقين عشرة ، من أهل العراق : عبدالله بن عباس . الأشعث بن قيس . سعيد بن قيس الهمداني . وقاء بن سُمي ـ وبعضهم يقول : ورقاء بن سُميّ ، ووقاء أصح ذلك ـ وعبدالله بن طفيل . وحجر بن يزيد الكندي وعبد الله بن حجل البكري . وعقبة بن زياد . ويزيد بن حُجيّة التيمي ، ومالك بن كعب الأرحبي .

ومن أهل الشام : أبو الأعور عمرو بن سفيان السلمي . حبيب مسلمة الفهري . المخارق بن الحارث الزبيدي . زمل بن عمرو العذري . حمزة بن مالك الهمداني . عبدالرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي . سبيع بن يزيد الحضرمي . علقمة بن يزيد أخو سبيع هذا . عتبة بن أبي سفيان . يزيد بن الحر العبسي .

قالوا : فلما كتبت القضية خرج بها الأشعث ليقرأها على الناس فمر بها على طائفة من بني تميم فيهم عروة بن أُدَية ـ وهي أمّه وأبوه حُدير أحد بني ربيعة بن حنظلة ـ وهو أخو مرداس بن أدية ـ وأدية محاربية ـ فقال عروة : أتحكّمون في أمر الله الرجال ؟ أشرط أوثق من كتاب الله وشرطه ، أكنتم في شكّ حين قاتلتم ؟ لا حكم إلا الله ـ وهو أول من حكم ـ ثم اعترض للأشعث ـ وهو على بغلة له ـ ففاته ، فضرب بسيفه عجز البغلة ، ويقال : إن أول من حكم يزيد بن عاصم المحاربي ، وقال البرك الصريمي ـ من بني تميم ، ثم من بني مقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة ـ : أتريدون حكما أقرب عهداً . نحكم في أطراف الأسنة ، ثم شدّ عروة بسيفه فضرب عجز دابة الأشعث بن قيس ، فغضب للأشعث قومه ، فمشى إليه الأحنف بن قيس ، وجارية بن قدامة ، ومعقل بن قيس ، ومسعر بن فدكي العنبري ، وشبث بن ربعي في جماعة من بني تميم ، واعتذروا إليه ، فرضي وصفح ، وكان سيف عروة أول سيف شهر في التحكيم .

وقيل لعلي : إن الأشتر لم يرض بالصحيفة ، ولم ير إلا قتال القوم ، فقال : ولا أنا والله رضيت ولن يصلح الرجوع بعد الكتاب .

المدائني ، عن عيسى بن عبدالرحمن ، عن أبي إسحاق ، عن علقمة بن قيس قال : قلت لعلي : أتقاضي معاوية على أن يحكم حكمان ؟ فقال : ما أصنع أنا مضطهد .

المدائني عن سليمان بن داود بن الحصين ، عن أبيه قال : قيل لابن عباس : ما دعا علياً إلى الحكمين ؟ فقال : إن أهل العراق ملّوا السيف وجزعوا منه جزعاً لم يجزعه أهل الشام ، واختلفوا بينهم ، فخاف عليّ لمّا رأى

من وهنهم أن ينكشفوا ويتفرقوا عنه ، فمال إلى القضية ، مع أنه أخذ بكتاب الله حين أمر بالحكمين في الصيد والشقاق ولو كان معه من يصبر على السيف لكان الفتح قريباً .

وقال أبو مخنف : كان الكتاب يوم الجمعة في صفر ، والأجل لشهر رمضان على رأس ثمانية أشهر إلى أن يلتقي الحكمان .

ثم إن الناس دفنوا قتلاهم ، وأطلق علي ومعاوية من كان في أيديهما من الأسرى وارتحلوا بعد يومين من القضية ، فسلك علي طريقه التي بدا فيها ؛ حتى أتى هيت وصندودا ، وصار إلى الكوفة في شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين .

حدثني علي بن المغيرة ، الأثرم ، حدثنا أبو عبيدة ، عن أبي عمرو بن العلاء ، قال : كتبت القضية بين علي ومعاوية يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة بقيت من صفر سنة سبع وثلاثين ، فأتى رجل من بني يشكر علياً فقال : يا علي ارتددت بعد إيمان ، وشككت بعد يقين ، اللهم إني أبرأ إليك من صحيفتهم وما فيها . فطعن رجلاً من أصحاب علي فقتله ، وشدّ عليه رجل من همدان فقتله فقال بعض شعرائهم :

ما كان أغنى اليشكري عن التي يصلى بها حرّا من النار حامياً
عشية يدعو والرماح تنوشه خلعت علياً بادياً ومعاويا

حدثني بكر بن الهيثم ، عن أبي نعيم ، عن الحسن بن صالح ، عن عبدالله بن حسن قال : قال علي للحكمين : أو تحكما بما في كتاب الله لي ، وإلا تحكما بما في كتاب الله فلا حكم لكما .

حدثني عبدالله بن صالح بن مسلم ، حدثنا ابن كُناسة الأسدي عن

إسماعيل بن مجالد ، عن أبيه ، عن الشعبي قال :

لما اجتمع علي ومعاوية على أن يحكّما رجلين اختلف الناس على عليّ فكان عظمهم وجمهورهم مقرين بالتحكيم راضين به ، وكانت فرقة منهم ـ وهم زهاء أربعة آلاف من ذوي بصائرهم والعباد منهم ـ منكرة للحكومة ، وكانت فرقة منهم وهم قليل متوقفين ، فأتت الفرقة المنكرة علياً فقالوا : عد إلى الحرب ـ وكان علي يحبّ ذلك ـ فقال الذين رضوا بالتحكيم : والله ما دعانا القوم إلا إلى حق وإنصاف وعدل ، وكان الأشعث بن قيس وأهل اليمن أشدهم مخالفة لمن دعا إلى الحرب ، فقال علي للذين دعوا إلى الحرب : يا قوم قد ترون خلاف أصحابكم وأنتم قليل في كثير ، ولئن عدتم إلى الحرب ليكوننّ أشدّ عليكم من أهل الشام ، فإذا اجتمعوا وأهل الشام عليكم أفنوكم ، والله ما رضيت ما كان ولا هويته ، ولكني ملت إلى الجمهور منكم خوفاً عليكم . ثم أنشد :

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

ففارقوه ومضى بعضهم إلى الكوفة قبل كتاب القضية ، وأقام الباقون معه على إنكارهم التحكيم ناقمين عليه يقولون : لعلّه يتوب ويراجع ، فلما كتبت القضية خرج بها الأشعث فقال عروة بن حُدير : يا أشعث ما هذه الدنية ؟ أشرط أوثق من شرط الله ؟ واعترضه بسيف فضرب عجز بغلته وحكم فغضب للأشعث أهل اليمن حتى مشى الأحنف ، وجارية بن قدامة ، ومعقل بن قيس ، وشبث بن ربعي ، ووجوه تميم إليهم فرضوا وصفحوا .

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا وهب بن جرير حدثنا

الأسود بن شيبان قال سمعت الحسن يقول ـ وذكر الفتنة ـ : إن القوم نعسوا نعسة في دينهم .

وحدثنا عباس بن هشام الكلبي ، عن أبيه عن جدّهِ قال : كان زياد ابن الأشهب بن ورد الجعدي أتى علياً بعد مقتل عثمان وبيعة الناس علياً ليدخل بينه وبين معاوية ، فيقال : إنه أجابه إلى الصلح على أن يوليه فلما نقض طلحة والزبير نقض معهما فقال الجعدي بعد ذلك :

مقام زياد عند باب ابن هاشم يريد صلاحاً بينكم وتقربا

وحدثني عباس بن هشام ، عن أبيه عن جده عن العريان بن الهيثم قال : كان الهيثم عثمانياً ، وكان شبث بن ربعي علوياً فلما مرض شبث بن ربعي مرضه الذي مات فيه ؛ بعثني إليه فقلت له : أبي يقرئك السلام ويقول لك : كيف تجدك ؟ ـ قال : وكان أبي يعيب عليه مشهده يوم صفين كثيراً ـ فقال : أنا في آخر يوم من الدنيا ، فاقرىء أباك السلام وقل له : إني لم أندم على قتال معاوية يوم صفين ، ولقد قاتلت بالسلاح كله إلا الهراوة والحجر ، قال : فأتيت أبي فأخبرته ، ومات شبث فقال أبي :

إنّي اليوم وإن أملي لي لقليل العمر من بعد شبث
عاش تسعين خريفاً همّه جمع ما يكسب من غير خبث
غير جانٍ في تميم سنة تنكس الرأس ولا عهداً نكث
ولقد زلّ هواه زلّة يوم صفين فأخطا وحنث
فلعل الله أن يرحمه بقيام الليل والصوم اللهث
وتقى كان عليها دائماً وبكاء ودعاءً في الملث[1]

١ ـ الملث : سواد الليل . القاموس .

وقال أبو مخنف في إسناده : خرج الناس إلى صفين وهم أحباء متوادون ، ورجعوا وهم أعداء متباغضون يضطربون بالسياط ، يقول الخوارج : أدهنتم في أمر الله وحكمتم في كتابه ، وفارقتم الجماعة . ويقول الآخرون : فارقتم إمامنا وجماعتنا ، فغم علياً تباغضهم واختلافهم فجعل ينشد :

لقد عثرت عثرة لا أعتذر سوف أكيس بعدها واستمرّ
وأجمع الأمر الشتيت المنتشر [1]

فلما دخل علي الكوفة في شهر ربيع الأول لم يدخلوا معه وأتوا حروراء فنزلوها ، وقد كانوا تتامُّوا اثنا عشر ألفاً ، ونادى مناديهم : إن أمير القتال شبث بن ربعي ، وأمير الصلاة عبدالله بن الكواء اليشكري ، والأمر بعد شورى ، والبيعة لله على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . فسموا الحرورية لمصيرهم إلى حروراء ، وعسكر علي بالنخيلة فيمن أطاعه ، وكان شبث قد مال إلى الحرورية ؛ ثم آب فرجع إلى علي عليه السلام .

وحدثني أحمد بن إبراهيم ، حدثنا وهب بن جرير ، عن ابن جعدبة عن صالح بن كيسان : أن علياً لما كتب كتاب القضية نفروا من ذلك ، فحكم من حكم منهم ، ثم افترقوا ثلاث فرق : فرجعت فرقة منهم إلى أمصارهم ومنازلهم الأولى فأقاموا بها ، فكان ممن رجع الأحنف ، وشبث بن ربعي ، وأبو بلال مرداس بن أديه ، وابن الكواء ، بعد أن ناشدهم علي وقال : اصبروا على هذه القضية فإن رأيتموني قابلاً الدنية فعند ذلك

١ - ديوان الإمام علي ص ٥١ .

ففارقوني فرجعوا[1] إلى العراق إلى منازلهم ، وأقامت الفرقة الثانية وقالوا : لا نعجل حتى ننظر إلى ما يصير شأنه ، ومضت الفرقة التي شهدت على علي وأصحابه بالشرك ؛ وهم أهل النهروان الذين قاتلوه .

١ - في رواية ثانية «فرجع من رجع» (من الهامش) .

أمر الحكمين وما كان منهما

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، عن وهب ، عن ابن جعدبة ، عن صالح بن كيسان قال : لما تقاضوا وانصرفوا إلى بلادهم مكثوا بقية السنة التي اقتتلوا فيها بصفين ؛ حتى إذا كان شهر رمضان من سنة ست ـ أو سبع ـ وثلاثين ، خرج عبدالله بن عباس وعمرو بن العاص ومعهما من جندهما من أحبّا ، وكان ابن عباس قاضي علي ـ أو قال : خليفة علي ـ حتى نزلا بتدمر شهراً يتراجعان ويكتبان إلى صاحبيهما ، ويكتب صاحباهما إليهما حتى دخلا في السنة المقبلة ، ثم تحولا من تدمر إلى دومة الجندل فأقاموا بها شهراً ، ثم تحولا من دومة الجندل إلى أذرح [1] ؛ وكتبا إلى صاحبيهما ومن أرادا من الناس ، وأنفذا إلى عليّ كتاباً مع معن بن يزيد بن الأخنس السلمي ، وجاء معاوية للميعاد ؛ في رجال أهل الشام فيهم عبدالرحمن بن الأسود بن عبديغوث ، وعبدالرحمن بن خالد بن الوليد ، وحبيب بن مسلمة .

وكتبوا إلى ناس من أهل المدينة منهم : سعيد بن زيد بن عمرو بن

١ ـ ما تزال تحمل الاسم نفسه في الأردن .

نفيل ، فأبى أن يخرج إليهم ، فكتبوا إلى سعد بن أبي وقّاص ، وعبدالله بن عمر ، وعبدالرحمن بن أبي بكر ، وعبدالله بن الزبير ، وعبدالرحمن بن الأرقم الزهري ، وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام . ويقال إن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام أتاهم من غير أن يكتب إليه .

وأتاهم أبو جهم بن حذيفة وهم بأذرح ، ورجع الرسول الموجّه إلى علي ولم يقدم علي معه . وقال سعد بن أبي وقاص : أنا أحق الناس بهذا الأمر لم أشرك في دم عثمان ، ولم أحضر شيئاً ما من هذه الأمور الفتنة .

وقال ابن الزبير لابن عمر : اشدد لي ضبعك فإن الناس لم يختلفوا فيك . ولم يشك الناس في ابن عمر ، وكان أبو موسى الأشعري مع ابن عباس [1] .

فتحاور الحكمان في أمرهما فدعا أبو موسى إلى عبدالرحمن بن الأسود ابن عبديغوث الزهري فاختلفا ، فقال عمرو : هل لك في أمر لا نختلف معه ؟ قال : وما هو؟ قال : يجعل أيّنا ولاه صاحبه الأمر إلى من رأى ، وعليه عهد الله وميثاقه ليجهدنّ للمسلمين . قال أبو موسى : نعم . قال عمرو : ذاك إليك بعهد الله وميثاقه ؟ قال أبو موسى : لا . قال عمرو : فهو إلي بذلك. قال أبو موسى: قد أعطيتك إيّاه، قال عمرو: نعم قد قبلت . ثم ندم أبو موسى فقال : ألا تدري ما مثلك يا عمرو؟ مثلك مثل الحمار يحمل أسفاراً . يقول : إنك لا تنظر لدين ولا ترعى الذي حملت من الأمانة والعهد . فقال عمرو : مثلك مثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، إن جعلتُ الأمر إليّ أبيت ، وإن جعلته إليك أبيت .

١ ـ كذا بالأصل وهو خطأ ناسخ صوابه «ابن عمر» .

ثم خلا عمرو بعبدالله بن عمر فقال له : اجتمع أمر الناس عليك وأنت أحقهم بهذا الأمر ، فإن علياً قد تخلف عنا ، وترك ما افترقنا عليه ، ولا بد للناس من إمام يلي أمورهم ويحوطهم ويقاتل من ورائهم .

فقال ابن عمر : ما أنا بالذي أقاتل الناس فتؤمّروني عليهم ، ولا حاجة لي في الإمرة ، فزعموا أن عمراً قال له : أتجعلني على مصر ؟ فقال : والله لو وليت من الأمر شيئاً ما استعملتك على شيء .

قال : وأقبل معاوية حين خلا عمرو بابن عمر ليبايعه فقال له رجل بالباب : لا تعجل فإنهما قد اختلفا ؛ وابن عمر يأباها . فرجع معاوية فلما أبىٰ ابن عمر أن يقبلها تفرق الناس ورجعوا إلى أرضيهم ورجع أبو موسى إلى مكة ولم يلحق بعلي ، وانصرف معاوية ولم يبايع له ، وكان تفرق الناس والحكمين عن أذرح في شعبان ، فقال كعب بن جعيل التغلبي :

كأنّ أبا موسى عشية أذرح يطيف بلقمان الحكيم يُواربه
ولما التقينا في تراث محمد علت بابن هند في قريش مضاربه

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثني أبو خيثمة ، حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا أبي قال :

سمعت يعلى بن حكيم يحدث عن نافع قال : لما اجتمعوا بدومة الجندل قال عمرو لابن عمر : إنا قد رأينا أن نبايعك فهل لك أن نعطيك مالاً وتدعها لمن هو أحرص عليها منك ؟ فوثب ابن عمر مغضباً ، فأخذ ابن الزبير بثوبه فجلس وقال : ويحك يا عمرو بعت آخرتك بدنياك ، إني والله لا أعطي عليها مالاً ، ولا أقبل عليها مالاً ، ولا أقبلها إلا عن رضى جميع الناس .

حدثني أبو خيثمة ، حدثنا وهب ، عن جويرية بن اسماء .

عن نافع ، أن ابن عمر شهد مجتمعهم بأذرح للحكومة وأنّ عمراً قال له:ما تجعل لي أن صرفتها إليك ؟ قال : لا أجعل لك والله شيئاً ولا أقبلها حتى لا يختلف عليّ فيها اثنان .

حدثنا علي بن محمد المدائني ، عن محمد بن صالح ، عن محمد بن السائب الكلبي قال :

قدم علي الكوفة من صفين لعشر ليال بقين من شهر ربيع الأول ، فأقام ستة أشهر يجبي المال ويبعث العمال وينظر في أمور الناس ، فبينا هو على ذلك والخوارج مقيمون على انكار الحكومة ، إذ قدم عليه معن بن يزيد بن الأخنس السلمي من قبل معاوية فقال له : إن معاوية قد وفى فينبغي لك أن تفي كما وفى . فبعث علي عبد الله بن عباس وأربعمائة وأبا موسى معهم فكان ابن عباس يصلي بهم ويلي أمورهم ، وكان أبو موسى الحكم ، فنزلوا دومة الجندل ، وحضرهم عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن الأسود الزهري ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي ، وأبو الجهم بن حذيفة العدوي ، والمغيرة بن شعبة الثقفي وكان معتزلاً لأول الأمر . والثبت أن سعداً لم يحضر ، وقد حرص ابنه عمر أن يشخص فلم يفعل .

المدائني عن أبي الفضل التنوخي ، عمن سمع ميمون بن مهران يحدث عمر بن عبد العزيز ، قال :

لما أهل شهر رمضان سنة سبع وثلاثين ، خرج معاوية من دمشق في أربعمائة حتى نزل دومة الجندل ، وسرح يزيد بن الحرّ العبسي إلى علي يعلمه

نزوله دومة الجندل ، ويسأله الوفاء ، فأتى علياً فحثه على الشخوص وقال : إن في حضورك هذا الأمر صلاحاً ووضعاً للحرب واطفاء للنائرة . فقال علي : يا بن الحر ، إني آخذ بأنفاس هؤلاء فإن تركتهم وغبت عنهم كانت الفتنة في هذا المصر أعظم من الحرب بينهم وبين أهل الشام ، ولكني أسرح أبا موسى ، فقد رضيه الناس ، وأسرح ابن عباس ، فهو يقوم مقامي ، ولن أغيب عما حضره ، ففعل ذلك فبعث إلى ابن عباس فأقدمه من البصرة ، وأقدم أبا موسى ، وكان توجه إلى بعض النواحي فقدما عليه فوجههما في خيل وأقام .

حدثنا عباس بن هشام ، عن أبيه ، عن جده محمد بن السائب والشرقي بن القطامي قالا : سمعنا الناس يتحدثون بأن ابن عباس خلا بعلي حين أراد أن يبعث أبا موسى فقال : إني أخاف أن يخدع معاوية وعمرو أبا موسى ، فابعثني حكما ولا تبعثه ولا تلتفت إلى قول الأشعث وغيره ممن اختاره فأبىٰ ، فلما كان من أمر أبي موسى وخديعة عمرو له ما كان ، قال علي : لله درّ ابن عباس إن كان لينظر إلى الغيب من ستر رقيق .

وحدثني عبد الله بن صالح المقرىء ، عن يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن الأعمش ، عن أبي وائل قال :

قال سهل بن حنيف الأنصاري بصفين حين حكّم الحكمان : ما وضعنا سيوفنا على عواتقنا لأمر إلا أسهل بنا إلى ما نعرفه ، إلا أمرنا هذا .

وحدثني عباس بن هشام ، عن أبيه ، عن أبي مخنف لوط بن يحيى ، وعن عوانة في اسنادهما قالوا : لما قدم علي الكوفة وقد فارقته المحكمة ـ وهم الخوارج ـ وثب إليه شيعته فقالوا : بيعتك في أعناقنا فنحن أولياء من واليت

وأعداء من عاديت ، فقال الخوارج : تسابق هؤلاء وأهل الشام إلى الكفر كفرسي رهان ، بايع أهل الشام معاوية على ما أحبوا وكرهوا ، وبايع هؤلاء علياً على أنهم أولياء من والى ، وأعداء من عادى .

وبعث علي عبد الله بن عباس إلى الخوارج وهم معتزلون بحروراء وبها سموا الحرورية ، فقال : أخبروني ماذا نقمتم من الحكمين ؟ وقال الله في الشقاق : ﴿فابعثوا حكماً من أهله﴾[١] الآية : وقال في كفارة الصيد يصيبه المحرم : ﴿ويحكم به ذوا عدل منكم﴾[٢] قالوا : ما جعل الله حكمه إلى الناس وأمرهم بالنظر فيه فهو إليهم ، وأما ما حكم به وأمضاه في الشرائع والسنن والعزائم فليس للعباد أن ينظروا فيه ، ألا ترى أن الحكم[٣] في الزاني والسارق والمرتد وأهل البغي مما لا ينظر العباد فيه ولا يتعقبونه . وقالوا : إن الله يقول : ﴿ويحكم به ذوا عدل منكم﴾ فعمرو بن العاص عدل ؟ وحكم الله في معاوية وأتباعه أن يقاتلوا ببغيهم حتى يفيئوا إلى أمر الله . فلم يجبه أحد منهم ، ويقال أجابه ألفا رجل ، ويقال : أربعة آلاف رجل .

ثم إن علياً سأل عن يزيد بن قيس الأرحبي فقيل : إنهم يطيفون به ويعظمونه ، فخرج عليّ حتى أتى فسطاطه فصلى فيه ركعتين ثم خاطبهم فقال :

نشدتكم الله هل تعلمون أني كنت أكرهكم للحكومة فيما بيننا وبين القوم ، ولوضع الحرب ، واعلمتكم انّهم إنّما رفعوا المصاحف خدعة ومكيدة ، فردّ عليّ رأيي وأمري ، فشرطت في الكتاب على الحكمين أن يحييا

١ - سورة النساء - الآية : ٤٠ .
٢ - سورة المائدة - الآية : ٩٥ .
٣ - في رواية أخرى «حكمه» (من الهامش) .

ما أحيا الكتاب ، ويميتا ما أمات ؟ فإن حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف ما حكما به ، وإن أبيا وزاغا فنحن من حكمهما براء ، وإنما حكّمنا القرآن ولم نحكّم الرجال ، لأن الرجال إنما ينطقون بما بين اللوحين .

قالوا : فلم كتبت اسمك ولم تنسب نفسك إلى إمرة المؤمنين ، أكنت مرتاباً في حقك ؟ فقال : إن رسول الله ﷺ لمّا كتب القضية بينه وبين قريش قال : اكتب : هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله وسهيل بن عمرو ، فقال أهل مكة : لو كنا نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك ، فكتب «محمد بن عبد الله» . قالوا : إنما قلت لنا ما قلت وقد تاب إلى الله من كان منا مائلاً إلى الحكومة ، وعادلهم إلى المنابذة ونصب الحرب ، فإن تبت وإلا اعتزلناك ، قال : فإني أتوب إلى الله وأستغفره من كل ذنب ، وقال لهم : ادخلوا مصركم رحمكم الله . فدخلوا من عند آخرهم وبايعوه على إعادة حرب القوم ، وقالوا : نجبي الخراج ونسمن الكراع ثم نسير إليهم .

وقدم معن بن يزيد بن الأخنس بن حبيب السُّلمي على علي من قبل معاوية ، يستبطئه في الحكومة ، وقال : إن معاوية قد وفى ففه ولا يلفتنّك عن رأيك أعراب تميم وبكر . فبعث أربعمائة من أصحابه عليهم شريح بن هانىء ، وبعث ابن عباس على صلاتهم والقضاء بينهم وولاية أمورهم ، وبعث معهم أبا موسى الأشعري ، وبعث معاوية عمراً في أربعمائة من أهل الشام فتوافوا بدومة الجندل والتقى الحكمان فقال عمرو : يا أبا موسى ألست تعلم أن عثمان قتل مظلوماً؟ قال : أشهد . قال : افلست تعلم أن معاوية ولي عثمان ؟ قال : بلى . قال : فإن الله يقول : ﴿ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا

لوليه سلطانا[١]﴾ فما يمنعك من معاوية مع موضعه وشرفه ، وإنه في صواب تدبيره ورفق سياسته على ما ليس عليه غيره ، وإن وليّ كنت المقدم عنده وبسط يدك فيما احببت من ولايته ، فقال أبو موسى : إن هذا الأمر لا يكون بالشرف ؛ وغيره مما ذكرت ، وإنما يكون لأهل الدين والفضل والشدة في أمر الله ، مع أني لو اعطيته أعظم قريش شرفاً أعطيته علياً وأما الولاية فلو إن معاوية خرج إليّ من سلطانه كله إذا ولي ما وليت ؛ ما كنت لأرضى بالدنية في دين الله وحقه ، ولكن إذا شئت احيينا ذكر عمر فقال عمرو : فإن كنت تريد بيعة ابن عمر ؛ فما يمنعك من ابني عبد الله بن عمرو؟ وأنت تعرف فضله وصلاحه . قال : إن ابنك لرجل صدق لكنّك قد غمسته في الفتنة ، ولكن إن شئت ولينا الطيب بن الطيب عبد الله بن عمر . فقال عمرو : إن هذا الأمر لا يصلح إلا لرجل له ضرس يأكل به ويطعم . فقال له : يا عمرو ويحك إن العرب قد اسندت إليك أمرها بعد أن تقارعت بالسيوف وتناكزت بالرماح ، فلا تردنهم إلى مثل ذلك .

وأخذ عمرو بن العاص يقدم أبا موسى في الصلاة والكلام يعظمه ويوقره ويقول: أنت صاحب رسول الله ﷺ قبلي ولك سنّك وفضلك، فإذا تكلم تكلم بعده عوّده ذلك ، ثم قال أبو موسى لعمرو : ما رأيك ؟ قال رأيي أن نخلع هذين الرجلين ونجعل الأمر شورى فيختار المسلمون لأنفسهم وتنقطع الحرب . قال أبو موسى : نعْمَ ما رأيت . قال عمرو : فتقدم رحمك الله فإنك صاحب رسول الله ﷺ . فقال أبو موسى : أيها الناس إنّ رأينا قد اتفق على أمر أرجو أن يصلح الله به شأن هذه الأمة . فقال

١ ـ سورة الاسراء .

عمرو : صدق وبرّ ، وتكّلم يا أبا موسى بما تريد فدعاه ابن عباس فقال له : ويحك أظنّه قد خدعك ، إن كنتما اتّفقتما على أمر فقدمه قبلك فليتكلم ثم تكلم أنت فإنه رجل غدار . وكان أبو موسى مغفّلاً ، فقال : إنّا قد اتفقنا ولا خلاف بيننا . وتكلم أبو موسى فقال ـ بعد أن حمد الله وأثنى عليه ـ : إنّا نظرنا في هذا الأمر فلم نر شيئاً أصلح من خلع هذين الرجلين ثم تستقبل الأمة أمورها فتكون أمورهم شورى يولون من اختاروا ، إني قد اختلعت علياً ومعاوية فاستقبلوا أموركم وولوا من رأيتم أنتم . وتنحى ، وأقبل عمرو فقال : إنّ هذا قد قال ما سمعتم وخلع صاحبه ، وأنا أخلعه كما خلعه وأثبت صاحبي معاوية فإنه وليّ عثمان والطالب بدمه وهو أصلح سياسة وأحزم رأياً من غيره . ويقال إنه قال : إن أبا موسى قد خلع صاحبه وقد خلعته كما خلعت نعلي هذه ، وثبّت صاحبي معاوية فقال له أبو موسى : مالك لا وفقك الله غدرت وفجرت إنما مثلك ﴿كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث[1]﴾ فقال عمرو : مثلك ﴿كمثل الحمار يحمل أسفاراً﴾[2] وحمل شريح بن هانىء على عمرو فقنعه بالسوط ، وحمل محمد بن عمرو بن العاص ـ أو غيره من ولده ـ على شريح فضربه بسوطه وقام الناس فحجزوا بينهما . وطلب أهل الكوفة أبا موسى فركب راحلته ولحق بمكة . وقال ابن عباس : قبحاً لرأي أبي موسى لقد حذرته وأمرته بالرأي فما عقل ولا قبل . وكان أبو موسى يقول : لقد حذرني ابن عباس غدر الفاسق ولكن اطمأننت إليه .

---

١ ـ سورة الأعراف ـ الآية : ١٧٦ .

٢ ـ سورة الجمعة ـ الآية : ٥ .

وانصرف أهل الشام إلى معاوية فسلموا عليه بالخلافة وبايعوه ، ورجع ابن عباس وشريح بن هانىء إلى عليّ بالخبر ، فكان عليّ إذا صلى الغداة قنت فقال : اللهم العن معاوية وعمراً وأبا الأعور ، وحبيب بن مسلمة وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، والضحاك بن قيس ، والوليد بن عقبة . فبلغ ذلك معاوية فكان يلعن علياً والأشتر ، وقيس بن سعد ، والحسن ، والحسين ، وابن عباس ، وعبد الله بن جعفر ، رضي الله تعالى عنهم .

حدثني عباس بن هشام ، عن أبيه ، عن أبي مخنف ، عن ابن أبي حرة الحنفي أن علياً خرج ذات يوم فخطب فإنه لفي خطبته إذ حكمت المحكمة في جوانب المسجد ، فقال علي : كلمة حق يعزى بها ـ او قال : يراد بها ـ باطل ، إنّه لا حكم إلا لله ؛ ولكنهم يقولون إنه لا إمرة ، ولابدّ من أمير يعمل في امرته المؤمن ويستمع الفاجر[1]. فإن سكتوا تركناهم ـ أو قال : عذرناهم ـ وإن تكلموا حججناهم ، وإن خرجوا علينا قاتلناهم ، فقام يزيد بن عاصم المحاربي فقال : اللهم إنا نعوذ بك من إعطاء الدنية في ديننا ، فإن ذلك إدهان وذا يرجع إلى سخط الله فخرج هو وأخوه فقتلوا بالنهروان .

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا وهب بن جرير ، عن أبيه ، عن النعمان بن راشد :

عن الزهري قال : لما قدم علي بن أبي طالب إلى الكوفة من صفين خاصمته الحرورية ستة أشهر وقالوا : شككت في أمرك وحكمت عدوك ووهنت في الجهاد ، وتأولوا عليه القرآن فقالوا : قال الله : ﴿والله يقضي

١ ـ في رواية ثانية «ويستمتع» (من الهامش) .

بالحق﴾[١] الآية : وطالت خصومتهم لعلي ، ثم زالوا براياتهم وهم خمسة آلاف عليهم ابن الكواء ، فأرسل إليهم علي عبد الله بن عباس وصعصعة بن صوحان فدعواهم إلى الجماعة وناشداهم فأبوا عليهما ، فلما رأى ذلك علي أرسل إليهم إنا نوادعكم إلى مدة نتدارس فيها كتاب الله لعلنا نصطلح ، وقال لهم : ابرزوا منكم اثنا عشر نقيباً ؛ وأبعث منا مثلهم ونجتمع بمكان كذا فيقوم خطباؤنا بحججنا وخطباؤكم بحججكم . ففعلوا ورجعوا فقام علي فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أما بعد فإني لم أكن أجرصكم على هذه القضية وعلى التحكيم ، ولكنكم وهنتم في القتال ، وتفرقتم علي وخاصمني القوم بالقرآن ودعونا إليه ، فخشيت ان أبيت الذي دعوا إليه من القرآن والحكم ، ان يتأولوا علي قول الله : ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم﴾[٢] الآية : ويتأولوا قوله : ﴿لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم﴾ ، إلى قوله : ﴿ذوا عدل منكم﴾[٣] ويتأولوا قوله : ﴿فإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا﴾[٤] الآية فلم آب عليهم التحاكم ، وخشيت أن تقولوا : فرض الله في كتابه الحكومة في أصغر الأمر فكيف الأمر الذي فيه سفك الدماء ، وقطع الارحام وانتهاك الحريم ، وخفت وهنكم وتفرقكم .

ثم قامت خطباء الحرورية ، فقالوا : دعوتنا إلى كتاب الله والعمل به فأجبناك وبايعناك وقد قتلت في طاعتك قتلانا يوم الجمل وصفين ، ثمّ

١ ـ سورة غافر ـ الآية : ٢٠ .
٢ ـ سورة آل عمران ـ الآية : ٢٣ .
٣ ـ سورة المائدة ـ الآية : ٩٥ .
٤ ـ سورة النساء ـ الآية : ٣٥ .

شككتَ في أمر الله وحكّمت عدوك ، ونحن على أمرك الذي تركت ، وأنت اليوم على غيره ، فلسنا منك إلا أن تتوب منه وتشهد على نفسك بالضلالة .

فلما فرغوا من قولهم : قال علي :

أما أن أشهد على نفسي بالضلالة فمعاذ الله أن أكون ارتبت منذ أسلمت ، أو ضللت منذ اهتديت ، بل بنا هداكم الله من الضلالة ، واستنقذكم من الكفر ، وعصمكم من الجهالة ، وإنما حكمت الحكمين بكتاب الله والسنة الجامعة غير المفرقة ، فإن حكما بكتاب الله كنت أولى بالأمر من حكمهما ، وإن حكما بغير ذلك لم يكن لهما علي وعليكم حكم .

ثم تفرقوا فأعاد إليهم عبد الله بن عباس وصعصعة فقال لهم صعصعة : اذكركم الله أن تجعلوا فتنة العام مخافة فتنة عام قابل ، فقال ابن الكواء : ألستم تعلمون إني دعوتكم إلى هذا الأمر ؟ فقالوا : بلى . قال : فإني أول من أطاع هذا الرجل فإنه واعظ شفيق . فخرج معه منهم نحو من خمسمائة فدخلوا في جملة علي وجماعته ، وبقي منهم نحو من خمسة آلاف رجل فقال عليّ : اتركوهم حتي يأخذوا ؛ ويسفكوا دماً حراما ففعل ذلك.

حدثنا ابو خيثمة ، حدثنا وهب بن جرير ، عن أبيه ، عن الصلت بن بهرام قال : لما قدم علي الكوفة من صفين جعل يخطب الناس وجعلت الخوارج تقول ـ وهو على المنبر ـ : قبلت الدنية بالقضية ، وجزعت عن البلية لاحكم إلا لله . فيقول : حكم الله انتظر فيكم . فيقولون : ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين﴾[1] ، فيقول علي : ﴿فاصبر إن وعد

١ ـ سورة الزمر ـ الآية : ٦٥ .

الله حق ولا يستخفنّك الذين لا يوقنون﴾(١) .

حدثني بكر بن الهيثم ، حدثنا أبو الحكم العبدي ، عن معمر ، عن الزهري قال : أنكرت الحكومة على علي طائفة من أصحابه قدمت إلى بلدانها من صفين ، وانحاز منهم اثنا عشر ألفاً ـ ويقال ستة آلاف ـ إلى موضع يقال له : حروراء بناحية الكوفة فبعث إليهم علي ابن عباس وصعصعة ؛ فوعظهم صعصعة . وحاجهم ابن عباس فرجع منهم ألفان وبقي الآخرون على حالهم حيناً ، ثم دخلوا الكوفة ، فلما انقضت المدة في القضية وأراد علي توجيه أبي موسى أتاه حرقوص بن زهير التميمي وزيد بن حصين الطائي وزرعة بن البرج الطائي في جماعة من الحرورية ، فقالوا : إتق الله وسر إلى عدوك وعدونا ، وتب إلى الله من الخطيئة ؛ وارجع عن القضية ، فقال علي : أما عدوكم فإني أردتكم على قتالهم وأنتم في دارهم فتواكلتم ووهنتم وأصابكم ألم الجراح فجزعتم وعصيتموني ، وأما القضية فليست بذنب ولكنها تقصير وعجز أتيتموه وأنا له كاره ، وأنا أستغفر الله من كل ذنب . فقال له زرعة : والله لئن لم تدع التحكيم في أمر الله لأجاهدنك ، فقال له علي : بؤساً لك ما أشقاك ؛ كأني أنظر اليك غداً صريعاً تسفي عليك الرياح ، قال : وددتَ ذلك قد كان ، فانصرفوا وهم يظهرون التحكيم ويدخلون الكوفة ، فإذا صلى علي وخطب حكّموا ، فيقول علي : كلمة حق يعتزى بها باطل .

وبلغ يزيد بن عاصم المحاربي قول علي لزرعة بن البرج ، فأتاه فقال : يا علي أتخوفنا بالقتل ؛ إنا لنرجو أن نضربكم بها عن قليل غير

١ ـ سورة الروم ـ الآية : ٦٠ .

مصفحات ، ثم تعلم أينا أولى بها صلياً ، اللهم إنا نعوذ بك من إعطاء الدنية في دينك فإنها إدهان وذلٍ .

وقام رجل إلى علي عليه السلام فقال : ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين﴾ فقال علي : ﴿فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون﴾ .

حدثنا عباس بن هشام ، عن أبيه ، عن أبي المنذر ، عن عوانة وعن أبي مخنف[1] قالا : قال علي عليه السلام :

يـا شاهـد الله علي فـاشهد آمـنت بـالله ولي أحمـد[2]
من شك في الله فإني مهتد

حدثني الحسين بن علي بن الأسود ، عن يحيى بن آدم ، عن الحسن بن صالح ، عن فراس ، عن الشعبي قال : لما حاج علي أهل حروراء دخلوا جميعاً الكوفة ، فنظر علي إلى حصين بن يزيد الطائي فحطأ علي على كتفه وقال : ذبي[3] حجل فقال زيد :

حقاً لقد ذبَّت بأطراف الأسل في يوم صفين وفي يوم الجمل

فقال علي : إنها لجنيدة . قال زيد : وهل ينفع عندك الجند .

ولما دخلوا الكوفة جعل الناس يقولون : تاب أمير المؤمنين وزعم أن الحكومة كفر وضلال . وإنما ننتظر أن يسمن الكراع ثم نشخص إلى الشام . فبلغ ذلك علياً فقال : كذب من قال : إني رجعت عن القضية وقلت إن

١ ـ في رواية أخرى «وأبي مخنف» (من الهامش) .
٢ ـ ديوان الامام علي ص ٣٤ مع فوارق .
٣ ـ ذب : دفع ومنع .

الحكومة ضلال . وكانت الحرورية قد سكنت فعادت بعد إلى التحكيم .

المدائني في إسناده قال : لما دخل المحكمة الكوفة ، ونزلوا حروراء وذهب عنهم كلال السفر ؛ مشت عصبة منهم إلى علي فقالوا : علام كنا نقاتل يوم الجمل ؟ قال : على الحق . قالوا : فأهل البصرة ؟ قال : على النكث والبغي . قالوا : فأهل الشام ؟ قال هم وأهل البصرة سواء . قالوا : فلم أجبت معاوية إلى وضع الحرب ؟ قال : خالفتموني وخفت الفتنة . قالوا : فعد إلى أمرك . قال : قد أعطيتهم ميثاقاً إلى مدة فلا يحل قتالهم حتى تنقضي المدة ، وقد أخذنا على الحكمين أن يحكما بكتاب الله ، فإن حكما به فأنا أولى الخلق بالأمر . فقالوا : إن معاوية يدعي مثل الذي تدعي . ففارقوه .

حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثني عبد الرحمن بن غزوان ، أنبأنا محمد بن طلحة بن مصرف ، عن زُبيد اليامي أنه قال[1] لمرّة بن شراحيل الطيب : ألا تلحق بعلي بصفين ؟ فقال : إن علياً سبقني بخير عمله في بدر وذواتها وأنا أكره أن أشركه فيما صار فيه .

١ ـ في رواية أخرى «قال : قيل» (من الهامش) .

أمر وقعة النهروان

حدثني عبد الله بن صالح بن مسلم العجلي ، حدثني يحيى بن آدم ، أنبأنا سفيان ، عن الأعمش وغيره ، قالوا : خرج علي إلى أهل حروراء فكلمهم وحاجَّهم وذلك بعد بعثته ابن عباس إليهم فدخلوا جميعاً إلى الكوفة ، وكان الرجل منهم يذكر القضية فيخرج فيحكّم ، وكان علي يقول : إنا لا نمنعهم الفيء ولا نحول بينهم وبين دخول مساجد الله ، ولا نهيّجهم ما لم يسفكوا دماً وما لم ينالوا محرما .

وحدثني عبد الله بن صالح ، عن ابن مجالد بن سعيد ، عن أبيه ، عن عامر الشعبي قال : لما أراد علي إمضاء أمر أبي موسى الأشعري أتاه حرقوص بن زهير التميمي ، وشريح بن أوفى العبسي ، وفروة بن نوفل الأشجعي ، وعبد الله بن شجرة السلمي ، وحمزة بن سنان الأسدي ، وعبد الله بن وهب الراسبي ـ وكان يقال له : ذو الثفنات لأثر سجوده بوجهه ويديه وشبه ذلك بثفنات البعير ـ فسألوه أن لا يوجه أبا موسى ، وأن يسير إلى الشام ، فأبىٰ ذلك وقال : فارقنا القوم على شيء فلا يجوز نقضه . فانصرفوا

إلى منزل عبد الله بن وهب من فورهم ـ أو منزل زيد بن حصين ـ فذكروا من أصيب من أصحاب علي بصفين مثل عمار بن ياسر ، وهاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، وخزيمة بن ثابت وأبي الهيثم بن التيهان وأشباههم وذكروا أمر الحكمين ، وكفروا من رضي بالحكومة ، وبرئوا من علي ، ثم مشى ، بعض الحرورية إلى بعض ، وقال لهم عبد الله بن شجرة : يا قوم اخرحوا إلى المدائن فأقيموا بها حتى يجتمع لكم ما تحاولون أن يجتمع ، وفارقوا هذه القرية الظالم أهلها . فقال زيد بن حصين : إن سعد بن مسعود على المدائن وهو يمنعناها ويحول بينكم وبينها .

وعرضوا رئاستهم على وجوههم فلم يقبلوها ودفعوها حتى قبلها ذو الثفنات عبد الله بن وهب الراسبي ، وقال : والله لا آخذها رغبة في الدنيا ولا أتركها جزعاً من الموت .

ثم إنهم مضوا إلى النهروان[1] .

وحدثني عبد الله بن صالح ، عن يحيى بن آدم ، عن رجل عن مجالد ، عن الشعبي قال : بعث علي عبد الله بن عباس إلى الحرورية ؛ فقال : يا قوم ماذا نقمتم على أمير المؤمنين ؟ قالوا : ثلاثا : حكم الرجال في دين الله ، وقاتل فلم يسب ولم يغنم ، ومحا من اسمه حين كتبوا القضية «أمير المؤمنين» واقتصر على اسمه : فقال عبد الله بن عباس : أمّا قولكم : حكم الرجال . فإن الله قد صير حكمه إلى الرجال في أرنب ثمنه ربع درهم وما أشبه ذلك يصيبه المحرم ، وفي المرأة وزوجها ، فنشدتكم الله أحكم الرجال في بضع المرأة وأرنب بربع درهم أفضل ، أم حكمه في صلاح

١ ـ النهروان : كورة واسعة بَيْنَ بغداد وواسط من الجانب الشرقي . معجم البلدان .

المسلمين وحقن دمائهم ؟ قالوا : بل هذا . قال : وأما قولكم : ولم يسب ولم يغنم ، أفتسبون أمكم عائشة بنت أبي بكر الصديق ، قالوا : لا . قال : وأما قولكم : محا من اسمه إمرة المؤمنين . فإن المشركين يوم الحديبية قالوا لرسول الله ﷺ : لو علمنا أنك رسول الله لم نقاتلك . فقال رسول الله ﷺ : «امح يا عليّ واكتب محمد بن عبد الله» . ورسول الله خير من علي . فرجع منهم ألفان ، وأقام الأخرون على حالهم ، فلما أراد على توجيه الأشعري إلى الشام لإمضاء القضية ، أتاه حرقوص بن زهير السعدي ، وزيد بن حصين ، وزرعة بن البُرّج الطائيان في جماعة فسألوه أن لا يوجه أبا موسى ، وأن يسير بهم إلى الشام ، فيقاتلوا معاوية وعمرو بن العاص ، فأبى ذلك .

وسار أبو موسى في شهر رمضان ، فاجتمع المحكمة في منزل زيد بن حصين الطائي فبايعوا عبد الله بن وهب ، وكان يدعى ذا الثفنات ـ شبه أثر سجود بجبهته وأنفه ويديه وركبتيه بثفنات البعير ـ وكانت بيعتهم له لعشر خلون من شوال .

ثم خرجوا فتوافوا بالنهروان ، وأقبلوا يحكمون ، فقال علي : إنّ هؤلاء يقولون : لا إمرة ، ولابد من أمير يعمل في إمرته المؤمن ويستمتع الفاجر ، ويبلغ الكتاب الأجل ، وإنها لكلمة حق يعتزون بها الباطل ، فإن تكلموا حججناهم وان سكتوا غممناهم .

فلما تفرق الحكمان كتب علي إليهم وهم مجتمعون بالنهروان : إن الحكمين تفرقا على غير رضا ، فارجعوا إلى ما كنتم عليه ، وسيروا بنا إلى الشام للقتال ، فأبوا ذلك وقالوا : لا حتى تتوب وتشهد على نفسك بالكفر . فأبى .

وكان مسعر بن فدكي توجه إلى النهروان في ثلاثمائة من المحكمة ؛ فمر بـ «بهرسير»[1] وعليها عدي بن الحارث بن يزيد بن رويم الشيباني ، فخرج إليهم ليمنعهم ، فقتله أشرس بن عوف الشيباني ، فطعنه فقال : خذها من ابن عم لك مفارق ؛ لولا نصرة الحق كان بك ضنيناً . ويقال إنه سلم من طعنته وبقي بعد علي وولاه الحسن بهرسير ، وكان فيمن أتى أشرس بن عوف ـ حين خرج بعد النهروان ـ فضربه وقال : خذها من ابن عمّ لك شانٍ .

ولقوا عبد الله بن خبّاب بن الأرت ، ومعه أم ولد له يسوق بها ، فأخذوه وذبحوه وأم ولده ، فأرسل إليهم علي ، أن ابعثوا إليّ بقاتل ابن الحارث وابن خباب حتى أترككم وأمضي إلى الشام . فأبوا وقالوا : كلنا قتله .

فسار إليهم في محرم سنة ثمان وثلاثين فدعاهم ، فاعتزل بعضهم فلم يقاتلوه ، وبقي الآخرون فقاتلهم بالنهروان فقتلوا لتسع خلون من صفر ، سنة ثمان وثلاثين ، وقتل عبد الله بن وهب الراسبي قتله زياد بن خصفة وهانىء بن الخطاب الهمداني جميعا . ويقال : إن شبث بن ربعي شاركهما في قتله ، وكان شبث على ميسرة علي ، وكان فيمن رجع عن التحكيم بعد محاجة ابن عباس المحكمة . وقتل شريح بن [أبي] أوفى . واعتزل ابن الكواء فلم يقاتل علياً ، وقتل حرقوص بن زهير . وقتل ذو الثدية وكانت في عضده شامة كهيئة الثدي .

وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن أبي مخنف لوط بن يحيى

١ ـ من نواحي سواد بغداد ، قرب المدائن . معجم البلدان .

عن عبد الملك بن أبي حرة الحنفي : ان وجوه الخوارج اجتمعوا عند عبد الله بن وهب الراسبي فخطبهم ودعاهم إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والقول بالحق وإن أمرّ وضرّ ، وقال : اخرجوا بنا معشر اخواننا من هذه القرية الظالم أهلها إلى بعض السواد ، وبعض كور الجبل ، منكرين لهذه البدع المكروهة .

ثم قام حرقوص بن زهير السعدي فتكلم وتكلموا جميعاً بذم الدنيا والدعاء إلى رفضها والجد في طلب الحق وانكار البدع والظلم ، وعرضوا رئاستهم على غير واحد منهم فأبوها ، وقبلها عبد الله بن وهب الراسبي ، فبايعوه وذلك ليلة الجمعة لعشر ليال بقين من شوال سنة سبع وثلاثين ، في منزل زيد بن حصين .

وقال أبو مخنف : حدثني النضر بن صالح أن الحرورية اجتمعوا في منزل شريح بن أوفى العبسي بعد أن ولّوا أمرهم عبد الله بن وهب ، وبعد شخوص أبي موسى للحكومة ، فقال ابن وهب : إن هؤلاء القوم قد خرجوا لإمضاء حكمهم حكم الضلال ، فاخرجوابنا رحمكم الله إلى بلدة نبعد بها من مكاننا هذا ، فإنكم أصبحتم بنعمة ربكم أهل الحق . فقال شريح : فما تنتظرون ؟ أخرجوا بنا إلى المدائن لننزلها ونبعث إلى اخواننا من أهل البصرة فيوافونا ، فأشار عليهم زيد بن حصين ألا يعتمدوا دخول المدائن ؛ وأن يخرجوا وحداناً مستخفين لئلا يرى لهم جماعة فتُتّبع وأن ينزلوا بجسر المدائن ، فعملوا على ذلك وكتبوا إلى من بالبصرة من اخوانهم يستنهضونهم ، وبعثوا بالكتاب مع رجل من بني عبس .

وخرج زيد بن حصين وشريح بن أوفى من منزليهما على دابتيهما ،

وخرج الناس وترافدوا بالمال والعتاد وخرج عتريس بن عرقوب الشيباني صاحب عبد الله بن مسعود ؛ مع الخوارج فاتبعه صيفي بن فُشَيْل الشيباني في رجال من قومه فطلبوه ليردوه فلم يقدروا عليه .

وحدثني حفص بن عمر ، عن الهيثم ، عن المجالد وغيره ، قالوا : كان أول من خرج شريح بن أوفى صلاة الغداة وهو يتلو ﴿ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها[١]﴾ فخرج قومه من المسجد ليمنعوه، فقال: والله لا يعرض لي أحد منكم إلا أنفذت رمحي فيه . فقالوا : أبعدك الله إنّما أشفقنا عليك . وخرج زيد بن حصين وهو يقرأ : ﴿فاخرج إني لك من الناصحين * فخرج منها خائفاً يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين﴾[٢] فلما عبر الفرات قرأ ﴿ولما توجه تلقاء مدين قال عسىٰ ربي أن يهديني سواء السبيل﴾[٣] ثم تتابعوا يخرجون ، وخرج القعقاع بن نفر الطائي فاستعان عليه أخوه حكم بن نفر بن قيس بن جحدر بن ثعلبة برجال فحبسوه ـ وحكم هذا جد الطرماح الشاعر ابن حكيم بن حكم ـ وكان يقال للقعقاع الطرماح الأكبر فقال :

إني لمقتاد جوادي فقاذف ... به وبنفسي اليوم إحدى المتالف
فيارب إن كانت وفاتي فلا تكن ... على شرجع[٤] تعلوه خضر المطارف
ولكن أكُنْ يومي شهيداً بعصبة ... يصابون في فج من الأرض خائف
ليصبح لحدي بطن نسر مقيله ... بجوّ السماء في نسور عواكف
يوافون من شتى ويجمع بينهم ... تقى الله نزالون عند التزاحف

١ ـ سورة النساء ـ الآية : ٧٥ .
٢ ـ سورة القصص ـ الآيتان : ٢٠ ـ ٢١ .
٣ ـ سورة القصص ـ الآية : ٢٢ .
٤ ـ الشرجع : النعش . القاموس .

في أبيات . وقوم يقولون : إن هذا الشعر للطرماح الأصغر . وذلك باطل .

وخرج عتريس بن عرقوب الشيباني ، وخرج في طلبه صيفي بن فشيل الشيباني ابن عمه في جماعة من قومه ليردوه ؛ ففاتهم .

وخرج زيد بن عدي بن حاتم ، فاتبعه أبوه عدي بن حاتم ففاته ، فلم يقدر عليه ، فانصرف عدي إلى علي بخبرهم .

وقوم يقولون : ان الذي خرج فاتبعه عدى ابنه طريف . وذلك باطل ، قتل طريف مع علي يوم الجمل وفقئت عين أبيه وقتل طرفة مع علي يوم النهروان ، والذي خرج مع الحرورية زيد بن عدي .

وخرج كعب بن عميرة فاشترى فرساً وسلاحاً وقال :

هذا عتادي للحروب وإنّني ... لآمل أن ألقى المنية صابرا
وبالله حولي واحتيالي وقوتي ... إذا لقحت حربٌ تشيب الحزاورا[1]
ومازلت مذ كنت ابن عشرين حجة ... أهمّ بأن ألقى الكماة مغـاورا
وأصنع للهيجاء محبوكة القزا[2] ... معقربة الأ نساء تحسب طائرا
إذا عضّها سوطي تمطت ملحة ... بأروع مختال يروق النواظرا

في أبيات . فقال له عبد الله بن وهب : جزيت خيرا ، فربّ سريعة موت تنجيك من النار وتوردك مورداً لا تظمأ بعده . فأخذه أهل بيته فحبسوه حتى قتل أهل النهروان ، فقال في محبسه :

أعوذ بربي أن أعود لمثل ما ... هممت به يا عمرو ما حنت الابل

---

١ ـ أي الرجال الأقوياء . القاموس .

٢ ـ قزا بعصاه الأرض : نكَتَها، أو لعب بها . القاموس .

فيا عمرو ثق بي واتق الله وحده فقد خفت أن أردى بما عضني الكبل

في أبيات . وخرج عبيدة بن خالد المحاربي وهو يتمثل بشعر شعبة بن عريض :

إن امرءاً أمن الحوادث سالماً ورجا الحياة كضارب بقداح

فأراد عمّه ردّه فأبى .

وحدثني عباس بن هشام عن أبي مخنف ، عن أبي روق الهمداني عن عامر الشعبي . وعن المعلى بن كليب ، عن أبي الوداك جبر بن نوف وغيرهما : قالوا : لما هرب أبو موسى إلى مكة ، ورجع ابن عباس والياً على البصرة ، وأتت الخوارج النهروان ، خطب علي النّاس بالكوفة فقال : الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح والحدث الجليل ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد فإن معصية الناصح الشفيق المجرب تورث الحسرة ، وتعقب الندم ، وقد كنت أمرتكم في هذين الرجلين وهذه الحكومة بأمري ، ونخلت لكم رأيي لو يطاع لقصير رأي ، ولكنكم أبيتم إلا ما أردتم فكنت وأنتم كما قال أخو هوازن[١] .

أمرتهم أمري بمنعرج اللوا فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد[٢]

الا إن الرجلين اللذين اخترتموها حكمين قد نبذا حكم الكتاب وراء ظهورهما ، وارتأيا الرأي قبل أنفسهما ، فأماتا ما أحيا القرآن ، وأحييا ما أمات القرآن ؛ ثم اختلفا في حكمهما ، فكلاهما لا يرشد ولا يسدد ، فبرىء الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين ، فاستعدوا للجهاد ، وتأهّبوا

١ ـ هو دريد بن الصمة ـ انظر الأغاني ـ ط . دار الكتب ج ١٠ ص ١٠ .

٢ ـ ديوان دريد بن الصمة ـ ط . دار المعارف ـ القاهرة ص١٦ .

للسير ، وأصبحوا في معسكركم يوم الاثنين إن شاء الله .

حدثني وهب بن بقية ، عن يزيد بن هارون ، عن سليمان التيمي عن أبي مجلز : أن علياً نهى أصحابه أن يسطوا على الخوارج حتى يحدثوا حدثا ، فمروا بعبد الله بن خَبّاب فأخذوه ، فمر بعضهم بتمرة ساقطة من نخلة فأخذها واحد فأدخلها فمه ، فقال بعضهم : بما استحللت هذه التمرة؟ فألقاها من فيه ، ثم مروا بخنزير فقتله بعضهم فقالوا له : بما استحللت قتل هذا الخنزير وهو معاهد؟ فقال لهم ابن خباب : ألا أدلُّكم على من هو أعظم حرمه من الخنزير؟ قالوا: من هو؟ قال : أنا . فقتلوه ، فبعث علي إليهم : ابعثوا إليّ بقاتل ابن خباب . فقالوا : كلنا قتله . فأمر بقتالهم .

وبعث علي إلى الخوارج أن سيروا إلى حيث شئتم ، ولا تفسدوا في الأرض فإني غير هائجكم ما لم تحدثوا حدثا ، فساروا حتى أتوا النهروان وأجمع عليّ على إتيان صفين ، وبلغ معاوية ، فسار حتى أتى صفين .

وكتب علي إلي الخوارج بالنهروان : «أما بعد فقد جاءكم ما كنتم تريدون ، قد تفرق الحكمان على غير حكومة ولا اتفاق ، فارجعوا إلى ما كنتم عليه فإني أريد المسير إلى الشام» . فأجابوه أنه لايجوز لنا أن نتخذك إماماً وقد كفرت حتى تشهد على نفسك بالكفر وتتوب كما تبنا ، فإنك لم تغضب لله ، إنما غضبت لنفسك ، فلما قرأ جواب كتابه إليهم يئس منهم ؛ فرأى أن يمضي من معسكره بالنخيلة وقد كان عسكر بها ـ حين جاء خبر الحكمين ـ إلى الشام ، وكتب إلى أهل البصرة في النهوض معه ، فأتاه الأحنف بن قيس في ألف وخمسمائة ، وأتاه جارية بن قدامة في ثلاثة آلاف . ويقال : إن ابن قدامة جاء في خمسة آلاف . ويقال : في أكثر من ذلك . فوافاه بالنخيلة ،

فسار بهم علي إلي الأنبار ، وأخذ على قرية «شاهي» ثم على «دباها» من الفلوجة ، ثم إلى «دمما» .

وكان الخوارج الذين قدموا من البصرة مع مسعر بن فدكي استعرضوا الناس في طريقهم، فإذا هم برجل يسوق بامرأته على حمار له، فدعوه وانتهروه ورعّبوه وقالوا له: من أنت؟ فقال: رجل مؤمن قالوا: فما اسمك؟ قال: أنا عبد الله بن خباب بن الأرت صاحب رسول الله ﷺ . فكفوا عنه، ثم قالوا له: ماتقول في علي؟قال: أقول: إنه أمير المؤمنين، وإمام المسلمين، وقد حدثني أبي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ستكون فتنة يموت فيها قلب الرجل فيصبح مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً». فقالوا: والله لنقتلنك قتلة ماقتلها أحد، وأخذوه فكتفوه ثم أقبلوا به وبامرأته وهي حبلى متم حتى نزلوا تحت نخل مواقير فسقطت رطبة منها فقذفها بعضهم في فيه، فقال له رجل منهم: أبغير حلها ولاثمن لها؟ فألقاها من فيه واخترط سيفه وجعل يهزه فمرّ به خنزير لذمي فقتله بسيفه، فقال له بعض أصحابه: إن هذا لمن الفساد في الأرض. فطلب صاحب الخنزير حتى أرضاه، فقال ابن خباب: لئن كنتم صادقين فيما أرى وأسمع إني لآمن من شرّكم. قال: فجاؤوا به فأضجعوه على شفير نهر وألقوه على الخنزير المقتول فذبحوه عليه، فصار دمه مثل الشراك قد امذقرّ[1] في الماء، وأخذوا امرأته فبقروا بطنها وهي تقول: أما تتقون الله؟ وقتلوا ثلاث نسوة كنّ معها.

فبلغ علياً خبر ابن خباب وامرأته والنسوة، وخبر سوادي لقوه بنفّر فقتلوه، فبعث عليّ إليهم الحارث بن مرّة العبدي ليتعرف حقيقة مابلغه

١ ـ أي اختلط بالماء أو صار الدم ناحية والماء ناحية. القاموس.

عنهم، فلما أتى النهروان وقرب منهم خرجوا إليه فقتلوه، وبلغ ذلك علياً ومن معه؛ فقالوا له: ماتركنا هؤلاء وراءنا يخلفونا في أموالنا وعيالاتنا بما نكره، سر بنا إليهم فإذا فرغنا منهم سرنا إلى عدونا من أهل المغرب، فإن هؤلاء أحضر عداوة وأنكى حدّاً ـ والثبت: انه بعث ابن الحارث رجلاً من أصحابه، لأن الحارث بن مرّة قتل بالقيقان من أرض السند في سنة اثنتين وأربعين ـ وقام الأشعث بن قيس فكلمه بمثل ذلك، فنادى عليّ بالرحيل، فأتاه مسافر بن عفيف الأزدي فقال: ياأمير المؤمنين لاتسر في هذه الساعة. فقال له: ولم أتدري ما في بطن هذه الفرس؟ قال: ان نظرت علمت. فقال علي: إن من صدقك في هذا القول يكذّب بكتاب الله لأن الله يقول في كتابه: ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وماتدري نفس ماذا تكسب غدا وماتدري نفس بأيّ أرض تموت﴾[1] وتكلم في ذلك بكلام كثير، وقال: لئن بلغني أنك تنظر في النجوم لأخلدنّك الحبس مادام لي سلطان، فوالله ماكان لمحمد منجّم ولاكاهن، أو كما قال:

حدثنا سريج بن يونس، حدثنا إسماعيل بن علية، عن أيوب عن حميد بن هلال، عن رجل من عبد القيس كان مع الخوارج ثم فارقهم أنهم دخلوا قرية فخرج عبد الله بن خباب مذعوراً، فقالوا له: أنت ابن صاحب رسول الله فهل سمعت من أبيك عن رسول الله حديثاً؟ قال: نعم سمعته يقول قال رسول الله ﷺ: «تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، والماشي خير من الساعي، فإذا أدركت ذلك فكن عبد الله المقتول ولاتكن عبد الله القاتل». قالوا: أنت سمعت هذا من أبيك عن رسول الله؟ قال: نعم

١ ـ سورة لقمان ـ الآية: ٣٤ .

فقدموه فقتلوه فسال دمه حتى كأنه شراك نعل قد امذقرّ في الماء، وبقروا بطن أم ولده.

وأتى عليّ المدائن وقد قدمها قيس بن سعد بن عبادة، وكان عليّ قدمه إليها. ثم أتى عليّ النهروان فبعث إلى الخوارج أن أسلموا لنا قتلة ابن خباب ورسولي والنسوة لأقتلهم ثم أنا تارككم إلى فراغي من أمر أهل المغرب فلعل الله يقبل بقلوبكم ويردكم إلى ماهو خير لكم وأملك بكم. فبعثوا إليه أنه ليس بيننا وبينك إلا السيف إلا أن تقرّ بالكفر وتتوب كما تبنا فقال علي: أبعد جهادي مع رسول الله ﷺ وإيماني أشهد على نفسي بالكفر؟ لـ ﴿ قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين﴾[1] ثم قال:

يا شاهدا لله عليَّ فاشهد آمـنـت بـالله ولي أحمـد

من شك في الله فإني مهتد

وكتب إليهم: «أما بعد فإني أذكركم أن تكونوا من الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعاً بعد أن أخذ الله ميثاقكم على الجماعة، وألف بين قلوبكم على الطاعة، وأن ﴿تكونوا كالذين تفرّقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات﴾[2]. ودعاهم إلى تقوى الله والبرّ ومراجعة الحق، فكتب إليه ابن وهب الراسبي ﴿إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾[3] ان الله بعث محمدا بالحق وتكفل له بالنصر كما بلغ رسالاته، ثم توفاه إلى رحمته، وقام بالأمر بعده أبو بكر بما قد شهدته وعاينته متمسكاً بدين الله مؤثراً لرضاه حتى

---

١ ـ سورة الأنعام ـ الآية: ٥٦ .

٢ ـ سورة آل عمران ـ الآية: ١٠٥ .

٣ ـ سورة الرعد ـ الآية: ١١ .

أتاه أمر ربّه، فاستخلف عمر، فكان من سيرته ماأنت عالم به، لم تأخذه في الله لومة لائم، ختم الله له بالشهادة، وكان من أمر عثمان ماكان حتى سار إليه قوم قتلوه لما آثر الهوى وغيّر حكم الله، ثم استخلفك الله على عباده فبايعك المؤمنون وكنت لذلك عندهم أهلاً، لقرابتك بالرسول، وقدمك في الإسلام، ووردت صفين غير مداهن ولا وان، مبتذلاً نفسك في مرضاة ربك فلما حميت الحرب وذهب الصالحون: عمار بن ياسر، وأبو الهيثم بن التيهان، وأشباههم اشتمل عليك من لافقه له في الدين ولارغبة في الجهاد؛ مثل الأشعث بن قيس وأصحابه واستنزلوك حتى ركنت إلى الدنيا، حين رفعت لك المصاحف مكيدة فتسارع إليهم الذين استنزلوك، وكانت منا في ذلك هفوة ثم تداركنا الله منه برحمته، فحكمت في كتاب الله وفي نفسك، فكنت في شك من دينك وضلال عدوك وبغيه عليك، كلا والله يا بن أبي طالب، ولكنكم ﴿ظننتم ظن السوء وكنتم قوماً بوراً﴾[1] وقلت: لي قرابة من الرسول وسابقة في الدين فلا يعدل الناس بي معاوية، فالآن فتب إلى الله وأقرّ بذنبك، فإن تفعل نكن يدك على عدوك، وإن أبيت ذلك فالله يحكم بيننا وبينك.

قالوا: وخرج إليهم قيس بن سعد بن عبادة فناداهم فقال: ياعباد الله اخرجوا إلينا طلبتنا وانهضوا إلى عدوكم وعدونا معاً. فقال له عبدالله بن شجرة السلمي: إن الحق قد أضاء لنا فلسنا متابعيكم أبداً أو تأتونا بمثل عمر. فقال: والله مانعلم على الأرض مثل عمر إلا أن يكون صاحبنا، وقال لهم علي: «ياقوم انه قد غلب عليكم اللجاج والمراء واتّبعتم اهواءكم فطمح

١ ـ سورة الفتح ـ الآية: ١٢ .

بكم تزيين الشيطان لكم وأنا أنذركم أن تصبحوا صرعى بأهضام هذا الغائط وأثناء هذا النهر».

فلم يزل يعظهم ويدعهم فلما لم ير عندهم انقياداً ـ وكان في أربعة عشر ألفاً ـ عبّأ الناس فجعل على ميمنته حجر بن عدي الكندي وعلى ميسرته شبث بن ربعي وعلى الخيل أبا أيوب خالد بن زيد الأنصاري، وعلى الرجال أبا قتادة الأنصاري ـ واسمه النعمان بن ربعي بن بلدمة الخزرجي ـ وعلى أهل المدينة وهم سبعمائة ـ أو ثمـانمائة ـ قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري.

ثم بسط لهم عليّ الأمان ودعاهم إلى الطاعة، فقال فروة بن نوفل الأشجعي: والله ماندري على مانقاتل علياً؟ فانصرف في خمسمائة فارس حتى نزل البندنيجين[1] والدسكرة، وخرجت طائفة منهم أخرى متفرقين إلى الكوفة، وأتى مسعر بن فدكي التميمي راية أبي أيوب الأنصاري في ألف، واعتزل عبد الله بن الحوساء ـ ويقال: ابن أبي الحوساء الطائي ـ في ثلاثمائة وخرج إلى عليّ منهم ثلاثمائة فأقاموا معه، وكانوا أربعة آلاف فارس ومعهم خلق من الرجّالة. واعتزل حوثرة بن وداع في ثلاثمائة، واعتزل أبو مريم السعدي في مائتين؛ واعتزل غيرهم؛ حتى صار مع ابن وهب الراسبي ألف وثمـانمائة فارس، ورجالة يقال: إنهم ألف وخمسمائة.

وقال علي لأصحابه: كفوا عنهم حتى يبدأوكم. ونادى جمرة بن سنان: روحوا إلى الجنة، فقال ابن وهب: والله ماندري أنروح إلى الجنة أم إلى النار وتنادى الحرورية: الرواح إلى الجنة معاشر المخبتين وأصحاب البرانس المصلين، فشدوا على أصحاب علي شدّة واحدة؛ فانفرقت خيل علي

١ ـ بلدة في طرف النهروان. معجم البلدان.

منفرقين: فرقة نحو الميمنة وفرقة نحو الميسرة. وأقبلوا نحو الرجالة فاستقبلت الرماة وجوههم بالنبل حتى كأنهم معزى يتقى المطر بقرونها، ثم عطفت الخيل عليهم من الميمنة والميسرة، ونهض علي إليهم من القلب بالرماح والسيوف فما لبثوا أن أهمدوا في ساعة.

وقتل أبو أيوب الأنصاري زيد بن حصين الطائي. ويقال: بل قتله قيس بن سعد، واختصم هانىء بن خطاب وزيد بن خصفة التميمي في قتل عبد الله بن وهب الراسبي، فادّعى كل واحد منهما قتله، وقتل حنش بن ربيعة حرقوص بن زهير السعدي، وقتل عبد الله بن دجن الخولاني عبد الله بن شجرة السلمي. وكان على ميمنة الخوارج زيد بن حصين، وعلى ميسرتهم عبد الله بن شجرة.

ووقف جمرة بن سنان الأسدي في ثلاثمائة، فوقف عليّ بإزائه الأسود بن يزيد المرادي في ألفين. ويقال: أقل من ذلك.

وصار شريح بن أوفى العبسي إلى جانب جدار فقاتله على ثلمته قوم من همدان ملياً من النهار، وهو يرتجز ويقول:

قـد علمت جاريـة عبسيـة ناعمـة في أهلهـا مكفيّـة
أني سأحمي ثلمتي العشية

فشدّ عليه قيس بن معاوية المرهبي فضربه فقطع رجله، فأقبل يضاربهم ويقول:

الفحل يحمي شوله معقولا تمنعني نفسي أن أزولا

ثم شدّ عليه أيضاً قيس بن معاوية فقتله، فقال الشاعر:

اقتتلت همدان يومـاً ورجل اقتتلوا من غدوة حتى الأصل

ففتح الله لهمدان الزجل

وكان من رجز ابن أوفى يومئذ:

أضربهم ولو أرى أبا حسن　　ضربته بالسيف حتى يطمئن

ومن رجزه أيضاً:

أضربهم ولو أرى علياً　　جالدته أبيض مشرفيا

حدثني روح بن عبد المؤمن حدثني عارم بن الفضل، حدثنا حماد بن زيد، عن عاصم قال: قال رجل يوم النهروان وهو يرتجز:

أضربهم ولا أرى علياً　　ولم أكن عن قتلهم ونيا

أكسوهم أبيض مشرفيا

قال: وقال آخر:

أضربهم ولا أرى أبا حسن　　ها إن هذا حزن من الحزن

قال: ولم يقتل من أصحاب علي إلا عشرة نفر أو أقل، وكان ممن قتل معه عروة بن إنّاف بن شريح الطائي. والصلت بن قتادة بن سلمة بن خلادة الكندي من ولد حوت بن الحارث.

وروى بعضهم ان الذي قاتل على الثلمة عبد الرحمن بن قيس الحداني. والثبت: ان شريح بن أوفى الذي قاتل عليها.

وقاتل عدان بن المغذّذ وهو يقول:

ليس من الموت نجاة للفتى　　صبراً أبا المنهال صبراً للقضا

إن مصير الخلق طرّاً للبلى　　وليس ينجيك حذار من ردى

فاركب لك الخيرات أطراف القنا　　واصبر فإن الصبر أولى بالفتى

فقتل:

وقتل مع علي أيضاً زائدة بن سمير بن عبد الله بن نهاز المرادي.

قالوا: ووجد علي عليه السلام ممن به رمق أربعمائة فدفعهم إلى عشائرهم ولم يجهز عليهم، وردّ الرقيق على أهله حين قدم الكوفة وقسم الكراع والسلاح وماقوتل به بين أصحابه.

ووجد عدي بن حاتم ابنه الذي خرج مع الحرورية قتيلاً فدفنه بالنهروان.

وقتل جواد بن بشر ـ وهو أخو الزبرقان بن بدر ـ مع الخوارج، وقتل يزيد بن عاصم المحاربي وأربعة إخوة له معه، وقتل جمرة بن سنان الأسدي.

وشهد ابن الكواء النهروان وكان ممن اعتزل. ويقال: إنه اعتزل قبل أن يصيروا إلى النهروان.

وكان مقتل أهل النهروان لتسع خلون من صفر سنة ثمان وثلاثين.

وقال ابن الكلبي: استعمل عليّ على الكوفة حين شخص عنها وحارب أهل النهروان، هانىء بن هوذة بن عبد يغوث بن عمرو بن عدي النخعي.

قالوا: وطلب علي ذا الثدية فوجد في حفيرة دالية مع القتلى وكانت في عضده شامة تمتدّ كهيئة الثدي، عليها شعر كشعر شارب السنور، وكان مخدجاً وكان يسمّى نافعاً.

وروي عن نعيم بن حكيم، عن أبي مريم، عن علي عن النبي ﷺ قال: «إن قوماً يقرأون القرآن لايجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية؛ طوبى لمن قتلهم وقتلوه، علامتهم فيهم رجل مخدج اليد».

وقال أبو مريم: والله إن كان المخدج لمعنا يومئذ في المسجد، وكان يجالس علياً في الليل والنهار، ولقد كان فقيراً يشهد طعام علي.

وحدثني الحسين بن علي بن الأسود ، عن يحيى بن آدم ، عن إسرائيل عن إبراهيم بن عبدالأعلى ، عن طارق بن زياد ، قال : قام علي بالنهروان فقال : إن نبي الله قال : «سيخرج قوم يتكلمون بكلام الحق لا يجاوز حلوقهم ، يخرجون من الحق خروج السهم ـ أو مروق السهم ـ سيماهم أن فيهم رجلاً مخدج اليد ، في يده شعرات سود» . فإن كان فيهم فقد قتلتم شر الناس ، فطلب فوجد فخرّ عليّ وأصحابه سجوداً .

وروى حماد بن سلمة ، عن عطاء بن السائب ، عن غلام لأبي جحيفة السوائي قال : لما قتل علي أهل النهروان جعل لا يستقر جالساً ويقول : ويحكم أطلبوا رجلاً ناقص اليدين في يديه [1] عظم طرفها حلمة كحلمة الثدي من المرأة ؛ عليها خمس شعرات ـ أو سبع شعرات ـ رؤوسها معقفة ، قالوا : قد طلبناه فلم نجده . فقال : أليس هذا النهروان ؟ قالوا : بلى . قال : فوالله ما كَذبت ولا كُذبت فاطلبوه ، فطلبناه فوجدناه قتيلاً في ساقية ، ففرح عليّ فرحاً شديداً .

وقال الأخنس بن العيزاز الطائي ثم السنبسي يرثي أهل النهروان من الخوارج ويذكر زيد بن حصين :

إلى الله أشكو أن كل قبيلة   من الناس قد أفنى الجلاد خيارها
سقى الله زيدا كلما ذر شارق   واسكن من جنات عدن قرارها

وقال حبيب بن خدرة في قصيدة له طويلة :

يا رب إنهم عصوك وحكّموا   في الـدين كـل ملعن جبـار
يدعو الى سبل الضلالة والردى   والحق أبلج مثـل ضـوء نهار

١ ـ في رواية أخرى «اليد في يده» (من الهامش) .

فهم يرون سبيل طاغيهم هدى   وأرى سبيلهم سبيـل الـنـار
يا رب بـاعد في الولاية بيننا   إني عـلى مـا يفعـلون لـزار
وسبيل يوم النهر حين تتابعوا   متـوازرين عـلى رضـا الجبـار

وقال في قصيدة له :

ألا ليتني يا أم صفوان لم أؤب   وغودرت في القتلى بصفين ثاويا
فوالله رب الناس ما هاب معشر   على النهر في الله المنايا القواضيا
تذكرت زيداً منهم وابن حاتم   فتى كان يوم الروع أروع ماضيا

وروي أن النبي ﷺ قسم دنانير فسأله المخدج فلم يعطه فقال : والله ما عدلت في القسم ، فقال : «ويلك فمن يعدل» ؟

حدثني روح بن عبدالمؤمن ، حدثنا أبو الوليد الطيالسي ، أنبأنا شعبة ، أنبأنا أبو إسحاق قال : سمعت عاصماً يقول : إن حرورية على عهد علي قالوا : لا حكم إلا لله . فقال علي : إنه كذلك ولكنهم يقولون : لا إمرة . ولا بدّ للناس من أمير برّ أو فاجر يعمل في امرته المؤمن ، ويستمتع الكافر ، ويبلغ الكتاب أجله .

أمر علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد النهروان

قالوا : وأمر علي عليه السلام الناس بالرحيل من النهروان فقال لهم : إن الله قد أعزّكم وأذهب ما كنتم تخافون عنكم فامضوا من وجهكم هذا إلى الشام .

فقال الأشعث بن قيس : يا أمير المؤمنين نفدت سهامنا ، وكلّت سيوفنا ونصلت رماحنا ؛ فلو أتينا مصرنا حتى نريح ونستعدّ ثم نسير إلى عدونا . فركن الناس إلى ذلك ، وكان الأشعث طنينا ، وسماه علي عرف النار .

قالوا : وسار علي حتى أتى المدائن ثم مضى حتى نزل النخيلة ، وجعل أصحابه يدخلون الكوفة حتى بقي في أقل من ثلاثمائة ، فلما رأى ذلك دخل الكوفة وقد بطل عليه ما دبّر من اتيان الشام قاصداً إليها من النهروان ، فخطب الناس فقال : «أيها الناس استعدوا للمسير إلى عدوكم ففي جهاده القربة إلى الله ودرك الوسيلة عنده ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن

رباط الخيل﴾ (١) وتوكلوا ﴿على الله وكفى بالله وكيلا﴾ (٢) ﴿وكفى بالله نصيرا﴾ (٣) فلم يصنعوا شيئاً ، فتركهم أياماً حتى إذا يئس منهم خطبهم فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ﷺ ثم قال : «يا عباد الله ما بالكم إذا أمرتكم أن تنفروا في سبيل الله إثّاقلتم إلى الأرض ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة بدلا وبالذّلّ والهوان من العزّ والكرامة خلقا ، أكلما دعوتكم إلى الجهاد دارت أعينكم في رؤوسكم كأنكم من الموت في سكرة ، وكأن قلوبكم قاسية فأنتم أسود الشرى عند الدعة ؛ وحين تنادون للبأس ثعالب رواغة ، تنتقص أطرافكم فلا تتحاشون ولا ينام عدوكم عنكم وأنتم في غفلة ساهون .

إن لكم عليّ حقا ؛ وإن لي عليكم حقاً ، فأما حقكم فالنصيحة لكم ما نصحتم ، وتوفير فيئكم عليكم ، وأن أعلمكم كيلا تجهلوا ، وأؤدبكم كيلا تغلموا ، وأما حقي عليكم فالوفاء بالبيعة ، والنصح في المغيب والمشهد ، والإجابة حين أدعوكم ، والطاعة حين آمركم» .

وحدثني عباس بن هشام ، عن أبيه ، عن أبي مخنف ، عن الحارث بن حصيرة ، عن أبي صادق ، عن جندب بن عبدالله الأزدي أن علياً خطبهم حين استنفرهم إلى الشام بعد النهروان ، فلم ينفروا فقال :

«أيها الناس المجتمعة أبدانهم ، المختلفة قلوبهم وأهواؤهم ، ما عزّت دعوة من دعاكم ، ولا استراح قلب من قاساكم . كلامكم يوهن الصمّ

---

١ ـ سورة الأنفال ـ الآية ٦٠ .
٢ ـ سورة الأحزاب ـ الآية ٣ .
٣ ـ سورة النساء ـ الآية : ٤٥ .

الصلاب . وفعلكم يطمح فيكم عدوكم ، إذا دعوتكم إلى الجهاد قلتم : كيت وكيت وذيت وذيت أعاليل بأباطيل ، وسألتموني التأخير فعل ذي الدّين المطول حيدي حياد ، لا يدفع الضيم الذليل ، ولا يدرك الحق إلا بالجدّ والعزم واستشعار الصبّر ، أيُّ دار بعد داركم تمنعون ، ومع أي إمام بعدي تقاتلون ، المغرور والله من غررتموه ، ومن فاز بكم فاز بالسهم الأخيب ، أصبحت لا أطمع في نصركم ولا أصدق قولكم ، فرق الله بيني وبينكم وأبدلني بكم من هو خير لي منكم .

أما إنكم ستلقون بعدي ذلّاً شاملاً وسيفاً قاطعاً ، وإثرة يتخذها الظالمون فيكم سنة ؛ فيفرق جماعتكم ويبكي عيونكم ، ويدخل الفقر بيوتكم ، وتتمنون عن قليل أنكم رأيتموني فنصرتموني فستعلمون حق ما أقول ولا يبعد الله إلا من ظلم وأثم» .

قالوا وخطبهم بعد ذلك خطباً كثيرة ؛ وناجاهم وناداهم فلم يربعوا إلى دعوته [1] ولا التفتوا إلى شيء من قوله وكان يقول لهم كثيراً : «إنه ما غزي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا» .

وقام أبو أيوب الأنصاري وذلك قبل تولية عليّ إياه المدينة بيسير فقال : إن أمير المؤمنين قد أسمع من كانت له أذنان وقلب حفيظ ، إن الله قد أكرمكم به كرامة بيّنة فاقبلوها حق قبولها ، إنه أنزل ابن عم نبيكم بين ظهرانيكم يفقهّكم ويرشدكم ويدعوكم إلى ما فيه الحظ لكم .

وأما حجر بن عدي الكندي ، وعمرو بن الحمق الخزاعي وحبة بن جوين البجلي ثم العرني ، وعبدالله بن وهب الهمداني ـ وهو ابن سبأ ـ [فإنهم

١ ـ أي لم يستجيبوا له .

أتوا] علياً عليه السلام فسألوه عن أبي بكر وعمرو رضي الله عنهما فقال : أَوَقد تفرغتم لهذا ؟ وهذه مصر قد افتتحت وشيعتي بها قد قتلت وكتب كتاباً يقرأ على شيعته في كلّ أيام فلم ينتفع بذلك الكتاب ، وكان عند ابن سبأ منه نسخة حرّفها .

وحدثني هشام بن عمار الدمشقي أبو الوليد ، حدثني صدقة بن خالد ، عن زيد بن واقد ، عن أبيه ، عن أشياخهم : إن معاوية لما بويع وبلغه قتال عليّ أهل النهروان ؛ كاتب وجوه من معه مثل الأشعث بن قيس وغيره ، ووعدهم ومنّاهم وبذل لهم حتى مالوا إليه وتثاقلوا عن المسير مع علي عليه السلام فكان يقول فلا يلتفت إلى قوله ، ويدعو فلا يسمع لدعوته ، فكان معاوية يقول : لقد حاربت علياً بعد صفين بغير جيش ولا عناء أو قال : ولا عتاد .

حدثني يحيى بن معين ، حدثنا سليمان بن داود الطيالسي أنبأنا شعبة بن الحجاج ، أنبأنا محمد بن عبيدالله الثقفي قال : سمعت أبا صالح يقول : شهدت علياً ووضع المصحف على رأسه حتى سمعت تقعقع الورق فقال : «اللهم إني سألتهم ما فيه فمنعوني ذلك ، اللهم إني قد مللتهم وملّوني ، وأبغضتهم وأبغضوني ، وحملوني على غير خلقي ، وعلى أخلاق لم تكن تعرف لي فأبدلني بهم خيراً لي منهم ، وأبدلهم بي شرّاً مني ، ومث [1] قلوبهم ميث الملح في الماء» .

حدثني عباس بن هشام ، عن أبيه ، عن لوط بن يحيى ـ أبي مخنف : ان عمارة بن عقبة بن أبي معيط كتب إلى معاوية من الكوفة يعلمه أنه خرج

١ ـ ماث : خلط . القاموس .

على عليّ أصحابه ونسّاكهم فسار إليهم فقتلهم فقد فسد عليه جنده وأهل مصره ووقعت بينهم العداوة وتفرقوا أشد الفرقة ، فقال معاوية للوليد بن عقبة : أترضى أخوك بأن يكون لنا عينا ـ وهو يضحك ـ فضحك الوليد وقال : إن لك في ذلك حظاً ونفعاً ، وقال الوليد لأخيه عمارة :

فإن يك ظني بابن أمّي صادقا عمارة لا يطلب بذحل ولا وتر
مقيم وقَتَّال ابن عفان حوله يمشي بها بين الخورنق والجسر
وتمشي رخّي البال منتشر القوى كأنّك لم تشعر بقتل أبي عمرو
ألا إن خير الناس بعد ثلاثة قتيل التجيبي الذي جاء من مصر

وحدثني العمري ، عن الهيثم بن عدي ، عن عوانة وغيره قالوا : لما بلغ معاوية أن علياً يدعو الناس إلى غزوه ، وإعادة الحرب بينه وبينه هاله ذلك ، فخرج من دمشق معسكراً وبعث إلى نواحي الشام الصرخاء ينادون : إن علياً قد أقبل إليكم وكتب إليهم كتباً قال فيها : «إنا كنا كتبنا بيننا وبين علي كتاباً واشترطنا فيه شروطاً ، وحكمنا الرجلين ليحكما بحكم الكتاب علينا ، وإن حكمي أثبتني، وخلعه حكمه ، وقد أقبل إليكم ظالماً ناكثاً باغياً، ﴿فمن نكث فإنما ينكث على نفسه﴾[1]، فتجهزوا رحمكم الله للحرب بأحسن الجهاز ، واستعدوا لها بأكمل العدّة و﴿انفروا خفافاً وثقالا﴾[2] .

فاجتمعوا له من كل أوب ، وأرادوا المصير إلى صفين ثانية ، حتى بلغهم اختلاف أصحاب علي ، وكتب إليه بذلك عمارة بن عقبة ، فعسكر ينتظر ما يكون ، إلى أن جاءه خبر مقتله رحمه الله .

---

١ ـ سورة الفتح ـ الآية : ٤٨ .
٢ ـ سورة التوبة ـ الآية . ٤١ .

أمر مصر في خلافة علي ومقتل محمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة رضي الله عنهم

قال أبو مخنف وغيره: استشهد أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس يوم اليمامة وترك ابنه محمد بن أبي حذيفة، فكفله عثمان بن عفان ومانه[1] وأحسن تربيته، وكان محمد بن أبي حذيفة قد تنسك وأقبل على العبادة وذلك بعد أن حدّه عثمان في الشراب فيما يقال، فقال لعثمان: إني قد رغبت في غزو البحر؛ فاذن لي في إتيان مصر. فأذن له، فلما قدمها رأى الناس عبادته فلزموه وأعظموه ومالوا إليه، وكان خروجه إليها مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي ـ أو بعده في السنة التي شخص عبد الله فيها ـ وغزا محمد بن أبي حذيفة في البحر مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح في سنة أربع وثلاثين، فصلى ابن سعد بن أبي سرح يوما؛ فكبّر محمد بن أبي حذيفة من خلفه تكبيرة أفزعته فنهاه وقال: إنك حدث أحمق ولولا ذلك لقاربت[2] بين خطاك وكان ابن أبي حذيفة يعيبه ويعيب عثمان بتوليته إياه، ويقول: استعمل عثمان رجلا أباح

١ ـ أي قام بكفايته. القاموس.
٢ ـ في رواية أخرى «ماقاربت» من الهامش.

رسول الله ﷺ دمه يوم الفتح ونزل فيه ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي إليّ ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ماأنزل الله﴾[1] وكان محمد بن أبي بكر شخص إلى مصر، مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح، فكان يعين ابن أبي حذيفة على ذلك ويساعده عليه، فكتب عبد الله بن أبي سرح إلى عثمان بن عفان يشكوهما ويذكر أنهما قد انغلا عليه المغرب وافسداه، فقال عثمان: اللهم إني ربيته رحمة له وصلة لقرابته حتى لقد كنت أنكت المخ فأخصّه به دون نفسي وولدي.

وكتب إلى ابن سعد في جواب ماكتب إليه: «أما محمد بن أبي بكر فإنه يوهب لأبي بكر ولعائشة أم المؤمنين، وأما ابن أبي حذيفة فإنه ابني وابن أخي وتربيتي وهو فرخ قريش». فكتب إليه ابن أبي سرح: «إن هذا الفرخ قد استوى ريشه ولم يبق إلا أن يطير». فبعث عثمان إلى ابن أبي حذيفة بثلاثين ألف درهم، ويحمل إليه كسوة، فأمر بذلك أجمع فوضع في المسجد، ثم قال: يامعشر المسلمين، ألا ترون إلى عثمان يخادعني عن ديني ويرشوني عليه، فازداد أهل مصر طعناً على عثمان رضي الله تعالى عنه، وإعظاماً لابن أبي حذيفة، واجتمعوا إليه فبايعوه على رئاستهم، فكتب إليه عثمان يذكره برّه به وتربيته إياه، وقيامه بشأنه، ويقول له: «إنك كفرت إحساني أحوج ماكنت إليّ بشكرك ومكافاتك» فلم يزل ابن ابي حذيفة يحرّض أهل مصر، ويؤلبهم على عثمان حتى سرّبهم إلى المدينة، فاجتمعوا عليه مع أهل المصرين، وكانوا أشدّهم في أمره، وشخص محمد بن أبي بكر معهم، فلما حوصر عثمان وثب محمد بن أبي حذيفة على عبد الله بن سعد، فطرده عن مصر؛ وصلى بالناس

١ - سورة الأنعام - الأية: ٩٣ .

وتولى أمر مصر.

فصار عبد الله بن سعد إلى فلسطين ثم لحق بمعاوية، ثم إنه صار بعد ذلك إلى إفريقية فقتل بها. ويقال: مات بفلسطين وكان قد أقام بها، وكان موته في آخر خلافة علي.

وبويع علي بن أبي طالب بعد مقتل عثمان - رضي الله عنهما - فولّى قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري مصر، وكان رجلاً جواداً أريباً، فقال ابن أبي سرح: أبعد الله ابن أبي حذيفة؛ بغى على ابن عمّه وسرّ[1] أهل بيته وسعى عليه حتى وليّ بعده من لم يمتّعه بسلطان بلده حولاً ولاشهراً ولم يره لذلك أهلاً.

وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن أبي مخنف لوط بن يحيى في اسناده قال:

لما بويع علي دعا قيس بن سعد الأنصاري فولاه المغرب، فشخص إلى مصر ومعه أهل بيته حتى دخلها فقرأ على أهها كتاباً من علي إليهم، ذكر فيه محمداً ﷺ وماخصّه الله به من نبوته، وأنزل عليه من كتابه، ، اكرم به المؤمنين من أتباعه، ثم ذكر أبا بكر وعمر؛ فوصف فضلهما وعدلهما وحسن سيرتهما وعلمهما وترحم عليهما. قال: «ثم وليّ بعدهما والٍ أحدث أحداثاً، وجد الناس بها عليه مقالاً، فلما نقموا غيّروا، ثم جاؤوني فبايعوني فاستهدي الله بالهدى واستعينه على التقوى»، وأعلمهم توليته قيس بن سعد بن عبادة لما ظن عنده من الخير، ورجا من قصده وايثاره الحق في أموره، وتقدمه إليه في العدل والإحسان، والشدة على المريب، والرفق بالخاصة والعامة، وأمرهم

١ - أي أفضل أهل بيته. القاموس.

بموازرته، ومكانفته، ومعاونته على الحق والعمل به.

فقام الناس فبايعوا علياً، واستقاموا لقيس إلا رجلاً يقال له: يزيد بن الحارث، وكان معتزلاً في قرية هناك، فبعث إلى قيس: إنا لانبايعك ولاننتزي عليك في سلطانك، فابعث عاملك فإن الأرض أرضك، ولكنا نتوقف حتى ننظر إلى مايصير أمر الناس.

ووثب مسلمة بن مخلد الساعدي من الأنصار؛ فنعى عثمان ودعا إلى الطلب بدمه، فأرسل إليه قيس ويحك أعليّ تثب؟ فوالله ماأحبّ أن أقتلك ولي ملك مصر والشام. فكُفّ ، فتاركه، وجبى قيس الخراج وليس أحد ينازعه.

وسار علي إلى الجمل، وقيس بمصر، وصار من البصرة إلى الكوفة وهو بمكانه، فكان أثقل خلق الله على معاوية، فكتب إليه قبل خروجه إلى صفين: «إنكم نقمتم على عثمان إثرة رأيتموها وأشياء سوى ذلك أنكرتموها، وأنتم تعلمون أن دمه لم يكن لكم حلالا، فركبتم عظيما وجئتم أمراً إدّاً، فأما صاحبك فقد استيقنّا أنه الذي ألّب الناس عليه وأغراهم به وحملهم على قتله، فهو ينتفي من ذلك مرة وُيقِرُّبه أخرى». ودعاه إلى الطلب بدم عثمان، فكتب إليه قيس: «قد فهمت كتابك، وأما قتل عثمان فإني لم أقاربه ولم أتّطف به، وأما صاحبي فلم أطلع منه على ماذكرت، وأما مادعوتني إليه فإن لي فيه نظراً وفكرة، وأنا كاف ولن يأتيك عني شيء تكرهه».

ثم كتب إليه معاوية كتاباً آخر؛ فأجابه قيس عنه ولم يقاربه فيما أراد من الالتواء على عليّ؛ والطلب بدم عثمان، فكتب إليه معاوية: «يايهودي بن

اليهودي». فأجابه قيس: «ياوثن بن الوثن، دخلتم في الإسلام كارهين، وخرجتم منه طائعين».

فلما يئس منه؛ كتم ماكتب به إليه وأظهر أن قيساً قد أجابه إلى المبايعة، ومتابعته على ماأراد، والدخول معه في أمره، فكتب على لسانه:

«للأمير معاوية؛ من قيس بن سعد، أما بعد فإن قتل عثمان كان حدثاً في الإسلام عظيماً. وقد نظرت لنفسي وديني فلم أره يسعني مظاهرة قوم قتلوا إمامهم مسلماً محرماً برّاً تقياً، فنستغفر الله لذنوبنا ونسأله العصمة لديننا، وقد ألقيت إليك بالسلم، وأجبتك إلى قتال قتلة إمام الهدى المظلوم».

فشاع في الناس ان قيساً قد صالح معاوية وسالمه، وسار به الركبان إلى العراق؛ وبلغ ذلك علياً، فاستشار عبد الله بن جعفر بن أبي طالب في أمره فأشار عليه بعزله، فإنه ليروّي في ذلك، ويصدّق بما بلغه مرة، ويكذّب أخرى، حتى ورد عليه كتاب من قيس بخبر الكناني وأهل القرية التي هو فيها، وبخبر ابن مخلد، وما رأى من متاركتهم والكف عنهم. فقال له ابن جعفر: مره ياأمير المؤمنين بقتالهم لتعرف حاله في مواطاة القوم على ماتركوا من بيعتك، ويصح لك حق مابلغك أو غير ذلك، ففعل وكتب إليه بذلك، فأجابه قيس: «إني قد عجبت من سرعتك إلى محاربة من أمرتني بمحاربته من عدوك، ومتى فعلت ذلك لم آمن أن يتساعد أعداؤك ويترافدوا ويجتمعوا من كل مكان فيغلظ الأمر، وتشتدّ الشوكة».

فقال له ابن جعفر: ألم يصح لك الآن الأمر؟ فولّ محمد بن أبي بكر، مصر يكفك أمرها، واعزل قيساً فإنه بلغني انه يقول: إن سلطاناً لايقوم إلا بقتل مسلمة بن مخلد لسلطان سوء ـ وكان ابن جعفر أخا محمد بن أبي بكر

لأمه أسماء بنت عميس تزوجها جعفر ثم خلف عليها أبو بكر - فعزل قيساً وولّى محمداً، فلما ورد محمد مصر؛ غضب قيس وقال: والله لاأقيم معك طرفة عين، وانصرف إلى المدينة، وقد كان مرّ في طريقه برجل من بني القين فقراه وأحسن ضيافته وأمر له بأربعة آلاف درهم فأبى أن يقبلها وقال: لا آخذ لقراي ثمناً. وكان قيس أحد الأسخياء الأجواد.

فلما ورد المدينة أتاه حسّان بن ثابت شامتاً - وكان عثمانياً - فقال له: نزعك عليّ وقد قتلت عثمان فبقي عليك الإثم ولم يحسن لك الشكر؛ فقال له: ياأعمى القلب والعين لولا أن أوقع بين قومي وقومك شرّاً لضربت عنقك؛ اخرج عني. وكان حسان من بني النجار من الخزرج.

ثم ان قيس بن سعد؛ خرج وسهل بن حنيف جميعا حتى قدما على عليّ بالكوفة؛ فخبره الخبر وصدقه، وشهد معه صفين، وشهدها سهل أيضاً.

ولما قدم محمد بن أبي بكر - رضي الله تعالى عنهما - مصر قرأ عهده على أهلها؛ ونسخته.

«هذا ماعهد عبد الله علي أمير المؤمنين؛ إلى محمد بن أبي بكر حين ولاه مصر، أمره بتقوى اللهوطاعته في خاص أمره وعامه، سره وعلانيته، وخوف الله ومراقبته في المغيب والمشهد، وباللين للمسلم والغلظة على الفاجر، وانصاف المظلوم، والتشديد على الظالم، والعفو عن الناس والإحسان [إليهم] مااستطاع فإن الله يجزي المحسنين، ويثيب المصلحين.

وأمره أن يجبي خراج الأرض على ماكان يجبى عليه من قبل، ولاينقص منه ولايبتدع فيه.

وأمره أن يلين حجابه ويفتح بابه، ويواسي بين الناس في مجلسه ووجهه

ونظره، وأن يحكم بالعدل ويقيم القسط ولايتبّع الهوى ولايأخذه في الله لومة لائم».

وكتب عبيد الله بن أبي رافع.

قالوا: وكتب محمد بن أبي بكر إلى معاوية: «من محمد بن أبي بكر إلى الغاوي معاوية بن صخر ـ وبعضهم يقول: العاوي، والغاوي أثبت ـ سلام على أهل طاعة اللهممن هو سلم لأهل ولاية الله.

أما بعد فإن الله بجلاله وقدرته وعظمته خلق خلقاً بلا ضعف كان منه، ولاحاجة به إلى خلقه، ولكنه خلقهم عبيداً وجعل منهم شقياً وسعيداً وغويّاً ورشيدا، ثم اختارهم بعلمه واصطفاهم بقدرته فانتحل منهم وانتجب محمداً ﷺ، فبعثه رسولاً وهادياً ودليلاً ونذيراً وبشيراً وسراجاً منيراً، فدعا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، فكان أول من أجاب وأناب ووافق وأسلم وسلّم أخوه وابن عمه علي بن أبي طالب، فصدقه بالغيب المكتوم، وآثره على كل حميم، ووقاه كل هول. واساه بنفسه في كل حال وحارب حربه وسالم سلمه، حتى برز سابقاً لانظير له ممن اتبعه، ولامشارك له في فضله، وقد أراك تساميه وأنت أنت، وهو السابق المبرّز في كل خير، أطيب الناس ذرية وأفضل الناس زوجة، وخير الناس ابن عم، أخوه الشاري نفسه يوم مؤتة، وعمه سيد الشهداء يوم أحد، وأبوه الذاب عن رسول الله ﷺ، وأنت اللعين بن اللعين لم تزل أنت وأبوك تبغيان لدين الله ورسوله الغوائل، وتحالفان عليه القبائل، وتبذلان فيه المال، وتحالفان فيه الرجال، على ذلك مات أبوك، وعليه خلفته وأنت، والشاهد عليه من تؤوي وتلحي من رؤوس أهل النفاق وبقية الأحزاب وذوي الشناءة لرسول الله ﷺ وأهل بيته،

والشاهد لعلي سبقه القديم وفضله المبين،وأنصار الدين الذين ذكروا في القرآن،فهم حوله عصائب،وبجنيبتيه كتائب يرجون الفضل في اتبّاعه ويخافون الشقاء في خلافه، فكيف تعدل نفسك بعليّ وهو كان أول الناس لرسول الله ﷺ اتباعاً،وآخرهم به عهداً، يشركه في أمره،ويطلعه على سرّه، وأنت عدوه وابن عدوه، فتمتع بباطلك وليمدد لك عمرو في غوايتك،فكأن قد أنقضى أجلك، ووهن كيدك فتستبين لمن تكون العاقبة.

واعلم أنك يامعاوية إنما تكايد ربك الذي قد أمنت كيده ومكره، ويئست من روحه، وهو لك بالمرصاد، وأنت منه في غرور، وبالله ورسوله وأهل بيته عنك الغنى،والسلام على من تاب وأناب».

فأجابه معاوية:

من معاوية بن أبي سفيان إلى محمد بن أبي بكر الزاري على أبيه.

سلام على من اتبع الهدى وتزود التقوى.

أما بعد فقد أتاني كتابك تذكر فيه ماالله أهله وماصطفى له رسوله، مع كلام لفقته وصنعته لرايك فيه تضعيف ولك فيه تعنيف، ذكرت حق ابن أبي طالب وسوابقه وقرابته من رسول الله ونصرته إياه، واحتججت عليّ بفضل غيرك لابفضلك، فاحمد إلهاً صرف عنك ذلك الفضل وجعله لغيرك، فقد كنا وأبوك معنا في حياة من نبينا نرى حق ابن أبي طالب لنا لازماً وفضله علينا مبرزاً،فلما اختار الله لنبيه ماعنده،وأتمّ له وعده وافلج حجته، وأظهر دعوته؛ قبضه الله إليه،فكان أبوك ـ وهو صديقه ـ وعمر ـ وهو فاروقه ـ أول من أنزله منزلته عندهما، فدعواه إلى أنفسهما فبايع لهما لايشركانه في أمرهما ولايطلعانه على سرّهما حتى مضيا وانقضى أمرهما،ثم قام عثمان ثالثاً يسير

بسيرتهما ويهتدي بهديهما، فعبته أنت وصاحبك حتى طمع فيه الأقاصي من أهل المعاصي وظهرتما له بالسوء وبطنتما حتى بلغتما فيه منا كما، فخذ ـ يا بن أبي بكر ـ حذرك وقس شبرك بفترك تقصر عن أن تسامي أو توازي من يزن الجبال حلمه، ويفصّل بين أهل الشك علمه، ولاتلين على قسر قناته.أبوك مَهَّدَ مهاده وثنى لملكه وساده فإن كان مانحن فيه صواباً فأبوك أوله، وإن كان خطأ فأبوك أسّسه ونحن شركاؤه، برأيه اقتدينا وفعله احتذينا، ولولا ماسبقنا إليه أبوك وانه لم يره موضعاً للأمر؛ ماخالفنا علي بن أبي طالب ولسلمنا إليه، ولكنا رأينا أباك فعل أمراً اتبعناه واقتفونا أثره، فعب أباك مابدا لك أو دع، والسّلام على من أجاب، وردّ غوايته وأناب».

قالوا: ولم يمكث محمد بن أبي بكر إلا يسيراً حتى بعث إلى أولئك القوم المعتزلين الذين كان قيس وادعهم فقال لهم: إما أن تبايعوا وتدخلوا في طاعتنا، وإما أن ترحلوا عنّا. فامتنعوا وأخذوا حذرهم وكانوا له هائبين؛ حتى أتى خبر الحكمين فاجترأوا عليه ونابذوه، فبعث ابن جُمَيهان البلوي إلى يزيد بن الحارث الكناني ومن قبله من أهل القرية التي كان بها، فقاتلوه فقتلوه، فبعث إليهم ابن أبي بكر رجلاً من كلب فقتلوه أيضاً.

وخرج معاوية بن حديج الكندي ثم السكوني، فدعا إلى الطلب بدم عثمان، وذلك أن معاوية دس إليه في ذلك وكاتبه فيما يقال وأرغبه، فأجاب ابن حديج بشرٌ كثير، وفسدت مصر على محمد بن أبي بكر، وبلغ علياً فساد أمره وانتشاره.

وكان علي قد ولّى قيس بن سعد ـ بعد أمر النهروان ـ أذربيجان وولّى الأشتر الجزيرة، فكان مقامه بنصيبين، فقال: مالمصر إلا أحد هذين

الرجلين، فكتب إلى مالك الأشتر: «إنك ممن أستظهر به على إقامة الدين، وأقمع ببأسه ونجدته نخوة الأثيم، وأسدّ به وبحزم رأيه الثغر المخوف». وأخبره بأمر ابن أبي بكر، وشرحه له، وأمره أن يستخلف على عمله بعض ثقاته ويقدم عليه، ففعل فولاه مصر.

وأتت معاوية عيونه بشخوص الأشتر والياً على مصر، فبعث إلى رأس أهل الخراج بالقلزم فقال له: إن الأشتر قادم عليك؛ فإن أنت لطفت لكفايتي إياه لم آخذ منك خراجاً مابقيت، فاحتل له بما قدرت عليه.

فخرج الأشتر حتى إذا أتى القلزم ـ وكان شخوصه من العراق في البحر ـ استقبله الرجل فأنزله وأكرمه وأتاه بطعام، فلما أكل قال له: أي الشراب أحب إليك أيّها الأمير؟ قال: العسل. فأتاه بشربة منه قد جعل فيها سمّاً، فلما شربها قتلته من يومه أو من غده.

وبلغت معاوية وفاته فقال: كانت لعلي يدان ـ يعني قيس بن سعد والأشتر ـ فقد قطعنا إحداهما، وجعل يقول: إن لله لجنداً من عسل.

وحدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي، حدثنا وهب بن جرير، عن ابن جعدبة، عن صالح بن كيسان قال: وجّه عليّ الأشتر إلى مصر والياً عليها حين وهن أمر ابن أبي بكر، فلما صار بعين شمس شرب شربة من عسل ـ يقال: انه سمّ فيها ـ؛ فمات، فكان عمرو بن العاص يقول: إن لله لجنداً من عسل.

قالوا: ولما ورد على عليّ خبر الأشتر، كتب إلى محمد بن أبي بكر وقد كان وجد من تولية الأشتر مكانه:

«أما بعد فإني لم أولّ الأشتر عملك استبطاءً لك في الجهد، ولا استقصاراً لأمرك في الجدّ، ولو نزعت ما تحت يدك من سلطانك لوليّتك

ما هو أيسر عليك مؤونة ، وأحبّ إليك ولاية منه ، وإن الرجل الذي وليته أمر مصر ؛ كان لنا نصيحاً ، وعلى عدوك وعدونا شديداً ، فقد استكمل أيامه ولاقى حمامه ونحن راضون عنه ، فأصحر للعدو ، وشمر للحرب و﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ [1] واستعن بالله واستكفه يعنك ويكفك إن شاء الله .

قالوا : ولما انصرف الحكمان وتفرقا وبويع معاوية بالخلافة ، قوي أمره واستعلى شأنه ، واختلف أهل العراق على علي ؛ فلم يكن لمعاوية همة إلا مصر ، وقد كان لأهلها هائبا ، لقربهم منه وشدتهم على من كان يرى رأيه ، فدعا عمرو بن العاص فولاه إياها على ما كان افترقا عليه ويقال : إنه دعا : عمرو بن العاص ، وحبيب بن مسلمة ، والضحاك بن قيس الفهري ، وبسر بن أبي أرطاة ، وعبدالرحمن بن خالد بن الوليد ، وأبا الأعور السلمي ، ومرّة بن مالك الهمداني وشرحبيل بن السمط الكندي ، فعرض ولايتها وحرب ابن أبي بكر عليهم فكرهوا ذلك إلا عمرو بن العاص ، ويقال : إن عمراً استبطأ معاوية في أمر مصر ؛ وما كان وعده من توليته إياها فدسّ إليه من أنشده هذين البيتين :

يا لك الخير انتهزها فرصة واشبب النار لمقرود يكزّ
أعطه مصر وزده مثلها انما مصر لمن عزّ فبزّ

فلما أراد الشخوص إلى مصر تقدم إليه معاوية في محاربة محمد بن أبي بكر وكتب ابن أبي بكر إلى علي ؛ يعلمه ولاية عمرو بن العاص مصر ، من قبل معاوية ويقول له : إنه توجه في جيش لجب ، وبمن قبلي من الفشل

١ ـ سورة النحل ـ الآية : ١٢٥ .

والوهن مالا انتفاع بهم معه ، فإن كانت لك بمصر حاجة فأمدّني بالأموال والرجال .

فكتب إليه يأمره بالتحرز والاحتراس ، وإذكاء العيون وجمع شيعته إليه ، وأن يندب كنانة بن بشر بن عتاب بن عوف السكوني ـ وهو الذي ضرب عثمان بن عفان بعمود على رأسه ـ إلى عدوه ، ويعلمه انه باعث إليه بالرجال على كل صعب وذلول ، فإن الله قد يعزّ أقل الفئتين بالحق ، ويذل أكثرهما بالباطل .

وخطب عليّ أهل الكوفة ودعاهم إلى إغاثة محمد بن أبي بكر ومن معه من أهل مصر ، فتقاعدوا ثم انتدب منهم جُنَيد أنفذهم إلى مصر ؛ مع كعب بن مالك الهمداني ، فلم يبلغوا حتى أتى علياً مقتل محمد بن أبي بكر ، فردهم من بعض الطريق وخطب فقال :

«الحمد لله الذي ابتلاني بمن لا يطيعني إذا أمرت ، ولا يجيبني إذا دعوت» . في كلام له .

وكتب معاوية إلى محمد ابن أبي بكر كتاباً يأمره فيه بالتنّحي والاعتزال . وشخص عمرو بن العاص من قبل معاوية في ستة آلاف ضمهم إليه ، فلما دنا من مصر ؛ كتب إلى ابن أبي بكر : «ان تنح عني بدمك فإني أكره أن يصيبك مني ظفر ، وقد صحّ عندي ووضح لي أن أهل البلد قد شنأوك ورفضوا رأيك وندموا على اتباعك» . فكتب محمد بن أبي بكر إلى معاوية وعمرو جواب كتابيهما بالتكذيب لهما فيما ادعيا لو ترك إجابتهما إلى ما أرادا ، وعزم على لقاء عمرو ، فقدم كنانة بن بشر ـ وهو التُجيبي نسب إلى تُجيب بنت ثوبان بن سليم من مذحج وهي أم ولد أشرس بن شبيب بن

السكون ـ وضمّ إليه زهاء ألفي رجل ، وأتبعه في مثل أولئك ، وورد عمرو فسرح الكتائب إليه كتيبة بعد كتيبة ، وجعل كنانة يستقدم فلا يلقى كتيبة إلا صبر على قتالها فيمن معه ، حتى جاء معاوية بن حديج بن جفنة بن قتير السكوني في الدهم فأحيط بكنانة ومن معه من خلفهم وأمامهم ، فأصيبوا ونزل كنانة فجالد بسيفه حتى قتل ، وأقبل الجيش نحو محمد بن أبي بكر فتفرق عنه أصحابه حتى بقي وما معه أحد ، فلما رأى ذلك خرج متعجلاً فمضى على الطريق حتى انتهى إلى خربة فآوى إليها ، وجاء عمرو فدخل القصر ، وخرج ابن حديج في طلب ابن أبي بكر ، فانتهى إلى أعلاج من القبط على قارعة الطريق فسألهم هل مرّ بهم أحد ينكرونه ويستريبون به ؟ فقال أحدهم : لا والله ولكني دخلت تلك الخربة فوجدت فيها رجلاً جالساً فقال ابن حديج : هو هو ورب الكعبة ، فانطلقوا يركضون دوابهم حتى دخلوا عليه فاستخرجوه وقد كاد يموت عطشاً ، فأقبلوا به نحو الفسطاط ، ووثب أخوه عبدالرحمن بن أبي بكر إلى عمرو وكان معه فقال : أيقتل أخي صبرا ؟ ابعث إلى ابن حديج فانهه عن قتله . فبعث إليه عمرو أن يأتيه بمحمد بن أبي بكر ، فقال : قتلتم كنانة بن بشر وهو ابن عمي وأخليّ عن محمد ، هيهات هيهات .

واستسقي محمد ماء فقال له ابن حديج : منعتم عثمان أن يشرب حتى قتلتموه صائماً فتلقاه الله بالرحيق المختوم ، والله لأقتلنك ظمآن حتى يلقاك الله بالحميم والغساق . فقال له : ليس هذا إليك لا أم لك ، أما والله لو أن سيفي في يدي ما بلغتم بي هذا ـ وكان ألقى سيفه ليختلط بالناس فلا يعرف ـ فقال معاوية بن حديج : إني قاتلك بعثمان الخليفة المظلوم ،

فقال محمد : إن عثمان عمل بالجور ، وترك حكم الكتاب فنقمنا ذلك عليه ، فقدمه فقتله وجعله في جوف حمار وحرقه بالنار .

فلما بلغ ذلك عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ جزعت عليه ، وقبضت عياله وولده إليها ، ولم تأكل مذ ذاك شواءاً حتى توفيت ، ولم تعثر قط إلا قالت : تعس معاوية بن حديج .

وفي بعض رواية الواقدي : ان كنانة بن بشر قتل يوم الدار ، وذلك باطل .

قالوا : وكتب عمرو بن العاص إلى معاوية بن أبي سفيان : «إنا لقينا محمد بن أبي بكر ، وكنانة بن بشر وهما في جموع أهل مصر ؛ فدعوناهم إلى الهدى والتنبه فغمطوا الحق ، وتهوكوا في الضلال فجاهدناهم واستنصرنا الله عليهم ، فضرب الله وجوههم وأدبارهم ومنحنا أكتافهم فقتل الله محمد بن أبي بكر ؛ وكنانة بن بشر ، وأماثل من كان معهما ، والحمد لله رب العالمين. والسلام» .

وبلغ علياً مقتل ابن أبي بكر ؛ فخطب الناس فقال : «ألا إن محمد ابن أبي بكر رحمه الله قتل ، وتغلب ابن النابغة ـ يعني عمرو بن العاص ـ على مصر ، فعند الله نحتسب محمداً ، فقد كان ممن ينتظر القضاء ويعمل للجزاء» . فتكلم بكلام كثير وبخ فيه أصحابه واستبطأهم وقال لهم :

«دعوتكم إلى غياث أصحابكم بمصر مذ بضع وخمسون ليلة فجرجرتم جرجرة البعير الأسرّ ، وتثاقلتم إلى الأرض تثاقل من ليست له نية في الجهاد ولا اكتساب الأجر في المعاد ، ثم خرج إليه منكم جُنيد ضعيف ﴿كأنما

يساقون إلى الموت وهم ينظرون﴾[١] .

وقيل لعلي : لشدّ ما جزعت على ابن أبي بكر ؟! فقال : «رحم الله محمدا انه كان غلاماً حدثاً ، ولقد أردت تولية مصر ، هاشم بن عتبة ولو وليّته إياها ما خلا لهم العرصة ، بلا ذمّ لمحمد ، فقد كان لي ربيباً وكان لبني أخي جعفر أخاً ، وكنت أعده ولداً» .

وكانت أم عبدالله بن جعفر أسماء بنت عميس فخلف عليها أبو بكر ، ثم علي رضي الله تعالى عنهما ، وكان محمد ربيب علي رضي الله تعالى عنهما .

وحدثني زهير بن حرب ـ أبو خيثمة ـ وأحمد بن إبراهيم الدورقي ، قالا : حدثنا وهب بن جرير بن حازم عن أبيه جرير بن حازم قال سمعت محمد بن سيرين قال : بعث علي قيس بن سعد بن عبادة أميراً على مصر ، فكتب إليه معاوية وعمرو بن العاص كتاباً أغلظا فيه وشتماه فكتب إليهما بكتاب لطيف قاربهما فيه ، فكتبا إليه يذكران شرفه وفضله ، فكتب إليهما بمثل جوابه كتابهما الأول ، فقالا : إنا لا نطيق مكر قيس بن سعد ، ولكنا نمكر به عند عليّ ، فبعثا بكتابه الأول إلى علي فلما قرأه قال أهل الكوفة : غدر والله قيس فاعزله . فقال عليّ : ويحكم أنا أعلم بقيس إنه والله ما غدر ولكنها إحدى فعلاته . قالوا : فإنا لا نرضى حتى تعزله . فعزله وبعث مكانه محمد بن أبي بكر ، فلما قدم عليه قال : إن معاوية وعمرو سيمكران بك ، فإذا كتبا إليك بكذا فاكتب بكذا ، فإذا فعلا كذا فافعل كذا ولا تخالف ما آمرك به فإن خالفته قتلت .

قالوا : وكتب علي إلى عبدالله بن عباس بمقتل محمد بن أبي بكر

١ ـ سورة الأنفال ـ الآية:٦.

وعبدالله بالبصرة ، قبل أن يكتب أبو الأسود الديلي إلى علي فيه ، وقبل أن تقع بينهما المنافرة ، وكان عبدالله قد نافر علياً بالنهروان ولحق بمكة .

وأما محمد بن أبي حذيفة :

فإن محمد بن أبي بكر خلّفه حين زحف إلى عمرو بن العاص على ما تحت يده ، فلما قتل ابن أبي بكر ؛ جمع من الناس مثل ما كان مع ابن أبي بكر وزحف نحو عمرو وأصحابه فآمنه عمرو ؛ ثم غدر به وحمله إلى معاوية ومعاوية بفلسطين ، فحبسه في سجن له ، فمكث غير طويل ثم إنه هرب وكان معاوية يحبّ نجاته ، فقال رجل من خثعم يقال له عبيدالله بن عمرو بن ظلام ـ وكان عثمانياً ـ : أنا أتبعه ، فخرج في خيل فلحقه بحوران وقد دخل غاراً فدلّ عليه فأخرجه وخاف أن يستبقيه معاوية ـ إن أتاه به ـ فضرب عنقه .

ويقال أيضاً : إن ابن أبي حذيفة توارى ، فطلبه عمرو بن العاص حتى قدر عليه وحمله إلى معاوية فحبسه ، ثم هرب من حبسه فلحق فقتل .

وقوم يقولون : إن ابن أبي حذيفة حين أخذ لم يزل في حبس معاوية إلى بعد مقتل حجر بن عدي ، ثم إنه هرب فطلبه مالك بن هبيرة بن خالد الكندي ثم السكوني ، ووضع الأرصاد عليه ، فلما ظفر به قتله غضباً لحجر ، وقد كان مالك بن هبيرة هذا التمس خلاص حجر حين قدم به على معاوية ، فألفاه قد قتل ، فأمر له معاوية بمائة ألف درهم حتى رضي .

حدثني بكر بن الهيثم ، حدثني عبد الله بن صالح ؛ عن الليث بن سعد ، قال : بلغنا أن محمد بن أبي حذيفة لما ولي قيس بن سعد شخص عن مصر يريد المدينة ـ أو يريد علياً ـ وبلغ معاوية خبر شخوصه فوضع عليه

الأرصاد حتى أخذ ، وحمل إليه فحبسه ، فتخلص من الحبس واتبعه رجل من اليمانية فقتله .

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا وهب بن جرير بن حازم ، عن ابن جعدبة ؛ عن صالح بن كيسان قال : خرج ابن أبي حذيفة من مصر ، يريد معاوية ، فحبسه فأفلت ودخل مغارة بفلسطين ، فأقبل رجل على دابة له وهو لا يشعر بمكانه ، فدخلت نعرة في منخر دابته[1] فنفرت حتى دخلت المغارة ، فأراد بعض من مع ابن أبي حذيفة قتله وقد عرفوه فنهاهم ابن أبي حذيفة عنه ، فمضى حتى دلّ عليهم ، فقتل ابن أبي حذيفة يومئذ .

وحدثني أبو خيثمة، وخلف بن سالم ، قالا : حدثنا وهب بن جرير عن ابن جعدبة عن صالح بن كيسان قال : لما اجتمع أمر معاوية وعمرو بن العاص بعد الجمل وقبل صفين ، سار عمرو في جيش إلى مصر ، فلما قرب منها لقيه محمد بن أبي حذيفة في الناس ، فلما رأى عمرو كثرة من معه أرسل إليه فالتقيا واجتمعا ، فقال له عمرو : إنه قد كان ما ترى وقد بايعت هذا الرجل وتابعته ، وما أنا راض بكثير من أمره ولكن له سنا ، وإني لأعلم أن صاحبك علياً أفضل من معاوية نفساً وقدما ، وأولى بهذا الأمر ، ولكن واعدني موعداً التقي أنا وأنت فيه على مهل في غير جيش تأتي في مائة راكب ليس معهم إلا السيوف في القرب وآتي في مثلهم . فتعاقدا وتعاهدا على ذلك ، واتعدا العريش لوقت جعلاه بينهما ، ثم تفرقا ، ورجع عمرو إلى معاوية ؛ فأخبره الخبر ، فلما حل الأجل ، سار كل واحد منهما إلى صاحبه في

١ ـ في هامش الأصل : النعرة خيال الصورة ، ذباب ضخم أزرق العين ، أخضر.مآبره في طرف ذنبه يلسع بها ذوات الحافر خاصة .

مائة راكب ، وجعل عمرو له جيشاً خلفه ، وكان ابن أبي حذيفة يتقدمه فينطوي خبره فلما التقيا بالعريش قدم جيش عمرو على إثره ، فعلم محمد أنه قد غدر به ، فانحاز إلى قصر بالعريش فتحّصن فيه ، فرماه عمرو بالمنجنيق حتى أخذ أخذاً فبعث به عمرو إلى معاوية فسجنه عنده ، وكانت ابنة قرظة امرأة معاوية ابنة عمة محمد بن أبي حذيفة ـ أمها فاطمة بنت عتبة بن ربيعة ـ تصنع له طعاماً وترسل به إليه وهو في السجن ، فلما سار معاوية إلى صفين ، أرسلت ابنة قرظة بشيء فيه مساحل من حديد إلى ابن أبي حذيفة ؛ فقطع بها الحديد عنه ، ثم جاء فاختبأ في مغارة بجبل الذيب بفلسطين فدل نبطي عليه رشدين مولى أبي حذيفة أبيه ، وكان معاوية خلفّه على فلسطين فأخذه فقال له محمد : أنشدك الله لما خلّيت سبيلي فقال له : أخلي سبيلك فتذهب إلى ابن أبي طالب وتقاتل معه ابن عمتك وابن عمك معاوية ، وقد كنت فيمن شايع علياً على قتل عثمان ، فقدمه فضرب عنقه .

وقال المدائني : وقد قيل إن محمد بن أبي حذيفة كان في جيش ابن أبي بكر ، فأخذ وبعث به إلى معاوية . والله أعلم .

أمر الخرّيت بن راشد السامي في خلافة علي عليه السلام

قال أبو مخنف وغيره : كان الخرّيت بن راشد السامي - من ولد سامة بن لويّ - مع عليّ بن أبي طالب في ثلاثمائة من بني ناجية، فشهد معه الجمل بالبصرة ، وشخص معه إلى صفين فشهد معه الحرب ، فلما حكم الحكمان مثّل بين يدي عليّ بالكوفة فقال له : والله لا أطعت أمرك ولا صليت خلفك ، فقال له عليّ ثكلتك أمك إذاً تعصي ربّك وتنكث عهدك ولا تضر إلا نفسك ؛ ولم تفعل ذلك ؟ قال : لأنّك حكّمت في الكتاب ، وضعفت عن الحق حين جدّ الجدّ ، وركنت إلى القوم الذين ظلموا أنفسهم ، فأنا عليك زار وعليهم ناقم ، فدعاه عليّ إلى أن يناظره ويفاتحه فقال : أعود إليك غدا .

ثم أتى قومه فأعلمهم ما جرى بينه وبين عليّ ، ولم يأت علياً وسار من تحت ليلته من الكوفة ومعه قومه ؛ وتوجه نحو كسكر ، فلقيه رجل من المسلمين في طريقه فسأله وأصحابه عن قوله في عليّ ؟ فقال فيه خيرا ، فوثبوا عليه بأسيافهم فقطعوه ، فكتب قرظة بن كعب وكان على طساسيج السواد ،

إلى علي : أنّ يهودياً سقط إلينا فأخبرنا أن خيلاً أقبلت من ناحية الكوفة ، فأتت قرية يقال لها : «نِفَّر»[١] فلقيت بها رجلاً من أهل تلك القرية يقال له : زاذان فرّوخ فسألته عن دينه قال : أنا مسلم . ثم سألوه عن أمير المؤمنين . فقال إمام هدى . فقطعوه بأسيافهم وانهم سألوا اليهودي عن دينه فقال : أنا يهودي . فخلوا سبيله فأتانا فأخبرنا بهذه القصة .

فكتب علي إلى أبي موسى الأشعري[٢] : إني كنت أمرتك بالمقام في دير أبي موسى فيمن ضممت إليك إلى أن يتضح خبر القوم الظالمي أنفسهم الباغين على أهل دينهم ، وقد بلغني أن جماعة مرّوا بقرية يقال لها : «نفر» فقتلوا رجلاً من أهل السواد مصلياً ، فانهض إليهم على اسم الله ، فإن لحقتهم فادعهم إلى الحق ، فإن أبوه فناجزهم واستعن بالله عليهم . ففاتوه ولم يلقهم. وذلك قبل خروج أبي موسى للحكم .

ويقال : إن علياً لم يكتب إلى أبي موسى في هذا الشيء ، وكان عليّ قد وجّه زياد بن خصفة وعبد الله بن وائل التيمي نحو البصرة في كثف ، فلحقهم زياد بالمزار ، وقد أقاموا هناك ليستريحوا ويرتحلوا ، فكره زياد حربهم على تلك الحال ـ وكان رفيقاً حازماً مجّرباً ـ ثم دعا زياد الخريت إلى أن ينتبذا ناحية فيتناظرا ، فتنحيا حجرة مع كل واحد منهما خمسة من أصحابه ، فسأل زياد الخريت عن الذي أخرجه إلى ما فعل فقال : لم أرض صاحبكم ولا سيرته ، فرأيت أن أعتزل وأكون مع من دعا إلى الشورى ، فسأله أن

١ ـ قرية من نواحي بابل من أعمال الكوفة .

٢ ـ كذا بالأصل وليس من المؤكد تعاون أبي موسى آنذاك مع الامام علي ، وفي كتاب الغارات للثقفي ـ ط . بيروت ١٩٨٧ ص ٢٢٤ ـ ٢٣٠ ، وأن الامام علي كتب إلى زياد بن حصفة .

يدفع إليه قتله الرّجل المصلي ، فأبى ذلك وقال : ما إليه سبيل ، فهلا أسلم صاحبك قتلة عثمان ؟ فدعا كل واحد أصحابه فاقتتلوا أشدّ قتال حتى تقصفت الرماح وانثنت السيوف وعقرت عامة خيلهم وحال بينهم الليل فتحاجزوا .

ثم إنهم مضوا من ليلتهم إلى البصرة ؛ واتبعهم زياد بن خصفة حين أصبح ، فلما صار إلى البصرة بلغه مضيّهم إلى الأهواز ، فلما صاروا إليها تلاحق بهم قوم كانوا بالكوفة من أصحابهم اتبعوهم بعد شخوصهم وانضم إليهم أعلاج وأكراد ، فكتب زياد إلى عليّ بخبرهم ، وبما كان بينه وبينهم بالمزار ، فكتب إليه علي بالقدوم .

وقام مَعْقِل بن قيس الرياحي فقال : أصلح الله أمير المؤمنين إن لقاءنا هؤلاء بأعدادهم ابقاء عليهم ، إن القوم عرب ؛ والعدة تصبر للعدة فتنتصف منها ، والرأي أن توجه إلى كل رجل عشرة من المسلمين ليجتاحوهم فأمره بالشخوص وندب معه أهل الكوفة ألفين فيهم يزيد بن المُغَفَّل الأزدي ، وكتب إلى ابن عباس أن يشخص جيشاً إلى الأهواز ليوافوا معقلاً بها وينضموا إليه.فوجه إليه خالد بن معدان الطائي في ألفي رجل من أهل البصرة فلحقوا به.فلما وافوا معقلاً نهض لمناجزة الخريت وألفافه وقد بلغه انه يريد قلعة برامهرمز ، فأجد السير نحوه حتى لحقه بقرب الجبل ، فحاربه وعلى ميمنته يزيد بن المغفل ، وعلى ميسرته منجاب بن راشد الضبي من أهل البصرة ، فما لبث السامي وأصحابه إلا قليلا حتى قتل من بني ناجية سبعون رجلا ، ومن اتباعه من العلوج والأكراد ثلاثمائة ؛ وولوا منهزمين حتى لحقوا بأسياف البحر ، وبها جماعة من قومهم من بني سامة بن لويّ ، ومن عبد

القيس ؛ فأفسدهم الخريت على عليّ ودعاهم إلى خلافه ، فصار معه بشر كثير منهم وممن والاهم من سائر العرب ، وقال : إن حكم علي الذي رضي به قد خلعه ، والأمر بين المسلمين شورى ، وقال لمن يرى رأي عثمان : إنه قتل مظلوماً وأنا أطلب بدمه .

وكتب عليّ إلى أهل الأسياف يدعوهم إلى الطاعة ، وأمر معقل بن قيس أن ينصب لهم راية أمان ؛ فنصبها فانفضّ عن الخريت عامة من اتبعه من الناس ، وكان معه قوم من النصارى أسلموا فاغتنموا فتنته فارتدّوا وأقاموا معه ، وارتدّ قوم ممن وراءهم .

وقال الخريت لقومه : امنعوا يا قوم حريمكم . فقال له رجل منهم : هذا ما جنيته علينا . فقال : سبق السيف العذل وقد صابت بقر(١) .

وكان الخريت يوهم للخوارج انه على رأيهم ، ويوهم للعثمانية انه يطلب بدم عثمان .

ثم إن معقلاً عبأ أصحابه وانشب الحرب بينه وبين الخريت ومن معه ، فصبرا ساعة ؛ وحمل النعمان بن صهبان على الخريت فطعنه طعنة فصرعه ونزل إليه فوجده قد استقل ، فحمل الخريت عليه فاختلفا ضربتين فقتله النعمان بضربته ، وقتل أكثر ذلك الجمع وهرب فلهّم يميناً وشمالاً .

وبعث معقل الخيل في مظان بني ناجية فأتى منهم برجال ونساء وصبيان: فأما من كان منهم مسلماً فإنه منّ عليه وخلّى سبيله ، وأمّا من كان نصرانيا أو مرتداً فإنه عرض عليهم الإسلام فمن قبله تركه ، ومن لم يقبله وكان نصرانياً سباه .

١ ـ فتنة باقرة : صادعة للألفة شاقة للعصا . وبيقر : هلك وفسد ، والبقارى : الكذب والداهية . القاموس .

وكتب معقل إلى عليّ : أما بعد فإني أخبر أمير المؤمنين أنا دفعنا إلى عدونا بالأسياف فوجدناهم قبائل ذات عدد وحدّ وجدّ ، قد جمعوا لنا وتحازبوا علينا ، فدعوناهم إلى الجماعة وبصّرناهم الرشد ، ورفعنا لهم راية أمان ففاءت منهم إلينا طائفة ، وبقيت طائفة أخرى منابذة فقاتلناهم ، فضرب الله وجوههم ونصرنا عليهم ، فأما من كان مسلما فمننا عليه وأخذنا بيعته وقبضنا صدقة ماله ، وأما من ارتدَ فإنا عرضنا عليه الإسلام فأسلموا إلا رجلاً واحداً فقتلناه ، وأما النصارى فإنا سبيناهم وأقبلنا بهم ليكونوا نكالاً لمن بعدهم من أهل الذمة ؛ كيلا يمنعوا الجزية ويجترئوا على قتال أهل القبلة .

وكان مصقلة بن هبيرة الشيباني عاملاً على أردشير خرّة من فارس ، فمرّ بهم عليه وهم خمسمائة إنسان فصاحوا إليه يا أبا الفضل يا فكاك العناة وحمال الأثقال وغياث المعصبين امنن علينا وافتدنا فأعتقنا ـ وكانت كنية مصقلة أبو الفضيل ولكنهم كرهوا تصغيرها ـ فوجّه مصقلة إلى معقل بن قيس من يسأل بيعتهم منه ، فسامه معقل بهم ألف ألف درهم ، فلم يزل يراوضه ويستنقصه حتى سلمهم إليه بخمسمائة ألف درهم ، ويقال بأربعمائة ألف درهم ودفعهم إليه ، فلما صاروا إلى مصقلة قال له معقل : عليّ بالمال . فقال : أنا باعث منه في وقتي هذا بصدر ثم متبعه صدراً حتى لا يبقى عليّ شيء منه .

وقدم معقل على عليّ فأخبره الخبر ؛ فصوبّه فيما صنع ، وامتنع مصقلة من البعثة بشيء من المال وكسره وخلى سبيل الأسرى فكتب عليّ في حمله وأنفذ الكتاب مع أبي حُرة الحنفي وأمره بأخذه بحمل ذلك المال فإن لم يفعل

أشخصه إلى ابن عباس ليأخذه به ، لأنه كان عامله على البصرة والأهواز وفارس ، والمتولّي لحمل ما في هذه النواحي من الأموال إليه ، فلم يدفع إليه من المال شيئاً ، فأشخصه إلى البصرة ، فلما وردها قيل له : إنك لو حملت هذا الشيء قومك لاحتملوه ، فأبى أن يكلفهم إياه ، ودافع ابن عباس به ، وقال : أما والله لو أني سألت ابن عفان أكثر منه لوهب لي ، وقد كان أطعم الأشعث خراج آذربيجان .

ثم انه احتال حتى هرب فلحقّ بمعاوية ، فقال عليّ : ماله ترّحه الله فعل فعل السيد وفرّ فرار العبد .

وقد يقال : إن أمر الخريت كان قبل شخوص ابن عباس إلى الشام في أمر الحكومة .

ويقال : أيضاً : إنه كان بعد انصرافه من الحكومة .

وحدثنا علي بن عبد الله المديني ، حدثنا سفيان بن عيينة عن عمار الدهني انه سمعه من أبي الطفيل : ان علياً سبى بني ناجية وكانوا نصارى قد أسلموا ثم ارتدّوا : فقتل مقاتلتهم وسبى الذرية فباعهم من مصقّلة بمائة ألف فأدّى خمسين وبقيت خمسون فأعتقهم ولحق بمعاوية ، فأجاز علي عتقهم . قال عمار : وأتى عليّ داره فشعثها .

وحدثني عبد الله بن صالح العجلي ، حدثنا سفيان ، عن عمار الدهني قال : قدمت مكة فلقيت أبا الطفيل عامر بن واثلة فقلت : إن قوماً يزعمون أن علياً سبى بني ناجية وهم مسلمون . فقال : إن معقل بن قيس الرياحي لما فرغ من حرب الخريت بن راشد الحروري سار على أسياف فارس ؛ فأتى على قوم من بني ناجية فقال : ما أنتم ؟ قالوا : قوم مسلمون . فتخطاهم ثم

أتى قوماً آخرين من بني ناجية فقال : ما أنتم ؟ قالوا : نصارى وقد كنا أسلمنا ثم رجعنا إلى النصرانية لعلمنا بفضلها على غيرها من الأديان . فوضع فيهم السيف فقتل وسبى ، وهم الذين باعهم عليّ من مصقلة بن هبيرة الشيباني .

قالوا : وكتب وجوه بكر بن وائل إلى مصقلة يذّمون رأيه في لحوقه بمعاوية وتركه عليا ، فأقرأ معاوية الكتاب فقال له : إنك عندي لغير ظنين فلا عليك أن لا تقرئني مثل هذا .

وكان نعيم بن هبيرة أخو مصقلة من شيعة علي ، فكتب إليه أن صر إليّ فقد كلمت معاوية في تأميرك واختصاصك ووطأت لك عنده ما تحب .

وبعث بالكتاب مع نصراني من نصارى تغلب يقال له : جلوان ، فظهر علي عليه وعلى الكتاب ، ورفع إليه أيضاً انه يتجسس فأمر به فقطعت يده فمات ، فقال نعيم بن هبيرة :

لا تأمنن هداك الله عن ثقة ... ريب الزمان ولا تبعث كجلوانا
ماذا أردت إلى إرساله سفها ... ترجو سقاط امرىء ما كان خوانا
عـرّضتـه لعـلي إنـه أســد ... يمشي العرضنة من آساد خفّانا
قد كنت في منظر عن ذا ومستمع ... تأوي العراق وتدعى خير شيبانا
لو كنت أديت مال القوم مصطبراً ... للحق أحييت بالإفضال موتانا
لكن لحقت بأهل الشام ملتمسا ... فضل ابن هند وذاك الرأي أشجانا
فالآن تكثر قرع السن من ندم ... وما تقول وقد كان الذي كانا
وظلت تبغضك الأحياء قاطبة ... لم يرفع الله بالبغضاء إنسانا

ثم إن معاوية بعد ذلك ولّى مصقلة طبرستان وبعثه في جيش عظيم ،

فأخذ العدو عليه المضائق فهلك وجيشه ، فقيل في المثل : حتى يرجع مصقلة من طبرستان .

وقالت بنو تغلب لمصقلة حين بلغها فعل عليّ بجلوان : عرّضت صاحبنا للقتل ، فودّاه .

وقال الكلبي : هدم عليّ دار مصقلة حين هرب إلى معاوية ، وتمثّل قول الشاعر :

أرى حـربـاً مفـرّقـة وسلما وعقداً ليس بالعقد الوكيع

وقال مصقلة حين بلغه قتل علي :

قضى وطراً منها علي فأصبحت إمارته فينـا أحاديث راكب

وقال مصقلة :

لعمرى لئن عاب أهل العراق عـليّ انتعاشي بني نـاجيـة
لأعـظم من عتقهم رقهـم وكـفي بـعتـقهـم عـاليـة
وزايـدت فيهم لإطـلاقهم وغـاليت إن العـلى غـاليـة

قالوا لعلي حين هرب مصقلة : اردد سبايا بني ناجية إلى الرق فإنك لم تستوف أثمانهم ، فقال : ليس ذاك في القضاء ؛ قد عتقوا ، وقال : أعتقهم مبتاعهم وصارت أثمانهم ديناً على معتقهم .

وقال الشاعر في بني ناجية :

سما لكم بالخيل قوداً عوابسا أخو ثقة ما يبرح الدهر غازيا
فصبّحكم في رجله وخيوله بضرب يرى منه المدجج هاويا
فأصبحتم من بعد كبر ونخوة عبيد العصا لا تمنعون الذراريا

أمر عبد الله بن عامر الحضرمي في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

قالوا : لما قتل محمد بن أبي بكر معاوية بن حديج من قبل عمرو بن العاص وظهر معاوية على مصر ، وذلك بعد الجمل وصفين والحكمين ؛ بعث معاوية عبد الله بن الحضرمي إلى البصرة وقال له : إن جلّ أهلها يرون رأينا في عثمان وقد قتلوا في الطلب بدمه ، فهم يودّون أن يأتيهم من يجمعهم وينظم أمرهم وينهض بهم في الطلب بثارهم ودم إمامهم ، فتودد الأزد ؛ فإنّ الأزد كلها سلمك ، ودع ربيعة فلن ينحرف عنك أحد سواهم لأنهم ترابية كلهم . وكتب إلى عمرو بن العاص :

إني نظرت في أمر البصرة ، فوجدت جلّ أهلها لنا أولياء ، ولعلي وشيعته أعداء ، وقد أوقع بهم الوقعة التي قد علمت ، فأحقاد تلك ثابتة في صدورهم ، والغلّ بها غير مزايل لقلوبهم ، وقد أطفأ الله بقتل ابن أبي بكر وفتح مصر نيراناً كانت بها الآفاق مشتعلة مشبوبة مستعرّة، ورفع بذلك رؤوس أنصارنا وأشياعنا حيث كانوا من البلاد ، وقد رأيت أن أبعث إلى أهل البصرة عبد الله بن عامر الحضرمي فينزل البصرة ويتودّد إلى الأزد ،

وينعى دم عثمان ، ويذكرهم وقعة علي فإنها أتت على صالحيهم من إخوتهم وآبائهم وأبنائهم .

فكتب إليه عمرو :

إنه لم يكن منك مذ نهضنا في هذه الحرب ؛ وانتضيناها ونابذنا أهلها رأيٌ هو أضرّ لعدوك ، وأسرّ لوليك من رأيك هذا الذي ألهمته ، ووفقت له ، فأمضه يا أمير المؤمنين مسددا ؛ فإنك توجه الصليب الأريب النصيح غير الظنين .

فلما جاءه كتاب عمرو ؛ سرح ابن الحضرمي إلى البصرة ، وأوصاه أن ينزل في مضر ، ويحذر ربيعة ، ويتودد إلى الأزد . فسار حتى قدم البصرة ونزل في بني تميم ، فأتاه العثمانية مسلمين عليه معظمين له مسرورين به ، فخطبهم فقال : إن إمامكم إمام الهدى قتله علي بن أبي طالب ظلما فطلبتم بدمه وقاتلتم من قتله ، فجزاكم الله من أهل مصر خيرا .

فقام إليه الضحاك بن قيس بن عبد الله الهلالي ـ وكان عبد الله بن عباس ولاه شرطته أيام ولايته ـ وقال : قبحّ الله ما جئتنا به وما تدعونا إليه أتيتنا والله بمثل ما أتانا به طلحة والزبير ، وإنهما جاءآنا وقد بايعنا علياً وبايعاه ، واستقامت أمورنا فحملانا على الفرقة حتى ضرب بعضنا بعضا ، ونحن الآن مجتمعون على بيعة هذا الرجل أيضاً ، وقد أقال العثرة وعفا عن المسيء ، فتأمرنا الآن أن ننتضي أسيافنا ثم نضرب بها بعضنا بعضاً ليكون معاوية أميراً ، والله ليوم من أيام عليّ مع النبي ﷺ خير من معاوية وآل معاوية .

ثم قام عبد الله بن خازم السلمي فقال للضحاك : أسكت فلست

بأهل أن تتكلم في أمور العامة ، ثم أقبل على ابن الحضرمي فقال : نحن أنصارك ويدك ، القول قولك .

ثم أمر ابن الحضرمي بقراءة كتاب كان معه من معاوية يذكرهم فيه آثار عثمان فيهم وحبّه العافية لهم وسدّه لثغورهم واعطاءه إياهم حقوقهم ، ويصف حاله وقتل من قتله مسلماً محرماً صائماً بغير دم انتهكه ، ويدعوهم إلى الطلب بدمه ويضمن لهم أن يعمل فيهم بالسنة ، ويعطيهم عطاءين في كل سنة ، ولا يحمل عنهم فضلاً من فيئهم أبدا .

فلما فرغ من قراءة الكتاب قام الأحنف بن قيس وقال : لا ناقتي في هذا ولا جمل واعتزل القوم .

وقام عمرو بن مرحوم العبدي فقال : أيها الناس الزموا طاعتكم وجماعتكم ولا تنكثوا بيعتكم فتقع بكم الواقعة ، وتصيبكم القارعة .

وقد كانت جماعة من العثمانية كتبوا إلى معاوية يهنونه بفتح مصر ، وقتل محمد بن أبي بكر ، ويسألونه أن يوجه إلى البصرة رجلاً يطلب بدم عثمان ليسمعوا له ويطيعوا ، فيقال : إن ذلك حدا معاوية على توجيه ابن الحضرمي .

وكان عباس بن صحار العبدي مخالفاً لقومه في حب علي ، فلما دعا ابن الحضرمي الناس إلى بيعة معاوية والطلب بدم عثمان قام إليه فقال : إني والذي له أسعى ، وإياه أخشى لننصرنك بأيدينا وألسنتنا .

فقال له المثنى بن مخربة العبدي : والله لئن لم ترجع إلى المكان الذي جئت منه لنجاهدنك بأسيافنا ونبالنا وأسنّة رماحنا ، فلا يغرّنك قول هذا ـ يعني عباس بن صحار ـ أترانا ندع طاعة ابن عم نبينا وندخل في طاعة حزب

من الأحزاب .

ثم أقبل ابن الحضرمي على صبرة بن شيمان العبدي فقال : يا صبرة أنت ناب من أنياب العرب ، وأحد الطلبة بدم عثمان فانصرني . فقال : لو نزلت في داري لنصرتك .

قالوا : وكثرت غاشية ابن الحضرمي وأتباعه فهال ذلك زياد بن أبي سفيان ورعّبه وراعه ـ وكان عبد الله بن عباس حين شخص إلى مكة مغاضباً لعليّ خلفّه على البصرة ، فلم ينزعه علي ، وكان يكاتبه عن ابن عباس على انه خليفته ، ثم كاتبه عليّ دون ابن عباس ـ فكاتب زياد علياً ، فلما رأى زياد ما صار إليه أمر ابن الحضرمي ؛ بعث إلى مالك بن مسمع وغيره من وجوه أهل البصرة فدعاهم إلى نصرته فلم يبعدوا ولم يحققوا ، وقال ابن مسمع : لن نسلمك ، فبعث زياد إلى صبرة بن شيمان فاستجار به فقال له : إن تحملت حتى تنزل في داري أجرتك وحميتك ، ففعل وانتقل إلى دار صبرة في الحدّان ليلاً وحمل معه ما كان في بيت المال من المال ويقال : إن أبا الأسود الدولي أشار على زياد بالبعث إلى صبرة والاستجارة به ، ولم يقلّد ابن عباس أبا الأسود شيئاً من البصرة حين شخص ، لأنه كان كتب فيه إلى عليّ ، وكتب زياد بالخبر إلى علي عن نفسه ، وقال بعضهم : كتب به إلى علي عن ابن عباس، وقيل بل كان ابن عباس عند علي وكتب به زياد إلى ابن عباس فأنهاه إلى عليّ ، ومن قال هذا قال : إن ابن عباس قد كان قدم على عليّ بعد مقتل ابن أبي بكر ، ثم عاد إلى البصرة ، وليس ذلك بثبت .

قالوا : وأشار العثمانية على ابن الحضرمي بنزول دار الإمارة حين خلاها زياد ، فلما تهيأ لذلك ودعا أصحابه لنزولها ركبت الأزد ؛ وقالوا :

والله لا ينزلها . وركب الأحنف بن قيس فقال لأصحاب ابن الحضرمي : لستم والله أحق بالقصر من القوم . فأمسكوا .

وكان نزول ابن الحضرمي في بني تميم في دار سَنبْيل ، وبعض البصريين يقول : صِنْبيل .

قالوا : واتخذ صبرة بن شيمان لزياد في مسجدهم ـ وهو مسجد الحدّان ـ منبراً وسريراً فصلى بهم زياد الجمعة ، وغلب ابن الحضرميّ على مايليه ، وخطب زياد فأثنى على الأزد وحضّهم على نصرته ، وقال : قد أصبح دمي فيكم مضموناً وصرت عندكم أمانة مؤداة ، وقد رأينا فعلكم يوم الجمل ، فاصبروا مع الحق كصبركم على الباطل ، فإنكم حيّ لا تحمدون على نجدة ، ولا تغدرون بغدر وختر .

وقام أبو صفرة ـ ولم يكن شهد الجمل ـ فقال : يا قوم إنكم كنتم أمس على عليّ فكونوا اليوم له ، واعلموا أن ردّكم جوار جاركم عليه ذل ، وخذلانكم إياه عار ، وأنتم قوم عادتكم الصبر ، وغايتكم الوفاء .

وقوم يزعمون أن المتكلم بهذا الكلام غير أبي صفرة ، وأن أبا صفرة كان توجه مع ابن عباس إلى صفين فمات في الطريق .

قالوا : وقام صبرة فقال : يا قوم هبوا لنا أنفسكم وامنعوا جاركم . وبعث تميم إلى الأزد : أن أخرجوا صاحبكم ونخرج صاحبنا فنبلغ كل واحد منهما مأمنه ، ثم يكون لنا أمير ولكم أمير حتى تتفق الناس على إمام . فأبت الأزد ذلك وقالوا : قد أجرنا زياداً ولن نخذ له ولا نسلمه ولا نصير إلى شيء دون إرادته .

فكتب زياد إلى عليّ بخبر بني تميم ، فلما وصل إليه كتابه دعا أعين بن

ضبيعة المجاشعي ، فقال له : يا أعين أما بلغك ميل قومك مع ابن الحضرمي على عاملي ونصرتهم له التماساً لشقاقي ومشايعة للقاسطين عليّ ، قال : فابعثني إليه أكفك إياه . فبعث به وكتب معه إلى زياد يعلمه أنه وجهه ليفرق قومه عن ابن الحضرمي فإن تفرقوا عنه وخذلوه وإلا نهض إلى ابن الحضرمي بمن أطاعه وتبعه منهم ومن غيرهم فحاكمه إلى الله وحده لا شريك له وحاربه .

فلما قدم أعين بن ضبيعة البصرة ، اجتمع إليه وجوه قومه فوعظهم ، ثم خرج بجماعة منهم فلقيت جماعة من أصحاب ابن الحضرميّ فناوشوهم ، ثم تحاجزوا ، ورجع أعين إلى منزله وتبعه عشرة ، يظن الناس أنهم خوارج - وكانوا من قيس - فلما آوى إلى فراشه بكعوه[1] بأسيافهم على الفراش ، فخرج عرياناً يعدو فلحقوه فقتلوه بالطريق .

وأراد زياد محاربة ابن الحضرمي حين أصيب أعين بن ضبيعة فأرسلت تميم إلى الأزد : إنا والله ما أردنا بجاركم مكروهاً فعلام تريدون المكروه بجارنا ؟ فكفوا وأمسكوا .

وكتب زياد إلى علي : أن أعين بن ضبيعة قدم علينا بجدّ ومناصحة وصدق يقين ، فجمع إليه من أطاعه ونهض بهم - وفسرّ له خبر وقعته ؛ ثم قال : - وإن قوماً من هذه الحرورية المارقة البريئة من الله ورسوله اتبعوه ، فلما آوى إلى فراشه أصابوه .

حدثني علي بن الأثرم ، عن معمر بن المثنى قال : دسّ ابن الحضرمي إلى أعين بن ضبيعة النفر الذين قتلوه .

---

١ - أي ضربوه ضرباً عنيفاً .

ويقال : إنه كان معهم متنكراً فطرقوه ليلا ، فجعل يقول ـ حين ضربوه ـ يا تميم ولا تميم ، يا حنظلة ولا حنظلة ، يا مجاشع ولا مجاشع ، وحمل إلى الأزد ؛ فدفن هناك فقبره في الأزد .

قالوا:ولما أتى علياً كتاب زياد ؛ بمقتل أعين بن ضبيعة ، دعا جارية بن قدامة التميمي ـ وكان قبله أشخصه ابن عباس إليه لمحاربة أهل النهروان ، فلم ينصرف إلى البصرة ـ فقال له : إن قومك بدّلوا ونكثوا ونقضوا بيعتي ، ومن العجب أن تمنع الأزد عاملي وتشاقني مضر ؛ وتنابذني ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ابعثني فبعثه .

فلما قدم البصرة بدأ بزياد ؛ فسلم عليه ، فحذره زياد ما لقي صاحبه ، فخرج جارية فقام في الأزد فجزاهم الخير ، وقال : عرفتم الحق إذ جهله غيركم وحفظتموه إذ ضيعوه ، وقرأ كتاباً كتبه عليّ إلى أهل البصرة معه يوبخهم فيه أشدّ التوبيخ ، ويعنفهم أشد التعنيف ، ويتوعدهم بالمسير إليهم إن ألجأوه إلى ذلك حتى يوقع بهم وقعة تكون وقعة يوم الجمل عندها لقعه ببعره[1] .

وكان صبرة حاضراً لقراءة الكتاب فقال : سمعاً وطاعة ، نحن لمن حارب أمير المؤمنين حرب ، ولمن سالم سلم .

وقام أبو صفرة فقال لزياد : والله لو أدركت الجمل ما قاتل قومي علياً ، وهو يوم بيوم ، وأمر بأمر ، والله إلى الجزاء بالحسنى أسرع منه إلى المكافاة بالسوء ، والتوبة مع الحوبة والعفو مع الندم .

وقال صبرة ـ أو غيره ـ : إنا والله نخاف من حرب عليّ في الآخرة ؛

١ ـ لقعه ببعره : رماه بها . النهاية لابن الأثير .

أعظم مما نخاف من حرب معاوية في الدنيا .

فلما أصبحوا سارت الأزد بزياد بن أبي سفيان ـ وكان يومئذ ينتسب إلى عبيد ـ وسار جارية بمن قدم معه ومن سارع إليه من بني تميم ؛ ودلفوا إلى ابن الحضرمي ، وعلى خيل ابن الحضرمي عبد الله بن خازم السّلمي فاقتتلوا ساعة ، وأقبل شريك بن الأعور الحارثي فصار مع جارية ، فما لبثوا : ابن الحضرمي وأصحابه أن هزموهم واضطروهم إلى دار سنبيل السعدي فحصروهم فيها يومهم ، وكان في الدار مع ابن الحضرمي عبد الله بن خازم ، فجاءت أمه ـ وكانت اسمها عجلى وكانت حبشية ـ فنادته فأشرف عليها ، فأخرجت ثدييها وقالت : أسألك بدريهما لما نزلت . فأبى ، فقالت : والله لتنزلن أو لأتعرنّ فأهوت بيدها إلى ثيابها ، فلما رآها نزل فمضت به إلى منزلها . ويقال : إنها حسرت قناعها فإذا شعرها أبيض ، ثم قالت : لئن لم تنزل لأتعرّنْ .

قالوا : وأحاط جارية بن قدامة بالدار الحطب والنار فقالت الأزد : لسنا من النار في شيء ، وهم قومك وأنت أعلم . فحرقها فهلك فيها ابن الحضرمي في سبعين رجلاً أحدهم عبد الرحمن بن عمير ، وسمي جارية محرّقا .

فلما هلك ابن الحضرمي قالت الأزد لزياد : أبقي علينا حق ؟ قال: لا . قالوا : فبرئنا من جوارك ؟ قال : نعم . فانصرفوا إلى رحالهم ، واستقام لزياد أمره ونزل القصر وحول إليه بيت المال ، وكتب بالفتح إلى علي مع ظبيان بن عمارة : «أما بعد فإن العبد الصالح جارية بن قدامة قدم من عندك فيمن أنهدتَ معه ؛ فناهض جمع ابن الحضرمي ففضه ثم اضطر ابن

الحضرمي إلى دار من دور البصرة في عدة من أصحابه ، فمنهم من حرق بالنار ، ومنهم من ألقي عليه جدار ، ومنهم من هدم عليه البيت من أعلاه سوى من قتل بالسيف ، فبعداً لمن عصى وغوى ، والسلام» .

وحدثني أبو الحسن المدائني قال : كانت دار سنبيل ـ ويقال : صنبيل ـ قصراً قديماً للفرس في الجاهلية ، وحوله خندق .

وحدثني العقوي الدلال عن أبي اليقظان ، عن أشياخه قالوا : اقتتل أصحاب ابن الحضرمي وأصحاب علي عند الجسر قتالاً شديداً ، فانهزم أصحاب ابن الحضرمي حتى دخلوا قصر سنبيل ، فطلب ابن الحضرمي الأمان من جارية بن قدامة فلم يؤمنه ، وطلب الأمان من زياد فلم يجبه إليه ، وكان معه عبد الله بن خازم ، فنادته أمه لينزل فأبى فكشفت رأسها كأنه ثغامة[1] ، وثديين كأنهما دلوان ، وأرادت التعري فنزل حين رأى ذلك ، وأحرق جارية الدار فاحترق ابن الحضرمي ، وذراع بن بدر الغّداني أخو حارثة بن بدر الغداني وسبعون رجلاً ، ورجع زياد إلى إمرته .

وحدثني علي بن المغيرة الأثرم ، عن أبي عبيدة ، قال : قدم جارية بن قدامة من عند علي في ألف ـ أو ألف وخمسمائة ـ فلما بلغ ذلك ابن الحضرمي أعدّ طعاماً وشراباً للحصار ، ورمّ حصناً كان لفارس في الجاهلية على نشزٍ ، وكان معاوية قد وعده أن يبعث إليه بالامداد ، فلما اقتتل وجارية بن قدامة عند الجسر ، انهزم حتى دخل الحصن ، وهو يومئذ لرجل يقال له : صنبيل ، فحصره فيه ، وكان معه عبد الله بن خازم بن أسماء بن الصلت السُّلمي ـ وأمه حبشية يقال لها : عجلى ـ فكشفت رأسها وثدييها وأرادت أن

١ ـ الثغام : شجر أبيض الزهر .

تتعرى ، فلما رأى ذلك من شأنها نزل ، فوهن أمر ابن الحضرمي في نفسه ، وطلب الأمان فلم يعطه ، وأمر جارية بجـمع الحطب حول الدار ، فنقل ما بلغ أعلى الحيطان ثم أشعل فيه النّار وأعان ذلك بالهدم ، فاحترق ابن الحضرمي ، ومن كان معه ، وعاد زياد إلى دار الإمارة ، فقال بعض الأزد ـ وقال المدائني : قالها العِرَنْدَس ـ :

أجـرنا زيـاداً وقد أُصْفِقَتْ ... عليـه تميم وخاف العـطب
فــلما رأوا أنــنــا دونــه ... وقد خام عنه جميع العرب
عوى الحضرمي عواء الكلاب ... وبصبص من خوفنا بالذنب
ومن كــانت الأزد أنصـاره ... أصـاب بنصرتهم ما طلب
رددنــا زيــاداً إلى داره ... ودار تمـيـم رمـاد ذهــب

وقال أبو الاسود الدولي :

أبى الله إلا أن للأزد فضلها ... وأنهم أوتــاد كــل بــلاد
أجاروا زياداً حين أسلم نفسه ... إليهم وكان الرأي رأي زياد
فأصبح في الحدّان والأزد دونه ... بسمر كأشطان الجرور حداد
له منبر يرقاه في كل جمعة ... وآلـة ملك شرطة ومنـاد(١)

وحـثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا أبو داود الطيالسي ، حدثنا قرة بن خالد السدوسي ، عن محمد بن سيرين ، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة قال : لما كان يوم الدار ـ يعني دار ابن الحضرمي ـ أشرفوا على ابن أبي بكرة فجعلوا يسبّونه ، فقال لهم جارية بن قدامة : لا تؤذوا أبا بكرة ولا تقولوا له

١ ـ في هامش الأصل أراد المؤذن . ولم ترد هذه الأبيات في ديوان أبي الأسود .

إلا خيرا ، قال : فأخبرتني أمي أن أبا بكرة قال : لو دخلوا إليّ ما بهشت[1] إليهم بقضيب .

وحدثني أحمد بن إبراهيم ، حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا أبي قال : سمعت محمد بن الزبير الحنظلي يحدث قال : لما قدم ابن الحضرمي وقدم جارية بن قدامة البصرة نزل ابن الحضرمي دار الحداني في جانب دار أبي بكرة ؛ فأتاه أصحاب علي فأحاطوا بالدار ، وكان في الدار ، رجل قد سماه فأتته أمه ـ وكان يقال لها : عجلى وكانت حبشية راعية ـ فقالت لابنها : إن أنت نزلت وإلا ألقيت قناعي . قال : فالقت قناعها فإذا شعرها مثل الثغامة[2] فلم ينزل فقالت : إن نزلت وإلا ألقيت ردائي فألقت رداءها فلم ينزل ، فقالت : إن نزلت وإلا ألقيت قميصي فلم ينزل ، فألقت قميصها وكانت في إزار ـ فقالت : إن نزلت وإلا ألقيت إزاري . فنزل ، وجاء أصحاب علي فأحاطوا بالدار وحرقوها بمن فيها .

وحدثنا خلف بن سالم ، حدثنا وهب ، عن أبيه ، عن محمد بن الزبير الحنظلي ، قال : بعث معاوية عبد الله بن عامر الحضرمي ـ وكان ابن خالة عثمان ، أمه أم طلحة بنت كريز ـ إلى البصرة ، وكان جارية بن قدامة قدم على معاوية فقال له : ابعث معي رجلاً ، فإن لك بالبصرة شيعة ، فبعث معه ابن الحضرمي ، فلما قدم ابن الحضرمي البصرة أتته الأزد فقالوا : انتقل إلى دورنا لنمنعك فإنا نخاف أن يغدر بك بنو سعد .

فقال : أخرجوا زياداً فإني غير جامعه في قوم . وكان زياد عاملاً لابن

١ ـ أي ما مددت .

٢ ـ في هامش الأصل : الثغام نبت أبيض .

عباس بفارس فأصاب مالاً فلجأ إلى الأزد فألجأه صبرة بن شيمان الحدّاني وأنزل معه فأبوا أن يخرجوه ، وأبى ابن الحضرمي أن ينتقل إليهم إلا بإخراج زياد ، وأنزله جارية في دار في مربعة الأحنف ، وأتاه ناس فيهم عبد الله بن خازم ، ثم تركه جارية فسار إليه أصحاب علي وأحاطوا بداره وقالوا : من خرج عنه فهو آمنٌ . فخرج ناس من الناس ، ولم يخرج ابن خازم فأتته أمه ـ وكانت حبشَية راعية اسمها عجلى ـ فنادته فأشرف عليها فقالت : انزل ، فألقت درعها وقامت في إزار ، وقالت : لتنزلنّ أو لألقينّ إزاري فأفضحك ؟ فنزل واشتعلت النيران في دار ابن الحضرمي التي كان عليها ، فاحترق هو ومن معه فيها ، فقال ابن أبي العَرَنْدَس :

رددنـا زيـاداً إلى داره وجـار تميم دخـانـاً ذهب
لحى الله قوماً شووا جارهم ولم يدفعوا عنه حرّ اللهب

والثبت : إنّ جارية لم يأت معاوية ، والخبر هو الأول .

١ ـ في هامش الأصل : بلغ العرض بالأصل الثالث ، ولله الحمد .

أمر الغارت بين علي ومعاوية

غارة الضحاك بن قيس الفهري :

قالوا : وجّه معاوية الضحاك بن قيس الفهري ـ ويكنى أبا أنيس حين بلغه أن علياً يدعو الناس إلى الخروج إليه وأن أصحابه مختلفون عليه ـ في خيل كثيفة جريدة ، وأمره أن يمرّ بأسفل واقصة فيغير على الأعراب ممّن كان على طاعة عليّ وعلى غيرهم ممن كان في طاعته ممن لقيه مجتازا ، وأن يصبح في بلد ويمسي في آخر ، ولا يقيم لخيل إن سرّحت إليه ، وإن عرضت له قاتلها ، وكانت تلك أول غارات معاوية .

فأقبل الضحاك إلى القطقطانة فيما بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف ، وجعل يأخذ أموال الناس من الأعراب وغيرهم ويقتل من ظنّ أنه على طاعة عليّ أو كان يهوىٰ هواه حتى بلغ الثعلبيّة ، وأغار على الحاج فأخذ امتعتهم ، ثم صار إلى القطقطانة منصرفاً ، ولقيه بالقطقطانة على طريق الحاج عمرو بن عميس بن مسعود ؛ أخي عبد الله بن مسعود فقتله ـ فلما ولاه معاوية الكوفة كان يقول : يا أهل الكوفة أنا أبو أنيس قاتل ابن عميس ، يعلمهم بذلك

أنه لا يهاب القتل وسفك الدماء ـ وأخذ طريق السماوة منصرفاً ، فلما بلغ علياً خبره قام في أهل الكوفة خطيباً فدعاهم إلى الخروج لقتال عدوّهم ومنع حريمهم ، فَرَدُّوا عليه ردّاً ضعيفا ورأى منهم فشلاً وعجزاً ، فقال : «وددت والله أنّ لي بكلّ عشرة منكم رجلاً من أهل الشام ، وأنيّ صرفتكم كما يصرف الذهب ، ولوددت أنيّ لقيتهم على بصيرتي فأراحني الله من مقاساتكم ومداراتكم كما يداري البكار العمدة والثياب المنهرئة كلما خيطت من جانب تهتكت من جانب .

ثم خرج يمشي إلى نحو الغريّين ، حتى لحقه عبد الله بن جعفر ؛ بدابة فركبها ولحقه الناس بعد ، فسرّح لطلبه حجر بن عدي الكندي في أربعة آلاف أعطاهم خمسين درهماً خمسين درهما .

فسار حجر حتى لحق الضحاك نحو تدمر فقاتله فأصاب من أصحابه تسعة عشر رجلاً ـ ويقال : سبعة عشر رجلاً ـ وقتل من أصحاب عليّ رجلان يقال : إنهما عبد الله وعبد الرحمن ابنا حوزة ـ وهما من الأزد ـ وحجز الليل بينهم فهرب الضحاك في الليل ، وأقام حجر يوماً أو يومين فلم يلق أحداً فانصرف .

وحدثني عبد الله بن صالح المقرىء ، حدثني أبو بكر بن عياش ، أنبأنا أبو حصين قال : خطب الضحاك بن قيس بالكوفة ـ وكان معاوية ولاه إياها حين مات زياد ـ فقال : إنه بلغني أن فيكم رجالاً يشتمون أئمة الهدى وينتقصون أمير المؤمنين عثمان ، والله لئن لم ينتهوا لأضعنّ فيكم سيف زياد وقلوسه[1] ثم لا تجدوني ضعيف السورة ، ولا كليل الشفرة ، والله إني لأول

١ ـ القلس : حبل من ليف أو خوص أو غيرهما . القاموس .

من غزا بلادكم وأغار عليها في الإسلام ، أنا الضحاك بن قيس أبو أنيس ، قاتل ابن عميس فأتّقوني .

قالوا : وخطب عليّ وبلغه أن قوماً ينتقصون أبا بكر وعمر رضي الله عنهم ، فذكر أبا بكر فقال : كان والله خير من بقي ، شبهه رسول الله بميكائيل رحمة وبإبراهيم حلماً ووقاراً ، فسار سيره رسول الله ﷺ حتى مضى . رحمة الله على أبي بكر الصديق ، ثم ولي عمر الأمر بعده واستشار المسلمين في ذلك فمنهم من رضي ومنهم من كره فكنت فيمن رضي فلم يفارق الدنيا حتى رضي به من كان كره فأقام الأمر على منهاج صاحبيه ؛ يتبع آثارهما كاتباع الفصيل أمّه ، وكان والله رحيماً للضعفاء ناصراً للمظلومين شديداً على الظالمين ، قوياً في أمر الله لا يأخذه فيه لومة لائم ضرب الله بالحق على لسانه حتى كنا نظنّ ان ملكا ينطق على لسان عمر ، شبهه رسول الله ﷺ بجبرائيل في غلظته في الأعداء ، وللغيظ على الكفار فمن أحبني فليحبهما ولكنه إن من أبغضهما فقد أبغضني وأنا منه بريء ولو كنت تقدمت إلى القائل ما قال لعاقبته فإنه لا ينبغي العقوبة قبل التقدمة ، فمن أتيت به يقول هذا القول جلّدته حدّ المفتري[1] .

حدثني أبو مسعود الكوفي ، عن أبيه ، عن أبي بكر بن عياش ، عن أبي حصين بمثله :

---

١ ـ في هامش الأصل : قول علي في أبي بكر وعمر رضي الله عنهم وعن جميع الصحابة .

غارة سفيان بن عوف بن المغفل الأزدي ثم الغامدي

قالوا : ودعا معاوية سفيان بن عوف الأزدي ثم الغامدي ؛ فسرّحه في ستة آلاف من أهل الشام ذوي بأس وأداة وأمره أن يلزم جانب الفرات الغربي حتى يأتي هيت فيغير على مسالح علي وأصحابه بها ؛ وبنواحيها ؛ ثم يأتي الأنبار فيفعل بها مثل ذلك حتى ينتهي إلى المدائن ، وحذّره أن يقرب الكوفة ، وقال له : إن الغارة تنخب قلوبهم وتكسر حدّهم وتقوي أنفس أوليائنا ومنّتهم ، فشخص سفيان في الستة آلاف المضمومين إليه ، فلما بلغ أهل هيت قربه منهم قطعوا الفرات إلى العبر الشرقي ، فلم يجد بها أحداً ، وأتى الأنبار فأغار عليها فقاتله من بها من قبل علي فأتى على كثير منهم ، وأخذ أموال الناس وقتل أشرس بن حسان البكري عامل علي ، ثم انصرف . وأتى علياً علج ، فأخبره الخبر ، وكان عليلاً لا يمكنه الخطبة ، فكتب كتاباً قرىء على الناس ، وقد أدني عليّ من السدة التي كان يخرج منها ليسمع القراءة ، وكانت نسخة الكتاب :

أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة ، فمن تركه ألبس ثوب

الذلة ، وشملة البلاء ، وديث بالصغار ، وسيم الخسف ، ومنع النصف ، وقد دعوتكم إلى جهاد هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً ، وعلانية وسرّا وأمرتكم أن تغزوهم قبل أن يغزوكم ، فإنه ما غزي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا ، فتواكلتم وتخاذلتم وثقل عليكم قولي ، وعصيتم أمري ، واتخذتموه وراءكم ظهريًا ، حتى شنّت عليكم الغارات من كل ناحية ، هذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار ، فقتل ابن حسان البكري ، وأزال مسالحكم عن مواضعها ، وقتل منكم رجالاً صالحين ، لقد بلغني أن الرجل من أهل الشام كان يدخل بيت المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فيأخذ حجلها وقلبها ورعاثها وقلادتها ، فيا عجبا عجبا يميت القلب ، ويجلب الهمّ ، ويسعر الأحزان من جّد هؤلاء القوم في باطلهم ، وفشلكم عن حقكم فقبحاً وترحا صرتم غرضاً يرمى ، يغار عليكم ولا تغيرون ، ويعصى الله فترضون ، إذا قلت لكم : اغزوا عدوكم في الحر ، قلتم : هذه حمارة القيظ من يغزو فيها ؟ أمهلنا ينسلخ الحر ، وإذا قلت : أغزوهم في أنف الشتاء ، قلتم الصرّ والقّر ، أفكّل هذا منكم فرار من الحر والقّر ؟ ! فأنتم والله من السيف أفر ، يا أشباه الرجال ، ولا رجال ، يا أحلام الأطفال وعقول ربات الحجال ، لوددت أني لم أركم وأن الله أخرجني من بين أظهركم فلقد وريتم صدري غيظا ، وجرعتموني نغب التهمام أنفاساً ، وأفسدتم على رأيي بالعصيان والخذلان حتى قالت قريش : ابن أبي طالب شجاع ، ولكنه لا علم له بالحرب . لله أبوهم وهل منهم أحد أشد لها مراساً ومقاساة مني ، لقد نهضت فيها وقد بلغت العشرين ، فهأنذا قد ذرفت على الستين.ولكنه لا رأي لمن لا يطاع. والسلام .

ثم إن علياً أتبعه سعيد بن قيس الهمداني . ويقال : قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري ، ويقال هانئ بن خطاب ، فبلغ صفّين ثم انصرف ، ويقال : إن سعيداً ـ أو قيساً ـ وجَّه هانئ بن خطاب فأتبعه حتى بلغ أداني أرض قنسرين .

غارة النعمان بن بشير الأنصاري

قالوا : وبعث معاوية النعمان بن بشير الأنصاري ، وأبا هريرة الدوسي بعد أبي مسلم الخولاني إلى عليّ يدعوانه إلى أن يسلّم قتلة عثمان بن عفان ليقتلوا به فيصلح أمر الناس ويكف الحرب ، وكان معاوية عالماً بأن علياً لا يفعل ذلك ، ولكنه أحبّ أن يشهد عليه عند أهل الشام بامتناعه من إسلام أولئك ؛ والتبري منهم فيشرع له أن يقول : إنه قتله فيزداد أهل الشام غيظاً عليه وحنقاً وبصيرة في محاربته وعداوته ، فلما صارا إليه فأبلغاه ما سأله معاوية امتنع من إجابتهما إلى شيء مما قدما له فانصرف أبو هريرة إلى الشام فأمره معاوية بأن يعلم الناس ما كان بينه وبين عليّ ، وأقام النعمان بعد أبي هريرة أشهراً وهو يظهر لعليّ انه معه ، ثم خرج فمرّ بعين التمر وعليها مالك بن كعب الهمداني فحبسه ليكتب إلى عليّ بخبره ، فركب إليه قرظة بن كعب الأنصاري ـ وكان على جباية الخراج بالنهرين والفلاليج ونواحيها وما والى ذلك من الطساسيج فكلمه فيه فخلى سبيله فأتى معاوية ؛ فأخبره ومن قبله بمثل ما أخبرهم به أبو هريرة . وهذا في أول الأمر .

قالوا : ثم إن معاوية ندب أصحابه لغارة نحو العراق فانتدب لها النعمان بن بشير ، فسرحه في ألفين وأمره بتجنّب المدن والجماعات ، وأن لا يغير على مسلحة ، وأن تكون إغارته على من بشاطىء الفرات ثم يعجل الرجعة .

فسار النعمان حتى دنا من عين التمر ؛ وبها مالك بن كعب في مائة وقد كان في أكثر منها إلا إنه أذن لأصحابه في الانصراف إلى الكوفة في حوائج لهم فانصرفوا ، فكتب إلى قرظة يستنجده فقال قرظة : إنما أنا صاحب خراج وليس معي إلا من يقوم بأمري فقط . ووجّه إليه مخنف بن سليم الأزدي عبد الرحمن بن مخنف في خمسين رجلاً وكان والياً على الحرب فيما يليه قرظة فقاتل مالك بن كعب النعمان حتى دفعه عن القرية ، فظن أهل الشام حين رأوا عبد الرحمن بن مخنف بن سليم ومن معه أنّه قد أتى مالكاً مدد كثيف ، فانهزموا حتى لحقوا بمعاوية ، وقتل منهم ثلاثة نفر ، ومن أصحاب علي رجل .

وقال النعمان : سرت ليلة فضللت ؛ ثم إني دفعت إلى ماء لبني القين وإذاً امرأة تطحن في خباء لها وهي تقول :

شربت على الجوزاء كأساً رويّة وأخرى على الشعراء إذ ما استقلّت
مشعشعة كانت قريش تصونها فلما استحلّت قتل عثمان حلّت

فعلمت أني في حد الشام وأنه قد بلغت مأمني واهتديت .

ويقال : إن هذه الغارة قبل غارة سفيان بن عوف .

وقد كان علي حين أتاه خبر النعمان بالكوفة ؛ خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

عجباً لكم يا أهل الكوفة كلما أطلّت عليكم سرية وأتاكم منسر من أهل الشام أغلق كل امرىءٍ منكم بابه ، قد انجحر في بيته انجحار الضب في جحره والضبع في وجارها ، والذليل والله من نصرتموه ، ومن رمىٰ بكم رمى بأفوق[1] ناصل ، فقبحاً لكم وترحاً ، وقد ناديتكم وناجيتكم فلا أحرار عند النداء ، ولا إخوان عند النجاء ، قد منيت منكم بصم لا يسمعون ، وبكم لا يعقلون ، وكمه لا يبصرون .

فيقال : إن علياً أتبع النعمان عدي بن حاتم الطائي فمضى حتى شارف قنسرين ثم انصرف .

ويقال : إن عبد الرحمن بن حوزة الأزدي قتل مع مالك بن كعب يومئذ ، وإن أخاه عبد الله قتل حين لقي حجر بن عدي الضحاك بن قيس الفهري .

ويقال : إن عبد الرحمن بن حوزة قاتل الحسين مع من قاتله . والثبت أن الذي قاتل الحسين رجل من بني تميم يقال له : عبد الله بن حوزة ، وهو غير هذا .

---

١ ـ الفوق : موضع الوتر من القوس ، والناصل السهم المكسور أو المنزوع نصله .

غارة ابن مسعدة الفزاري

قالوا : ودعا معاوية عبد الله بن مسعدة بن حكمة بن مالك بن حذيفة الفزارى ، فبعثه إلى تيماء ، وضمّ إليه ألفاً وسبع مائة[1] وأمره أن يصدق من مرّ به من العرب ، ويأخذ ؛ البيعة له على من أطاعه ، ويضع السيف على من عصاه ، ثم يصير إلى المدينة ومكة وأرض الحجاز ، وأن يكتب إليه في كل يوم بما يعمل به ويكون منه ، فانتهى ابن مسعدة إلى أمره ، وبلغ خبره علياً فندب المسيّب بن نجبة الفزاري في كثف من الناس فطلبه وقال له : إنك يا مسيّب من أثق بصلاحه وبأسه ، فسار حتى أتى الجناب ، ثم أتى تيماء وانضمّ إلى عبد الله بن مسعدة قوم من رهطه من بني فزارة ، وانضمّ إلى ابن نجبة قوم من رهطه أيضاً ، فالتقى هو وابن مسعدة فاقتتلوا قتالاً شديداً ؛ وأصابت ابن مسعدة جراحات ومضى قوم من أصحابه إلى الشام منهزمين لا يلوون عليه ، وبقي معه قوم منهم فلجأ ولجأوا إلى حائط حول حصن تيماء محيط به قديم ، فجمع المسيّب حوله الحطب وأشعل فيه النار ، فناشدوه أن

---

١ - في رواية أخرى «ألفين» (من الهامش) .

لا يحرقهم وكلم فيهم ، فأمر بإطفاء تلك النار .

وكان على الثلمة التي يخرج منها إلى طريق الشام عبد الرحمن بن أسماء الفزاري وهو الذي كان يقاتل يومئذ ويقول :

أنا ابن أسماء وهذا مصدقي أضربهم بصارم ذي رونق

فلما جنّ عليه الليل خلى سبيلهم فمضوا حتى لحقوا بمعاوية ، وأصبح المسيّب فلم يجد في الحصن أحدا ، فسأله بعض أصحابه أن يأذن له في اتباع القوم فأبى ذلك .

وقدم المسيب على عليّ وقد بلغه الخبر ؛ فحجبه أياماً ثم دعا به فوبخه وقال : حابيت قومك وداهنت وضيّعت ، فاعتذر إليه ؛ وكلمه وجوه أهل الكوفة في الرضاء عنه ؛ فلم يجبهم وربطه إلى سارية من سواري المسجد ، ويقال : إنه حبسه ثم دعابه فقال له : إنه قد كلمني فيك من أنت أرجى عندي منه ، فكرهت أن يكون لأحد منهم عندك يد دوني ، وأظهر الرضا عنه ، وولاه قبض الصدقة بالكوفة ، فأشرك في ذلك بينه وبين عبد الرحمن بن محمد الكندي ، ثم إنه حاسبهما فلم يجد عليهما شيئاً ؛ فوجّههما بعد ذلك في عمل ولاهما إياه ، فلم يجد عليهما سبيلا ، فقال : لو كان الناس كلهم مثل هذين الرجلين الصالحين ، ما ضرّ صاحب غنم لوخلاها بلا راع ، وما ضرّ المسلمات لاتغلق عليهنّ الأبواب ، وما ضر تاجر لو ألقى تجارته بالعراء .

غارة بسر بن أبي أرطاة القرشي

قالوا : كان عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ـ عامل علي على اليمن ـ أشتد على أهل صنعاء فيما يجب عليهم ، وطرد قوماً من شيعة عثمان عنها ، وكان سعيد بن نمران الهمداني على الجند ، فصنع مثل ذلك ، فتجمعت العثمانية وادعت أن الأمر قد أفضى إلى معاوية واجتمع الناس عليه ، فكتبا بذلك إلى علي فوجّه إليهما جبر بن نوف أبا الودّاك بكتاب ينسبهما فيه إلى العجز والوهن ، فأرجف عبيد الله وسعيد بن نمران بأن يزيد بن قيس الأرحبي قد فصل من عند علي في جيش عظيم يريدهم ، وسألا أبا الودّاك أن يحدث بذلك ويشيعه ففعل فكتبوا إلى معاوية

معاويَ إلا تسرع السير نحونا   نبايع علياً أو يزيد اليمانيا
وإن كان فيما عندنا لك حاجة   فأرسل أميراً لا يكن متوانيا

فبعث معاوية بسر بن أبي أرطاة بن عويمر ـ أحد بني عامر بن لوي ـ في ألفين وستمائة انتخبهم بسر ، وقال له : يا بسر إن مصر قد فتحت فعز وليّنا وذلّ عدونا ، فسر على اسم الله ، فمرّ بالمدينة فأخف أهلها وأذعرهم وهّول

عليهم حتى يروا أنك قاتلهم ، ثم كفّ عنهم وصر إلى مكة فلا تعرض فيها لأحد ، ثم امض إلى صنعاء فإن لنا بها شيعة فانصرهم واستعن بهم على عمال علي وأصحابه فقد أتاني كتابهم ، واقتل كل من كان في طاعة علي إذا امتنع من بيعتنا ، وخذ ما وجدت لهم من مال .

فلما دخل بسر المدينة أخاف أهلها وقال : إن بلدكم كان مهاجر نبيكم ومحل أزواجه والخلفاء الراشدين بعده ، فكفرتم نعمة الله عليكم ولم تحفظوا حق أئمتكم حتى قتل عثمان بينكم ، فكنتم بين خاذل له ومعين عليه ، ولم يزل يرهبهم حتى ظنّوا أنه موقع بهم ، ثم دعا الناس إلى بيعة معاوية فبايعه قوم وهرب منه قوم فهدم منازلهم .

وكان عامل علي على المدينة يومئذ أبا أيوب خالد بن زيد الأنصاري فتوارى فأمر بسر أبا هريرة أن يصلي بالناس .

ولما قرب بسر من مكة توارى قثم بن العباس ، وكان عليها ، فكان شيبة بن عثمان العبدري يصلي بالناس حتى قدم بسر ، فلما قدم لم يهج أهل مكة ولم يعرض لهم .

وقدم على علي بن أبي طالب عين له بالشام فأخبره بخبر بسر ـ يقال إنه قيس بن زرارة بن عمرو بن حطيان الهمداني ، وكان قيس هذا عيناً له بالشام يكتب إليه بالأخبار ـ ويقال : إن كتابه ورد عليه بخبر بسر ، فخطب علي الناس ووبخهم وندبهم للشخوص إليه ، فانتدب جارية بن قدامة التميمي فأمره ان يأتي البصرة فيكون شخوصه لطلب بسر منها .

ووجّه إليه وهب بن مسعود الخثعمي من الكوفة .

ثم لما قرب بسر من الطائف تلقاه المغيرة بن شعبة ـ وكان مقيماً

بالطائف معتزلاً لأمورهم لم يشخص إلى البصرة ولا حضر صفين ، إلا إنه شخص مع من شهد أمر الحكمين ثم انصرف إلى الطائف ـ فقال له : أحسن الله جزاك فقد بلغتني شدتك على العدو ، وإحسانك إلى الولي ، فدم على صالح ما أنت عليه فإنما يريد الله بالخير أهله . فقال : يا مغيرة إني أريد أن أوقع بأهل الطائف حتى يبايعوا لأمير المؤمنين معاوية . فقال : يا بسر ولم ؟ أَتَثِبُ على أولياءك بما تثب على أعدائك ؟ لا تفعل فيصير الناس جميعاً أعداؤك . فقال : صدقتني ونصحت لي .

وقتل بسر كعب بن عبدة وهو ذو الحبكة ، بتثليث[1] .

ومضى بسر حتى إذا شارف اليمن ؛ هرب عبيد الله وسعيد ـ وذلك الثبت ـ ويقال : أقاما حتى قدم فتحصنا ، ثم خرجا ليلاً فلحقا بعلي ، وخلف عبيد الله بن العباس على اليمن عبد الله بن عبد المدان الحارثي ، فلما قدمها بسر قتله وقتل ابنه مالك بن عبد الله .

ثم دعا الناس إلى بيعة معاوية فبايعوه له ، وقتل جماعة من شيعة علي .

وقال الهيثم بن عدي : حدثني يعقوب بن داود : أن عبيد الله كان عاملاً لعلي على اليمن ، فخرج إلى علي وخلف على صنعاء عمرو بن أراكة الثقفي ، فقدم عليه بسر من قبل معاوية فقتله ، فخرج عليه أخوه عبد الله فقال أبو أراكة :

لعمري لقد أردى ابن ارطاة فارساً بصنعاء كالليث الهزبر إلى أجر
فقلت لعبد الله إذحنّ باكيا تعزّ وماء العين منحدر يجري

١ ـ تثليث موضع بالحجاز قرب مكة . معجم البلدان .

فإنك إن تبعث عنيك لما مضى　　من الدهر أو ساق الحمام إلى قبر
لتنفـدن ماء الشؤون بـأسره　　وإن كنت تمريهنَّ من ثبج البحر
تبين فإن كان البكا ردّ هالكا　　على أحد فاجهد بكاك على عمرو
ولاتبك ميتاً بعد ميت أَجِلَّةٍ　　علي وعباس وآل أبي بكر

وكان عبيد الله بن العباس قد جعل ابنيه عبد الرحمن وقثم في قوم أمهما ـ وهي أم حكيم واسمها جويرية بنت قارظ الكناني ـ فلما انتهى بُسر إلى بلاد قومها قال : ائتوني بابني عبيد الله فلما أتي بهما قدمهما له فقتلهما فخرج نسوة من بني كنانة فقلن : هب الرجال يقتلون فما بال الولدان ؟! والله ما كانوا يقتلون في الجاهلية ؟ وإن سلطاناً لا يسدد إلا بقتل الأطفال لسلطان سوء ، فأراد أن يوقع بهن ثم أمسك .

وغيّب الغلامين أياماً طمعاً في أن يأتيه أبوهما ؛ ثم قتلهما : ذبحهما ذبحاً ، فرثتهما أمهما بأبيات وهي :

ها من أحسّ بنييّ اللذين هما　　كالدرتين تشّظا عنهما الصدف
ها من أحس بنيي اللذين هما　　قلبي وسمعي فقلبي اليوم مختطف
ها من أحس بنيي اللذين هما　　مخ العظام فمخي اليوم مزدهف
نبئت بسراً وما صدقت ما زعموا　　من قولهم ومن الإفك الذي اقترفوا
أنحى على ودجي طفليّ مرهفة　　مشحوذة وكذاك الإثم يقترف
من دلّ والهة حرّاء ثـاكلة　　على صببين ضلا إذ غدا السلف

وقالت أيضاً :

ألا من أبصر الأخوين أمّهما هي الثكلى　　تسائل من رأى ابنيها وتستبغي فما تبغى

وسار جارية بن قدامة السعدي حتى أتى اليمن فحرق بها وقتل قوماً

من شيعة عثمان ، وطلب بسراً فهرب فاتبعه إلى مكة ، وظفر بقوم من أصحابه فقتلهم . وقال جارية لأهل مكة . يا عباد الله بايعوا أمير المؤمنين علياً ، فقالوا : إنه قد هلك . قال : فبايعوا لمن بايعه أصحاب عليّ ففعلوا ذلك ، ثم أتى المدينة وقد اصطلح أهلها أن يصلي بهم أبو هريرة ، فقال لهم جارية : يا عباد الله بايعوا للحسن بن عليّ . فبايعوه ثم أقبل نحو الكوفة وتركهم فردّوا أبا هريرة فصلى بهم حتى اصطلح الناس .

وأما وهب بن مسعود الخثعمي فسار فلم يلحق بسراً ، ولم يظفر بأحد من أصحابه ويقال : إن علياً ردّه من الطريق .

وحدثنا أبو مسعود الكوفي ، عن عوانة ، أنّ وائل بن حجر الحضرميّ ، كان عثمانياً فاستأذن علياً في إتيان اليمن ليصلح له ما هناك ، ثم تعجل الرجوع فأذن له في ذلك ، فمالأ بسراً وأعانه على شيعة عليّ .

وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه ، عن أبي مخنف في إسناده : أنّ علياً لما بلغه خبر بسر بن أبي أرطاة ، وتوجيه معاوية إياه صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : «أما بعد فإني دعوتكم عوداً وبدءاً وسراً وجهراً ، في الليل والنهار ، والغدو والآصال ، فما زادكم دعائي إلا فراراً وإدباراً ، أما ينفعكم العظة والدعاء إلى الهدى ؟ وإني لعالم بما يصلحكم ويقيم أودكم ، ولكني والله لا أرى إصلاحكم بفساد نفسي ، إن من ذل المسلمين وهلاك هذا الدين ان ابن أبي سفيان يدعو الأشرار فيجاب وأدعوكم وأنتم الأفضلون الأخيار فتراوغون وتدافعون» .

وولّى علي بن أبي طالب يزيد بن حجية بن عامر من بني تيم الله بن

ثعلبة ؛ الري ودستبي وتستر فكسر الخراج فبعث إليه فحبسه ثم خرج فلحق بمعاوية .

وحدثني عباس بن هشام ، عن أبيه : أن عبيد الله بن العباس لما صار إلى معاوية ؛ وفارق الحسن بن علي ؛ رأى بسراً ، فقال له : أنت أمرت هذا اللعين بقتل ولديّ ؟ فقال : والله ما فعلت ولقد كرهت ذلك . فغضب بسر لقولهما وألقى سيفه إلى معاوية وقال له : خذه عني ولكن أمرتني أن أخبط به الناس فانتهيت إلى أمرك ، ثم أنت تقول لهذا ما تقول وهو بالأمس عدوك ؛ وأنا نصيحك دونه وظهيرك عليه فقال : خذ سيفك فإنك ضعيف الرأي حين تلقي سيفاً بين يدي رجل من بني هاشم وقد قتلت ابنيه ، فأخذ سيفه ، وقال عبيد الله : ما كنت لأقتل بسرا ، بأحد ابني ، هو ألأَمُ وأوضع وأحقر من ذلك ، والله ما أرى أني أدرك ثأرهما إلا بيزيد وعبد الله ابني معاوية ، فضحك معاوية وقال : ما ذنب يزيد وعبد الله فوالله ما أمرت ولا علمت ولا هويت . ـ وكان معاوية مائلاً إلى ولد العباس لأن جدته أم أبيه كانت صفية بنت حزن ، وكانت أم بني العباس لبابة بنت الحارث بن حزن ـ فقال ابن لعبيد الله من سرية تدعى جمانة : والله لا نرضى إلا بيزيد وعبد الله . فقال معاوية : لا أم لك فلولا كرامة أبيك لأطلت حبسك .

ثم إن بسراً بعد ذلك وسوس ، وكان يهذي بالسيف ، فجعل له سيف من خشب أو من عيدان ، وكانت الوسادة تدنى إليه فيضربها حتى يغشى عليه ، وربما أدني إليه زق فيضربه ، فلم يزل كذلك حتى مات في خلافة عبد الملك بن مروان ، ولم يزل معاوية يصل عبيد الله بالمال العظيم بعد المال حتى سلّ ما في قلبه .

وقال هشام بن الكلبي : أغار البياغ الكلبي على بكر بن وائل ؛ فأخذ سبيهم ، فبعث إليه عليّ الأسود بن عميرة بن جزء النهدي فردّ عليه البياغ السبي فقال :

رهنت يميني عن قضاعة كلها   فإبْتُ حميداً فيهم غير مغلق

قدوم يزيد بن شجرة الرهاوي مكة

قالوا : بعث معاوية يزيد بن شجرة الرهاوي ، من مذحج إلى مكة لإقامة الحج ، وكان على الموسم من قبل علي قثم بن العباس بن عبد المطلب وكان يزيد بن شجرة متألها متوقياً ، فلما أمره معاوية بالمسير ؛ قال له : إن كان لا يرضيك إلا الغشم ، وإخافة البريءفابعث غيري فقال له معاوية : سر راشداً ؛ فقد رضيت رأيك . وكان عثمانياً ممن شهد صفين مع معاوية .

فمضى وكتم أمره ، فأتى وادي القرى ، ثم الجحفة ، ثم قدم مكة ؛ في غرة من ذي حجة فأراد قثم بن العباس التنحي عن مكة ، إذ لم يكن في منعة وكان أبو سعيد الخدري حاجّاً ، وكان له ودّا ، فأشار عليه أن لا يفعل ، وبلغه أن معقل بن قيس الرياحي موافيه في جمع بعث بهم علي حين بلغه فصول ابن شجرة من الشام .

فأقام وأمر ابن شجرة مناديه فنادى في الناس بالأمان ، وقال : إني لم آت لقتال وإنما أصلي بالناس ، فإن شئتم فعلت ذلك ، وإلا فاختاروا من يقيم لكم الحج ، والله ما مع قثم منعة ، ولو أشاء أن آخذه لأخذته ، ولكني

لا أفعل ، ولا أصلي معه ، وأتى أبا سعيد فقال له : إن رأيت والي مكة كره ما جئنا له ونحن للصلاة معه كارهون ، فإن شاء اعتزل الصلاة وأعتزلها ، وتركنا أهل مكة يختارون من أحبّوا . فاصطلحوا على شيبة بن عثمان بن أبي طلحة العبدري ، فقال أبو سعيد : ما رأيت في أهل الشام مثل هذا ؟ وهب إلينا قبل أن نطلب إليه .

وقدم معقل يريد يزيد بن شجرة ؛ فلقي أخريات أصحابه بوادي القرى فأسر منهم ولم يقتل ، ثم صار إلى دومة الجندل وانصرف إلى الكوفة .

حدثني عباس بن هشام الكلبي ، [عن أبيه] عن أبي مخنف في إسناده قال : لما بلغ علياً توجيه معاوية يزيد بن شجرة ، دعا معقل بن قيس الرياحي فقال : إني أريد أن أرسلك إلى مكة لترد عنها قوماً من أهل الشام قد وجه إليها . فقال : أنا لهم فعقد اللواء واستنفر علي الناس معه ، فخطب فقال : «الحمد لله الذي لا يعز من غالبه ، ولا يفلح من كايده ، إنه بلغني أن خيلاً وجهت نحو مكة ؛ فيها رجل ؛ قد سمي لي ، فانتدبوا إليها رحمكم الله مع معقل بن قيس ، واحتسبوا في جهادكم والانتداب معه أعظم الأجر ، وصالح الذخر» .

فسكتوا فقام معقل فقال : أيها الناس انتدبوا فإنما هي أيام قلائل حتى ترجعوا إن شاء الله ، فإني أرجو أن لو قد سمعوا بنفيركم إليهم تفرقوا تفرق معزى الغزر[1] فوالله إن الجهاد في سبيل الله خير من المقام تحت سقوف البيوت ، والتضجيع خلف أعجاز النساء .

فقام الرباب بن صبرة بن هوذة الحنفي فقال : أنا أول منتدب .

١ ـ أي الكثيرة الدَرّ القاموس .

ثم وثب طعين بن الحارث الكندي ، فقال : وأنا منتدب وانتدب الناس .

فشخص لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة في ألف وتسعمائة ـ ويقال : سبع مائة ـ وأعطاهم علي مائة مائة .

وشخص يزيد بن شجرة من مكة لليلتين بقيتا من ذي الحجة ، وأغذ السير حتى خرج من أرض مكة والمدينة ، وهو يحمد الله على تمام حجه وأنه لم يقاتل في الحرم .

ولحق معقل أخريات أصحاب يزيد ، دون وادي القرى فأصاب منهم عشرة نفر ، وكره ابن شجرة أن يرجع للقتال ، فمضى إلى معاوية .

أمر ابن العشبة وأصحابه بالسماوة

قالوا : وبعث معاوية رجلاً من كلب يقال له : زهير بن مكحول ؛ من بني عامر الأجدار ؛ إلى السماوة ، فجعل يصدّق الناس ، فبلغ ذلك علياً فبعث ثلاثة نفر : جعفر بن عبد الله الأشجعي ، وعروة بن العشبة من كلب ، من بني عبدودّ ، والجلاس بن عمير ؛ من بني عدي بن خباب الكلبي ، وجعل الجلاس كاتباً له ليصدّقوا من كان في طاعته من كلب ، وبكر بن وائل ، فأخذوا على شاطىء الفرات حتى وافوا أرض كلب ، ووافوا زهير الأجداري فاقتتلوا ، فهزم زهير أصحاب علي ، وقتل جعفر بن عبد الله وأفلت الجلاس ، وأتى ابن العشبة علياً فعنفه وقال : جبنت وتعصبت فانهزمت ، وعلاه بالدرّة ، فغضب ولحق بمعاوية ، فهدم علي داره ، وكان زهير حمل ابن العشبة على فرس فلذلك اتهمه عليّ ، وقال ابن العشبة :

أبلـغ أبـا حسـن إذا ما جئتـه يدنيـك منـه الصبـح والأمســاء
لـو كنت آتيـنا عشـية جعفـر جاشـت إليك النفـس والأحشـاء
إذ نحسب الشجرات خلف ظهورنا خيـلاً وان أمامنـا صحـراء

إنا لقينا معشراً قبض الخصا فكأنهم يوم الوغى شجراء

ومرّ الجلاس براع فأعطاه جبّة خزّ ، وأعطاه الراعي عباءة ، وأخذ العلبة في يده وأدركته الخيل فقال : أين أخذ هؤلاء الترابيون ؟ فأشار إليه أخذوا هاهنا ، ثم أقبل إلى الكوفة فقال الجواس بن المعطل :

ونجا جلاساً علبة وعباءة وقولك إني جيد الصرّ حالب
ولو ثقفته بالشُّعَيْبِ خيولهم لأودى كما أودى سمير وحاطب
وصار لقى بين الفريقين مسلماً جباراً ولم يثأر به الدهر طالب

قال هشام بن الكلبي : هو عروة بن العشبة ، وسمي عوف بن عمرو بن عبدود «العشبة» ؛ لأنه كان كالعشب لقومه ، وعروة من ولده ، وبعضهم يقول عمرو بن العشبة ، وذلك باطل .

أمر مسلم بن عقبة المري بدومة الجندل

قالوا : وبعث معاوية ابن عقبة المري إلى أهل دومة الجندل ـ وكانوا قد توقفوا عن البيعة لعلي ومعاوية جميعاً ـ فدعاهم إلى طاعة معاوية وبيعته ، وبلغ ذلك علياً فبعث إلى مالك بن كعب الهمداني أن خلّف على عملك من تثق به وأقبل إليّ . ففعل واستخلف عبد الرحمن بن عبد الله الكندي فبعثه علي إلى دومة الجندل في ألف فارس ، فلم يشعر مسلم إلا وقد وافاه فاقتتلوا يوماً ثم انصرف مسلم منهزماً ، وأقام مالك أياماً يدعو أهل دومة الجندل إلى البيعة لعلي فلم يفعلوا ، وقالوا : لا نبايع حتى يجتمع الناس على إمام . فانصرف .

غارة الحارث بن نمر التنوخي

قالوا : لما قدم يزيد بن شجرة على معاوية ، وجه الحارث بن نمر التنوخي على خيل مقدّحة[١] فأمره أن يأتي الجزيرة فيسأل عمن كان في طاعة علي فيأتيه فأخذ من أهل دارا[٢] سبعة نفر من بني تغلب ثم أقبل بهم وشبيب بن عامر الأزدي عامل علي على نصيبين ـ وهو جد الكرماني صاحب خراسان ـ وقد كانت جماعة من بني تغلب انحازت عن علي إلى معاوية ؛ فكلموه في السبعة النفر فلم يجبهم إلى إطلاقه ، فاعتزلوه أيضاً . فكتب معاوية إلى علي:إن في أيديكم أسارى من أهل طاعتنا كان معقل بن قيس أخذهم بناحية وادي القرى ، ممن كان مع يزيد بن شجرة ، وفي أيدينا رجال من شيعتك أصبناهم ، فان أحببت خلينا من في أيدينا وخليتم من في أيديكم ، فأخرج عليّ النفر الذين قدم بهم معقل بن قيس من أصحاب ابن شجرة الرهاوي وكانوا محتبسين فبعث بهم إلى معاوية مع سعد مولاه ؛ وأطلق معاوية السبعة الذين أخذوا بدارا .

١ ـ أي مضمرة .
٢ ـ دارا : بلده بين نصيبين وماردين . معجم البلدان .

قالوا : وبعث علي رجلاً من خثعم يقال له : عبد الرحمن إلى ناحية الموصل والجزيرة لتسكين الناس ، فلقيه أولئك التغلبيون الذين اعتزلوا علياً ومعاوية فتشاتموا ثم تقاتلوا فقتلوه ، فأراد علي أن يوجّه إليهم جيشاً ، فكلمته ربيعة فيهم ، وقالوا : هم معتزلون لعدوك داخلون في أهل طاعتك ، وإنما قتلوا الخثعمي خطأ ، فأمسك عنهم ، وكان على هذه الجماعة من بني تغلب قرثع بن الحارث التغلبي .

غارة مالك الأشتر وهو عامل علي على الجزيرة ـ قبل شخوصه إلى مصر ـ واستخلافه شبيب بن عامر على الجزيرة

قالوا : بعث معاوية الضحاك بن قيس الفهري على ما كان من سلطانه [من] الجزيرة والرقة ، وحران ، والرها ، وقرقيسيا ، فبلغ ذلك الأشتر ، فسار من نصيبين يريد الضحاك واستمدّ الضحاك أهل الرقة ـ وكان جلّ من بها عثمانية هربوا من علي ـ فأمدّوه عليهم سماك بن مخرمة الأسديّ ، فعسكروا جميعاً بين الرقة وحران ، وأقبل إليهم الأشتر فاقتتلوا قتالاً شديداً وفشت فيهم الجراح ، وأسرع الأشتر فيهم ، فلما حجز الليل بينهم سار الضحاك من ليلته فنزل حران ، وأصبح الأشتر فأتبعهم حتى حاصرهم بحران ، وأتى الصريخ معاوية ؛ فدعا عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي ، فأمره بالمسير لإنجاد الضحاك ؛ فلما بلغ الأشتر ذلك كتّب كتائبه ليعاجل الضحاك ، ثم نادى ألا إن الحي عزيز ، ألا إن الذمار منيع ألا تنزلون أيتها الثعالب الروّاغة ، ثم مضى فمرّ بالرقة فتحصنوا منه وأتى قرقيسيا فتحصنوا منه ، وبلغ عبد الرحمن بن خالد انصرافه فأقام وقال أيمن بن خريم بن فاتك الأسدي :

لولا مقام عشيرتي وطعانهم وجلادهم بالسيف أيّ جلاد
لأتاك أشتر مذحج لاينثني بالسيف ذا حنق وذا إرعاد[1]

١ ـ قصيدة ابن خريم كلها في الغارات ص ٢١٦ .

غارة عبد الرحمن بن قباث بن أشيم الكناني

قالوا : وكان كميل بن زياد النخعي على هيت في جند من شيعة علي فلما أغار سفيان بن عوف على الأنبار ، كان كميل قد أتى ناحية قرقيسيا لمواقعة قوم بلغه انهم قد أجمعوا على أن يغيروا على هيت ونواحيها ، فقال : أبدأهم قبل أن يبدأوني فإنه يقال: ابدأهم بالصراخ يفر. فاستخلف على هيت وشخص بجميع أصحابه ، فلما قربهم جيش سفيان عبر أهل هيت ومن بقي بها من أصحاب كميل وكانوا خمسين رجلاً ، فأغضب ذلك علياً وأحفظه فكتب إليه : «إن تضييع المرء ما وليّ وتكلفه ما كفي عجز ، وإن تركك عملك وتخطيّك إياه إلى قرقيسيا خطأ وجهل ورأي شعاع» . ووجد عليه وقال : إنه لاعذر لك عندي ، فكان كميل مقيماً على نجوم[1] وغمّ لغضب عليّ ؛ فبينا هو على ذلك إذ أتاه كتاب شبيب بن عامر الأزدي من نصيبين في رقعة كأنها لسان كلب يعلمه فيه أن عيناً له كتب إليه يعلمه أن معاوية قد وجّه عبد الرحمن بن قباث نحو الجزيرة ، وأنه لا يدري أيريد

١ ـ تنجم : رعى النجوم من سهر أو عشق . القاموس .

ناحيته أم ناحية الفرات وهيت . فقال كميل إن كان ابن قباث يريدنا لنتلقينه ، وإن كان يريد إخواننا بنصيبين ؛ لنعترضنه فإن ظفرت أذهبت موجدة أمير المؤمنين فأغنيت عنه ، وإن استشهدت فذلك الفوز العظيم ، وإن أبقى رجوت الأجر الجزيل ، فأشير عليه ؛ باستئمار علي ، فأبى ذلك ونهض يريد ابن قباث في أربعمائة فارس ، وخلف رجالته وهم ستمائة في هيت ، وجعل يجبس من لحقه ليطوي الأخبار عن عدوه ، وأتاه الخبر بانحيازه من الرقة نحو رأس العين ، ومصيره إلى كفرتوثا[1] وكان ينشد في طريقه كثيراً :

يا خير من جر له خير القدر فالله ذو الآلاء أعلى وأبـرّ
يخـذل من شـاء ومن شاء نصر

ثم أغذّ السير نحو كفرتوثا ، فتلقاه ابن قباث ومعن بن يزيد السلمي بها في أربعمائة وألفين ، فواقعها كميل ففضّ عسكرهما وغلب عليه وقتل من أصحابهما بشراً ، فأمر أن لا يتبع مدبر ولا يجهز على جريح ، وقتل من أصحاب كميل رجلان ، وكتب بالفتح إلى علي ، فجزاه الخير وأجابه جواباً حسنا .

قالوا : وأقبل شبيَب بن عامر ؛ من نصيبين في ستمائة فارس ورجالة ، ويقال : في أكثر من هذا العدد ، فوجد كميلاً قد أوقع بالقوم واجتاحهم فهنّاه بالظفر وقال : والله لأتبعن القوم فإن لقيتهم لم يزدهم لقائي ألا هلاكاً وفلا ، وإن لم ألقهم لم أثنّ أعنة الخيل حتى أطأ أرض الشام وطوى

١ - قرية كبيرة من أعمال الجزيرة ، بينها وبين دارا خمسة فراسخ ، وهي بين دارا ورأس عين . معجم البلدان .

خبره عن أصحابه فلم يعلمهم أين يريد ، فسار حتى صار إلى جسر منبج فقطع الفرات ، ووجّه خيله فأغارت ببعلبك[1] وأرضها ، وبلغ معاوية خبر شبيب ، فوجه حبيب بن مسلمة للقائه ، فرجع شبيب فأغار على نواحي الرقة فلم يدع للعثمانية بها ماشية إلا استاقها ولا خيلاً ولا سلاحاً إلا أخذه ، وكتب بذلك إلى علي حين انصرف نواحي نصيبين ، فكتب إليه ينهاه عن أخذ مواشي الناس وأموالهم إلا الخيل والسلاح الذي يقاتلون به ، وقال : رحم الله شبيبا لقد أبعد الغارة وعجل الانتصار .

١ ـ كذا بالأصل ، ويصعب قبول ذلك .

غارة زياد بن خصفة بن ثقف التميمي على جانب الشام واستثارة علي أهل الكوفة لقتال معاوية

قالوا : لما استنفر علي أهل الكوفة فتثاقلوا وتباطأوا ؛ عاتبهم ووبّخهم، فلما تبين منهم العجز وخشي منهم التمام على الخذلان، جمع أشراف أهل الكوفة ودعا شيعته الذين يثق بمناصحتهم وطاعتهم فقال : الحمد لله ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله أما بعد أيها الناس فإنكم دعوتموني إلى هذه البيعة فلم أردّكم عنها ، ثم بايعتموني على الإمارة ولم أسألكم أيّاها فتوثب علي متوثبون ؛ كفى الله مؤونتهم وصرعهم لخدودهم وأتعس جدودهم ، وجعل دائرة السوء عليهم ، وبقيت طائفة تحدث في الاسلام أحداثا ، تعمل بالهوى ، وتحكم بغير الحق ، ليست بأهل لما ادّعت ، وهم إذا قيل لهم : تقدّموا قدماً تقدّموا ، وإذا قيل لهم أقبلوا [أقبلوا] لا يعرفون الحقّ كمعرفتهم الباطل ، ولا يبطلون كإبطالهم الحق ، أما إني قد سئمت من عتابكم وخطابكم فبينوا لي ما أنتم فاعلون ، فإن كنتم شاخصين معي إلى عدوي ، فهو ما أطلب وأحب ، وإن كنتم غير فاعلين فاكشفوا لي عن أمركم أرى رأيي ، فوالله لئن لم تخرجوا معي بأجمعكم إلى

عدوكم فتقاتلوهم ﴿حتى يحكم الله بيننا﴾ وبينهم ﴿وهو خير الحاكمين﴾[١] لأدعون الله عليكم ، ثم لأسيرن إلى عدوكم ولو لم يكن معي إلا عشرة ، أأجلاف أهل الشام وأعرابها أصبر على نصرة الضلال ، وأشد اجتماعاً على الباطل منكم على هداكم وحقكم ، ما بالكم ، ما دواؤكم ؟ إن القوم أمثالكم لا ينشرون إن قتلوا إلى يوم القيامة .

فقام إليه سعيد بن قيس الهمداني فقال : يا أمير المؤمنين مرنا بأمرك ؛ والله ما يكبر جزعنا على عشائرنا إن هلكت ، ولا على أموالنا إن نفدت في طاعتك ومؤازرتك .

وقام إليه زياد بن خصفة فقال : يا أمير المؤمنين أنت والله أحق من استقامت له طاعتنا ، وحسنت مناصحتنا ، وهل ندخر طاعتنا بعدك لأحد مثلك ، مرني بما أحببت مما تمتحن به طاعتي .

وقام إليه سويد بن الحارث التيمي من تيم الرباب فقال : يا أمير المؤمنين مر الرؤساء من شيعتك فليجمع كل امرىء منهم أصحابه فيحثهم على الخروج معك ، وليقرأ عليهم القرآن ، ويخوفهم عواقب الغدر والعصيان ، ويضم إليه من أطاعه وليأخذهم بالشخوص .

فلقي الناس بعضهم بعضاً ، وتعاذلوا وتلاوموا ، وذكروا ما يخافون من استجابة دعائه عليهم إن دعا ، فأجمع رأي الناس على الخروج وبايع حجر بن عديّ أربعة آلاف من الشيعة على الموت ، وبايع زياد بن خصفة البكري نحو من ألفي رجل ، وبايع معقل بن قيس نحو من ألفي رجل ، وبايع عبد الله بن وهب السبأي[٢] نحو من ألف رجل .

١ ـ سورة الأعراف ـ الآية : ٨٧ .
٢ ـ في الهامش : نسب إلى أمه سبأ .

وأتى زياد بن خصفة علياً فقال له : أرى الناس مجتمعين على المسير معك ؛ فأحمد الله ياأمير المؤمنين . فحمد الله ثم قال : ألا تدلوني على رجل حسيب صليب يحشر الناس علينا من السواد ونواحيه ؛ فقال سعيد بن قيس : أنا والله أدلك عليه : معقل بن قيس الحنظلي ، فهو الحسيب الصليب الذي قد جربته وبلوته ، وعرفناه وعرفته ، فدعاه علي وأمره بتعجيل الخروج لحشر الناس ، فإن الناس قد انقادوا للخروج .

ثم قال زياد بن خصفة : يا أمير المؤمنين قد اجتمع لي من قد اجتمع فأذن لي أن أخرج بأهل القوة منهم ، ثم ألزم بشاطىء الفرات حتى أغير على جانب من الشام وأرضها ؛ ثم أعجل الانصراف قبل وقت الشخوص واجتماع من بعث أمير المؤمنين في حشره ، فإن ذلك مما يرهبهم ويهدهم . قال : فامض على بركة الله ؛ فلا تظلمنّ أحدا ، لا تقاتلن إلا من قاتلك ، ولا تعرضنّ للأعراب . فأخذ على شاطىء الفرات فأغار على نواحي الشام ، ثم انصرف ، ووجه معاوية عبد الرحمن بن خالد بن الوليد في طلبه ففاته ، وقدم زياد هيت فأقام بها ينتظر قدوم علي .

وخرج معقل لما وجّه له ، فلما صار بالدسكرة بلغه أنّ الأكراد قد أغارت على شهرزور ، فخرج في آثارهم فلحقهم حتى دخل الجبل فانصرف عنهم ، ثم لما فرغ من حشر الناس وأقبل راجعاً فصار إلى المدائن بلغه نعي علي ، فسار حتى دخل الكوفة ، ورجع زياد من هيت .

وحدثني عباس بن هشام الكلبي ، عن أبيه عن عوانة بن الحكم قال : خطب علي الناس ودعاهم إلى الخفوف إلى غزو أهل الشام ، وأمر الحارث الأعور بالنداء فيهم فلم يوافه إلا نحو من ثلاثمائة ، فخطبهم

وويخهم فاستحيوا فاجتمع منهم ألوف فتعاقدوا على الشخوص معه ، وأجمع رأيهم على الإقامة شتوتهم ثم الخروج في الفصل ، فإنهم على ذلك إذ أصيب علي عليه السلام .

وحدثني أبو مسعود الكوفي ، عن عوانة : أن علياً كتب إلى قيس بن سعد وهو عامله على أذربيجان : «أما بعد فاستعمل على عملك عبد الله بن شُبيل الأحمسي وأقبل فإنه قد اجتمع ملأ المسلمين وحسنت طاعتهم ، وانقادت لي جماعتهم ولا يكن لك عرجة ولا لبث ، فإنا جادّون مغذُّون ، ونحن شاخصون إلى المحلين ، ولم أؤخر المسير إلا انتظاراً لقدومك علينا إن شاء الله . والسلام .

وقال أبو مسعود : قال عوانة : قال عمرو بن العاص ـ حين بلغه ما عليه عليّ من الشخوص إلى الشام ، وأن أهل الكوفة قد انقادوا له ـ

لا تحسبني يا عليّ غافلا لأوردن الكوفة القبائلا
ستين ألفاً فارساً وراجلاً

فقال عليّ :

لأبلغن العاصي بن العاصي ستين ألفاً عاقدي النواصي
مستحقبين حلق الدلاص[1]

١ ـ ديوان الامام علي ص ٥٨ .

أمر أشرس بن عوف الشيباني في خلافة علي عليه السلام

قالوا : أول من خرج على عليّ بعد مقتل أهل النهروان أشرس بن عوف الشيباني ، خرج بالدسكرة في مائتين ثم صار إلى الأنبار ، فوجه إليه علي الأبرش بن حسان في ثلاثمائة فواقعه فقتل أشرس في شهر ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين .

وكان أشرس لما توجه يريد النهر لقيه علي بن الحارث بن يزيد بن رويم ليمنعه فطعنه وقال : خذها من ابن عم لك مفارق لولا نصرته الحق كان بك ضنينا ، فيقال : إنه قتله : والثبت أنه بقي وكان فيمن لقيه فضربه وقال : خذها من ابن عم لك شانٍ .

أمر هلال بن عُلفة

قالوا : ثم خرج هلال بن علفة من تيم الرباب ومعه أخوه مجالد ، وقال بعضهم : إن الرئاسة كانت لمجالد ؛ ومعه هلال ، فأتى ماسبذان يدعو إلى ماربه رأيه ، ويقاتل من قاتله ، فوجه إليه علي معقل بن قيس الرياحي فقتله وقتل أصحابه وهم أكثر من مائتين ، وكان مقتلهم في جمادى الأول سنة ثمان وثلاثين .

أمر الأشهب بن بشير العرني وبعضهم يقول : الأشعث من بجيلة وهو كوفي

قالوا : ثم خرج الأشهب في جمادى الآخرة سنة ثمان وثلاثين في مائة وثلاثين[١] فأتى المعركة التي أصيب ابن علفة وأصحابه فيها ، فصلى عليه ، وأجن من قدر عليه منهم ، فوجه إليه علي جارية بن قدامة التميمي ، ويقال : حجر بن عدي الكندي ، فأقبل إليهم الأشهب فالتقوا بجرجرايا[٢] من أرض جُوخى ، فقتل الأشهب وأصحابه في جمادى الآخرة سنة ثمان وثلاثين .

١ ـ «وثمانين» في رواية أخرى (من الهامش) .
٢ ـ بلد كانت بين واسط وبغداد . معجم البلدان .

أمر سعيد بن قَفَل التيمي من تيم الله بن ثعلبة بن عُكابة

قالوا : ثم خرج سعيد بن قفل التيمي في رجب بالبندنيجين ، وكان معه مائتا رجل ، فأقبل حتى أتى قنطرة الدرزيجان[1] وهي على فرسخين من المدائن ، فكتب علي إلى سعد بن مسعود الثقفي ـ عم المختار بن أبي عبيد بن مسعود ، وكان عامله على المدائن ـ في أمره ، فخرج إلى ابن قفل وأصحابه فواقعهم فقتلهم في رجب سنة ثمان وثلاثين ، وبعضهم يقول : هو سعد بن قفل .

١ ـ درزيجان : قرية كبيرة تحت بغداد على دجلة بالجانب الغربي . معجم البلدان .

أمر أبي مريم السعدي ـ سعد مناة بن تميم

قالوا : رجع علي إلى الكوفة من النهر وبها ثلاثة آلاف من الخوارج ، وألف في عسكره ممن فارق ابن وهب وجاء إلى راية أبي أيوب الأنصاري ، ومن كان بالنخيلة ممن خرج يريد أهل الشام قبل النهر ، فلما قاتل علي أهل النهر ، أقاموا ولم يقاتلوا أهل النهر معه ، وقوم بالكوفة لا يرون قتاله ، ولا القتال معه .

فأتى أبو مريم شهرزور في مائتين ، جلهم موال ، فأقام بشهرزور أشهراً يحض أصحابه ويذكرهم أمر النهر ، واستجاب له أيضاً قوم من غير أصحابه ، فقدم المدائن في أربعمائة ، ثم أتى الكوفة ، فأقام على خمسة فراسخ منها ، فأرسل إليه علي يدعوه إلى بيعته وأن يدخل المصر ، فيكون فيه مع من لا يقاتله ولا يقاتل معه ، فقال : ما بيني وبينك إلا الحرب . فبعث إليه علي شريح بن هانىء في سبعمائة فدعاه إلى بيعة علي أو دخول المصر ، لا يقاتله ولا يقاتل معه . فقال : يا أعداء الله أنحن نبايع علياً ونقيم بين أظهركم تجوز علينا أحكامكم وقد قتلتم عبد الله بن وهب وزيد بن حصين ،

وحرقوص بن زهير ، وإخواننا الصالحين ، ثم تنادوا بالتحكيم وحملوا على شريح وأصحابه فانكشفوا ، وبقي شريح في مائتين ، فانحاز إلى بعض القرى وتراجع إليه بعض أصحابه فصار في خمسمائة ، ودخل الباقون الكوفة ، فأرجفوا بقتل شريح ، فخرج علي بنفسه وقدّم أمامه جارية بن قدامة في خمسمائة ثم أتبعه في ألفين .

فمضى جارية حتى صار بإزاء الخوارج فقال لأبي مريم : ويحك أرضيت لنفسك أن تقتل مع هؤلاء العبيد ؟ والله لئن وجدوا ألم الحديد ليسلمنك ، فقال : ﴿إنا سمعنا قرآنا عجباً* يهدي إلى الرشد فآمنّا به ولن نشرك بربنا أحداً[١]﴾ ولحقهم علي فدعاهم إلى بيعته فأبوها وحملوا على عليّ فجرحوا عدة من أصحابه ، ثم قتلوا إلا خمسين رجلاً استأمنوا فآمنهم عليّ .

وكان في الخوارج أربعون جريحاً ، فأمر عليّ بإدخالهم الكوفة ومداواتهم ثم قال : الحقوا بأيّ البلاد شئتم .

وكان مقتل أبي مريم في شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين .

وقال أبو الحسن المدائني : كان أبو مريم في أربعمائة من الموالي والعجم ، ليس فيهم من العرب إلا خمسة من بني سعد ، وأبو مريم سادسهم .

١ - سورة الجن - الآيتان : ١ - ٢ .

أمر ابن ملجم وأمر اصحابه ومقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

المدائني عن مسلمة بن محارب ، عن داود بن أبي هند :

عن الشعبي قال : حجّ ناس من الخوارج سنة تسع وثلاثين وقد اختلف عامل علي وأصحاب معاوية ، فاصطلح الناس على شيبة بن عثمان ، فلما انقضى الموسم أقام الخوارج مجاورين فقالوا : كان هذا البيت معظماً في الجاهلية ، جليل الشأن في الإسلام ، وقد انتهك هؤلاء حرمته ، فلو أن قوماً شروا أنفسهم فقتلوا هذين الرجلين اللذين قد أفسدوا في الأرض ، واستحلا حرمة هذا البيت استرحنا واستراحت الأمة ، واختار الناس لأنفسهم إماماً ، فقال عبد الرحمن بن ملجم : أنا أكفيكم علياً ، وقال الحجاج بن عبد الله الصريميّ ـ وهو البرك ـ أنا أقتل معاوية ، وقال زاذويه مولى بني حارثة بن كعب بن العنبر ـ واسمه عمرو بن بكر ـ: والله ما عمرو بن العاص بدونهما ؛ فأنا له. فتعاقدوا على ذلك ، ثم إنهم اعتمروا عمرة رجب .

فقدم ابن ملجم الكوفة وجعل يكتم أمره ؛ فتزوج قطام بنت علقمة من تيم الرباب ـ وكان علي قتل أخاها ـ فأخبرها بأمره، وكان أقام عندها ثلاث

ليال ، فقالت له في الليلة الثالثة : لشدّ ما أحببتَ لزوم أهلك وبيتك ، وأضربت عن الأمر الذي قدمت له ، فقال : إن لي وقتاً واعدت عليه أصحابي ولن أجاوزه . ثم إنه قعد لعليّ فقتله ، ضربه على رأسه ، وضرب ابن عم له عضادة الباب ، فقال علي ـ حين وقع به السيف ـ فزت ورب الكعبة .

وقال الكلبي : هو عبد الرحمن بن عمرو بن ملجم بن المكشوح بن نفر بن كلدة ، من حمير ، وكان كلدة أصاب دماً في قومه من حمير ، فأتى مراد فقال : أتيتكم تجوب بي ناقتي الأرض فسمي تجوب .

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، وعمرو بن محمد الناقد ، قال : حدثني أبو داود الطيالسي ، أنبأنا شعبة ، أنبأنا سعد بن إبراهيم قال : سمعت عبيد الله بن أبي رافع ، قال : شهدت علياً وقد اجتمع الناس عليه حتى أدموا رجله فقال : اللهم إني كرهتهم وكرهوني فأرحني منهم وأرِحْهم مني ، فما بات إلا تلك الليلة .

وحدثنا زهير بن حرب أبو خيثمة ، حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا ابن جعدبة :

عن صالح بن كيسان قال : مكث معاوية بالشام وعلي بالعراق وعمرو بن العاص بمصر ؛ بعد أن قتل ابن حديج محمد بن أبي بكر الصديق بمصر .

ثم إن نفراً اجتمعوا على أن يعدوا عليهم في ساعة واحدة فيقتلوهم ليريحوا الأمة منهم ، زعموا .

فأما صاحب علي فقتله حين خرج لصلاة الصبح ، وأما صاحب

معاوية فطعنه وهو دارع ـ فلم يضره ، وأما عمرو بن العاص فخرج أمامه خارجة بن أبي خارجة من بني عدي بن كعب ، فظن الرجل انه عمرو بن العاص ، فشد عليه فقتله ، ورجع عمرو وراءه .

فلما قتل علي تداعى أهل الشام إلى بيعة معاوية ، فقال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد : نحن المؤمنون ومعاوية أميرنا وهو أمير المؤمنين ، فبايع له أهل الشام وهو بإيليا[1] لخمس ليال خلون من شهر ربيع الأول سنة أربعين ، فكان ما بين قتل عثمان وبيعة الناس لمعاوية أربع سنين وشهرين وسبع عشرة ليلة .

وحدثني عباس بن هشام الكلبي ، عن أبيه ، عن عوانة قال :

قال الشعبي : لم يزل الناس خائفين لهذه الخوارج على علي مذ حكم المحكمين وقتل أهل النهروان حتى قتله ابن ملجم ـ لعن الله ابن ملجم ـ .

وحدثني محمد بن سعد ؛ عن الواقدي .

وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه ، عن لوط بن يحيى ، وعوانة بن الحكم وغيرهما قالوا : اجتمع ثلاثة نفر من الخوارج بمكة ، وهم عبد الرحمن بن ملجم الحميري ـ وعداده في مراد ؛ وهو حليف بني جبلة من كندة ، ويقال : إن مراد أخواله ـ والبرك بن عبد الله التميمي ثم الصريمي ، صريم مقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ـ ويقال : إن اسم البرك الحجاج ـ وعمرو بن بكير ـ ويقال : بكر أحد بني سعد بن زيد مناة بن تميم ـ فتذاكروا أمر إخوانهم الذين قتلوا بالنهروان ؛ وقالوا : والله مالنا خير في البقاء بعدهم فلو شرينا أنفسنا فأتينا أئمة الضلال والفتنة فأرحنا

---

١ ـ أي مدينة القدس .

العباد منهم ثائرين بإخواننا لرجونا الفوز عند الله غدا ، فتعاهدوا وتعاقدوا ليقتلن علي بن أبي طالب ، ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص ، ثم توجّه كل رجل منهم إلى البلد الذي فيه صاحبه، فقدم عبد الرحمن [بن] ملجم[١] الكوفة ، وشخص البرك إلى الشام ، وشخص عمرو بن بكير ـ ويقال : بكر ـ إلى مصر وجعلوا ميعادهم ليلة واحدة وهي ليلة سبع عشرة من شهر رمضان[٢] .

فأما البرك فإنه انطلق في ليلة ميعادهم فقعد لمعاوية ، فلما خرج ليصلي الغداة شد عليه بسيفه ، فأدبر معاوية فضرب طرف إليته ففلقها ووقع السيف في لحم كثير ، وأخذ فقال : إن لك عندي خبراً ساراً : قد قتل في هذه الليلة علي بن أبي طالب ، وحدثه بحديثهم . وعولج معاوية حتى برأ وأمر بالبرك فقتل .

وقيل : ضرب البرك معاوية وهو ساجد ، فمذ ذاك جعل الحرس يقومون على رؤوس الخلفاء في الصلاة ، اتخذ معاوية المقصورة . وروى بعضهم أن معاوية لم يولد بعد الضربة ، وان معاوية كان أمر بقطع يد البرك ورجله ثم تركه فصار إلى البصرة فولد له في زمن زياد فقتله وصلبه وقال له : ولد لك وتركت أمير المؤمنين لا يولد له .

وأما عمرو بن بكير ـ ويقال : بكر ـ فرصد عمرو بن العاص في ليلة سبع عشرة من شهر رمضان ، فلم يخرج في تلك الليلة لعلة وجدها في بطنه ، وصلى بالناس خارجة بن حذافة العدوي ، فشد عليه ، وهو يظنه عمراً فقتله ، وأخذ فأتي به عمرو فقتله ، وقال : أردت عمراً وأراد الله

١ ـ أضيف ما بين الحاصرتين لاستقامة السياق .
٢ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٣٥ ـ ٣٧ .

خارجة ، فذهبت مثلاً .

وأما ابن ملجم قاتل عليّ فإنه أتى الكوفة ، فكان يكتم أمره ، ولا يظهر الذي قصد له ، وهو في ذلك يزور أصحابه من الخوارج فلا يطلعهم على إرادته ، ثم إنه أتى قوماً من تيم الرباب فرأى امرأة منهم جميلة يقال لها : قطام بنت شجنة ، كان علي قتل أباها شجنة بن عدي ، وأخاها الأخضرَ بن شجنة يوم النهروان ـ فهويها حتى أذهلته عن أمره فخطبها ، فقالت لا أتزوجك إلا على عبد ، وثلاثة آلاف درهم ، وقينة ، وقتل علي بن أبي طالب، فقال: أما الثلاثة الآلاف والعبد والقينة فمهر، وأما قتل علي بن أبي طالب . فما ذكرته وأنت تريديني ، فقالت : بلى تلتمس غرته ، فإن أصبته وسلمت شفيت نفسي ونفعك العيش معي ، وإلا فما عند الله خير لك مني ، فقال : والله ما جاء بي إلا قتل علي .

ولقي ابن ملجم رجلاً من أشجع يقال له شبيب بن بجرة فدعاه إلى مظاهرته على قتل علي ، فقال : أقتل علياً مع سابقته وقرابته برسول الله ﷺ عليه وسلم ؟ فقال : إنه قتل إخواننا فنحن نقتله ببعضهم . فأجابه .

وجاء ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة أربعين، وهذا الثبت، وبعضهم يقول: جاء لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان ويقال : لإحدى عشرة ليلة خلت من غيره ، وذلك باطل ، وكانت تلك الليلة الميعاد الذي ضربه وصاحباه في قتل علي ومعاوية وعمرو ، فجلس ابن ملجم مقابل السدة التي كان علي يخرج منها ، ولم يكن ينزل القصر إنما نزل في خصاص في الرحبة التي يقال لها رحبة علي، فلما خرج لصلاة الصبح وثب ابن ملجم فقال : الحكم لله يا علي لا لك فضربه على

قرنه فجعل علي يقول : لا يفوتنكم الرجل ، وشد الناس عليه فأخذوه . ويقال ؛ إن المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب استقبله بقطيفة فضرب بها وجهه ثم اعترضه فصرعه وأوثقه .

وضرب شبيب بن بجرة ضربة أخطأت علياً ووقعت بالباب ، ودخل بين الناس فنجا ، ثم إنه بعد ذلك خرج يعترض الناس بقرب الكوفة ، فبعث إليه المغيرة بن شعبة وهو واليها ؛ خيلاً فقتله .

وكان مع ابن ملجم وشبيب رجلاً يقال له : وردان بن المجالد التيمي ـ وهو ابن عم قطام بنت شجنة ـ فهرب وتلقاه عبد الله بن نجبة بن عبيد ، أحد بني تيم الرباب أيضاً ، فقال له : مالي أرى السيف معك ـ وكان معصباً بالحرير لكي يفلت إذا تعلق به ـ فلما سأله عن السيف لجلج وقال : قتل ابن ملجم وشبيب بن بجرة أمير المؤمنين ، فأخذ السيف منه فضرب به عنقه فأصبح قتيً في الرباب .

وكان علي آدم شديد الادمة ، ثقيل العينين ، ضخم البطن ، أصلع ذا عضلات ومناكب ، في أذنيه شعر قد خرج من أذنه ، وكان إلى القصر أقرب .

قالوا : لم يزل ابن ملجم تلك الليلة عند الأشعث بن قيس يناجيه حتى قال له الأشعث : قم فقد فضحك الصبح . وسمع ذلك من قوله حجر بن عدي الكندي ، فلما قتل علي قال له حجر : يا أعور أنت قتلته .

وقال المدائني قال مسلمة بن محارب : سمع الكلام عفيف عم الأشعث ، فلما قتل علي قال عفيف : هذا من عملك وكيدك يا أعور .

ويقال : إن رجلاً من حضر موت لحق ابن بجرة فصرعه ، وأخذ

سيفه فقال الناس : خذوا صاحب السيف . فخاف أن يتغاووا عليه ولا يسمعوا منه ؛ فألقى السيف ومضى وهرب ابن بجرة .

وحدثني أبو مسعود الكوفي ، وغيره أن عوانة بن الحكم حدث أن ابن ملجم كان في بكر بن وائل ، فمرت به جنازة أبجر بن جابر العجلي ـ وكان نصرانياً ونصارى الحيرة يحملونه ـ ومع ابنه حجار بن أبجر: شقيق بن ثور ، وخالد بن المعمر ، وحريث بن جابر وجماعة من المسلمين يمشون في ناحية إكراماً لحجار ، فلما رآهم ابن ملجم أعظم ذلك وأراد غيراً منهم ، ثم قال . لولا أني أعدّ سيفي لضربة هي أعظم عند الله أجراً وثواباً من ضرب هؤلاء ؛ لاعترضتهم فإنهم قد أتوا أمراً عظيماً ؛! فأخذ وأتي به [إلى] علي فقال : هل أحدث حدثا ؟ قالوا : لا . فخلى سبيله .

قالوا : وكان ابن ملجم يعرض سيفه ، فإذا أخبر أن فيه عيباً أصلحه ، فلما قتل علي قال : لقد أحددت سيفي بكذا وسممته بكذا ، وضربت به علياً ضربة لو كانت بأهل المصر ؛ لأتت عليهم .

وروي عن الحسن بن علي قال . أتيت أبي سحيراً فجلست إليه فقال : إني بت الليلة أرقا ؛ ثم ملكتني عيني وأنا جالس فسنح لي رسول الله ﷺ فقلت له : يا رسول الله ماذا لقيت من أمتك من الأود واللدد ؟ فقال : ادع عليهم ، فقلت : اللهم أبدلني بهم خيراً لي منهم ، وأبدلهم بي شراً لهم مني . ودخل ابن النباح عليه فقال : الصلاة . فأخذت بيده فقام ومشى ابن النباح بين يديه ومشيت خلفه ، فلما خرج من الباب نادى أيها الناس الصلاة الصلاة ، وكذلك كان يصنع في كل يوم ، ويخرج ومعه درته يوقظ الناس ، فاعترضه الرجلان ، فرأيت بريق السيف وسمعت قائلاً يقول : الحكم

يا علي لله لالك . ثم رأيت سيفا ثانياً ، فأما سيف ابن ملجم فأصاب جبهته إلي قرنه ووصل إلى دماغه ، وأما سيف ابن بجرة فوقع في الطاق وقال علي : لا يفوتنكم الرجل . فشد الناس عليهما من كل جانب ، فأما شبيب بن بجرة فأفلت ، وأما ابن ملجم فأخذ وأدخل على علي ، فقال اطيبوا طعامه وألينوا فراشه ، فإن أعش فأنا ولي دمي فإما عفوت وإما اقتصصت ، وإن امت فألحقوه بي ﴿ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾[1] .

قالوا : وبكت أم كلثوم بنت علي وقالت لابن ملجم ـ وهو أسير ـ : يا عدو الله قتلت أمير المؤمنين ، قال : لم أقتل أمير المؤمنين ولكني قتلت أباك فقالت : والله إني لأرجو أن لا يكون عليه بأس . قال: فلم تبكين إذاً ، أعليّ تبكين ؟ والله لقد أرهفت السيف ونفيت الخوف ، وحثثت الأجل ، وقطعت الأمل ، وضربته ضربة لو كانت بأهل عكاظ ـ ويقال : بربيعة ومضر ـ لأتت عليهم ، والله لقد سممته شهراً فإن أخلفني فأبعده الله سيفا وأسحقه .

ويقال : إن أُمامة بنت أبي العاص بن الربيع ، وليلى بنت مسعود النهشلية ، وأم كلثوم بكين عليه ؛ وقلن : يا عدو الله لابأس على أمير المؤمنين . فقال فعلى من تبكين إذاً أعلي تبكين ؟!

قالوا : وبعث الأشعث بن قيس ابنه قيس بن الأشعث صبيحة ضرب علي فقال أي بني انظر كيف أصبح الرجل وكيف تراه ؛ فنظر إليه ثم رجع فقال : رأيت عينيه داخلتين في رأسه . فقال الأشعث : عينا دميغ ورب الكعبة .

قالوا: ومكث علي يوم الجمعة ويوم السبت ، وتوفي ليلة الأحد

---

١ ـ سورة البقرة ـ الآية : ١٩٠ .

لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة أربعين ، وغسله الحسن ، والحسين ، وعبد الله بن جعفر ، وابن الحنفية ، وكفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ، ونزل في قبره هؤلاء جميعاً ، ودفنه معهم عبيد الله بن العباس ، وحضره جماعة من أهل بيته والناس بعد ، وصلى عليه الحسن ابنه وكبر عليه أربعا .

وحدثني الحسين بن علي بن الأسود ؛ وغيره قالوا : حدثنا وكيع ، عن يحيى بن مسلم ، عن عاصم بن كليب ، عن أبيه .

وحدثني عمرو الناقد ، عن شبابة بن سوار ، عن قيس بن الربيع ، عن بيان ، عن الشعبي : أن الحسن بن علي صلى على علي وكبر أربعا .

حدثني بكر بن الهيثم ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، قال : لما قتل علي صلى عليه الحسن ، وإليه أوصى ، وكبر عليه أربعا .

وحدثني عمرو بن محمد ، وبكر بن الهيثم ، وأبو بكر بن الأعين قالوا : حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ، عن خالد بن إلياس ، عن إسماعيل بن عمرو بن سعيد بن العاص بمثله .

قالوا : ودفن علي بالكوفة عند مسجد الجماعة في الرحبة ممايلي أبواب كندة ، قبل انصراف الناس من صلاة الفجر . ويقال : دفن في الغري[1] ويقال في الكناسة . ويقال : بالسدة . وغمي قبره مخافة أن ينبشه الخوارج فلم يعرف . وروي عن شريك بن عبد الله انه قال : حمل الحسين بن علي

١ ـ بناء كالصومعة بظاهر الكوفة . معجم البلدان .

بعد صلح الحسن معاوية أباه في تابوت فدفن بالمدينة عند فاطمة عليهما السلام .

قالوا : وكان الحسين بالمدائن قد قدّمه أبوه إليها وهو يريد المسير إلى الشام ، فكتب إليه الحسن بما حدث من أمر أبيه مع زحر بن قيس الجعفي فلما أتاه زحر بالكتاب انصرف بالناس إلى الكوفة ، وقال بعضهم : إن الحسين كان حاضراً قتل أبيه .

وكانت خلافة علي رضي الله تعالى عنه أربع سنين وتسعة أشهر . ويقال : عشرة أشهر . وكان له يوم توفي ثلاث وستون سنة ـ وذلك الثبت ـ ، ويقال : إنه توفي وله تسع وخمسون سنة .

حدثنا محمد بن سعد عن الواقدي ، عن ابن أبي سبرة ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، قال : سمعت ابن الحنفية يقول حين دخلت سنة إحدى ، وثمانون ـ وهي سنة الجحاف[1] ـ ونوّه : لي خمس وستون ، قد جاوزت عمر أبي ، قلت : فكم كانت سنُّهُ يوم قتل ؟ قال : قتل وله ثلاث وستون سنة[2] .

حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي ، وعبد الله بن أبي شيبة ، قالا : حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ، عن شريك ، عن أبي إسحاق قال : توفي علي وله ثلاث وستون سنة .

حدثنا محمد بن ربيعة الكلابي ، عن طلق الأعمى ، عن جدّته قالت : كنت أنوح أنا وأم كلثوم بنت علي على علي .

١ ـ الجحاف بن حكيم السلمي أوقع في موقعة البشر ببني تغلب . انظر تفاصيل ذلك في بغية الطلب لابن العديم ـ ط . دمشق ١٩٨٨ ج ١ ص ٤٣١ ـ ٤٣٥ .

٢ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٣٨ .

حدثني عمرو بن محمد الناقد ، وإسحاق الفروي أبو موسى قالا : حدثنا عبد الله بن نمير ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي إسحاق ، عن هبيرة بن يريم ، قال : سمعت الحسن يخطب فذكر أباه وفضله وسابقته ثم قال : والله ما ترك صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم فضلت من عطائه أراد أن يشتري بها خادماً .

المدائني عن يعقوب بن داود الثقفي ، عن الحسن بن بزيع : أن علياً خرج الليلة التي ضرب في صبيحتها في السحر وهو يقول :

أشدد حيازيمك للمو ت فإن الموت لاقيك
ولا تجزع من الموت إذا حلّ بواديك[1]

فلما ضربه ابن ملجم قال : «فزت ورب الكعبة» . وكان آخر ما تكلم به : ﴿فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرّة شراً يره﴾[2] .

حدثنا محمد بن سعد ، أنبأنا عبيد الله بن موسى ، عن موسى بن عبيدة ، عن أبي بكر بن عبد الله بن أنس ـ أو أيوب بن خالد أو كليهما ـ شك عبيد الله بن موسى ـ ان النبي ﷺ قال : «أشقى الأولين عاقر الناقة ، وأشقى الآخرين من هذه الأمة الذي يطعنك ياعلي» وأشار إلى حيث طعن[3] .

وحدثني محمد بن سعد ، عن أبي نعيم ، عن فطر ، حدثني أبو

١ ـ ديوان الامام علي ص ٧٢ .
٢ ـ سورة الزلزلة ـ الآيتان : ٧ ـ ٨ .
٣ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٣٥ .

الطفيل قال : دعا علي الناس للبيعة فجاءه عبد الرحمن بن ملجم المرادي ، فرده مرتين ثم أتاه وقال : ما يحلس أشقاها ليخضبنّ ـ أو قال : ليصبغن هذه اللحية من جبهته ثم تمثل :

أشدد حيازيمك للموت فإن الموت لاقيك
ولا تجزع من الموت إذا حلّ بواديك

وقال محمد : في حديث آخر : والله إنه لعهد النبي الأمّي إليّ[1] .

حدثني عمرو بن محمد ، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن عمارة بن أبي حفصة ، عن أبي مجلز ، قال : جاء رجل من مراد إلى علي وهو في المسجد فقال : احترس فإن هاهنا قوماً من مراد يريدون قتلك ، فقال : إن مع كل إنسان ملكين موكلين يحفظانه ، فإذا جاء القدر خليّا بينه وبينه ، وإن الأجل جنّة حصينة .

حدثني أبو بكر الأعين ، ومحمد بن سعد ، قالا : حدثنا الفضل بن دكين أبو نعيم ، حدثنا سليمان بن القاسم الثقفي ، قال : حدثتني أمي ، عن أم جعفر سرية علي ، قالت : إني لأصبّ على يديه الماء إذ رفع رأسه فأخذ بلحيته فرفعها إلى أنفه ثم قال : واهاً لك لتخضبن بدم . قالت فأصيب يوم الجمعة .

حدثنا عباس بن هشام ، عن أبيه ، عن جده قال : رفع علي لحيته إلى أنفه ثم قال : لتخضبن هذه بدم هذه يعني جبهته .

حدثنا وهب بن بقية ، عن ابن هارون ، عن هشام بن حسان ، عن محمد بن عبيدة ، قال : قال علي : ما يحبس أشقاكم أن يجيء فيقتلني ،

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٣٣ .

اللّهم إني قد سئمتهم وسئموني فأرحني منهم وأرحهم مني .

حدثنا محمد بن سعد ، حدثنا خالد بن مخلد ، ومحمد بن الصلت قالا : حدثنا الربيع بن المنذر ، عن أبيه عن ابن الحنفية قال : دخل علينا ابن ملجم الحمام ، وأنا والحسن والحسين جلوس في الحمام فكأنهما اشمأزّا منه فقالا : ما أجرأك ما أدخلك علينا ؟ فقلت لهما : دعاه عنكما فلعمري إنّ ما يريد بكما لأجسم من هذا . فلما كان يوم أتي به أسيراً قال ابن الحنفية : ما أنا اليوم بأعرف به مني يوم دخل علينا الحمام ، فقال عليّ : إنه أسير فأحسنوا نزله وأكرموا مثواه ، فإن بقيت قتلت أو عفوت ، وإن متّ فاقتلوه قتلتي ﴿لا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾ .

حدثنا محمد بن سعد ، حدثنا عفان ، حدثنا يزيد بن إبراهيم التستري ، عن محمد بن سيرين قال : قال علي عليه السلام للمرادي :

أريد حباءه ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد[1]

حدثنا عمرو الناقد ، حدثنا أبو معاوية ، عن حجاج ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن الأصمّ قال : قيل للحسن بن علي : إن ناساً من شيعة أبي الحسن يزعمون أنه دابة الأرض وأنه سيبعث قبل يوم القيامة ، فقال : كذبوا ليس أولئك شيعته ، ولكنهم أعداؤه ، ولو علمنا ذلك ما قسمنا ميراثه ، ولا أنكحنا نساءه .

حدثنا يوسف بن موسى القطان ، وشجاع بن مخلد الفلاس ، قالا : حدثنا جرير بن عبد الحميد الضبي ، حدثنا مغيرة ، عن قثم مولى علي قال :

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٣٤ ـ ٣٧ .

كتب علي في وصيته : «إن وصيتي إلى أكبر ولدي غير طاعن عليه في بطن ولا فرج» .

حدثني عمر بن بكير ، عن الهيثم بن عدي ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن زحر بن قيس قال : لما قتل علي أتيت المدائن فلقيني رجل فسألني عن الخبر فأعلمته بمقتل علي فقال : لو جئتنا بدماغه في صرّة لعلمنا أنه لا يموت حتى يذودكم بعصا .

حدثني محمد بن عبد الله بن خالد الطحان ، عن أبيه ، عن ابن أبي ليلى عن عبد الرحمن بن جندب قال : لما ضرب علي قلت : يا أمير المؤمنين أبايع حسناً ؟ قال : لا آمرك ولا أنهاك .

ثم دعا ولده فأمرهم بتقوى الله والزهد في الدنيا ، وأن لا يأسوا على ما صرف عنهم منها .

المدائني ، عن علي بن هاشم ، عن الضحاك بن عمير قال : رأيت قميص علي الذي أصيب فيه كرابيس سنبلاني ، ورأيت أثر دمه فيه كالدندي[1] .

قال علي : وحدثني أبي قال : سمعت زيد بن علي يقول : البراءة من أبي بكر وعمر وعلي سواء .

حدثني الحسين بن الأسود ، عن يحيى بن آدم ، عن شريك وغيره ، قال : أوصى علي : هذا ما وقف علي بن أبي طالب أوصى به أنه وقف أرضه التي بين الجبل والبحر أن ينكح منها الأيّم ، ويفكّ الغارم ، فلا تباع ولا تُشترى ولا توهب حتى يرثها الله الذي يرث الأرض ومن عليها ، وأوصى

١ ـ الدندن : ما اسود من نبات أو شجر . القاموس .

إلى الحسن بن علي غير طاعن عليه في بطن ولا فرج .

قالوا : وأوصى أن يقوم في أرضه ثلاثة من مواليه ولهم قوتهم ، وإن هلك الحسن قام بأمر وصيتي الأكبر فالأكبر من ولدي ممن لا يطعن عليه .

قالوا : وكان ابن ملجم رجلاً أسمر حسن الوجه أبلج ، شعره مع شحمة أذنيه ، مستجداً ـ يعنون أن في وجهه أثر السجود ـ فلما فرغ من أمر علي ودفنه ؛ أخرج إلى الحسن ليقتله ، فاجتمع الناس وجاؤوا بالنفط والبواري والنار فقالوا : نحرقه . فقال ولده وعبد الله بن جعفر : دعونا نشف أنفسنا منه ، فقالت أم كلثوم بنت علي : يا عدو الله قتلت أمير المؤمنين ؟ قال : لو كان أمير المؤمنين ما قتلته ، ثم بدر عبد الله بن جعفر فقطع يديه ورجليه وهو ساكت لا يتكلم ، ثم عمد إلى مسمار محميّ فكحل به عينيه فلم يجزع وجعل يقول : كحلت عمك بملمول له مض[1]، ثم قرأ : ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ حتى فرغ منها وعيناه تسيلان ، ثم عولج عن لسانه ليقطع فجزع وما نعهم ، فقيل له : أجزعت ؟ قال : لا ولكني أكره أن أبقى فواقاً ـ أو قال : وقتاً ـ لا أذكر الله فيه بلساني ، فقطعوا [لسانه] ، ثم إنهم جعلوه في قوصرة كبيرة ويقال : في بواري وأحرق بالنار ، والعباس بن علي يومئذ صغير لم يستبان بلوغه . ويقال : إن الحسن ضرب عنقه وقال : لا أمثل به .

ومضى إلى الحجاز بمقتل علي سفيان بن أمية بن أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس ولا ينعيه له فلما بلغ عائشة خبره أنشدت قول البارقي :

فألقت عصاها واستقرت بها النوى ... كما قرّ عيناً بالإياب المسافر

---

١ ـ «ممض» ، في رواية أخرى (من الهامش) . وممض موجع ، محزن ، مؤلم . القاموس .

وروى بعضهم أن سيف ابن ملجم وقع في الحائط ، وأن سيف بن بجرة وقع بعلي ، وذلك باطل .

وقال المدائني في بعض روايته : ذكر بنو ملجم : عبد الرحمن وقيس ويزيد ، أمر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان ، ومابعدهم ، وأمر الحكمين ، فأجمعوا على قتل علي ، ومعاوية ، وعمرو بن العاصي فنهاهم أبوهم عن ذلك وأمرتهم أمهّم به فقال أبوهم : ودّعوا أهلكم فإنكم غير راجعين . فمضوا فخرج عبد الرحمن إلى الكوفة ، وقيس إلى الشام ويزيد إلى مصر ، فتولوا أمرهم ، ووثب رجل من كلب على قيس فقتله .

وهذا خبر شاذّ لا يرويه إلا قوم من الخوارج ، وزعم من روى هذا الخبر أن ابن ملجم قال :

لقد حملتكم أمّكم بجهالة   على آلة شنعاء من كل جانب
فما تركت فيكم لها من مؤمل   يؤمّله الآباء من رجع غائب

وقال الشاعر في قتل ابن ملجم علياً عليه السلام :

تضمّن للحسناء لادّر درّه   فلاقى عقاباً عزّها غير مضرم
ولامهر أغلى من علي وإن غلا   ولافتك إلا دون فتك ابن ملجم
ثلاثة آلاف وعبد وقينة   وضرب عليّ بالحسام المصمّم

وقالت أم العريان بنت الهيثم في علي :

وكنا قبل مقتله بخير   نرى مولى رسول الله فينا
يقيم الحدّ لا يرتاب فيه   بعدل في البعيد والاقربينا

وقال الكميت يذكر قتل عليّ :

والوصي الذي أمال التجوبـ   ـيُّ به عرش أمة لانهدام

قتلوا يوم ذاك إذ قتلوه   حكما لا كسائر الحكام[١]

يعني بالتجوبي ابن ملجم لأن جدّه تجوب ، والذي قتل عثمان التجيبي وقد ذكرنا خبره .

حدثني عبد الرحمن بن صالح الأزدي ، عن من حدّثه ، عن الشعبي ، عمن سمع النادبة تندب علياً بشعر كعب بن زهير وهو :

إنّ علياً لميمونة نقيبته   بالصالحات من الأعمال محصور
صهر النبي وخير الناس كلهم   فكل من رامه بالفخر مفخور
صلى الإله على الأمّي أوّلهم[٢]   قبل العباد وربّ الناس مكفور
بالعدل قام صليبا حين فارقه   أهل الهوى من ذوي البهتان والزور
ياخير من حملت نعلاً له قدم   الأنبياء لديه البغى مهجور[٣]

وقال أبو الأسود الدولي :

ألا أبلغ معاوية بن حرب   فلا قرت عيون الشامتينا
قتلتم خير من ركب المطايا   وأكرمهم ومن ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها   ومن قرأ المثاني والمبينا
وقد علمت قريش حيث كانت   بأنك خيرهم حسباً ودينا[٤]

وقال هشام بن الكلبي : قال ابن ميناس المرادي :

نحن ضربنا يا ابنة الخير حيدرا   أبا حسن مأمومة فتفطرا

١ ـ الروضة المختارة ـ شرح القصائد الهاشميات للكميت الأسدي ـ ط . بيروت ١٩٧٢ ص ١٨ ـ ١٩ .
٢ ـ في ديوان كعب : «صلى الطهور مع الأمي أولهم» .
٣ ـ ديوان كعب بن زهير ـ ط . بيروت ١٩٨٧ ص ٤١ .
٤ ـ ديوان أبي الأسود الدولي ص ١٧٤ ـ ١٧٥ .

ونحن خلعنا ملكه عن نصابه بضربة فصل إذ علا وتجبرا
وعادتنا قتل الملوك وعزُّنا صدور القنا لما لبسنا السنورا
ونحن كرام في الصباح أعزّة إذا الموت بالموت ارتدى وتأزّرا

وقال النجاشي الشاعر :

وكنا إذا ماحيّة أعيت الرقىٰ وآبت بصرّ يقطر السمّ نابها
دسنا لها تحت العجاج ابن ملجم جريا إذا ما جاء نفساً كتابها

وحدثني عباس بن هشام ، عن أبيه ، عن عوانة عن عبد الملك بن عمير أن الحجاج بن يوسف عمل في القصر بالكوفة عملاً فوجد شيخاً أبيض الرأس واللحية مدفوناً فقال : أبو تراب والله ، وأراد أن يصلبه فكلمه عنبسة بن سعيد في ذلك وسأله أن لا يفعل فأمسك .

وقال مصقلة بن هبيرة :

قضى وطراً منها علي فأصبحت إمارته فينا أحاديث راكب

أمر الحَسَن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام

وكان الحسن بن علي يكنىٰ أبا محمد وكان يشبه النبي ﷺ من أعلى رأسه إلىٰ سرته ، وكان الحسين يشبه النبي ﷺ من سرته إلى قدميه ، ويقال إنه كانت فيه مشابه من النبي ﷺ في وجهه إلا أن الحسن كان أشبه الناس فيه وجهاً .

وكانت فاطمة عليها السلام إذا زفنته - أي رَقَّصَتْه - قالت :

وايـــابـي شبـــه الـنـبـي غـــير شـــبـيـــه بـــعــلـي

وحدثني الأعين ، عن روح بن عبادة ، عن محمد بن أبي حفصة ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ كان يقبل الحسن ، فقال له الأقرع بن حابس : لي عشرة من الولد ما قبلت أحداً منهم قط ، فقال ﷺ : «من لا يَرحم لا يُرحم» .

وكان الحسن سيداً سخياً حليماً فروي عن علي أنه قال : أنا أخبركم عن أهلي . أما الحسن ففتىً من الفتيان صاحب جَفنة وخوان ، وأما عبدالله بن جعفر فصاحب لهو ، وأما الحسين ومحمد فهما مني وأنا منهما

وقال المدائني عن أبي معشر ، عن الضمْري ، عن زيد بن أرقم : أن الحسن خرج وعليه بردة له والنبي ﷺ يخطب ، فعثر الحسن فسقط ، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر وابتدر الناس فحملوه إليه ، فتلقاه ﷺ فحمله ووضعه في حجره ، وقال : إن الولد فتنة .

حدثنا خلف بن هشام البزار ، ثنا أبو شهاب الخيّاط ، عن يحيى بن سعيد ، عن عكرمة ، قال : عقّ النبي ﷺ عن الحسن والحسين عليهما السلام ، وقال ﷺ : «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة» .

وقال رجل من بني أسد في الحسن :

كأنَّ جِفانَه أحياضُ نَهْيٍ إذا وُضِعَتْ على ظهر الخُوانِ
ويبذل ما يُفيد وكلُّ شيءٍ من الأشياء إلا الأجْوَفَانِ

المدائني عن خلاد بن عبيدة ، عن علي بن زيد قال : حج الحسن رحمه الله خمس عشرة حجة ماشياً والنجائب تنقاد معه ، وخرج من ماله لله مرتين ، وقاسم الله ماله ثلاث مرات ، حتى ان كان ليعطي نعلاً ويمسك نعلاً ، ويمسك خفاً ويعطي خفاً .

وروي أن النبي ﷺ سابق بين الحسن والحسين فسبق الحسن فأجلسه على فخذه اليمنى ، ثم جاء الحسين فأجلسه على اليسرى ، فقيل له : يا رسول الله أيهما أحبُّ إليك ؟ فقال : «أقول كما قال إبراهيم وقيل له : أيُّ ابنيك أحبُّ إليك ؟ فقال : أكبرهما ، وهو الذي يلد محمداً ـ يعني اسماعيل عليهما السلام ـ » .

المدائني عن إبراهيم بن محمد ، عن زيد بن أسلم قال : دخل رجل على الحسن بالمدينة وفي يده صحيفة فقال له : ما هذه بأبي أنت وأمي ؟

قال : هذه من معاوية يَعِدُ فيها ويتوعَّد . فقال : قد كنت تقدر على النَّصْف منه ، قال : أَجَل ، ولكني خفت أن يأتي يوم القيامة سبعون أو ثمانون ألفاً أو أكثر من ذلك أو أقل كلهم تنضح أوداجه دماً ، يقول : يا رب، فيم هريق دمي .

المدائني عن قيس بن الربيع ، عن بدر بن الخليل عن مولى للحسن بن علي إنه قال : أتعرف معاوية بن حديج إذا رأيته ؟ قال : نعم ، قال فأرنيه إذا لقيته ، فرآه خارجاً من دار عمرو بن حريث بالكوفة ، فقال : هو هذا . فقال له : ادْعُهُ ، فدعاه ، فقال له الحسن : أنت الشاتم علياً عند ابن آكلة الأكباد ، أما والله لئن وَرَدْتَ الحوض ـ ولن تَرِدَهُ ـ لَتَرَيَنَّهُ مشمراً عن ساقيه يذود عنه المنافقين .

المدائني عن سليمان بن أيوب ، عن الأسود بن قيس العَبْدي قال : لقي الحسن يوماً حبيب بن مسلمة الفهري فقال له : يا حبيب ، رب مَسِيرٍ لك في غير طاعة الله . قال : أمّا مسيري إلى أبيك فلا . قال : بلى ، ولكنك أطعت معاوية على دنيا قليلة زائلة فلئن قام بك في دنياك ، لقد قعد بك في آخرتك ، ولو كنت إذ فعلت شراً قلت خيراً كان ذلك كما قال الله عز وجل : ﴿خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً﴾ [1] ، ولكنك كما قال : ﴿بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ [2] .

وقال علي لابنه الحسن ، ورآه يوماً يتوضأ : أَسْبغ الوضوء . فقال :

١ ـ سورة التوبة ـ الآية : ١٠٢ .

٢ ـ سورة المطففين ـ الآية : ١٤ .

قد قتلتم أمس رجلاً كان يُسْبغ الوضوء . فقال علي ؛ لقد أطال الله حزنك على عثمان .

وقال سعيد بن عبدالعزيز التنوخي عن الزهري : تفاخرت قريش عند معاوية وعنده الحسن وهو ساكت ، فقال معاوية : ما يمنعك أبا محمد من الكلام ؟ فوالله ما أنت بكليل اللسان ولا مأشوب الحسب. فقال : والله ما ذكروا مكرمة ولا فضيلة إلا ولي مَحْضُها ولُبابها . ثم قال :

فِيْمَ الكلام وقد سبقت مبرزاً سَبْقَ الجياد من المدى المتنفس

المدائني عن عبدالله بن عبدالرحمن ، عن عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو ، قال : خطب الحسن بن علي امرأة من بني شيبان فقيل له : إنها ترى رأي الخوارج . فقال : أكره أن أضم إلى صدري جمرة من جهنم .

المدائني عن عبدالله بن سلم الفهري قال : خطب علي إلى سعيد بن قيس ابنته أم عمران لابنه الحسن فشاور الأشعث فقال : زَوِّجْها ابني محمداً فهو ابن عمها فدفعها فزوجه إياها ، ثم دعا الأشعث الحسن فغداه واستسقى ماء فقال لابنته : اخرجي فاسقيه ، فسقته ، فقال الأشعث : لقد سَقَتْكَ جارية ما خدمت الرجال وهي ابنتي ، فأخبر الحسن أباه فقال : تزوجها .

قال المدائني : ويقال إن علياً قال للأشعث : اخطب على الحسن ابنة سعيد بن قيس ، فأتى سعيداً فخطبها على ابنه فزوجه ، فقال علي : خنت . فقال : أزوجه من ليس بدونها ، فزوجه جعدة بنت الأشعث فَسَمَّت الحسن ، فخلف عليها يعقوب بن طلحة ثم العباس ، ثم عبدالله بن العباس .

وقال المدائني : قال ابن فسوة التميمي [١] للحسن بن علي عليهما السلام :

فَلَيْتَ قَلُوصي عُرِّيَتْ أو رَحَلْتُها إلى حسنٍ في داره وابن جعفرِ
إلى ابن رسول الله يأمر بالتقى ويقـرأ آيات الكتـاب المـطهَّـرِ

المدائني عن عبدالله بن سلام ، عن عمرو بن ميمون بن مهران قال : تنازع عمرو بن سعيد والحسن بن علي فقال عمرو : أما والله لطال ما سلكتم مسلكاً صعب المنحدر ، طلباً للفتنة والفرقة فلم يُرِكُم الله فيها ما تحبون . فقال له الحسن : إنك لو كنت تسمو بفعلك ما سلكت فج قصد ولا حللت برابية مجد ، ولتوشك أن تقع بين لحيي ضرغامة رأس قروش [٢] الأعادي فلا ينجيك الروغان إذا التقتا عليك حلقتا البطان [٣] .

المدائني عن عبدالرحمن العجلاني ، عن سعيد بن عبدالرحمن قال : تفاخر رجال من قريش فذكر كل امرىء ما فيهم فقال معاوية للحسن : يا أبا محمد ، ما يمنعك من القول ؟ فما أنت بكليل اللسان . قال : يا أمير المؤمنين ، ما ذكر مكرمة ولا فضيلة إلا ولي محضها ولبابها ، ثم قال :

فيم الكلام وقد سبقتُ مبرزاً سبق الجياد إلى المدى المتنفس

المدائني عن الهذلي ، عن ابن سيرين قال : خطب الحسن بن علي إلى رجل فزوجه ، فقال : إني لأزوجك وأنا أعلم أنك غلق طلقة ، ولكنك خير الناس نفساً ، وأرفعهم جداً وبيتاً .

١ ـ هو عتيبة ـ ويقال عتبة ـ بن مرداس التميمي . انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٢١٧ ـ ٢١٩ . حيث أورد البيت الأول .
٢ ـ قرش : قطع وجمع من ههنا وههنا وضم بعضه إلى بعض . القاموس .
٣ ـ حلقتا البطان : حلقتا حزام القتب . القاموس .

المدائني عن أبي اليقظان قال : نعىٰ الحسن بالبصرة عبدالله بن سلمة بن المحبق ، أخو سنان بن سلمة ، نعاه إلى زياد ، فخرج الحكم بن أبي العاص فَنَعَاهُ إلى الناس فبكوا ، وأبو بكرة يسمع البكاء فقال : ما هذا ؟ فقالت امرأته ابنة سحامة : مات الحسن بن علي فالحمد لله الذي أراح الناس منه ، فقال أبو بكرة : ويحك اسكتي فقد والله أراحه الله من شر طويل ، وفقد الناس منه خيراً كثيراً .

وقال الجارود بن أبي سبرة :

إذا كان شر سار يوماً وليلة   وإن كان خير قصد السير أربعاً
إذا مايريد الشر أقبل نحـونا   لإحدى الدواهي الربد جاء فأسرعا[1]

حدثنا بسام الجمال ، ثنا حماد بن سلمة عن ثابت ، عن الحسن ، أن الحسن بن علي كان يأتي النبي ﷺ وهو ساجد فيجلس عند رأسه فإذا رفع رأسه من السجود أخذه فأقعده في حجره .

قال المدائني : ولقي أبو هريرة الحسن بن علي فقال له : ائذن لي أقبل منك حيث رأيت النبي ﷺ يقبل منك ، فرفع قميصه عن سرته فقبلها .

وروي عن البهي مولى الزبير عن عبدالله بن الزبير أن الحسن كان يجيء والنبي ﷺ راكع فيفرج له بين رجليه حتى يخرج من الجانب الآخر .

وروى بعض المدنيين أن النبي ﷺ قال : «الحسن ريحانتي من الدنيا ،

١ ـ الربدة : لون إلى الغبرة ، والربداء : المنكرة . القاموس . وكان الجارود بن أبي سبرة من أهل البصرة ، توفي سنة ١٢٠ هـ ، «من أبين الناس وأحسنهم حديثاً ، وكان راوية علامة ، شاعراً مفلقاً ، وكان من رجال الشيعة» البيان والتبيين ، ط . هارون ج١ ص ٣٢٩ ـ ٣٣٠ . تهذيب الكمال للمزي ـ ط . بيروت ١٩٩٤ ج٣ ص ٣١١ ـ ٣١٢ .

وهو سيد ، وسيصلح الله به بين فئتين من المسلمين ، اللهم إني أحبه وأحب من يحبه» .

حدثنا هشام بن عمار الدمشقي ، ثنا عيسى بن يونس ، ثنا الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال : سمع رسول الله ﷺ بكاء الحسن والحسين عليهما السلام فقام فزعاً فقال : «أيها الناس لقد قمت وما أعقل» .

حدثني أبو الصلت الهروي عن محمد بن السري ، عن عبدالله بن حسن بن حسين قال : قال الحسن : حفظت عن رسول الله ﷺ تعليمه إياي الصلوات الخمس ، وقوله لي : «قل إذا صليت : اللهم اهدني فيمن هديت ، وعافني فيمن عافيت ، وتولني فيمن توليت ، وبارك لي فيما أعطيت ، وقني شر ما قضيت ، إنه لا يَذِلُّ من واليت ، تباركت وتعاليت» .

المدائني قال : بلغنا أن الحسن كان إذا أراد أن يطلق امرأة جلس إليها فقال : أيسرك أني أَهَبُ لك كذا ؟ فتقول : ما شئتَ ، أو تقول : نعم . فيقول : هو لك ، فإذا قام أرسل إليها بمالها الذي سماه وبالطلاق .

قال : وتزوج الحسن هند بنت سهيل بن عمرو ، وكانت عند عبدالله بن عامر ، فطلقها فكتب معاوية إلى أبي هريرة أن يخطبها على يزيد ، فلقيه الحسن فقال : أين تريد ؟ قال : أخطب هند بنت سهيل على يزيد بن معاوية ، قال : اذكرني لها فأتاها أبو هريرة فأخبرها الخبر فقالت : خِرْ لي ، فقال : أختار لك الحسن ، فتزوجها ، فقدم ابن عامر المدينة فقال للحسن : إن لي عندها وديعة فدخل إليها والحسن معه فجلست بين يديه ، فرقَّ ابن عامر حين نظر إليها فقال الحسن : ألا أنزل لك عنها فلا أراك تجد محللاً لكما خيراً مني . قال : وديعتي فأخرجت سفطين فيهما جوهر ففتحهما فأخذ من

كل واحد قبضة وترك الباقي عليهما .

وكانت عند عبدالرحمن بن عتاب بن أسيد قبل أن تكون عند ابن عامر وهو أبو عذرتها فكانت تقول : سيدهم جميعاً الحسن وأسخاهم ابن عامر ، وأحبهم إلي عبدالرحمن بن عتاب .

المدائني عن محمد بن عمر العبدي ، عن أبي سعيد أن معاوية قال لرجل من أهل المدينة من قريش : أخبرني عن الحسن . فقال : يا أمير المؤمنين ، إذا صلى الغداة جلس في مصلاه حتى تطلع الشمس ثم يساند ظهره فلا يبقى في مسجد رسول الله ﷺ أحد له شرف إلا أتاه فيتحدثون عنده حتى إذا ارتفع النهار صلى ركعتين ثم ينهض فيأتي أمهات المؤمنين فيسلم عليهن فربما أتحفنه ، ثم ينصرف إلى منزله ، ثم يروح الى المسجد فيصلي ويتحدث الناس إليه ، فقال : ما نحن معه في شيء .

حدثني بعض أصحابنا عن زبير بن بكار عن عمه مصعب ، بلغه أن حسناً لم يقل لأحد سوء قط في وجهه ولا في غيبته فقال يوماً وكانت بين الحسين وعمرو بن عثمان خصومة : ماله عندنا إلا ما يسوءه ويرغم أنفه .

المدائني عن سعيد بن عثمان ، ولم يكن بالحصيف أنه قال للحسن : ما بال أصداغنا تشيب قبل عنافقنا [1] ، وعنافقكم تشيب قبل أصداغكم ؟ فقال : إن أفواهنا عذبة فنساؤنا لا يكرهن لثامنا ، ونساؤكم يكرهن لثامكم فتصرف وجوهها فتتنفس في أصداغكم فتشيب .

المدائني عن سحيم ، عن حفص ، عن عيسى بن أبي هارون قال : تزوج الحسن حفصة بنت عبدالرحمن بن أبي بكر ، وكان المنذر بن الزبير

١ ـ العنفقة : الشعيرات بين الشفة السفلى والذقن . القاموس .

هويها فأبلغ الحسن عنها شيئاً ، فطلقها الحسن وكان مطلاقاً ، فخطبها المنذر فأبتْ أن تتزوجه وقالت : نهرني ، فخطبها عاصم بن عمر بن الخطاب فتزوجها فرقى إليه المنذر شيئاً فطلقها ، ثم خطبها المنذر فقيل لها : تزوجيه فيعلم الناس أنه كان يعضهك[1] بباطل ، فتزوجته فعلم الناس ما أراد وأنه كان كذب عليها فقال الحسن لعاصم بن عمر : انطلق بنا حتى نستأذن المنذر فندخل على حفصة فاستأذناه فشاور أخاه عبدالله بن الزبير فقال : دعهما يدخلان عليها فدخلا فكانت إلى عاصم أكثر نظراً منها إلى الحسن ، وكانت إليه أشد انبساطاً في الحديث ، فقال الحسن للمنذر : خذ بيدها ، وقام الحسن وعاصم فخرجا ، وكان الحسن يهواها وإنما طلقها لما رقى إليه المنذر .

وقال الحسن يوماً لابن أبي عتيق ، وحفصة عمته وهو عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن بن أبي بكر : هل لك في العقيق ؟ فقال : نعم ، فخرجا فمرا بمنزل حفصة ، فدخل إليها الحسن فتحدثا طويلاً ثم خرج فقال لابن أبي عتيق يوماً آخر : هل لك في العقيق ؟ قال : نعم . فمرا بمنزل حفصة فدخل ، ثم قال له مرة أخرى : هل لك في العقيق ؟ فقال له : يا بن أم ألا تقول هل لك في حفصة ؟ .

المدائني عن أبي أيوب القرشي ، عن أبيه ، أن الحسن بن علي أعطى شاعراً مالاً فقال له رجل : سبحان الله ، أتعطي شاعراً يعصىٰ الرحمن ويقول البهتان ؟ فقال : إن خير ما بذلت من مالك ما وقيت به عرضك ، وإن من ابتغاء الخير اتقاء الشر .

قالوا: وتداق الحسن ومعاوية في أمر فقال الحسن : بيني وبينك سعد بن

١ ـ عضه عضهاً: كذب ، وسحر ، ونم ، وجاء بالإفك والبهتان . القاموس .

أبي وقاص ، فقال معاوية : لا أحكم رجلاً من أهل بدر ، قال الحسن : فترضىٰ عبيدالله بن أبي بَكْرةَ بالعراق ؟ قال معاوية : لا أرضى به .

حدثني علي بن المغيرة الأثرم عن أبي عبيدة عن يونس بن حبيب قال : مدح شاعر الحسن بن علي فأعطاه عشرة آلاف درهم ، فقيل : أتعطيه عشرة آلاف درهم ؟ قال : ان خير المال ما وقى العرض واكتسب به حسن الأحدوثة ، والله ما أخاف أن يقول لست بابن رسول الله ﷺ ولا ابن علي ولا ابن فاطمة ، ولكني أخاف أن يقول إنك لا تشبه رسول الله ولا عليا ولا فاطمة والله إنهم لخير مني ، وأُخرى إن الرجل أملني ورجاني .

المدائني عن ابن جعدبة عن ابن أبي مليكة قال : تزوج الحسن بن علي خولة بنت منظور بن زبان بن سيار بن عمرو الفزاري ، فبات ليلة على سطح له أجم لا ستر له فشدت خمارها برجله والطرف الآخر بخلخالها فقام من الليل فقال : ما هذا ؟ فقالت : خفت أن تقوم بوسنك في الليل فتسقط فأكون أشأم سخلة على العرب ، فأحبها فأقام عندها سبعة أيام ، فقال ابن عمر : لم نر أبا محمد منذ أيام فانطلقوا بنا إليه ، فأتوه فقالت خولة : احتبسهم حتى نهيء لهم غداء ، فقال : نعم . قال ابن عمر : فابتدأ الحسن حديثاً ألهانا بالاستماع إعجاباً به حتى جاءنا بالطعام وكانت خولة عند محمد بن طلحة فخلف عليها ، وكانت أختها عند عبدالله بن الزبير ، فعبد الله زوجه إياها ، واسم أختها تماضر بنت منظور ، فغضب أبوها ثم رضي .

وقال قوم : الذي شدت خمارها برجله هند بنت سهيل بن عمرو ، والأول أثبت .

قالوا : وتزوج الحسن امرأة من أهل اليمن فبعث إليها بعشرة آلاف

درهم وطلاقها ، فقالت : متاع قليل من حبيب مفارق ، فقال الحسن : لو راجعتُ امرأة راجعتُ هذه .

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جده عن أبي صالح قال : أحصن الحسن بن علي تسعين امرأة . فقال علي : لقد تزوج الحسن وطلق حتى خفت أن يجني بذلك علينا عداوة أقوام .

حدثني روح بن عبدالمؤمن المقرىء ، ثنا المعتمر عن قرة بن خالد ، عن ابن سيرين قال : كان الحسن بن علي يقول : الطعام أيسر من أن يقسم عليه إذا دعي الرجل إلى أكله فلم يأكل .

المدائني عن أبي زكريا العجلاني قال : قال مخرمة بن نوفل : بنو هاشم أكمل سخاء من بني أمية . وقال جبير بن مطعم : بنو أمية أسخىٰ ، فقال له مخرمة : امتحن ذلك ونمتحنه ، فأتى جبير سعيد بن العاص ، وابن عامر ، ومروان فسألهم فأعطاه كل امرىء منهم عشرة آلاف ، وأتى مخرمة الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر فأعطاه كل واحد منهم مائة ألف درهم فردَّها وقال : إنما أردت امتحانكم .

وحدثني عباس بن هشام عن أبيه عن جده ، عن أبي صالح عن جابر بن عبدالله قال : أبطأ كلام الحسن بن علي فخرج رسول الله ﷺ الى البيت وهو معه ، فلما كبَّر رسول الله ﷺ كبَّر الحسن فسرَّ ذلك رسول الله ﷺ حتى تبينا السرور في وجهه ، وكبَّر رسول الله ﷺ فكبَّر الحسن إلى سبع تكبيرات ، فوقف الحسن عند السابعة ، وقرأ رسول الله ﷺ وركع ، ثم قام في الركعة الثانية ، فكبَّر النبي ﷺ وكبَّر الحسن حتى انتهى إلى خمس تكبيرات فوقف الحسن عندها وتلك سُنَّة العيد .

المدائني عن الهذلي عن الحسن أن فاطمة أتت النبي ﷺ بالحسن والحسين عليهم السلام فقالت : انحلهما . فقال : «قد نحلت الحسن الحلم والحياء ، وقد نحلت الحسين الجود والمهابة» ، وأجلس حسناً على فخذه اليمنى وحسيناً على اليسرى .

وحدثني عبدالله بن صالح عن حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن عروة قال : خطب أبو بكر يوماً فجاء الحسن فقال : انزل عن منبر أبي . فقال علي : ليس هذا عن ملأ منا .

وحدثني أبو خيثمة زهير بن حرب ، ثنا جرير عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه قال : وقع مغيرة بن عبدالله بن أبي عقيل الثقفي على الحسن بن علي وشتمه فقال رجل : يا أبا ظبيان ، وقع المغيرة في الحسن وسبّه . فقال : ولم قل خَيْرَهُ ، فوالله لقد كان النبي ﷺ يفرج رجليه ويقبل زبيبه !

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن أبي مخنف وعوانه بن الحكم في اسنادهما ، وحدثني عبدالله بن صالح العجلي عن الثقة عن ابن جعدبة عن صالح بن كيسان قالوا : لما قتل علي بن أبي طالب بالكوفة ، قام قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري فخطب وحمد الله وأثنى عليه ، ثم وصف فضل علي وسابقته وقرابته والذي كان عليه في هديه وعدله وزهده وقرَّظ الحسن ووصف حاله ومكانه من رسول الله ﷺ والذي هو أهله في هديه وحلمه واستحقاقه الأمر بعد أبيه ، ورغَّبهم في بيعته ، ودعاهم إلى طاعته ، وكان قيس أول من بايعه ثم ابتدر الناس بيعته .

وقد كان قيس عامل علي على آذربيجان فكتب إليه في القدوم للغزو معه ، فقدم فشهد مقتله .

وخرج عبيدالله بن العباس بن عبدالمطلب إلى الناس بعد وفاة علي ودفنه فقال : إن أمير المؤمنين رحمه الله تعالى قد توفي بَرّاً تقيّاً ، عدلا مرضياً ، أحيا سنة نبيه وابن عمه ، وقضى بالحق في أمته . وقد ترك خَلَفاً رضياً مباركاً حليماً فإن أحببتم خرج إليكم فبايعتموه ، وإن كرهتم ذلك فليس أحد على أحد . فبكى الناس وقالوا : يخرج مطاعاً عزيزاً ، فخرج الحسن فخطبهم فقال : اتقوا الله أيها الناس حق تقاته فإنا امراؤكم وأضيافكم ، ونحن أهل البيت الذين قال الله :﴿ليذهب عنكم الرجس [أهل البيت] ويطهركم تطهيرا﴾ [١] . والله لو طلبتم ما بين جابلق وجابرس [٢] مثلي في قرابتي وموضعي ما وجدتموه ، ثم ذكر ما كان عليه أبوه من الفضل والزهد والأخذ بأحسن الهدىٰ ، وخروجه من الدنيا خميصاً لم يَدَعْ إلا سبعمائة درهم فضلت من عطائه ، فأراد أن يبتاع بها خادماً . فبكى الناس ثم بايعوه ، وكانت بيعته التي أخذ على الناس أن يحاربوا من حارب ويسالموا من سالم ، فقال بعض من حضر : والله ما ذكر السلم إلا ومن رأيه أن يصالح معاوية أو كما قال .

ثم مكث أياماً ذات عدد يقال خمسين ليلة ، ويقال أكثر منها وهو لا يذكر حرباً ولا مسيراً إلى الشام ، وكتب إليه عبدالله بن عباس كتاباً يعلمه فيه أن علياً لم يجب إلى الحكومة ، إلاّ وهو يرىٰ أنه إذا حكم بالكتاب يرد الأمر إليه ، فلما مال القوم إلى الهوى فحكموا به ونبذوا حكم الكتاب رجع إلى أمره الأول فشمَّر للحرب ودعا إليها أهل طاعته ، فكان رأيه الذي فارق

١ ـ سورة الأحزاب ـ الآية : ٣٣ .

٢ ـ في معجم البلدان : روى أبو روح عن الضحاك عن ابن عباس أن جابلق مدينة بأقصى المغرب وأهلها عن ولد عاد ، وأهل جابرس من ولد ثمود .

الدنيا عليه جهاد هؤلاء القوم ، ويشير عليه أن ينهد إليهم وينصب لهم ولا يعجز ولا يهن .

قالوا : وأتى أهل الشام قتل علي فقام معاوية خطيباً فذكر علياً وقال : إن الله أتاح له من قتله بقطيعته وظلمه وقد ولي الكوفة بعده ابنه وهو حَدَثٌ غِرٌّ لا علم له بالحرب ، وقد كتب اليَّ وجوه من قبله يلتمسون الأمان فانتدب معه أهل الأجناد ، فأقبل عمرو بن العاص في أهل فلسطين، وعبدالرحمن بن خالد بن الوليد في أهل الأردن ، فكتب الحسن إلى معاوية يعلمه أن الناس قد بايعوه بعد أبيه ويدعوه إلى طاعته ، فكتب إليه في جواب ذلك يعلمه أنه لو كان يعلم أنه أَقوَم بالأمر وأَضبط للناس وأَكْيَدُ للعدو وأَحْوَطُ على المسلمين وأَعْلَمُ بالسياسة ، وأقوى على جمع المال منه لأجابه إلى ما سأل لأنه يراه لكل خيرٍ أهلاً ، وقال له في كتابه : إن أمري وأمرك شبيه بأمر أبي بكر وأمركم بعد وفاة رسول الله ﷺ ، ووعده أن يسوِّغه ما في بيت مال العراق ، وخراج أي الكور شاء يستعين به على مؤنه ونفقاته .

وكان رسول الحسن بكتابه إلى معاوية جُندب بن عبدالله بن ضَبّ ، وهو جندب الخير الأزدي ، فلما قدم جندب على الحسن بجواب كتابه أخبره باجتماع أهل الشام وكثرتهم وعدتهم ، وأشار عليه بتعجيل السير إليهم قبل أن يسيروا إليه ، فلم يفعل حتى قيل له أن معاوية قد شخص إليك وبلغ جسر منبج ، فتحرك عند ذلك ووجه حجر بن عدي الكندي إلى العمال يأمرهم بالجد والاستعداد إلى أن يمر بهم ، وأتاه سعيد بن قيس الهمداني فقال له : أخرج فعسكِر نَسِرْ معك . فخطب الحسن الناس فحضَّهم على الجهاد ، وعَرَّفَهم فضله وما في الصبر عليه من الأجر ، وأمرهم أن يخرجوا

إلى معسكرهم فما أجابه أحد ، فقال لهم عدي بن حاتم الطائي : سبحان الله ، ألا تجيبون إمامكم أين خطباءِ مضر ثم قال عدي للحسن : أصاب الله بك سبيل رشده يا أمير المؤمنين فقد سمعنا وأطعنا ، وهذا وجهي إلى المعسكر ومضى .

ثم قام قيس بن سعد وزياد بن خصفة ، ومعقل بن قيس فأحسنوا القول وأخبروا بمسارعتهم إلى أمرهم ، وخفوفهم للجهاد معه ، وأنهم لا يخذلونه فصدق مقالتهم ، وردَّ عليهم خيراً .

ثم إنه دعا بعبيد الله بن عباس وهو بمعسكره فقال له : يا بن عم . إني باعث معك اثني عشر ألفاً من فرسان العرب ووجوه أهل المصر فسربهم وألِنْ كَنَفَكَ وابسط لهم وجهك ، وأدنهم من مجلسك ، وسر على شاطىء الفرات حتى تقطع الفرات إلى أرض الأنبار ومسكن ثم تمضي فتستقبل معاوية وتحبسه حتى آتيك ، وليكن خبرك عندي كل يوم ، واستشر قيس بن سعد ، وسعيد بن قيس الهمداني واسمع منهما ولا تقطع أمراً دونهما ، وإن قاتلك معاوية قبل قدومي فقاتله فإن أصبت فالأمير قيس بن سعد فإن أصيب فسعيد بن قيس . فأخذ عبيدالله على قرية شاهي[1] ثم لزم الفرات حتى قطع الفلوجة ، وجاز الفرات إلى دِمًّا ثم أتى الأخنونية[2] .

وروى بعضهم أن قيس بن سعد كان على الجيش ، وأن عبيد الله كان معه ، والأول أثبت .

فلما شخص عبيد الله بن العباس ، سار الحسن بعده ، واستخلف

١ ـ قرية كبيرة على الفرات ، قرب بغداد عند الفلوجة . معجم البلدان .
٢ ـ الأخنونية : موضع من أعمال بغداد ، قيل هي حربي . معجم البلدان .

على الكوفة المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، وذلك بعد شهرين ويقال ثلاثة أشهر من بيعته .

ثم سار الحسن فأتى دير كعب فبات به ، ثم سار حتى أتى ساباط المدائن فنزل دون جسرها مما يلي ناحية الكوفة ، فخطب الناس فقال : إني أرجو أن أكون أنصح خَلَفٍ لخلقه ، وما أنا محتمل على أحد ضغينة ولا حقداً ولا مُريدٌ به غائلةً ولا سوءاً ، ألا وإن ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفُرقة ، ألا وإني ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم فلا تخالفوا أمري ولا تردوا عليَّ ، غفر الله لي ولكم .

فنظر بعض الناس إلى بعض وقالوا : عزم والله على صلح معاوية وضَعُفَ وخَارَ ، وشدوا على فسطاطه فدخلوه وانتزعوا مصلاة من تحته وانتهبوا ثيابه ، ثم شَدَّ عليه عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي جعال الأزدي فنزع مطرفه عن عاتقه ؛ فبقي متقلداً سيفه فدهش، ثم رجع ذهنه ، فركب فرسه وأطاف به الناس فبعضهم يُعَجِّزُه ويُضعِّفه ، وبعضهم يُنحِّي أولئك عنه ويمنعهم منه .

وانطلق رجل من بني أسد بن خزيمة من بني نصر بن الهون بن الحارث بن ثعلبة بن دَوْدَان بن أسد ، ويقال له الجراح بن سنان وكان يرى رأي الخوارج إلى مظلم ساباط فقعد فيه ينتظره ، فلما مر الحسن به دنا من دابته فأخذ بلجامها ثم أخرج مغولاً[1] كان معه وقال : أشركتَ يا حسن كما أشرك أبوك من قَبْلُ ، وطعنه بالمغول في أصل فخذه فشقَّ في فخذه شقاً كاد يصل إلى العظم ، وضرب الحسن وجهه ثم اعتنقا وخَرَّا إلى الأرض ، ووثب

١ ـ المغول : حديدة تجعل في السوط فيكون لها غلافا ، أو نصل طويل أو سيف دقيق له قفاً القاموس .

عبدك لام بن الحمل الطائي ، وبعضهم يقول عبد الله بن الحصل فنزع المغول من يد الجراح وأخذ ظبيان بن عمارة التميمي بأنفه فقطعه ، وضرب بيده إلى قطعة آجرة فشدخ بها وجهه ورأسه حتى مات .

وحُمل الحسن إلى المدائن وعليها سعد بن مسعود عم المختار بن أبي عبيد الثقفي وكان عليٌّ ولاه إياها فأدخلوه منزله فأشار عليه المختار أن يوثقه ويسير به إلى معاوية على أن يطعمه خراج جوخى سنة ، فأبى ذلك وقال للمختار : قبَّح الله رأيك ، أنا عامل أبيه وقد ائتمنني وشرفني ، وهَبْنِي نسيتُ بلاء أبيه ، أأنسىٰ رسول الله ﷺ ولا أحفظه في ابن ابنته وحبيبه .

ثم إن سعد بن مسعود أتى الحسن بطبيب وقام عليه حتى برىء ، وحوله إلى أبيض المدائن .

وتوجه معاوية إلى العراق واستخلف الضحاك بن قيس الفهري ، وَجَدَّ في المسير وقال : قد أتتني كتب أهل العراق يدعونني إلى القدوم عليهم فأومن بريئهم ويدفعون إليّ بغيتي ، وأتتني رسلهم في ذلك فسيروا إليها أيها الناس فإن كَدَر الجماعة خير من صفو الفُرقة ، وكانوا يدعونه أمير المؤمنين .

ولما رأى عمرو جدّ معاوية في المسير واخذامه[1] إياه قال : قد علم معاوية والله أن الليث علياً قد هلك وغالته شعوب .

قالوا : ومر معاوية بالرقة ثم بنصيبين وهو يُسكِّنُ الناس ويؤمِّنْ من مر به ، ثم أتى الموصل ، ثم صار إلى الأخنونية فنزل بإزاء عبيد الله بن العباس ، وأرسل عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس إلى عبيد الله وأصحابه أنَّ كُتُبَ الحسن قد أتتني مع رسله يسألني فيها الصلح ، وإنما

١ ـ خذمه : قطعه ، وأخذم : أقر بالذل وسكن . القاموس .

جئت لذلك ، وقد أمرت أصحابي بالكف عنكم فلا تعرضوا لهم حتى أفرغ مما بيني وبين الحسن ، فكذبوه وشتموه .

ثم بعث معاوية بعد ذلك عبد الرحمن بن سمرة إلى عبيد الله فخلا به ، وحلف له أن الحسن قد سأل معاوية الصلح ، وجعل لعبيد الله ألف ألف درهم إن صار إليه .

فلما علم عبيد الله رأي الحسن وأنه إنما يقصد قصد الصلح ، وحقن الدماء ، صار إلى معاوية فأكرمه وَبَرَّهُ ، وحفظ له مسارعته إليه .

وقام بأمر الناس بعد عبيد الله ، قيس بن سعد ، وقال في عبيد الله قولاً قبيحاً ، وذكر أخاه وما كان بينه وبين عليّ ، ونَسَبَ عبيد الله إلى الخيانة والغدر والضعف والجبن ، فبايع قيساً أربعة آلاف على الموت .

وظن معاوية أن مصير عبيد الله قد كسر الحسن فأمر بِسْر بن أبي أرطاة ، وكان على مقدمته وناساً معه فصاحوا بالناس من جوانب العسكر فوافوهم وهم على تعبئة فخرجوا إليهم فضاربوهم ، واجتمع إلى بسر خلق فهزمهم قيس وأصحابه .

وجاءهم بسر من الغد في الدهم فاقتتلوا فكُشف بسر وأصحابه وقتل بين الفريقين قتلى ، وعرض معاوية على قيس مثل الذي عرضه على عبيد الله فأبى ، ثم بعث إليه ثانية فقال له : على ماذا تقتل نفسك وأصحاب الحسن قد اختلفوا عليه ، وقد جرح في مظلم ساباط فهو لمابه[1] . فتوقف عن القتال ينظر ما يكون من أمر الحسن ففعل ، وجعل وجوه أهل العراق يأتون معاوية فيبايعونه ، فكان أول من أتاه خالد بن معمر فقال : أبايعك عن ربيعة كلها

١ - أي في وضع صحي خطير .

ففعل، وبايعه عفاق بن شرحبيل بن رهم التيمي فلذلك يقول الشاعر :

معاوي أَكْرِمْ خالاً بن المعمر فإنك لولا خالد لم تُؤَمَّر

وبلغ ذلك الحسن فقال : يا أهل العراق ، أنتم الذين أكرهتم أبي على القتال والحكومة ثم اختلفتم عليه ، وقد أتاني أن أهل الشرف منكم قد أتوا معاوية فبايعوه ، فحسبي منكم لا تَغُرُّوني في ديني ونفسي .

قال المدائني : وكتب معاوية إلى قيس يدعوه إلى نفسه وهو بمسكن في عشرة آلاف فأبى أن يجيبه ، ثم كتب إليه : إنما أنت يهودي بن يهودي ، إن ظفر أحب الفريقين إليك عَزَلَك واستبدل بك وإن ظَفَرَ أَبْغَضُهما إليك قَتَلَكَ ونَكَّلَ بكَ ، وقد كان أبوك أَوْتَرَ غَيْرَ قوسه ، ورمى غير غَرَضه فأكْثَرَ الحَزَّ وأخطأ المِفْصَل فخذله قومه ، وأدركه يومه فَهَلَك بحوران طريداً والسلام . فكتب إليه قيس بن سعد بن عبادة : أما بعد يا معاوية ، فإنما أنت وثن بن وثن من أوثان مكة ، دخلت في الإسلام كُرْهاً ، وخرجتَ منه طوعاً ، لم يقدم إيمانك ، ولم يحدث نفاقك . وقد كان أبي وَتَرَ قوسه ورمى غَرَضَه فاعترض عليه من لم يبلغ كعبهُ ولم يَشُقَّ غباره ، وكان أمراً مرغوباً عنه مزهُوداً فيه ، ونحن أنصار الدين الذي خرجت منه ، وأعداء الدين الذي صِرْتَ إليه . فقال له عمرو : أَجِبْهُ . فقال : أخاف أن يجيبني بما هو شر من هذا .

قالوا : وَوَجَّه معاوية إلى الحسن عبد الله بن عَامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، فقال ابن عامر : اتَّقِ الله في دماء أمة محمد أن تسفكها لِدُنْيا تُصيبها وسلطاناً تَنالَه لعل أن يكون متاعك به قليلاً ، إن معاوية قد لَجَّ ، فنشدتُك الله أن تَلجّ فيهلك الناس بينكما ، وهو يوليك الأمر من بعده ، ويعطيك كذا .

وكلمَّه عبد الرحمن بن سمرة بمثل كلام عبد الله أو نحوه ، فَقَبِل ذلك منهما ، وبعث معهما عمرو بن سلمة الهمداني ثم الأرحبي ومحمد بن الأشعث الكندي ليكتبا على معاوية الشرط ويعطياه الرضى .

فكتب معاوية كتاباً نسخته : «بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب للحسن بن علي من معاوية بن أبي أبي سفيان ، إني صالحتُك على أن لك الأمر من بعدي ، ولك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله محمد ﷺ وأشد ما أخذه الله على أحدٍ من خلقه من عهد وعقد ، لا أبغيك غائلة ولا مكروهاً ، وعلى أن أعطيك في كل سنة ألف ألف درهم من بيت المال ، وعلى أن لك خراج فسا ، ودرأبجـرد ، تبعث إليهما عمالك وتصنع بهما ما بدالك» .

شهد عبد الله بن عامر ، وعبد الله ين سلمة الهمداني وعبد الرحمن بن سمرة ومحمد بن الأشعث الكندي . وكُتب في شهر ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين .

فلما قرأ الحسن الكتاب قال : يُطمعني معاوية في أمرٍ لو أردتُ لم أسلمه إليه .

ثم بعث الحسن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، وأمه هند بنت أبي سفيان فقال له : ائتِ خالك فقل له إن أمنت بالناس بايعتك ، فدفع معاوية إليه صحيفة بيضاء قد خُتم في أسفلها وقال : اكتب فيها ما شئت ، فكتب الحسن :

بسم الله الرحمن الرحيم

«هذا ماصالح عليه الحسن بن علي معاوية بن أبي سفيان، صالحه على أن يسلم إليه ولاية أمر المسلمين، على أن يعمل فيها بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخلفاء الصالحين، وعلى أنه ليس لمعاوية أن يعهد لأحد من بعده، وأن يكون الأمر شورى والناس آمنون حيث كانوا على أنفسهم وأموالهم وذراريهم، وعلى أن لايبغي الحسن بن علي غائلةً سراً ولاعلانية، ولايُخيف أحداً من أصحابه».

شهد عبد الله بن الحارث. وعمرو بن سلمة.

وردهما إلى معاوية ليشهدا ويشهدا عليه.

وحدثني عباس بن هشام عن أبيه عن جده عن رجل من قريش قال: رأى رسول الله ﷺ الحسن فقال: سيُصلح الله به بين فئتين من المسلمين.

قالوا: وشخص معاوية من مسكن إلى الكوفة فنزل بين النخيلة ودارا لرزق، معه قصاص أهل الشام وقراؤهم، فقال كعب بن جُعيل التغلبي:

من جسر منبج أضحى غُبَّ عاشرةٍ ... في نخل مَسْكَنَ تُتلى حوله السُّوَرُ

قالوا: ولما أراد الحسن المسير من المدائن إلى الكوفة حين جاءه ابن عامر وابن سمرة بكتاب الصلح وقد أعطاه فيه معاوية ماأراد، خطب فقال في خطبته: ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾[1]، وسار إلى الكوفة، فلقي معاوية بالكوفة فبايعه، وبايعه عمرو بن سلمة الهمداني، فقال له معاوية: ياحسن - أو ياأبا محمد - قم فاعتذر، فأبى، فأقسم عليه فقام فَحَمَد الله وأثنى عليه ثم قال: إنّ أكْيَسَ الكَيْسِ التُّقى، وأحمقَ الحُمْق

١ - سورة النساء - الآية: ١٩ .

الفجور. أيها الناس انكم لو طلبتم بين جابلق وجابرس رجلاً جَدُّه رسول الله ﷺ ماوجدتموه غيري، وغير أخي الحسين، وإن الله قد هداكم بأولنا محمد وإن معاوية نازعني حَقًّاً هُوَلِي فتركتُه لصلاح الأمة وحقن دمائها، وقد بايعتموني على أن تسالموا من سالمت، وقد رأيت أن أساله وقد بايعته، ورأيت أن ما حقن الدماء خير مما سُفِكَها، وأردت صلاحكم وأن يكون ماصنعتُ حجة على من كان يتمنى هذا الأمر، ﴿وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين﴾[1]، ثم سكت وتفرق الناس.

ويقال أن معاوية قال للحسن: ياأبا محمد انك قد جُدْتَ بشيءٍ لاتطيب أَنْفُسُ الرجال بمثله، فاخرج إلى الناس فأَظْهر ذاك لهم. فقام فقال: إن اكيس الكيس التقى وأحمق الحمق الفجور، إنَّ هذا الأمر الذي سلمته لمعاوية إما أن يكون حقّ رجل كان أحقَّ به مني فأخذ حقَّه، وإما أن يكون حقي فتركته لصلاح أمة محمد وحقن دمائها، فالحمد لله الذي أكرم بنا أَوَّلَكُم، وحقن دماء آخركم.

حدثني أحمد بن سلمان الباهلي عن عبد الله بن بكر السهمي عن حاتم بن أبي صغيرة عن عمرو بن دينار قال: خطب الحسن حين صالح معاوية فقال: أيها الناس، إني كنت أُكْرِهُ الناس لأول هذا الأمر، وإني أصلحت آخره إما لذي حقٍ أديت إليه حقه، وإما لجور حق بي التمست به صلاح أمر أمة محمد، وإنك قد وليت هذا الأمر يامعاوية لخير علمه الله منك أو شرٍّ أراده بك ﴿وان أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين﴾.

قالوا وجاء هانيء بن خطاب الهمداني إلى معاوية فقال: أبايعك على

---

١ ـ سورة الأنبياء ـ الآية: ١١١ .

كتاب الله وسنة نبيه، فقال: لاشرط لك، قال: وأنت أيضاً فلا بيعة لك.

ثم قال معاوية: إذن فبايع فما خير شيء ليس فيه كتاب الله وسنة نبيه، فبايعه. وكندة تقول إن الذي قال هذا القول سعيد بن الأسود بن جبلة الكندي.

قالوا: ثم قام معاوية فخطب الناس فقال في خطبته: أَلا إني شرطتُ في الفتنة شروطاً أردتُ بها الألفة ووضع الحرب، أَلا وإنها تحت قدمي، فقال المسيب بن نجبة الفزاري للحسن: بايعت معاوية ومعك أربعون ألفاً ولم تأخذ لنفسك منه ثقة، قد سمعت كلامه والله ماأراد بما قال غيرك.

وقام سفيان بن ليل إلى الحسن فقال له: يامُذِلَّ المؤمنين، وعاتبه حِجْر ابن عدي الكندي وقال: سودت وجوه المؤمنين، فقال له الحسن: ماكل أحد يحب ماتحب، ولا رأيه كرأيك، وإنما فعلت مافعلت إبقاء عليكم.

ويقال إنه قال له: سمعت أبي يقول: يلي هذا الأمر رجل واسع البلعوم كثير الطعم، وهو معاوية، ثم إن الحسن شخص إلى المدينة وشيَّعه معاوية إلى قنطرة الحيرة.

وخرج على معاوية خارجي فبعث إلى الحسن من لحقه بكتاب يأمره فيه أن يرجع فيقاتل الخارجي وهو ابن الحوساء الطائي، فقال الحسن: تركت قِتالك وهو لي حلال لصلاح الأمة وأُلفتهم، افتراني أقاتل معك؟ وكان لحاقه إياه بالقادسية.

قالوا: وخطب معاوية أيضاً بالنخيلة فقال: إني نظرتُ فعلمت أنه لايصلح الناس إلا ثلاث خصال: إتيان العدو في بلاده فإنكم إن لم تأتوه أتاكم، وهذا العطاء والرزق أن يقسم في أيامه، وأن يقيم البعث القريب

ستة أشهر والبعيد سنة وأن تستجم[1] بلاد إن جمدت خربت، وقد كنت شرطتُ شروطاً ووعدتُ عِداةٍ ومنيت أماني لما أردت من إطفاء نار الفتنة وقطع الحرب ومداراة الناس وتسكينهم.

ثم نادى بأعلى صوته: ألا إن ذمة الله بريئة ممن لم يخرج فيبايع، ألا وإني طلبت بدم عثمان قتل الله قاتليه، ورد الأمر إلى أهله على رغم معاطس أقوام، ألا وإنا قد أجلناكم ثلاثاً فمن لم يبايع فلا ذمة له، ولا أمان له عندنا.

فأقبل الناس يبايعون من كل أوب، وكان زياد يومئذٍ عاملاً لعلي فلما بلغه أن ابن عامر قد ولي البصرة هرب فاعتصم بقلعة بفارس.

قالوا وولى معاوية عبد الله بن عامر البصرة، والمغيرة بن شعبة الكوفة، ومضى إلى الشام، فوجه الحسن عماله إلى فسا ودرأبجرد، وكان معاوية قد أمر ابن عامر أن يُغري أهل البصرة بالحسن فضجوا وجعلوا يقولون قد انقصت أعطياتنا بما جعل معاوية للحسن، وهذا المال مالنا فكيف يُصرف إلى غيرنا، ويقال إنهم طردوا عماله في الكورتين فاقتصر معاوية بالحسن على ألفي ألف درهم من خراج أصبهان وغيرها، فكان حضين بن المنذر الرقاشي أبو ساسان يقول: ما وفى معاوية للحسن بشيء مما جعل، قتل حِجراً وأصحابه، وبايع لابنه ولم يجعلها شورى، وسَمَّ الحسن.

حدثني عباس بن هشام عن أبيه، عن أبي مخنف، عن أبي الكنود عبد الرحمن بن عبيد قال: لما بايع الحسن بن علي معاوية أقبلت الشيعة تتلاقى باظهار الأسف والحسرة على ترك القتال، فخرجوا إليه بعد سنتين من يوم بايع معاوية فقال له سليمان بن صُرد الخزاعي: ماينقضي تعجبنا من بيعتك معاوية

١ ـ استجمت الأرض: كثر نبتها.

ومعك أربعون ألف مقاتل من أهل الكوفة كلهم يأخذ العطاء، وهم على أبواب منازلهم ومعهم مثلهم من أبنائهم وأتباعهم سوى شيعتك من أهل البصرة وأهل الحجاز ثم لم تأخذ لنفسك ثقة في العقد ولاحظاً من العطية، فلو كنت إذ فعلت مافعلت أشهدت على معاوية وجوه أهل المشرق والمغرب، وكتبت عليه كتاباً بأن الأمر لك من بعده كان الأمر علينا أيسر،ولكنه أعطاك أشياء بينك وبينه ثم لم يف به، ثم لم يلبث أن قال على رؤوس الناس: إني كنت شرطتُ شروطاً ووعدت عداة إرادة لإطفاء نار الحرب ومداراة لقطع هذه الفتنة، فأما إذا جمع الله لنا الكلمة والإلفة وآمننا من الفُرقة فإن ذلك تحت قدمي، فوالله مااغترني بذلك إلا ماكان بينك وبينه وقد نُقض، فإذا شئت فأعد الحرب جذعة، وأنذر لي في تقدمك إلى الكوفة، فأخرج عنها عامله وأظهر خلعه وتنبذ إليه ﴿على سواء أن الله لايحب الخائنين﴾[1].

وتكلم الباقون بمثل كلام سليمان، فقال الحسن: أنتم شيعتنا وأهل مودتنا، فلو كنت بالحزم في أمر الدنيا أعمل، ولسلطانها أربض وأنصب ماكان معاوية بأبأس مني بأساً، ولاأشد شكيمة ولاأمضى عزيمة، ولكني أرى غير مارأيتم. وماأردت فيما فعلت إلا حقن الدم، فارضوا بقضاء الله وسلِّموا لأمره، والزموا بيوتكم وأمسكوا ـ أو قال: كفُّوا أيديكم ـ حتى يستريح بِرّ أو يستراح من فاجر.

حدثني أحمد بن ابراهيم الدورقي، ومحمد بن حاتم المروزي قالا: ثنا أبو داود صاحب الطيالسة عن شعبة عن يزيد بن حمير عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه قال: قلت للحسن إن الناس يقولون إنك تريد الخلافة

١ ـ سورة الأنفال ـ الآية: ٥٨ .

فقال: كانت جماجم العرب بيدي يسالمون من سالمت ويحاربون من حاربت فتركتها ابتغاء وجه الله، ثم أريدها بأهل الحجاز ؟! وقال أحدهما : بأتياس الحجاز.

حدثني أحمد بن أبراهيم الدورقي، ثنا وهيب بن جرير عن ابن جعدبة عن صالح بن كيسان قال: لما قتل علي بن أبي طالب، وبايع أهل الشام معاوية بالخلافة، سار معاوية بالناس إلى العراق وسار الحسن بن علي بمن معه من أهل الكوفة، وَوَجَّهَ عبيد الله بن العباس وقيس بن سعد بن عبادة في جيش عظيم حتى نزلوا مسكن من أرض العراق، وقد رقَّ أمر الحسن، وتواكل فيه أهل العراق، فوثبوا عليه فانتُزِعَ رداؤه عن ظهره، وأُخذ بساطه من تحته، وخُرق سرادقه. فأرسل عبيد الله بن عباس إلى عبد الله بن عامر يأمره أن يأتيه إذا أمسى بأفراس حتى يصير معه إلى معاوية فيصالحه ففعل، فلحق عبيد الله بمعاوية وترك جنده لاأمير لهم، وفيهم قيس بن سعد فقام بأمر أولئك الجند، وجعل معاوية يرسل إليه أربعين ليلة يسأله أن يبايعه فيأبى حتى أراد معاوية قتاله، فقال له عمرو بن العاص: إنك لن تخلص إلى قتل هؤلاء حتى تقتل أعدادهم من أهل الشام، فصار إلى أن أعطاه ماأراد من الشروط لنفسه ولشيعته، ثم دخل قيس في الجماعة ومن معه وبايعه.

ولم يزل معاوية بالحسن حتى بايعه وأعطاه كل ماابتغى، حتى قيل إنه أعطاه عيراً أولها بالمدينة وآخرها بالشام، وصعد معاوية منبر الكوفة فقال للوليد بن عقبة يذكر قوله حين استبطأه في حرب علي:

ألا أَبلغْ معاوية بن حرب فإنك من أخيَ ثقة مليم
يأأبا وهب كيف رأيت أهل المت؟

حدثني أحمد بن أبراهيم، ثنا وهب بن جرير بن حازم، ثنا أبي قال: سمعت محمد بن سيرين يقول: لما بلغ الحسن معاوية، ركب الحسن إليه في عسكره وأردف قيس بن سعد بن عبادة خلفه، فلما دخلا العسكر قال الناس: جاء قيس، فلما دخلا على معاوية بايعه الحسن ثم قال لقيس: بايع. فقال قيس بيده هكذا، وجعلها في حجره ولم يرفعها إلى معاوية ومعاوية على السرير، فبرك معاوية على ركبتيه ومد يده حتى مسح على يد قيس وهي في حجره، قال إلي.

وحكى لنا محمد صنيعه وجعل يضحك. وكان قيس رجلاً جسيماً.

حدثنا خلف بن سالم، ثنا وهب قال: قال أبي، وأحسب رواه عن الحسن البصري قال: لما بايع أهل الكوفة الحسن أطاعوه وأحبوه أشد من حبهم لأبيه، واجتمع له خمسون ألفاً، فخرج بهم حتى أتى المدائن، وسرح بين يديه قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري في عشرين ألفاً، فنزل بمسكن، وأقبل معاوية من الشام في جيش، ثم إن الحسن خلا ناحية الحسين فقال: يا هذا إني نظرت في أمري فوجدتني لاأصل إلى الأمر حتى يُقْتَلُ من أهل العراق والشام من لاأحب أن احتمل دمه، وقد رأيت أن أسلِّمَ الأمر إلى معاوية فأشاركه في إحسانه ويكون عليه إساءته، فقال الحسين: أنشدك الله أن تكون أول من عاب أباك وطعن عليه ورغب عن أمره، فقال: إني لاأرى ماتقول، ووالله لئن لم تتابعني لأشدنَّك في الحديد فلا تزال فيه حتى أفرغ من أمري. قال: فشأنك، فقام الحسن خطيباً فذكر رأيه في الصلح والسلم لما كره من سفك الدماء وإقامة الحرب فوثب عليه أهل الكوفة وانتهبوا ماله وخرقوا سرادقه وشتموه وعجزوه ثم انصرفوا عنه ولحقوا بالكوفة، فبلغ الخبر

قيساً فخرج إلى أصحابه فقال: ياقوم إن هؤلاء القوم كذبوا محمداً وكفروا به ماوجدوا إلى ذلك سبيلاً، فلما أخذتهم الملائكة من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم دخلوا في الإسلام كرهاً وفي أنفسهم مافيها من النفاق، فلما وجدوا السبيل إلى خلافه أظهروا مافي أنفسهم، وإن الحسن عجز وضعف وركن إلى صلح معاوية، فإن شئتم أن تقاتلوا بغير إمام فعلتم، وإن شئتم أن تدخلوا في الفتنة دخلتم، قالوا: فإنا ندخل في الفتنة، وأعطى معاوية حسناً ماأراد في صحيفة بعث بها إليه مختومة اشترط الحسن فيها شروطاً فلما بايع معاوية لم يعطه مما كتب شيئاً، فانصرف الحسن إلى المدينة ومعاوية إلى الشام.

قالوا: ولما صالح الحسن معاوية وثب حمران بن أبان فأخذ البصرة، وأراد معاوية أن يبعث إليها رجلاً من أهل الشام من بلقين فكلمه عبيد الله بن عباس في ذلك فأمسك.

وولى عتبة بن أبي سفيان البصرة فقال له ابن عامر: ان لي بها أموالاً وودائع فإن لم تولنيها ذهبت بولاة البصرة.

وحدثني أبو مسعود عن ابن عون عن أبيه قال: لما ادعى معاوية زياداً وولاه، طلب زياد رجلاً كان دخل في صلح الحسن وأمانه، فكتب الحسن فيه إلى زياد ولم ينسبه إلى أب، فكتب إليه زياد: أما بعد فقد أتاني كتابك في فاسق يؤوي مثله الفساق من شيعتك وشيعة أبيك، وأيم الله لأطلبنّه ولو بين جلدك ولحمك فإن أحبُّ لحم إلي آكُلُهُ لَلَحْمٌ أنت منه.

فلما قرأ الحسن الكتاب قال: كفر زياد، وبعث بالكتاب إلى معاوية فلما قرأه غضب فكتب إليه: أما بعد يازياد فإن لك رأيين، رأي أبي سفيان ورأي

سميه، فأما رأيك من أبي سفيان فحزم وحلم، وأما رأيك من سمية فما يشبهها فلاتعرض لصاحب الحسن فإني لم أجعل لك عليه سبيلا، وليس الحسن مما يرمي به الرجوان[1]، وقد عجبت من تركك نَسَبَهُ إلى أبيه أفإلى أمه، وَكَلَتَهُ وهي فاطمة بنت رسول الله، فالآن اخترت له والسلام.

وقال أبو مخنف: بويع الحسن في شهر رمضان سنة أربعين، وصالح معاوية في شهر ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين فكان أمره ستة أشهر وأياماً.

وقال الواقدي وغيره: وكان صالح الحسن في سنة إحدى وأربعين واجتمع الناس على معاوية في هذه السنة قالوا: وطال مرض الحسن بعد قدومه المدينة من العراق حتى قيل إنه السل.

ثم إنه شرب شربة عسل فمات منها، ويقال إنه سم أربع دفعات فمات في أخراهنَّ، وأتاه الحسين وهو مريض فقال له: أخبرْني من سقاك السم؟ قال: لتقتله؟ قال: نعم. قال: ما أنا بمخبرك إن كان صاحبي الذي أظن فالله أشد له نقمة وإلا فوالله لايقتل بي بريء.

وقد قيل أن معاوية دس إلى جعدة بنت الأشعث بن قيس امرأة الحسن، وأرغبها حتى سَمَّتْهُ وكانت شانئة له.

وقال الهيثم بن عدي: دس معاوية إلى ابنة سهيل بن عمرو امرأة الحسن مائة ألف دينار على أن تسقيه شربة بعث بها إليها ففعلت.

وحدثني روح بن عبد المؤمن قال حدثني عمي عن أزهر بن عون قال: خرج الحسن بن علي على من كان يجالسه فقال: لقد لفظتُ الساعة طائفة من

١ ـ أي يُستهزأ به. القاموس.

كبدي أقلَّها هذا العود، ولقد سقيت السم غير مرة وماسقيته آشد من مَّرَّتي هذه. ثم دخل عليه من الغد وهو يكيد بنفسه.

وفاة الحسن بن علي عليه السلام

المدائني عن سلام بن مسكين عن عمران الخزاعي قال: رأى الحسن في منامه كأنه كتب على جبهته: ﴿قل هو الله أحد * الله الصمد﴾ السورة فقال أهله هذه الخلافة، فسئل سعيد بن المسيب فقال: يموت، لأن القرآن حق فهذا مصير إلى الحق. فمات بعد ثلاث.

حدثنا حفص بن عمر الدوري المقرىء عن عباد بن عباد عن هشام بن عروة عن أبيه قال قال الحسن حين حضرته الوفاة: ادفنوني عند قبر رسول الله ﷺ إلا أن تخافوا أن يكون في ذلك شر، فإن خفتم الشر فادفنوني عند أمي.

وتوفي فلما أرادوا دفنه أبى ذلك مروان وقال: لايُدفن عثمان في حش كوكب ويُدفن الحسن ههنا. فاجتمع بنو هاشم وبنو أمية فأعان هؤلاء قوم وهؤلاء قوم، وجاؤوا بالسلاح فقال أبو هريرة لمروان: يامروان أتمنع الحسن أن يدفن في هذا الموضع وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول له ولأخيه حسين: «هما سيدا شباب أهل الجنة». فقال مروان: دعنا عنك، لقد ضاع حديث

رسول الله ان كان لايحفظه غيرك وغير أبي سعيد الخدري إنما أسلمت أيام خيبر، قال: صدقت، أسلمت أيام خيبر، إنما لزمت رسول الله ﷺ فلم أكن أفارقه، وكنت أسأله وعنيت بذلك حتى علمت وعرفت من أَحَبَّ ومَن أبغضَ ومن قَرَّبَ ومن أبعد، ومن أَقَرَّ ومن نَفَى، ومن دعا له ومن لعنه.

فلما رأت عائشة السلاح والرجال، وخافت أن يعظم الشر بينهم وتُسفك الدماء قالت: البيت بيتي ولاآذن أن يدفن فيه أحد.

وقال محمد بن علي لأخيه: ياأخي إنه لو أوصى أن يدفن لدفناه أو نموت قبل ذلك، ولكنه قد استثنى فقال: إلا أن تخافوا الشر، فأي شر أشد مما ترى؟ فدُفن بالبقيع إلى جنب أمه.

ويقال إن الحسن أوصى أن يدفن مع النبي ﷺ فأظهر الحسين ذلك قبل موت الحسن، فأنكره مروان بن الحكم وكتب بقول الحسين إلى معاوية، فكتب إليه معاوية: إذا مات الحسن فامنع من ذلك أشد المنع كما منعنا من دفن عثمان مع النبي ﷺ.

فأتى الحسين الحسن فأخبره بذلك فقال: ياأخي اجتنبت القتال في حياتي، أفتريد أن يكون ذلك عند سريري؟ فَضَمِنَ له ألايفعل.

ويقال إنه لم يجر بينه وبين الحسين في ذلك شيء، فلما توفي أراد الحسين دفنه مع النبي ﷺ فمنعه مروان من ذلك، وكاد أن يكون بين الحسين وبينه في ذلك شر فأمسك.

حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن جده عن أبي صالح قال: قدم معاوية مكة فلقيه ابن عباس فقال له معاوية: عجباً للحسن شرب عَسَلَة طائفية فما روته، فمات منها، فقال ابن عباس: لئن هلك الحسن فلن ينسأ في

أجلك، قال وأنت اليوم سيد قومك. قال: أما مابقي أبو عبد الله فلا.

المدائني عن ابن جعدبة عن صالح بن كيسان قال : لقي معاوية ابن عباس بمكة فعزَّاه عن الحسن فقال : لا يسوءك الله يا أبا العباس . فقال : لن يسوءني الله ما أبقاك يا أمير المؤمنين ، فأمر له بمائة ألف درهم وأكثر من ذلك وبكسوة .

وسمعت من يحدث أن وفاة الحسن أتت معاوية وعنده ابن عباس ، فقال له: عجبت للحسن، شرب عسلة بماء رومة فمات، وعزى ابن عباس عنه فقال : لا يسوءك الله ، وقال ابن عباس : لا يسوءني الله يا أمير المؤمنين ما أبقاك ، فأمر له بألف ألف درهم .

قالوا : وكانت وفاة الحسن سنة تسع وأربعين ، ويقال سنة خمسين ، لخمس خلون من شهر ربيع الأول ، وزعم بعضهم أنه توفي سنة إحدى وخمسين .

قالوا : ودفن الحسن بالبقيع ، وصلى عليه سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية ، وكان والياً على المدينة .

وقال أبو مخنف : منع مروان من دفن الحسن مع رسول الله ﷺ حتى كاد يكون بين الحسين وبينه قتال ، واجتمع بنو هاشم وبنو المطلب ومواليهم إلى الحسين ، وقال أبو سعيد الخدري وأبو هريرة لمروان : تمنع الحسن من أن يدفن مع جده وقد قال رسول الله ﷺ : «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة» ؟ فقال مروان : لقد ضاع حديث رسول الله ﷺ إن كان لا يرويه إلا مثلك ومثل أبي هريرة . فدفن بالبقيع ، وكان للحسن يوم توفي سبع وأربعون سنة وأشهر .

وقال الواقدي : توفى الحسن في شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين ، وهو ابن سبع وأربعين سنة ودفن بالبقيع ، وصلى عليه سعيد بن العاص .

وحدثت عن جويرية بن أسماء قال : لما مات الحسن بن علي أخرجوا جنازته فحمل مروان سريره ، فقال له الحسين : أتحمل سريره ، أما والله لقد كنت تُجرِّعَهُ الغيظ . فقال مروان : إني قد أفعل ذاك بمن يوازن حِلْمُه الجبال .

وحدثني أحمد بن ابراهيم الدورقي ، ثنا وهب بن جرير بن حازم ، ثنا أبي قال : سمعت النعمان بن أسد يحدث عن الزهري قال : بويع الحسن بعد أبيه فقال لأصحابه في بيعته : تسالمون من سالمت وتحاربون من حاربت ، فلما سمعوا شرطه ارتابوا فطعنه رجل طعنة أشوته ، فازداد لهم بغضاً ومنهم ذعراً ، وأرسل إلى معاوية بكتاب شرط اشترطه وفيه : إن أعطيتني ما فيه بايعتك .

وكان معاوية بعث الى الحسن بصحيفة بيضاء مختومة في أسفلها ، فقال : اكتب فيها ما شئت . فكتب الحسن فيها ما أراد . ثم إن عمرو بن العاص أمر معاوية أن يأمر الحسن بالخطبة فأمره فقال الحسن بعد أن حمد الله وأثنى عليه : أما بعد فإن الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا ، وإن لهذا الأمر مدة ، والدنيا دار زوال ، وقال الله : ﴿وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين﴾ .

ثم إن الحسن لحق بالمدينة وقال معاوية لعمرو بن العاص : اكفني الكوفة . قال : فكيف ترى في مصر ؟ قال : ابعث عليها ابنك .

وقدم المغيرة بن شعبة الثقفي عليه ، وكان مقيماً بالطائف معتزلاً أمر

الناس فقال لمعاوية : أَتُؤَمِّرُ عَمراً على الكوفة وابنه على مصر فتكون كالقاعد بين لحيي الأسد ! قال : فما ترى ؟ قال : انا أكفيك الكوفة . قال : نِعمَ ما رأيت . وبلغ عمراً ذلك فقال لمعاوية : ألا أدلك على أمير للكوفة ؟ قال : بلى . قال : المغيرة بن شعبة ، ولّه واستعن برأيه وقوة مكيدته ، واعزله عن الخراج والمال فقد كان عمر ، وعثمان فعلا به ذلك . فقال معاوية : نِعْمَ ما رأيت .

ودخل المغيرة على معاوية فقال له : إني قد كنت جمعت لك الجند والمال ، ثم ذكرت أن الخليفتين قبلي كانا يوليانك الجند ويعزلان عنك الخراج . فخرج المغيرة فقال لأصحابه : قد عُزلت عن الخراج وهذا رأي لم يَغِبْ عنه أبو عبدالله ، يعني عمرو بن العاص ، ويقول أنه من مشورته .

مرثية الامام حسن

قال بعض الرواة : رثى سليمان بن قتة الحسن فقال :

يا كَذَّب الله من نعىٰ حسناً ليس لتكذيب قوله ثَمَنُ
أجول في الدار لا أرى في الدّ ار أُناس جوارهُمْ غُبُنْ[1]
كنتَ خليلي وكنت خالصتي لكل حيٍّ من أهله سَكَنُ
بَدَلْتُهُم منك ليت أنَّهُمُ أُمسوا وبيني وبينهم عدن

وقال هشام بن الكلبي : هذا لعلي بن ثابت بن يزيد بن وديعة الأنصاري في ابنه .

وقال النجاشي الحارثي الشاعر :

يا جَعْدُ بكيِّه ولا تسأمي بكاء حقٍّ ليس بالباطل
على ابن بنت الطاهر المصطفىٰ وابن عم المصطفىٰ الفاضل
كان إذا شَبَّتْ له نارُه يوقدها بالشَرْفِ القابل
كيما يراها يائِسٌ مرْمِلٌ أو ذو اغتراب ليس بالآهل
لن تُغلقي باباً على مثله في الناس مِنْ حَافٍ ولا ناعِلِ

١ ـ العبن ـ بضمتين ـ السمان الملاح منا . القاموس .

نِعْمَ فتىً الهيجاء يوم الوغىٰ والسيِّد القائلِ والفاعلِ

وقال رجل من غطفان :

بنو حسنٍ كانوا مَنَاخ ركابنا قديماً وما كنا ابن عمران نتبع

وقال أبو اليقظان : قال شاعر من همدان :

أتاني فوق الغال من أرض مسكنٍ بأنَّ إمام الحق أمسىٰ مسالما

فما زلت مذ نُبِّئْتُهُ بكآبةٍ أراعي النجوم خاشع الطَّرْفِ واجما

فراجعت نفسي ثم قلت لها اصبري فإن الإمام كان بالله عالما

وقالت أم الهيثم بن الأسود :

أقَرَّ عيني أنْ جاءت مقلدة خيل الشآمين في أعناقها الخرق

فَحَمَلْنَ كلَّ فتىً حُلْوٌ شمائله بمثله تُدرك الأوتار والحنق

قال أبو اليقظان وغيره : وُلد الحسن بن علي عليهما السلام : حَسَنَاً ، أمه خولة بنت منظور بن زبان بن سيار الفزاري ، وأمها مليكة بنت خارجة بن سنان المُرِّية ، وهو الذي قال : إن أطعنا الله فأحبونا ، وإن عصيناه فابغضونا ، فلو كان الله نافعاً أحداً بقرابته من النبي ﷺ لنفع بذلك أباه وأمه . قولوا فينا بالحق ودعوا الغلو .

وزيد بن الحسن الذي يقول فيه الشاعر :

وزيدٌ ربيع الناس في كل شَتْوَةٍ إذا أخلَفَتْ أنواؤُها ورعودُها

حَمُولٌ لأَشْيَاقِ الدِّيَاتِ كأنَّهُ سراج الدُّجىٰ إذ قَارنَتْهُ سُعُودُهَا

وفيه يقول قدامة ، أحد بني جمح :

إنْ يكُنْ زَيْدُ غَالَتْ الأرض شخصه فقد بانَ معروفُ هُناكَ وَجُوْدُ

وأم الحسن كانت عند عبدالله بن الزبير وأمها أم بشير بنت أبي مسعود البدري .

وحسيناً الأثرم . وعبدالله أمهما ظمياء أم ولد .

وأبا بكر وعبدالرحمن . والقاسم ، أمهم أم ولد ولا بقية لهم .

وطلحة بن الحسن أمه أم إسحاق بنت طلحة بن عبيدالله ، وأمها ابنة قسامة طائيَّة .

وعمرو بن الحسن ، أمه ثقفية، ويقال أم ولد .

وأم عبدالله لأم ولد ، تزوجها علي بن الحسين .

وكان الحسن بن حسن بن علي وصي أبيه ، وَوُلِيَ صدقة عليّ فسأله الحجاج بن يوسف وهو على المدينة أن يُدخِلَ عمر بن علي في الوصية فأبىٰ ، ثم قَدِم الحسن علىٰ عبدالملك بن مروان فرحب به ، وكان الحسن قد أسرع إليه الشيب فقال له عبدالملك : لقد أسرع إليك الشيب فقال يحيى بن الحكم : شَيَّبَتْهُ أماني أهل العراق الذين يَقْدُمُون عليه كل عام يمنُّونَه الخلافة . فقال له : ليس كما قلت . ولكنا أهل بيت يسرع إلينا الشيب .

فسأله عما قدم له فأخبره بما سأله الحجاج فكتب إليه أن يمسك عنه ووصله ، فلقي يحيى بن الحكم فقال له : ما حملك على ما قلت ؟ فقال : النظر لك . والله لولا فرقه منك ما قضى حاجتك .

فولد الحسن بن الحسن بن علي : عبدالله بن حسن بن حسن .

وحسن بن حسن بن حسن .

وابراهيم بن حسن . مات ببغداد ، وأمهم فاطمة بنت الحسين بن علي .

وقدم على الحسن بن الحسن بعض أخواله فقال له : مَنْ عندك من النساء ؟ قال : ابنة عمي الحسين . قال : ومالك ولبنات العم ؟ إنهنَّ

يضوين [١] وإن الغرائب أنجب ، اعرض علي بنيك ، فدعا بعبدالله فقال : هذا سيد . ثم دعا بالحسن بن الحسن بن الحسن فقال : ولابأس ، ثم دعا بابراهيم بن الحسن فلما رآه قال : حسبك منها .

وجعفر بن الحسن بن الحسن . وداود ، أمهما أم ولد .

ومحمد بن الحسن بن الحسن ، أمه رملة بنت سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل .

فولد عبدالله بن حسن بن حسن بن علي : محمد . وابراهيم . وادريس مات بإفريقية . وموسىٰ ، أمهم هند بنت أبي عبيدة بن عبدالله بن زمعة بن المطلب بن أسد بن عبدالعزىٰ .

وعيسىٰ أمه عاتكة بنت عبدالملك بن الحارث بن خالد المخزومي ويحيىٰ ، أمه رُكَيح بنت أبي عبيدة بن عبدالله بن زمعة .

وحدثتُ أن حسن بن إبراهيم بن عبدالله بن حسن بن حسن كان متغيباً من المهدي أمير المؤمنين ، فبينا هو يطوف إذ عرضت له فاطمة بنت محمد بن عبدالله بن حسن في ستاره ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، اسألك بقرابتك من رسول الله ﷺ لَّما أمنت زوجي . قال : ومن أنتِ ؟ قالت : فاطمة بنت محمد بن عبدالله ، وزوجي الحسن بن إبراهيم . قال : وأين هو ؟ قالت : معي . فأمنه وأخذ بيده حين فرغ من طوافه ثم خلا به .

فأما عبدالله بن حسن فكان ذا عارضة ونفس أبية ، وكان يسأل الوالي الحاجة فإذا رده عنها لم يزل يعمل في أمره حتى يعزله ولم يمت حتى بلغت غلته مائة ألف ، وكان يقال لولد حسن بن حسن خلّاء البلاد .

١ ـ الضوى : دقة العظم وقلة الجسم خلقة ، أو الهزال .

وحدثني أبو مسعود الكوفي قال : كان عبدالله بن حسن يقول لابنه : إياك ومعاداة الرجال فإنك لن تَعدم فيها مكر حليم أو مباداة جاهل .

وكان عبدالله يرشح ابنيه محمداً وابراهيم للخلافة من قبل أن يستخلف أمير المؤمنين أبو العباس. ويُسمّي محمداً ابنه المهدي والنفس الذكية .

ويروي ذلك له المغيرة مولىٰ بجيلة الذي ينتسب إليه المغيرية ، وبيان التبان وكانا يكفِّران أصحاب محمد بن علي بن الحسين.فقال أبو هريرة العجلي ـ وكان أبو هريرة من شيعة محمد بن علي بن الحسين ـ :

أبا جعفر أنت الإمام نحبه ... ونرضىٰ الذي يرضى به ونبايع
أتتنا رجال يحملون عليكم ... أحاديث قد ضاقت بهن الأضالع
أحاديث أفشاها المغيرة عنكم ... وشَرّ الأمور المحْدَثَاتُ البدائع

وكان بَيَان خرج على خالد بن عبدالله القسري داعياً لمحمد بن عبدالله بن الحسن ، وخالدٌ على العراق فأدهشه خروجه ، فقال : أطعموني ماءً . ووجه إليه الخيل فأُخذ بيان وأُتي به خالداً فقتله وصلبه .

ثم خرج المغيرة عليه بعد بيان فأخذه فقتله وصلبه بحيال بيان فقال الشاعر لِخَالِدٍ :

وقلتَ لِمَا أصابَكَ أطعموني ... شراباً ثم بِلتَ على السرير
إذا ذُكِرَ الكرام بيوم خَيْرٍ ... فَأَيْرٌ في حِرامِّكَ مِنَ أَمِيْرِ

وقد قيل أيضاً أن المغيرة استخفىٰ بعد قتل بيان ، فَدُلّ خالد عليه فأخذه وصلبه فقال الشاعر :

طار التجاور من بيان واقفاً ... ومن المغيرة عند جسر العاشر

قالوا : ولما قتل الوليد بن يزيد بن عبدالملك . وكانت الفتنة ، كتب الفضل بن عبدالرحمن بن عياش بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب إلى عبدالله بن الحسن :

دونك أمر قد بدت أَشْراطُهُ وريشت من نَبله أَمْــراطُـهُ
إن السبيل واضح صِراطُــهُ لم يبق إلا السيفُ واختراطُهُ

فدعا عبدالله بن الحسن قوماً من أهل بيته إلى بيعة ابنه محمد ، وأتىٰ جعفر بن محمد بن علي بن الحسين فأراده على أن يبايع لمحمد فأبىٰ وقال : اتق الله يا أبا محمد وأبق على نفسك وأهلك فإن هذا الأمر ليس فينا ، وإنما هو في ولد عمنا العباس ، فإن أبيت فادْعُ إلى نفسك فأنت أفضل من ابنك . فأمسك ولم يجبه .

واستتر محمد بن عبدالله وقد بايعه قوم من أهل بيته ومن قريش ، وكان يخرج إلى البادية فيطيل المقام بها ثم يظهر أحياناً ويستتر أحياناً ، فلم يزل على ذلك حتى بويع أبو العباس أمير المؤمنين ومحمد يومئذٍ في بلاد غطفان عند آل أرطاة بن شبيب ، وجعل يتنقل بالبادية ، وتسمَّىٰ المهدي .

وكان مروان بن محمد بن مروان يُخَوَّفُ من محمد بن عبدالله فيقول : لا تهيجوه فليس هو بالذي يُخاف ظهورهُ علينا .

قالوا : ولما بويع أبو العباس وظهر أمره استخفىٰ محمد ، وتمارض أبوه وأظهر أن ابنه محمداً قد مات ، وكتب أبو العباس إلى عبدالله بن الحسن يأمره بالقدوم عليه فقدم في رجال من أهله فأكرمهم أبو العباس وبَرَّهم ووصلهم ، وقال له : يا أبا محمد إني أرضى من ابنك محمد بأن يبايع بالمدينة ولا يشخص إلي ؟ . فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أدري أين مستقره ،

فقال : أما إني لا أطلبه ، والله ليقتلنَّ محمد وليقتلنَّ ابراهيم ، فلما خرج من عنده قال لأخيه حسن بن حسن : ما نتهنأ باكرام هذا الرجل لنا مع كثرة ذكره محمداً وابراهيم .

وسمعه أبو العباس يقول : ما رأيت ألف ألف درهم قط مجتمعة ، فدعا له بألف ألف درهم فوصله بها فقال : إنما أعطانا بعض حقنا .

وكان لا يمتنع من إظهار حسده ، فأطافه ذات يوم في مدينة يريد بناءها فجعل ينشد :

أَلَمْ تَـرَ حَوْشَبَـاً أَمْسَىٰ يُبَنِّي ... منــازِلَ نَفْعُهـا لبني بقيله
يُؤَمِّلُ أَنْ يُعَمَّرَ ألف عامٍ ... وأَمْرُ الله يَطْرُقُ كـلَّ ليله

فتطيَّر أبو العباس من إنشاده وقال : أفٍ لك . قَلَّما يملك الحسود لسانه ، فقال : أَقِلْني يا أمير المؤمنين فإني لم أُرد سوءاً ، فقال : لا أقالني الله إذاً ، وهجره أياماً ، واشتد عليه في طلب ابنيه فقال : تغيبا فما أدري أين هما ، فقال : أنت غيبتهما ، ثم أظهر الرجوع له وبره فدخل عليه ذات يوم وبين يديه مصحف فقال : يا أمير المؤمنين اعطنا ما في هذا المصحف بحق ما فيه ، فقال : أعطيك ما أعطاك أبوك حين ولي الأمر .

ثم إنه استأذنه في إتيان المدينة فأذن له في ذلك ووصله ومن معه ، وقضى حوائجهم وأقطع عبدالله قطائع ، وأقطع أخاه الحسن بن الحسن بن الحسن عين مروان بذي خشب[1] ، ولم يمت عبدالله حتى بلغت غلته مائة ألف درهم .

وكان عثمان بن حيان المرّي من قبل الوليد على المدينة فأساء بعبدالله

١ ـ واد على ليلة من المدينة . المغانم المطابة .

والحسن ، فلما عزل أتياه فعرضا عليه الحوائج فجزاهما خيراً ، وقال : الله أعلم حيث يضع رسالاته .

وكان عبدالله بن الحسن إذا كلم عاملاً في حاجة فلم يقضها عمل في عزله ، وقال لبنيه : إياكم ومعاداة الرجال فإنكم لن تعدموا فيها أمراً من أمرين : مكر حليم أو مباداة جاهل .

وقال عبدالله بن الحسن :

أُنسٌ غَرَائِرُ ما هَمَمْن بِرِيْبَةٍ كظِباءِ مَكَّةَ صَيْدُهُنَّ حَـرَامُ
يُحْسَبْنَ مِنْ أُنْسِ الحديثِ زَوَانِياً وَيَصُدُّهنَّ عن الخَنَا الإسلامُ

وولىٰ أبو العباس المدينة داود بن علي بن عبدالله بن العباس عمه ، فَألفىٰ بها داود دعاة لمحمد فتغيبوا ، وتوفي داود بالمدينة يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من صفر سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، وقام بأمر المدينة موسىٰ بن داود بن علي بعد أبيه ، ثم قدم زياد بن عبيدالله الحارثي من قبل أبي العباس على المدينة في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، فقدمها محمد بن عبدالله من البادية فدعا زياد الناس للبيعة ودعاه معهم فبايع مع الناس ، وأراد أن يحضر الناس بيعة محمد وحده ، فطُلب لذلك فاستخفىٰ ، فتكلم الناس فقال قائل : بَايَعَ وقال آخر : لم يبايع . وكتب أبو العباس إلى عبدالله بن الحسن :

أريـد حِبَـاءَهُ ويـريـد قتـلي عَذِيْرُكَ من خليلك من مراد

فكتب إليه :

وكيف أُريدُ ذاكَ وأنت مني وزندك حين يقدح من زنادي
وكيف أريد ذاك وأنت مني بمنـزلـة النيـــاط من الفؤاد

وكيف أريد ذاك وأنت مني وأنت لغـالب رأسٌ وهـاد

وقال بعضهم : كتب هذا البيت إلى محمد حين ظهر ، فكتب إليه بهذه الأبيات ، ثم كان بين الظاهر والمستخفي .

حدثني الأثرم عن الأصمعي عن نافع بن أبي نعيم قال : قدم عبدالله بن حسن بن حسن بن علي على عمر بن عبدالعزيز فقال له عمر : إنك لن تغنم غنيمة لا يغنمها أهلك خير من نفسك.فرجع وأتبعه حوائجه .

وكان عبدالله يقول لبنيه : اصبروا فإنما هي غدوة أو روحة حتى يأتي الله بالفرج .

خلافة المنصور

قالوا : ولما توفي أبو العباس واستخلف أمير المؤمنين المنصور كتب إلى زياد بن عبيدالله يأمره بالتشدد على عبدالله بن حسن حتى يأتيه بابنه محمد فلم يفعل وجعل يُعذر .

وكان كاتب زياد يتشيع فبلغ ذلك المنصور فكتب إليه أَنْ نَحِّ كاتبك حفصاً . فنحاه عنه ، ثم كتب زياد الى عيسى بن موسىٰ فكلم المنصور في رده فرده .

واستبطأ المنصور زياداً ، وشخص الى المدينة سنة أربعين ومائة فأعطىٰ أهل المدينة عطاء كاملاً ، وقسم فيهم مالاً وتحول زياد حين قدم المنصور عن دار الإمارة وترك داره التي أقطعه إياها أبو العباس وهي بالبلاط وهي التي يقال لها دار معاوية .

ودخل زياد على المنصور فلم يأمره بالجلوس ولم يرد عليه السلام ، ولم يزل قائماً حتى انتصف الليل ثم رفع رأسه إليه فقال : قتلني الله إن لم أقتلك . حَذَّرْتَ ابني عبدالله حتى هربا من بعدما ظهرا ، وقلت لمحمد :

اذهب إلى حيث شئت . فقال : يا أمير المؤمنين . وَجَّهتَ عقبة بن سلم في أمرهما فشخص من الكوفة فلم ينزلْ منزلاً إلا أظهر فيه سفطاً معه فيه سكاكين وقال أمرني أمير المؤمنين أن أذبح فلاناً وفلاناً ، فلما بلغهما ذلك حذرا فلو تركتني لرجوتُ أن أترفق بهما حتى يظهرا .

ثم إنه أمر زياداً بأخذ عبدالله بن حسن فأخذه وحبسه في دار مروان ، وكان المنصور قبل قدومه المدينة بعث عقبة بن سلم بن الملدّ إلى المدينة ليعلم عِلْمَ محمد فقدمها متنكراً فجعل يبيع العطر ويدس غلماناً يبيعون العطر ويسألون عن الأخبار ، وكان يبذل ويعطي في طَلبه ويكتب بالأخبار .

وكان المنصور يدس قوماً يتجرون في البلدان ويتعرفون الأخبار، ودس رجلاً أعطاه مالاً فأتى عبد الله بن حسن فأظهر التشيع وقال : إن معي مالاً أدفعه اليكم ، فوثق به وبعث معه من أوصله الى محمد وهو في جبل جهينة ، ثم علم عبدالله بعد ذلك أنه عين ، فبعث إلى محمد رجلاً من مزينة يحذره إياها فقيده محمد وحبسه عند بعض الجُهَنِيّين .

ثم إنه احتال فهرب في غراره مخيطة ولم يعرف ذلك العين اسم الرسول المزني، فبعث أبو جعفر المنصور من حمل إليه مائة رجل من المزنيين فكان صاحبه فيهم، فلما رآه أشار إليه فضرب تسعمائة سوط، واراد المسيب الضبي ضرب عنق عبد الله فمنعه المنصور من ذلك.

قالوا: وشخص المنصور من المدينة إلى الكوفة راجعاً وعبد الله محبوس،وأمر زياداً بطلب محمد وإبراهيم فغيب وقصَّر،وبلغ ذلك المنصور فعزله، ويقال إنه أغرمه مالاً، وولى المدينة عبد العزيز بن عبد المطلب من آل كثير بن الصلت، ثم عزل عبد العزيز، واستعمل محمد بن خالد بن عبد الله

القسري على المدينة فقدمها في رجب سنة إحدى وأربعين ومائة فاستبطأه في أمر محمد، وبلغه أنه وجد في بيت مال المدينة ألف ألف درهم وسبعين ألف دينار، فأسرع في انفاقها، فعزله في سنة أربع وأربعين ومائة. وولى المدينة رياح بن عثمان بن حيان المري. فأخذ كاتب محمد بن خالد، وكان يقال له رزام فضربه وعذبه، وحبس محمدا فبعث بابنه علياً داعية إلى مصر فدل عليه وحمل إلى المنصور فأمر بحبسه.

وكان محمد بن عبد الله قدم إلى البصرة. فأرسل إلى عمرو بن عبيد صاحب الحسن. فلقيه فطالت النجوى بينهما فلم يجبه عمرو إلى شيء ووعظه وحذره الدماء وسوء العواقب.

وقدم المنصور البصرة فأرسل إلى عمرو أن الناس مجمعون على أنك قد بايعت محمداً، فقال عمرو: والله لو قلدني الناس أمرهم على أن اختار لهم إماماً مااخترته، فكيف أبايع محمداً.

وكتب المنصور على لسان محمد كتاباً إلى عمرو بن عبيد فلما قرأه قال للرسول: ليس له جواب على ذاك، قل له: دعنا عافاك الله نعيش في هذا الظل، ونشرب هذا الماء البارد حتى يأتينا الموت، فلما رجع الرسول إلى المنصور أخبره فقال: هذه ناحية قد كُفيناها.

قالوا: وضيق رياح على عبد الله بن الحسن وأخذ أخاه حسن بن حسن وعدة من أهلهما فحبسهم، وحج المنصور سنة أربع وأربعين ومائة فتلقاه رياح بالربذة فأخبره بما صنع بعبد الله ومن معه، وقد كان حملهم يتلقى المنصور بهم، فدعا المنصور بعبد الله فأغلظ عبد الله له فأمر ببيع متاعه واصطفاء ماله، فبيع متاعه وصُيِّر في بيت المال بالمدينة، فأخذ مالك بن أنس

الفقيه رزقه من ذلك المال بعينه اختياراً منه.

ودعا المنصور بعقبة بن سلم فقال لعبد الله: أتعرف هذا؟ فسقط في يده، وكان يراه فلا يدري أنه عين عليه وعلى ولده، وأمر المنصور بحمل عبد الله ومن أُخذ معه ومحمد يومئذ بجبال رضوى.

وكان محمد بن عبد الله المطرف بن عمرو بن عثمان بن عفان قد زوج ابنته من ابراهيم بن عبد الله فأخذه المنصور بأن يدله على ابراهيم فأبى فضربه بالربذة ستين سوطاً، فقال له قولاً غليظاً تعدى فيه فضربه مائة وخمسين سوطاً، وحُمل مع القوم، وكان يقال لمحمد هذا الديباج.

وبعث المنصور عيسى بن علي عمه إلى عبد الله وهو بالربذة، فقال له: قل له أذكِّرك الله في نفسك وأهل بيتك، أظْهِر ابنيك وخذ على أمير المؤمنين ماشئت من عهد وميثاق، فقال: إني لاأجيب بشيء إلا أن يأذن لي أمير المؤمنين عليه فأكلمه، فأبى المنصور أن يأذن له عليه وقال: يسحرني بلسانه كما سحر غيري.

وقال بعض الرواة إن عبد الله وأهل بيته لم يكونوا مع رياح بالربذة ولكن المنصور وجَّهَ أبا الأزهر فحملهم من المدينة إلى الربذة، ومضى بالقوم ومضى معه إلى مكة، ثم انصرف إلى العراق وهم معه، فلم يزل عبد الله بن حسن محبوساً عنده حتى مات في محبسه بها شمية الكوفة وهو يومئذ ابن اثنتين وتسعين سنة(١) ودفن عندها بقرب قنطرة الكوفة على الفرات

وتوفي حسن بن حسن بن حسن بن علي بالهاشمية أيضاً في حبس أبي جعفر سنة خمس وأربعين ومائة، وكان حسن صاحب جد فقدم السيالة في

١ - في هامش الأصل مايفيد أنه برواية أخرى «سبعين».

أيامه وبها إبراهيم بن هرمة[1] يشرب في أصحاب له وقد نفد ما معه فكتب إليه يعلمه ان قوما أتوه، وأنه لاشيء عنده وكتب في أسفل كتابه:

إني أُجِلُّكَ أنْ أقول لحاجتي فإذا قرأتَ صحيفتي فَتَفَهَّمِ
وعليك عهد الله أن أُخبِرْ بها أهل السيالة إن فعلتَ وإنْ لمِ

قال: وعليّ عهد الله إن لم أخبرهم، فأخبر العامل بخبره وخبر أصحابه. فلما بلغ ابن هرمة ذلك فَرَّقَ أصحابه.

ولما بلغ محمد بن عبد الله حبس أبيه، ويقال موته، خرج بعد أيام بالمدينة، وصار إبراهيم إلى البصرة وأتى الأهوار فأمر المنصور بالعثماني فقتل.

وقال أبو اليقظان: ضرب المنصور عنقه صبراً، وشهر رأسه، وأظهر أنه رأس محمد، وبعث به إلى خراسان.

وقال المدائني: وجد المنصور كتباً للعثماني إلى محمد بن عبد الله فأحفظه ذلك فدعا به فأمر فضربت عنقه، وبعث برأسه إلى خراسان.

وحدثني عبد الله بن صالح المقرىء قال: مر المنصور بعبد الله بن حسن وهو مغلول مقيد في محمل بلا وطاء، فقال له: ياأمير المؤمنين، مافعل رسول الله هذا بأسارى بدر، فلم يكلمه بشيء.

---

١ ـ كان من الخلج من قيس عيلان، مولعاً بالشراب، ولما ولي المنصور شخص إليه وامتدحه، فاستحسن شعره، وقال: سل حاجتك، قال: تكتب إلى عامل المدينة أن لايحدني إذا أتي بي إليه وأنا سكران، قال أبو جعفر: هذا حد من حدود الله تعالى وماكنت لأعطله، قال: فاحتل لي فيه ياأمير المؤمنين، فكتب إلى عامل المدينة: من أتاك بابن هرمة وهو سكران فاجلده مائة جلدة، واجلد ابن هرمة ثمانين، فكان العون يمر به وهو سكران فيقول: من يشتري ثمانين بمائة. ويجوزه. الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٤٧٣ ـ ٤٧٤. وانظر الأبيات في شعر ابن هرمة ط. دمشق ١٩٦٩ ص ١٩٩ ـ ٢٠٠ مع فوارق.

وحدثني بعض أصحابنا عن الزبير بن بكار عن أحمد بن محمد عن محمد بن حوب قال: قال عبد الله بن حسن لابنه محمد حين أراد الاستخفاء من المنصور: يابني إني مؤدٍ إلى الله حقه في نصيحتك، فأدِّ إلى الله حقه في الاستماع والقبول، يابني كُفَّ الأذى، واستعنْ على السلامة بطول الصمت في المواطن التي تدعوك نفسك إلى الكلام فيها، فإن الصمت خير على كل حال إذا لم يكن للكلام موضع، وللمرء أوقات يضر فيها خطأه ولاينفع صوابه، واعلم أن من أعظم الخطأ العجلة قبل الإمكان والأناة بعد الفرصة، وأحذر الجاهل وإن كان ناصحاً، كما تحذر العاقل إذا كان لك عدواً.

خروج محمد بن عبد الله بن حسن ومقتله

قالوا: أقبل محمد بن عبد الله بن حسن في ولاية رياح بن عثمان بن حيان بن معبد المرّي المدينة في مائة وخمسين، وهو على حمار ويقال على أتان حتى أتى بني سلمة من الأنصار، فأقام وتوافى إليه أصحابه، ثم أتى السجن فأخرج من فيه فأقبل حتى أتى بيت عاتكة بنت يزيد بن معاوية الذي يقول فيه الأحوص بن محمد الأنصاري:

يابيتَ عاتكة الذي أتَعَـزَّلُ　　حَذَرَ العِدَى وبه الفؤاد مُوَكَّلُ[1]

فجلس على بابه وهو يقول: لاتقتلوا أحداً وادخلوا المقصورة فدخلوها وأحرقوا باب الخوخة، ودخلوا دار مروان وفيها رياح، وكان رياح يقول: أبدا هذه الدار مِحْلالٌ مِظْعَانٌ وأنا أول ظاعن عنها، فصعد رياح مشربة في الدار وهدم الدرجة، وصعدوا إليه فأنزلوه، وأمر محمد بحبسه وحبس أم ولد[2] له وأخرج محمد بن خالد القسري من الحبس وكان المري حبسه وابن أخيه نذير بن يزيد بن خالد بن عبد الله.

١ ـ شعر الأحوص الأنصاري ـ ط. القاهرة ١٩٩٠ ص٢٠٧ .
٢ ـ في الحاشية مايفيد أنه في رواية أخرى «أخ».

وأصبح محمد فبايعه الناس وخطبهم فقال: ياأهل المدينة إني والله ماخرجت فيكم للتعزز بكم فلغيركم أعزمنكم، وماأنتم بأهل قوة ولاشوكة، ولكنكم أهلي وأنصار جدي فحبوتكم بنفسي، والله ما من مصر يُعبد الله فيه إلا وقد أخذتْ لي دعاتي فيه بيعة أهله، ولولا ماانتهك مني وَوُتِرْتُ به ماخرجتُ.

ووجه حسن بن معاوية بن عبد الله بن جعفر إلى مكة فقدم حسن بن معاوية على مقدمته أبا عدي عبد الله بن عدي بن حارثة بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس الذي يقول للوليد:

إنَّ سَيْرِيْ إليكَ من قن أرضٍ   لِمَنَ الحزم والفِعَال السَّـدِيدِ
عبد شمس أبوكَ وهو أبونا   لانُنَـاديكَ من مكـانٍ بعيـدِ
والقـرابـات بيننـا واشجـاتٌ   مُحكماتُ القِوَى بعقدٍ سديدِ
فـاثبني ثـواب مثلك مثـلي   تَلْقَني للثـواب غيرَ جَحُـودِ

فكان أبو عدي يقدم مولى لبعض أهل المدينة يقال له سلجم أمامه حتى قدموا مكة وعليها السريُّ بن عبد الله بن الحارث بن العباس بن عبد المطلب فكان سلجم ينادي: ابرز يابن أبي عضل، وكان الحارث بن العباس يلقب أبا عضل، فكانت فيه لُكْنَةٌ.

فتنحى السريّ عن مكة، وكان خروج محمد ليلة الأربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة، ويقال لأربع عشرة ليلة خلتْ من شهر رمضان في عَامهِ ذلك سنة خمس وأربعين، وسارع أهل المدينة إلى بيعة محمد وقالوا: هذا الذي كنا نسمع به: «العجب كل العجب بين جمادى ورجب».

وأمر محمد بن عبد الله ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن طلحة بن

عمر بن عبيد الله بن معمر ببيعته فأباها وقال: قد بايعت لأبي جعفر المنصور أمير المؤمنين، فكان المنصور يقول له بعد مقتل محمد بن عبدالله: لو كان بالمدينة آخر مثلك لم يقتل محمد نفسه.

وكان الذين خرجوا مع محمد: جُهينة ومُزينة وأهل المدينة، وقدم الكوفة رجل في تسع ليالٍ فأخبر بخروج محمد، فلما تبين المنصور صِدْقَهُ أمر له بتسعة آلاف درهم كل ليلة بألف.

ولما ورد ذلك الرجل الكوفة كتب إلى المنصور يخبره وهو ببغداد يقدر بناء مدينته بها، فشخص من يومه حتى أتى الكوفة وقال: أطأ أسمختهم، وأقطعهم عن إمداد محمد بن عبد الله بن حسن فإنهم سراع إلى أهل هذا البيت.

وغدر محمد بن خالد القسري بمحمد بن عبد الله وقال له: إن لك هذه اليد باخراجك إياي من الحبس فَسَمِّ لي من بايعك من أهل العراق حتى أكتب إلى مواليَّ هناك وأهل بيتي ومعاضدتهم ومكاتفتهم في أمرهم. فَسَمَّى له من بايعه، فكتب إلى المنصور بأسمائهم فظفر محمد بالكتاب والرسول.

وكان قد قال له أيضاً: إني مطاع بالشام فابعث أخاك موسى بن عبد الله مع ابن أخي نذير بن يزيد بن خالد ومولاي رزام ليدعو الناس بالشام إلى طاعتك، ويأخذ لك موسى البيعة عليهم ففعل، فخلفاه بدومة الجندل وقالا له: انتظرنا حتى نُحْكِمَ لك الأمور ثم نشخص، ثم مضيا إلى المنصور فأخبراه خبره ليوجه إليه من يحمله، فلم يُقِمْ موسى، وانصرف إلى المدينة لاسترابته بهما حين فارقاه، وأخذ محمد بن عبد الله محمد بن خالد القسري فحبسه.

كتاب المنصور إلى محمد بن عبد الله

وكتب المنصور إلى محمد بن عبد الله حين خرج: ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، أو يُنفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدينا ولهم في الآخرة عذاب عظيم* إلا الذين تـابوا من قبل أن تقدروا عليهم فإن الله غفور رحيم﴾[1] فإن تبتَ ورجعتَ من قبل أن أقدر عليك فلَكَ أن اؤمنك وجميع اخوتك وولدك وأهل بيتك وأتباعك، وأعطيك ألف ألف درهم.

فكتب إليه محمد: ﴿طسم* تلك آيات الكتاب المبين* نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون* إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً ليستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين* ونريد أن نمنَّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين* ونمكنّ لهم في الأرض ونُريَ فرعون وهامان وجنودهما منهم ماكانوا يحذرون﴾[2].

---

١ ـ سورة المائدة ـ الآيتان: ٣٣ ـ ٣٤

٢ ـ سورة القصص ـ الآيات: ١ ـ ٦.

وقال في كتابه: إن الله اختارنا واختار لنا فولدنا من النبيين محمد أفضلهم مقاماً، ومن السلف أولهم إسلاماً، ومن الأزواج خيرهُنَّ خديجة الطاهرة وأول من صلى القبلة، ومن البنات خيرهنَّ فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، ومن المولودين في الإسلام الحسن والحسين وهما سيدا شباب أهل الجنة. وإن هاشماً ولد علياًمرتين وأن عبد المطلب ولد حسناً مرتين، فأنا أوسط بني هاشم نسباً وأصرحهم أماًوأباً. لم تَعْرَق فيَّ العجم، وانا ابن ارفع الناس درجة في الجنة وابن أهْوَنِهِم عذاباً في النار؛ ولك الأمان إن دخلت في طاعتي فأنا أولى بالأمر منك، وأولى بالوفاء بالعهد، فأيُّ الأمانات ليت شعري أعطيتني: أمان ابن هبيرة؟ أم أمان عمك عبد الله بن علي؟

فكتب إليه المنصور: قد بلغني كتابك، فإذا جُلَّ فخرك بقرابة النساء لتَغُرّ بذلك الجُفاة والغوغاء، ولم يجعل الله النساء كالعمومة والعصبة، وقد جعل الله العم أباً وبدأ به قبل الوالد فقال: ﴿نعبد إلهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل وإسحاق﴾[1] فسمى اسماعيل أباً وهو عم يعقوب.

ولقد بعث الله نبيه محمداً ﷺ وله عمومة أربعة فدعاهم وأنذرهم فأجابه أثنان أحدهما أبي، وأبى الإسلام اثنان أحدهما أبوك، فقطع الله وراثتهما وولايتهما عنه.

وزعمت أنك ابن أخف الناس عذاباً يوم القيامة وابن خير الأشرار، وليس من الكفر بالله صغير، وماشيء من عذاب الله بخفيف، وليس في الشرار خير، وليس ينبغي لمسلم يؤمن بالله أن يفخر بأهل النار.

وأما مافخرت به من أن علياً ولده هاشم مرتين، وأن عبد المطلب أبوه

---

١ ـ سورة البقرة ـ الآية: ١٣٣ .

أبو طالب وأمه فاطمة بنت سيد بني هاشم ولد حسناً مرتين، فخير الأولين والآخرين رسول الله ﷺ لم يلده هاشم ولاعبد المطلب إلا مرة واحدة.

وفخرت بأنك لم تلدك العجم، ولم تعرق فيك أمهات الأولاد، فقد فخرت على من هو خير منك نسباً وآباء أولاً وآخراً ابراهيم بن رسول الله ﷺ، كانت أمه مارية القبطية.

وما ولد فيكم أفضل من علي بن الحسين وهو لأم ولد وهو خير من جدك حسن بن حسن، وما كان فيكم بعده مثل ابنه محمد بن علي بن الحسين وأمه أم ولد.

وأما قولك أنكم بنو رسول الله ﷺ، فإن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾[1] ولكنكم بنو بنته وهي رحمها الله لاتحرز الميراث، ولاترث الولاء، ولايحل لها أن تَؤُمّ، فكيف تورث بهذا إمامة.

وأما ماذكرتَ من أمر علي فقد حَضَرَتِ النبي ﷺ الوفاة فأمر غيره بالصلاة. في كلام طويل.

قالوا: وكانت أم علي بن الحسين سجستانيه تدعى سلافة تزوجها، فكان عبد الملك بن مروان يقول أن علي بن الحسين ليرتفع من حيث يتضع الناس.

قالوا: وأقام محمد بالمدينة حسن السيرة، وبلغه خروج ابراهيم أخيه بالبصرة[2] فكان يقول لأصحابه: ادعوا الله لإخوانكم بالبصرة واستنصروه

١ - سورة الأحزاب - الآية: ٤٠ .

٢ - المرجح أن خروج ابراهيم بالبصرة كان بعد مقتل النفس الذكية.

على عدوكم.

قالوا: وكتب المنصور في حمل سلم بن قتيبة وكان بالري مع المهدي، فلما قدم عليه قال: كيف تركت أبا عبد الله. قال: أكمل الناس لو بسطتَ من يده. قال: ياأبا قتيبة إن أبي وأباك رجلان ليس الفساد من شأننا، ثم قال له: قد خرج محمد بن عبد الله بن حسن بالمدينة. قال: ليس بشيء، خرج بأرض ليس بها حلقة[1] ولا كراع، قال: وقد خرج إبراهيم بالبصرة. قال: قد خرج بأرض لو شاء أن يقيم بها سنة يبايعه كل يوم ألف رجل ويضرب له فيها كل يوم ألف سيف لايعلم به أحد لأمكنه ذلك.

ثم قال: إنْوِ ياأمير المؤمنين العفو تظفر. قال: هو رأيي. قال: فأبشر ياأمير المؤمنين بالظفر والنصر.

قالوا: ووجه المنصور عيسى بن موسى إلى المدينة للقاء محمد بن عبد الله فقال له: ياأبا موسى. انك لتسير إلى حرم الله، وأهله ثلاث طبقات: طبقة قريش وهم قرابة رسول الله ﷺ وقومه بيضتي التي تفلقت عني، وطبقة «المهاجرون» والأنصار، وطبقة تجار جاوروا قبر النبي ﷺ، وأقاموا في حرمه. فإذا قتل محمد فارفع السيف ولاتتبعوا مُوَلِّيَاً ولاتجهزوا على جريح ولاتذبحوا فيها طائراً، وان طلب محمد الأمان فاعطوه إياه. أفهمت ياأبا موسى؟ ثلاث مرات يرددها. قال: نعم، فقال المنصور: اللهم اشهد، اللهم اشهد.

فتوجه في أربعة آلاف ومعه محمد بن أمير المؤمنين أبي العباس، وفي الجيش محمد بن زيد بن علي بن الحسين وغيره من ولد علي عليهم السلام.

ثم قال أبو جعفر لعيسى بن موسى: إني أعيد عليك الوصية: إن قتلت

١ ـ الحلقة: السلاح.

محمداً أو أسرته أسراً فلا تقتل أحداً، وإن قتل محمد بن أبي العباس فضلاً عن سواه أحداً بعد قتل محمد أو أسره فَأَقِدْه به. وإن فاتك محمد واشتمل عليه أهل المدينة فاقتل كل من ظفرت به من أهل المدينة.

وكان مع عيسى بن موسى حُميد بن قَحْطبة الطائي، فسار عيسى بذلك الجيش، وبلغ محمداً خبره فخندق على المدينة، وخندق على أفواه السكك.

فلما كان عيسى بِفَيْد كتب إلى محمد يعطيه الأمان، وكتب إلى أهل المدينة يعرض عليهم الأمان أيضاً، وبعث بالكتاب مع محمد بن زيد بن علي والقاسم بن حسين بن زيد، فلما قدما به قال محمد بن زيد: ياأهل المدينة، تركنا أمير المؤمنين أصلحه الله حياً معافى وهذا عيسى بن موسى قد أتاكم فاقبلوا أمانه. فقالوا: إشهد أنا خلعنا أبا الدوانيق.

وأقبل عيسى بن موسى إلى المدينة فكان أول من لقيه ابراهيم بن جعفر الزبيري على ثنيَّة واقم[1]، فعثر بابراهيم فرسه فسقط فقتل.

وسلك عيسى بطن قناة[2] حتى ظهر على الجرف، فنزل قصر سليمان بن عبد الملك صبيحة اليوم الثاني عشر من شهر رمضان سنة خمس وأربعين ومائة وهو يوم السبت وأراد تأخير القتال حتى يفطر فبلغه أن محمدا يقول: أهل خراسان على بيعتي، وحميد بن قحطبة قد بايعني ولو قد رآني انقلب إلي.

وكان المنصور أمر القواد أن يكاتبوا محمداً ويطمعوه في أنفسهم لأنه كان على المضي إلى اليمن، فلما فعلوا أقام ولم يبرح المدينة.

ويقال ان حميداً خاصَّةً كان قد بايعه بمصر أو وعده مبايعته، قالوا

١ ـ واقم: اطم من آطام المدينة، على مقربة من مسجد قباء. المغانم المطابة.
٢ ـ قرب أحد.

وعاجله عيسى فلم يشعر أهل المدينة يوم الاثنين للنصف من شهر رمضان إلا بالخيل قد أحاطت بهم حين أسفر الصبح، وقال عيسى لحميد: أراك مداهناً، وأمره بالتجريد لمحمد فالتقوا فقاتلهم عيسى بن زيد ومحمد جالس بالمصلى، واشتد الأمر بينهم، ثم نهض محمد فباشر القتال فكان بازاء حميد بن قحطبة، وكان بازاء كثير بن الحصين العبدري يزيد وصالح ابنا معاوية بن عبد الله بن جعفر، وكان محمد بن أمير المؤمنين أبي العباس وعقبة بن سلم من ناحية جهينة، فطلب صالح ويزيد الأمان من كثير فأمنهما وأعلم عيسى ذلك فلم ينفذ أمانهما، فقال لهما كثير: امضيا إلى حيث شئتما فهربا.

وكانت أم يزيد وصالح فاطمة بنت الحسن بن علي، فكان عبد الله بن حسن خالهما، ومحمد ابن خالهما.

واقتتلوا إلى قريب من الظهر، ورماهم أهل خراسان بالنشاب فأكثروا فيهم الجراح، فتفرق الناس عن محمد ورجع إلى دار مروان فصلى فيها الظهر واغتسل وتحنط. فقال له عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن المسور بن مخرمة الزهري: إنه لاطاقة لك بمن ترى فالحق بمكة. فقال: إن فُقِدْتُ من المدينة قتل أهلها كما قتل أهل الحرة، وأنت مني في حلٍ ياأبا جعفر فاذهب حيث شئت.

وخرج محمد إلى الثنية فقاتلوه فقال: ياحميد أتقاتلني وتنكث بيعتي فهلم أبارزك. فقال حميد: ياأبا عبد الله لاأبارزك وبين يدي هؤلاء الأغمار فإذا فرغت منهم برزت لك، فحدثني بعض ولد حميد بن قحطبة قال: كانت هذه المقالة من محمد مكيدة لحميد.

قالوا: وجثا محمد على ركبتيه وجعل يذبّ بسيفه ويقول: ويحكم إني

مُخْرَجٌ مظلوم، وجعل الناس يتفرقون فقال له ابراهيم بن خضير[1] ـ هذا هو مصعب بن مصعب بن الزبير لقب خضيراً وكانت أمه أم ولد ـ لو شئت لحقتَ بأخيك ابراهيم بالعراق. فقال: ماكنت لأخيف أهل المدينة مرتين، مرة في خروجي وبعده.

ومضى ابراهيم بن خضير إلى السجن فذبح رياح بن عثمان المري، ولم يجهز عليه فلم يزل يضطرب حتى مات، وكان إبراهيم بن خضير على شرطة محمد بن عبد الله، ومضى ابراهيم بن خضير إلى محمد بن خالد بن عبد الله القسري ليقتله في محبسه فَنُذِرَ به، فردم باب البيت دونه فعالجه ابن خضير فأعياه فتركه ونجا محمد، وقدم الكوفة.

ورجع ابن خضير إلى محمد فقاتل بين يديه حتى قتل ابن خضير وقتل معه علي بن مالك بن خثيم بن عراك الغفاري، وسعيد بن أبي سفيان الصيرفي، في آخرين.

وصابرهم محمد إلى العصر ثم جعل الناس يتفرقون عنه وهو يقول: يابني الأحرار إلى أين؟. وقتل بيده اثنى عشر رجلاً، وولي حميد بن قحطبة قتاله عند المساء فقال له: اتق الله واذكر بيعتك، فيقال إن حميداً قال له: وأنت أيضاً فَافْشِ سرك إلى الصبيان، وولده يقولون أنه قال له: أبهذا يكاد مثلي. وقال غيرهم: قال له: إنما خدعناك.

وعرض لمحمدٍ رجلٌ فضرب ذقنه فسقطت لحيته على صدره فرفعها بيده وقال: ناولوني شيئاً أشدها به، فرُميَ إليه من سطح هناك بشقة

١ ـ خضير هو مصعب بن مصعب بن الزبير. انظر جمهرة نسب قريش للزبير بن بكار ـ ط. القاهرة ١٣٨١هـ ص٣٣٨ ـ ٣٤١.

شَطَوية(١) فشد بها لحيته، ورُميَ بنشابة في صدره وطعنه رجل من خلفه فأرداه عن دابته فسقط على يديه ثم استقل قائماً، ورماه رجل بصخرة فأصابت منكبه فأثخنته. وطعنه حميد في صدره فصرعه مثبتاً ونزل إليه فاحتز رأسه وأتى به عيسى بن موسى وعنده القاسم بن حسن بن زيد وغيره، فقالوا: هذا رأس محمد بعينه. وانهزم الناس، وانتهى عيسى إلى ماأمره به المنصور.

وبعث عيسى بعدة ألوية فنصبت في مواقع متعددة، ونادى مناديه: من أتى لواء من الألوية المنصوبة فهو آمن.

وبقي محمد بن عبد الله في مصرعه بقية يومه وليلته، وأصبح وقد سُلِبَ وهو ملقى على وجهه، ومطرت السماء تلك الليلة مطراً جواداً.

وأرسلت أخته زينب بنت عبد الله إلى عيسى: قد قضيتم أربكم منه فأذنوا لنا في دفنه، فأذن لهم فدفنوه في البقيع.

وبعث عيسى بن موسى برأس محمد بن عبد الله مع ابن أبي الكرام محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فدخل به على المنصور وهو عاض على أنفه.

حدثني أبو مسعود الكوفي وغيره قالوا: جعل محمد بن عبد الله بن محمد ـ ويكنى أبا عبد الله ـ يقول يوم قتل:

مُنْخَرِقُ الخُفَّيْنِ يشكو الوجا تُنَكِّبُهُ أطراف مَرْوٍ(٢) حِداد
أفردَني الخوف فلا أَمْنَ لي كذاك مَنْ يَكْرَهْ حَرَّ الجِلاد

١ ـ نسبة إلى شطا، قرية بأرض مصر. لب اللباب في تحرير الأنساب للسيوطي ـ ط. مصورة، دار المثنى، بغداد.

٢ ـ المرو: حجارة بيض براقة توري النار، أو أصلب الحجارة. القاموس.

قد كان في الموت له راحةٌ والموتُ حَتْمٌ في رقاب العباد

وحدثني مصعب بن عبدالله الزبيري قال: قال محمد بن عبدالله للغاضري: ابشر، فقد بويع لي بالشام وخراسان والمصرين. فقال: يا بن أم، اجعل الأرض كلها لك، وهذا عيسى بالأعوص[1] ما ينفعك منها، والله ما أصبح قوم يعرفون آجالهم غيرنا.

قالوا: وكان أبو العباس زَوَّجَ محمداً ابنه زينب بنت محمد بن عبدالله، فلما قتل أرسل ابن أبي العباس إلى عمتها زينب بنت عبدالله بن الحسن: إني أريد أن أدخل على أهلي فافرغوا من أمرها. فأرسلت عمتها إلى عيسى بن موسى: سبحان الله أرسل محمد إليَّ بكذا وقد قتلتم أباها بالأمس ويُعرس بها اليوم، والله ما رقأ دم أبيها بعد.

فأرسل إليها عيسى، يا ابنة عم، ما علمتُ بهذا، ولكنه غلام حديث السن سيء الأدب، وأرسلَ إلى محمد بن أبي العباس يُسَفِّهُه، ولما لقيه تناوله بسوطه وقال له: يا مائق[2]، أما والله ما هي بضغينة، فما كان يؤمنك أن يحضرها عَقْلُها فتطلبَ بثارِها وتشتمل على سكين فإذا أُفضَيْتَ إليها قَتَلَتْكَ فتكون قد أخذتْ قود أبيها قبل جفوف دمه.

ثم تزوجها عيسى بعد، ويقال ضُمَّتْ إلى محمد بعد ذلك، فلما مات تزوجها عيسى بعده، ثم خلف عليها محمد بن إبراهيم الإمام، ثم ابراهيم بن ابراهيم بن حسن بن زيد بن حسن بن علي، ثم عبدالله بن حسن بن إبراهيم بن عبدالله بن حسن بن حسن فتوفيت عنده.

١ ـ الأغوص: موضع على أميال من المدينة يسرة. المغانم المطابة.
٢ ـ أي يا أحمق.

وكان مقتل محمد لأربع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة خمس وأربعين ومائة .

وأمن عيسى الناس وخرج يريد مكة صبيحة تسع عشرة ليلة من شهر رمضان ، فلما كان بملل أتاه كتاب المنصور بخروج إبراهيم بن عبدالله بن حسن بالبصرة وأمره بالقدوم عليه ، ويقال بل أتاه كتاب المنصور بالعرج [1] فرجع إلى المدينة فبات بالأعوص ، ثم سار فقدم على أمير المؤمنين المنصور .

وكان الحسن بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بمكة فلما قتل محمد خرج من مكة ، وظهر السري بن عبدالله ، وكان هشام بن عروة ، وأيوب بن سلمة المخزومي قد بايعا محمد بن عبدالله فأُمِّنا حين اعتذرا .

وقال ابن هرمة الفهري ودعاه محمد فلم يجبه :

عجبتُ لأحلام الأُولى ضل رأيهم ... وكانوا على وجه من الحق لا حبِ
دَعَوْني وقد شالت لابليس رايةٌ ... وأُوقد للغاوين نار الحباحب
فقلت لهم هذا من الشهر نغبة [2] ... تنافي المنايا لست فيها بلاعب
أنا الليث تَغْتَرُّون يحمي عرينَهُ ... وتَلْقُونَ جهلاً اسده بالثعالب
فما أحكمتني السن إن لم يبدكم ... وما يقضني ماضيات التجارب [3]

ولما أتى ابراهيم مقتل أخيه محمد قال :

١ ـ العرج : موضع بين الحرمين ، على ثمانية وسبعين ميلا من المدينة ، مسيرة يومين وبعض الثالث .

٢ ـ النغبة : الجرعة ، والجوعة ، واقفار الحي . القاموس .

٣ ـ الأبيات نفسها غير موجودة في ديوان ابن هرمة وهناك أبياتاً اخرى من البحر الطويل وعلى القافية نفسها ولعل الأبيات المذكورة أعلاه تنتمي للقصيدة نفسها . انظر ، ديوان ابن هرمة طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق علم ١٩٦٩ ص ٧٦ .

يابا المبارك يا زين الفوارس من ... يفجع بمثلك في الدنيا فقد فجعا
الله يعلم أني لو خشيتُهُم ... وَأَوجَسَ القلب من خوف لهم فزعا
لم يقتلوه ولم أُسلم أخي لهمُ ... حتى نعيش جميعاً أو نموت معا

وكان محمد يقول : إني لم أخرج حتى بايعني أهل الكوفة ، وأهل البصرة ، وواسط ، والجزيرة ، والموصل ، ووعدوني أن يخرجوا في الليلة التي خرجت فيها .

وخرج عثمان بن إبراهيم التيمي الى اليمامة ليأخذها لمحمد فلم يصل إليها حتى بلغه قتل محمد .

قالوا : وكان محمد أسمر أرقط مخضوب الرأس بصفرة من أبناء ستين ، وكان أخوه ابراهيم شاباً قد وَخَطَهُ الشيب حلو الوجه خفيف اللحية فأفاءً ، وكان أيْداً شديد البطش ، وكان يكنى أبا إسحاق ، ويقال أبا الحسن .

وحدثني بعض أشياخنا قال : أرسل المنصور قبل خروج محمد بن عبدالله إلى عيسىٰ بن موسىٰ بن محمد بن علي فلما دخل عليه ذكر له أمر محمد وإبراهيم فقال : قد بهضني أمرهما وظننت أني إذا أخذت أباهما وعمومتهما وقرابتهما ظهرا لي سلم أوحرب وقد هدآ في مربضهما وقَرَّا في مكمنهما يلتمسان لي الغوائل ويتربصان بي الدوائر ، وترك إطفاء جمرة الشيطان قبل تأججها من تضييع أسباب الدولة ، وفي تضييع أسباب الدولة حلول البلاء ، وأنا أريد أن أبعثهما من مربضهما ، واستنهضهما من مكمنهما وأنصب الحرب لهما فإني أرجو أن ينصر الله ورثة نبيه ويعزهم بالحق الذي جعله لهم وأكرمهم به ، وينتقم لنا أهل البيت من الحاسدين الساخطين لما جرىٰ لنا به قضاؤه ،

فما الرأي فيما ذكرت لك ، وكيف وجه العمل فيما أعلمتك .

فقال عيسى : إن من سوء التدبير تركك الاستعداد للأمر المخوف قبل وقوعه فأرشد الله أمير المؤمنين وأدام توفيقه ، ومن الصواب أن تولي يا أمير المؤمنين المدينة رجلاً من أهل بيتك له مَكْرٌ ونُكْرٌ، وتأمره بطلبهما، والبحث عنهما ، وإذكاء العيون عليهما ، حتى يُظفرك الله بهما ، فقال : يا أبا موسىٰ ، إن عداوتهما لنا باطنة لم يظهروها فإن استكفيتُ أمرهما رجلاً من أهل بيتي منعته الرحم من مكروههما وحجزته القرابة عن طلبهما ، قال : فَوُلِّ المدينة رجلاً من أهل خراسان له حَدٌّ وجِدّ ، ومُرْهُ يقعد لهما بكل مرصد ولا يَفْتَر عن طلبهما حتى يَظْفَرَ بهما . فقال : يا أبا موسىٰ إن محبة آل أبي طالب في قلوب أهل خراسان ممتزجة بمحبتنا ، وإن وَلَّيْتُ أمرهما رجلاً من أهل خراسان حالت محبته لهما بينه وبين طلبهما والفحص عنهما ولكن أهل الشام قاتلوا علياً على أن لا يتأمَّر عليهم لبغضهم إياه ، ثم مات علي وهلك الذين قاتلوه فقام بنوه من بعده يطلبون الأمر فقام أبناء أهل الشام الذين قاتلوه فمنعوا بنيه الأمر وسفكوا دماءهم للبغض الذي ورثوه عن آبائهم ، فالرأي أن أولي المدينة رجلاً من أهل الشام ، فولىٰ رياح بن عثمان بن حيان المري المدينة وشحذه على طلب محمد وابراهيم ، فلما قدم المدينة صعد المنبر فقال : يا أهل يثرب لا مقام لكم فاربعوا[1]، أنا ابن عم مسلم بن عقبة الشديد الوطأة ، كان عليكم الوبيل الوقعة بكم الخبيث السيرة فيكم ، ثم أنتم اليوم عقب الذين حصدهم السيف ، وايم الله لأحصدنَّ منكم عقب الذين حَصَدَ ، ولأُلْبِسَنَّ الذل عقب مَنْ أَلْبَسَ .

١ ـ الربع : الدار حيث كانت ، والمحل والمنزل . القاموس .

ثم وضع على محمد وإبراهيم الأرصاد حتى خرج محمد في أهل المدينة وقتل رياح ، فلما قتل في محبسه خرج صبيان أهل المدينة يكبرون حول جثته ويقولون :

سَلَحَتْ أم رياح فأتتنا برِيَاحِ
فأتَتْنَا بأميرٍ ليس من أهل الصَّلاحِ
ما سمعنا بأميرٍ قبل هذا من سِفَاحِ

قالوا : ولما جاء المنصور خبر خروج محمد بن عبدالله قال : ألا تعجبون لهذا القاطعَ المُشَاقّ ، ترك هذا الأمر وهو لبني أمية مستقيم فلما فتقناه عليهم وثلمناه ، فَوَهَتْ عُراهُ ، واسترخى طَنَبُه ، وضعف عموده فصار لنا شديد العرىٰ محكم العقد والقوى عرض فيه للحين والردىٰ ، وبالله استعين عليه وعلى كل باغ .

قال وكان المنصور حين أتاه خبر محمد نازلاً بالدير الذي على الصّراة من بغداد ، وهو يرتاد له منزلاً ، فاختار الموضع الذي يعرف بالخلد ، فلما قرأ الكتاب الوارد عليه بخبره استوى قاعداً فَتَلاَ قول الله عز وجل : ﴿وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين﴾ [1] .

ثم أمر فنودي في الناس بالرحيل وحملت الأثقال .

وقال: آتي الكوفة فاطأ أصمختهم وأنزلُ على رقابهم وأكونُ مكبحةً لهم ، ثم دعا بثيابه ودابته فلما قُرِّبَتْ ليركبها تَمَثَّل قول جذل الطعان الكناني :

سيروا إلى القوم يا خزاع ولا يأخذنكُمُ من لقائهم وَجَلُ

١ ـ سورة المائدة ـ الآية : ٦٤ .

فالقوم أمثالكم لهم شعـــــر في الرأس لا ينشرون إن قُتِلُوا

ثم ركب دابته فبات بنهر صرصر ، ثم غدا متوجهاً إلى الكوفة فنزل قصر أبي الخصيب مولاه .

قال : فلما قتل محمد بن عبدالله بالمدينة ، وابراهيم بالبصرة أقبل إلى بغداد ومعه عبدالله بن الربيع الحارثي يسايره ، فقال له عبدالله بن الربيع : لقد كان عبدالملك حازماً ، قال : أجل ، كان رجل قومه فما بلغك عنه ؟ قال عبدالله : بلغني عنه يا أمير المؤمنين أنه لما أنشد قول الأخطل :

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم دون النساء ولو باتوا باطهار [1]

قال : لا والله ما أتيت امرأة منذ وقعت حرب عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث حتى انقضت . فقال المنصور : وأنا والله يا أبا الربيع فما كشفت لامرأة كنفاً منذ وقعت حرب محمد وابراهيم حتى انقضت .

وقال السندي بن شاهك : كنت أيام حرب محمد وابراهيم وصيفا أقوم على رأس المنصور ، فلما غلظ أمرهما مكث على مصلى بضعاً وخمسين ليلة لا يتنحىٰ عنه ولا يجلس ولا ينام إلا عليه ، وعليه جبة ملونة ، فتدنست واتسخ جيبها وما تحت لحيته منها فما غيّرها حتى فتح الله عليه ، وكان إذا جلس للناس لبس فوقها سواداً وقال لا أغيرها حتى أدري أهي لمحمد وابراهيم أم لي .

قال السندي : وأتته رَيْسانة قَيِّمةُ جواريه في تلك الأيام وأنا قائم على رأسه ، وقد قدم عليه إسحاق الأزرق مولاه بامرأتين من قريش كان بعثه في خطبتهما : إحداهما فاطمة بنت محمد من ولد عيسى بن طلحة بن عبيدالله ،

١ ـ ديوان الأخطل ـ ط . بيروت ١٩٨٦ ص ١٤٤ .

وأمة الكريم بنت عبدالله ، من ولد خالد بن أسيد ، فقالت له : يا أمير المؤمنين إن هاتين المرأتين قد خبثت أنفسهما وساءت ظنونهما لما ظهر لهما من جفائك إياهما ، فانتهرها وزبرها وقال : أهذه الأيام من أيام النساء ؟ لا سبيل إليهما حتى أعلم أرأس ابراهيم لي أم رأسي له .

قالوا : وأتي المنصور برجل معه كتب إلى أهل الكوفة من محمد وابراهيم فأمر بضرب عنقه ، فذكر أنه مجبر مقهور محتاج كثير العيال ، فأمر بتخلية سبيله ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إني استُحلِفْتُ أن أوصل الكتب إلى اصحابها إلا أن يحاط بي ، وقد مَنَّ أمير المؤمنين علي ، فقال : خذها هبلتك أمك . فتناول الكتب ومضى فأوصلها ، فلم تزل منازل من كتب إليه بطون الأرض حتى توفي المنصور ، فبقي منهم بعد ذلك رجل أو رجلان .

قالوا : وخرج محمد ثم خرج ابراهيم فقال المنصور :

تفرقت الظباء على خداش فما يدري خداش من يصيد

وقال حين قُتلا :

فألقتْ عصاها واستقرت بها النوى كما قرَّ عيناً بالإياب المسافر

قالوا : ولما قدم ابراهيم بن هرمة على المنصور وقد بلغه أن محمداً دعاه فلم يجبه ، وقال في ذلك شعره الذي قاله ، قال المنصور : يا إبراهيم ، سلني حوائجك . فقال : إن في هذه الأرواح الصننة [1] ، وإنما دواؤها شرب النبيذ ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يكتب إلى عامله ألا يَحُدَّني فيه فَعَل . قال : لا سبيل إلى هذا ولكن اكتبوا له أن يجلد من أخذه مائة ويجلده ثمانين ، فقال : قنعت . فكان يقول إذا سكر بالمدينة : من يشتري ثمانين بمائة .

١ ـ الصن : البول ، وذفر الابط . القاموس .

وحدثني الحسن بن علي الحرمازي ، وأبو العباس الفضل بن العباس الهاشمي عن الزبير بن بكار عن عمه مصعب بن عبدالله وغيرهما فسقتُ حديثهم ورددت من بعضه على بعض أن أبا بكر بن أبي سبرة كان عاملاً لرياح بن عثمان على مسعاة أسد وطيء ، فلما خرج محمد بن عبدالله دفع إليه ما كان معه من المال وقال : استعن به على أمرك فلما قتل محمد قيل لأبي بكر اهرب فقال : ليس مثلي هرب فأخذ أسيراً فطرح في حبس المدينة وكان الحابس له عيسى بن موسى ، ويقال خليفته كثير بن الحصين العبدي ، وولي المدينة بعد عيسى بن موسى عبدالله بن الربيع الحارثي ، ويكنى أبا الربيع فعاث جنده وأفسدوا فوثب بهم أهل المدينة فقتلوا منهم وطردوا باقيهم وأخرجوا عبدالله عن المدينة وانتهبوا متاعه . فنزل بير المطلب يريد العراق ، واجتمع سودان ورعاع وقلدوا أمرهم ورئاستهم أسود يقال له اوتيوا ـ فكان السودان فيما ذكر الحرمازي يدعونه أمير المؤمنين ، وجاؤوا فكسروا باب السجن وأخرجوا من فيه ، وأخرجوا أبا بكر بن أبي سبرة فأرادوا فك حديده فأبى ذلك ، وأقام فخطب ودعا إلى طاعة المنصور وحذر الفتنة ، فقيل له : تقدم فَصَلِّ ، فقال : ان الأسير لا يَؤُمّ ، ورجع إلى السجن فأقام به ، واجتمع القرشيون فخرجوا إلى ابن أبي الربيع بما ذهب له أو أكثره ، وأرضوا من بقي من جنده .

ورأى ابن أبي ذئب اولئك السودان فقال لبعضهم : ما هذا ؟ فقال : هذا اوتيوا أميرنا وهو أمير المؤمنين . فقال ابن أبي ذئب وهو يبتسم : يا رب ان كان في سابق علمك ان يلي أمرنا أوتيوا هذا فارزقنا عدله .

وأتى محمد بن عمران بن ابرهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله أوتيوا

وقد خَفَّ من معه فلم يزل يخدعه حتى أمكنته الفرصة منه فقبض عليه ، وأمر به فأوثق ، وتفرق السودان بعد أن أخذ أوتيوا وقبض كل رجل على أسود منهم ، ومات أوتيوا في السجن وكان مثقلاً بالحديد ، ويقال إنه مات جوعاً ، وقال الحرمازي قتل قتلاً .

وقال هشام ابن الكلبي : ولى المنصور محمد بن عمران بن ابراهيم بن محمد بن طلحة قضاء المدينة ، ثم ولى المنصور جعفر بن سليمان المدينة فأمره باطلاق ابن أبي سبرة وقال : إن كان أساء ، فقد أحسن بما كان منه .

بسم الله الرحمن الرحيم
أمر ابراهيم بن عبدالله ومقتله .

قالوا : قدم ابراهيم ومحمد البصرة فنزلا على أبي حفص مولى آل كريز المازني ، ثم رجع محمد إلى المدينة ، فتحول ابراهيم فنزل عند المغيرة بن الفَزْع بن عبدالله بن ربيعة بن جندل أحد بني بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد بن مناة بن تميم ، ثم تحول إلى بني راسب ، ثم جعل يتنقل ، وهو الذي يقول لرجل معلم يقال له ابن مسعدة ، وكان يخدم بعض من استخفى عنده :

زعم ابنُ مسعدة المعلِّمُ أنَّهُ   سَبَقَ الرجال براعةً وبيانا
وَهُوَ المُبِيْنُ عن الحمامة شجوها   وهو الملحّن بَعْدَهَا الغربانا

وكان يقول : ان الحمامة تقول كذا فيفسر معنى تغريدها ، ويقول : الغراب مُلحّن إنما ينبغي أن يقول غاق وغاق .

فكان خروجه في أول يوم من شهر رمضان سنة خمس وأربعين ومائة ، ولم يكن أراد الخروج ذلك اليوم ولكنه حُذِّرَ أن يُسعى به ، فقيل : أخرج والا بُعِثَ اليك فأُخِذْتَ ، فخرج في عشرين أو أكثر ، منهم المغيرة بن الفَزْع ، وعبدالله بن المسور بن عمر بن عباد بن الحصين التميمي ،

وعبد الواحد بن زياد بن عمرو العتكي ، فأتى مقبرة بني يشكر فأقام بها ساعة ، فاجتمع اليه قوم ، ثم سار حتى أتى دار الإمارة وبها سفيان بن معاوية ، بن يزيد بن المهلب ، وهو عامل البصرة ، وقد كان خاف خروج ابراهيم فتحصَّن واتخذ عدَّةً للحصار ، ومع سفيان في الدار ستة عشر رجلاً ، فنزل ابراهيم عند مسجد الأنصار ، ثم عسكر عند مسجد الحرورية ، وقدم البصرة قائدٌ أمر به سفيان قبل خروج ابراهيم بليلة ، فبعث إليه ابراهيم المضاء بن القاسم التغلبي فلقي القائد فهزمه المضاء ، وأرسل ابراهيم لَبْطَةَ بن الفرزدق إلى نهيلة بن مرة بن عبد العزيز التميمي ، ثم أحد بني ملادس بن عبد شمس بن سعد يدعوه إلى بيعته فأباها فقال له لبطة : أمِنْ خوف سياط أبي جعفر تمسك عن مبايعته ؟ فأتاه فبايعه ، واعتزل سوار بن عبدالله العنبري القضاء في أيام ابراهيم ، فتولاَّه عباد بن منصور .

قالوا: وأخرج جعفر ومحمد ابنا سليمان بن علي سلاحاً واجتمعا ومواليهما في كتيبة خشناء، فقاتلوا أصحاب ابراهيم المبيضة[1]، وجعل محمد بن سليمان يعبىء الكراديس في المربد فقال له عبد الجبار بن قطري مولى باهلة: إن هذه التعبئة لاتكون في السكك ولكن أَقِمْ بمكانك فإن رأيت خللاً فَسُدَّهُ، فلم يقبل منه.

١ ـ في هامش الأصل: «كانوا إذا أرادوا الخروج عن طاعة بني العباس أظهروا ذلك بلبسهم البياض المخالف لشعار بني العباس، الذي هو السواد». وفي الحقيقة يحمل هذا الشرح بعض الصحة، لأن شعار الدولة الأموية كان البياض، وكذلك كان شعار الشيعة، ويرى بعضهم أن العباسيين اتخذوا السواد شعاراً لهم مخالفة لهؤلاء، وعليه كان اظهار البياض هنا منسجماً مع تقليد مذهبي وليس مباينة لبني العباس.

والتقوا فانهزم محمد وجعفر قبل أن يكون بينهما وبين القوم كبير قتال، وكان محمد يومئذ على فرس كان لملبد الخارجي يقال له الملبدي، وأمر ابراهيم المغيرة بن الفزع أن يأتي السجن فيخرج من فيه ففعل.

ووقف ابراهيم عند القصر فطلب سفيان منه الأمان فأمنه، فخرج ثم أظهر أنه يخافه على أنه يشغب ويفسد فحبسه.

ودخل إبراهيم دار الإمارة فنزلها أياماً، ثم تحول فنزل الخُرَيْبَة، وبيَّضتِ القبائل، وبعث ابراهيم رجلاً فوجد أخاه محمداً قد قتل.

وولى ابراهيم شُرَطَهُ معاوية بن حرب، ووجه مغيرة بن الفزع على حرب الأهواز، وولى خراجها عفو الله بن سفيان الثقفي، فقاتلهم محمد بن الحصين العبدري فغلبوا على الأهواز وهزموا محمداً، وغلب محرز الحنفي على كرمان، فلما قُتل ابراهيم هرب إلى السند، وأقام أهل عُمان والبحرين على طاعة المنصور، وأراد قثم بن العباس بن عبيد الله بن العباس أن يخرج عن اليمامة فقال له أهلها: نحن في طاعة المنصور فأقام.

وبلغ ابراهيم قتل محمد وهو يمضغ قصب سكر ويمصه فلم يظهر جزعاً وتجلد، ثم عزاه الناس، وغلب له برد بن لبيد اليشكري على كسكر، وسار إلى واسط ومعه حفص بن عمر من ولد الحارث بن هشام المخزومي، فكان يصلي بالناس، والحرب إلى برد بن لبيد. فبعث المنصور حرب بن عبد الله، وأسد بن المرزبان وعمر بن العلاء مولى بني مخزوم، وبعث ابراهيم عبد الخالق الخاقاني ومعه المفضل بن محمد الضبي الراوية، وكان المفضل يراعي ابراهيم ويتعرف خبره قبل خروجه، فلما قرب خروجه خرج إلى البصرة فجعل الناس يتكلمون في قدومه أياماً ولايَدْرُون لماذا قدمها، حتى خرج

ابراهيم فخرج معه فقاتل أصحاب المنصور بُرْدَاً وعبد الخالق ومن معهما، فانهزم برد وعبد الخالق وأصحابهما، وكفَّ الخراسانية عنهم.

وحدثني الأثرم عن أبي عبيدة قال: كان سفيان مدهناً في إبراهيم، وجعل أصحاب ابراهيم حين خرج ينادون سفيان وهو محصور: اذكر بيعتك يوم كذا، وقال له خليفته على الشرطة: إني مررت بمقبرة بني يشكر فرُمِيتُ بالحجارة، فقال: أو ماكان لك طريق غير مقبرة بني يشكر؟.

وكان كردم السدوسي يغدو على سفيان ويروح إلى ابراهيم فلا يعرض له هذا ولاهذا، وقال سفيان لقائد من قواد ابراهيم: أقم عندي فليس كل أصحابك يعلم ماكان بيني وبين ابراهيم.

وقدم على المنصور جعفر بن سليمان بن علي فولاه البصرة، وكتب له عهده عليها، وبعث سلم بن قتيبة وكتب له أيضاً عهداً على البصرة، وقال له سلم: اجعل لي أيمان أهل البصرة. فقال أيمانهم إليك.

وقدم عيسى بن موسى بن محمد بن علي من الحجاز فَسَرَّحَهُ المنصور لحرب ابراهيم والمبيضة، فيقال إنه أمره أن يمضي على سُنَّته ولايدخل الكوفة.

وأمر المنصور باعطاء الناس أعطياتهم وبلغ ابراهيم الخبر فأجمع على المسير إلى عيسى فقال له المضاء: لا تفعل وأقم بمكانك ثم وَجِّه الجنود، فسار واستخلف ابنه الحسن بن ابراهيم على البصرة وسير على شرطه نُمَيْلَة بن مرة، فلما انتهى ابراهيم إلى قناطر ابن دارا أقام في باخمرى وقد اجتمع إليه أصحابه. وكان ابراهيم لما حبس سفيان قيده بقيد خفيف ليتبرأ عند أبي جعفر من ممالأة ابراهيم. وكان ذلك عن إرادة من سفيان. وحمل سفيان إلى باخمرى.

قالوا: وكان جعفر بن سليمان قد جمع الطعام والعلف في معسكر له

ومعه سلم بن قتيبة وأبو دُفافة العبسي، فارتحل إبراهـيم يريد عيسى واتبعه جعفر، فقال المضاء لابراهيم: صِرْ إلى معسكر جعفر الذي كان فيه فتحصن به، فأبى ذلك وأَبَتْهُ الزيدية أيضاً، وكان مع إبراهيم أحد عشر ألفاً: سبعمائة فارس والباقون رجالة، فجعل إبراهيم على ميمنته عبد الواحد بن زياد بن عمرو العتكي، وعلى ميسرته برد بن لبيد اليشكري، وحملوا على أهل عسكر عيسى حتى خالطوه فتضعضع أهل عسكر عيسى وجالوا ثم انهزموا.

وجاء جعفر بن سليمان وأصحابه من خلف أصحاب ابراهيم وذلك أنهم عَبَرُوا نهراً كان وراءهم وكان أول من عبره سلم بن قتيبة وأصحابه فنادى الناس: الكمين، الكمين. وانهزم أصحاب ابراهيم، وكرَّ أصحاب عيسى بن موسى فوضعوا سيوفهم فيهم فقتلوا من جهتين، وقُتل ابراهيم وصبر بعض الزيدية فقُتلوا، وقُتل برد وعبد الواحد بن زياد وعبد الوارث بن الحواري.

ونادى منادي عيسى: من ألقى سلاحه فهو آمن. وأمر برفع السيف عن فلِّهم، فادعى عقبة بن مسلم أنه قتل ابراهيم، وإنما قتله غيره. وكان الحر اشتد على ابراهيم في الحرب فألقى درعه وقاتل، فأصابته نشابة مات منها، ويقال إنه نزع ثيابه ليقع في الماء فأدرك فقُتل.

ووجه عيسى من احتز رأسه فبعث به إلى المنصور، فأمر فطيف به في الكوفة، وقال المنصور: «ياأهل الكوفة، ياأهل المدرة الخبيثة، تقولون إنه سمع في عسكر إبراهيم قائل يقول: أقدم حيزوم تشبهونه بعسكر رسول

الله ﷺ»، ووبخهم وقال: لعنكِ الله من بلدة، ولعن أهلكِ. والله للعجب لبني أمية كيف لم يقتلوا مقاتلتكم ويَسْبُوا ذريتكم.

ولما قتل ابراهيم أخرج جعفر عهده، وأخرج سلم عهده فقال له جعفر بن سليمان، عهدي قبل عهدك، فدعني أدخل البصرة أميراً، ثم تأتي بعدي فأقام سلم ودخل جعفر فأمن الناس ثم قدم سلم فأقام أشهراً ثم ولى المنصور البصرة محمد بن سليمان بن علي وقال: إنما وليت جعفراً وسلماًوإبراهيم بالبصرة ليقاتلاه ويُؤمنا الناس فتقاعدا عنه.

ويقال إن المنصور كتب إلى سلم في قطع نخيل أهل البصرة ممن خرج مع ابراهيم، فغبَّب عنهم فعزله،

وحدثني عبد الله بن صالح المقرىء قال: لما خرج ابراهيم سنة خمس وأربعين ومائة كتب المنصور إلى جعفر ومحمد ابني سليمان بن علي يعجزهما ويوبخهما على نزول ابراهيم مِصْراً هُمَا بِهِ لايعلمان بأمره، وتمثل:

أَبْلغ هُدْيتَ بني سعد مُغَلْغَلَةً فاستيقظوا إن هذا فِعْلُ لوَّام
تَعْدُو الذئاب على من لاكلاب له وتَتَّقِي صَوْلَةَ المُسْتَنْفِرِ الحامي

ولما جاء المنصور خبر محمد وابراهيم جعل ينكت على الأرض بمخصرته ويقول:

ونصبتُ نفسي للرماح دريئة إنَّ الرئيس لمثل ذاكَ فَعُوْلُ

وكان المنصور يقول: إنما جَرَّأ إبراهيم على المسير إلى البصرة اجتماع أهل الكوفة وأهل السواد على الخلاف والمعصية والميل إليه. وقد رميت كل ناحية بحجرها، وكل كورة بسهمها، ووجهت إليه الميمون النجد عيسى بن موسى، واستعنت بالله واستكفيته.

وكان هارون بن سعد العجلي شيعياً فعاب خروج إبراهيم فقال:

يا من له كان ذو الرويَّـ ـة والهيئة منا في الدينُ متّبِعَا
أبينما لمت منتهى أهل الأمـ ـة إذْ قيلَ صار مبتدعا
يالهف نفسي على تَفَرُّقِ ما قد كان منها عليك مجتمعا

قالوا: ووجه المنصور أبا خزيمة خازم بن خزيمة التميمي إلى المغيرة بن الفَزع، وهو بالأهواز فواقعه فهزمه وهزم أصحابه، وهرب المغيرة إلى البصرة فاستخفى بها، وكان حسان مولى أمير المؤمنين على بريدها فافتعل أماناً من المنصور لابن الفزع جعل له فيه ذمة الله وذمة رسوله ألا يُهَيِّجَهُ ولايُرَوِّعَهُ ولايَعْرِض له بسوء في نفسه وشعره وبشره وماله وولده ولايؤاخذه بما كان منه، وأن يجزل صلته ويرفع قدره ويقوده على من أحب الفريضة من قومه.

ودعا رجلاً من موالي بني قُرَيع فاقرأه الأمان، وكتاباً كأنه ورد عليه من المنصور في أمره وقال له: أنا أعلم أن المغيرة يسمع منك ويقبل قولك، وأنك إن شئت أن تعرف موضعه وتصل إليه فيه عَرَفْتَهُ وَلَقِيْتَهُ، فَخُذْ هذا الكتاب وهذا الأمان واقرأهما عليه.

فلما صار الرجل إليه قرأ عليه الكتاب والأمان وأشار عليه بالظهور، فدعا المغيرة قومه فناظرهم، فكلهم رأى له أن يظهر فقبل ذلك منهم وخرج حتى أتى حسان. وقد أعلم حسان محمد بن سليمان أمره، فاعترضه رسل محمد فأخذوه وأتوه به فحبسه، وكتب إلى المنصور في أمره فوجه المنصور أسد بن المرزبان، ومعه الريان مولى أمير المؤمنين لقتله، فأُخرج من السجن، وسلمه محمد إليهما فقطع أسد يديه ورجليه ثم قتله وصلبه في القافلانيين[1]

١ ـ من محال البصرة حيث حرفة من كان يشري السفن ويكسرها ويبيع خشبها وقيرها وقفلها، وهو حديدها. اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير ـ ط. بيروت دار صادر.

وقال بعضهم: أخذه محمد بن سليمان بأمان ثم قتله.

وأخذ المسيب بن زهير الضبي الأمان للمفضل الضبي الراوية بعد أن استخفى وتنقل في البوادي، وأُخذ أصحاب ابراهيم وعماله فقتلوا في البوادي والنواحي. وقَتَل هشام بن عمرو التغلبي الحسن بن ابراهيم بن الحسن بالسند، وكان قد هرب إليها، وقُتل عبد الله بن محمد بن عبد الله بالسند أيضاً وتوارى المضاء بن قاسم التغلبي.

وكان نُميلة قد أطلق سفيان وأخرجه من محبسه فأُمن وصار يعد في أصحابه.

ويلغ المنصور أن سفيان بن معاوية كان يقول: ماسرني أني شركت في دم إبراهيم وأن لي سُوْدُ النَّعَم وحُمْرِهَا. فكان المنصور يقول:-مارأيته إلا أظلم مابيني وبينه.

وولى المنصور سوار بن عبد الله إيمان الناس وتسكينهم، ففعل.

وحُدثت عن أبي عاصم النبيل أنه قال: لما دخل ابراهيم الدار وخرج سفيان منها بُسِطَ له حصير فقلبته الريح، فتطيَّر له من ذلك.

وبعث إلى محمد وجعفر ابني سليمان، وكانت أمهما أم الحسن بن جعفر بن حسن بن حسن: يقول لكما خالكما: إن أحببتما جواري وفي الأمن والسعة والرحب، وإن كرهتماه فاذهبا إلى حيث شئتما ولاتسفكا بيننا دماً.

وحدثني عبد الله بن صالح العجلي قال: خرج ابراهيم بالبصرة فأخذها، ووجه إلى الأهواز وفارس، وولى خراج الأهواز عفو الله بن سفيان الثقفي، وحصر سفيان بن معاوية ثم أَمَّنَهُ فخرج عن دار الإمارة، فوجه

المنصور عامر بن اسماعيل السلمي[1] في جيش عظيم فنزل واسطاً، ووجه إلى البصرة جيشاً.

ثم إن إبراهيم خاف غدر أهل البصرة واختلافهم وقصيتهم، فأقبل نحو واسط فحاربه عامر بن اسماعيل، ثم مضى ابراهيم يريد الكوفة، وقد قدمها عيسى بن موسى من الحجاز، ووجهه المنصور لمحاربته فالتقيا بقرية تدعى باخمرى. فهزم ابراهيم عيسى هُنَيَّة. وكان جُلُّ أصحاب ابراهيم رَجَّالة، ثم عطفت عليه خيل عيسى ورجاله فقُتل، ورجع عيسى إلى الكوفة.

وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه قال: كان المغيرة بن الفزع من أشد الناس في أمر ابراهيم فأُخذ وقُتل، وكان الذي تولى قتله أبو الأعور الكلبي، فقال أبو زياد الكلبي.

مَنْ مبلغٌ عليا تميم بأننا ... نصبنا على الكَلَّاء بالمشط مَعْلَمَا
نصبنا لكم رأس المغيرة بائناً ... وجثمانُه بالجذع عُرْيَانَ ملحما

قالوا: تزوج ابراهيم بهَكْنة بنت عمر بن سلمة الهجيمي، فكان يونس النحوي يقول: جاء ابراهيم ليزيل ملكاً فألهتْه امرأة بطيبها وخضابها، وأُتي المنصور بالقيمية فتركها بمزجر الكلب حتى فرغ من أمر ابراهيم.

وكان عمر بن سلمة على فرس أبلق فقال ابراهيم:

أما القتال فلا أراك مقاتلاً ... ولئن فررتَ ليعرفَنَّ الأبلق

قالوا: وحمل رأس محمد ورأس إبراهيم إلى خراسان، ثم رُدَّا، فدفنهما الذي حملهما تحت درجه في منزله بدرب أبي حنيفة في مدينة أبي جعفر ببغداد، وقال بعض بني مجاشع للمنصور:

١ - المسلمي في رواية أخرى (من هامش الأصل).

ابرزْ فَقَدْ لاقيتَ هَبْـرَزِيّا[1] أبيضَ يـدعـو جَـدَّهُ عَليـا
وجَدَّه من أمه النَّبِيَّا

قالوا : وكان إبراهيم يذكر بني العباس فيقول : عظّموا ما صَغّر الله ، وصغّروا ، ما عظّم .

وقال بشار الأعمى في إبرهيم :

أقـول لبسام عليـه جلالـة غَدَا أَرْيَحِيّاً في الرجال الأكارم
من الفاطميين الدعاة الى الهدى قياماً وما يهديك مثل ابن فاطم[2]

حدثني الحسن بن علي الحرمازي وغيره ، قالوا : كان سديف بن ميمون مولى بني هاشم مائلاً الى محمد بن عبدالله ، وقبل ذلك كان مائلاً الى المنصور قبل خلافته ، فوصله المنصور حين استخلف بألف دينار ، فلما خرج محمد دفع الألف دينار إليه تقوية له ، وخرج معه وأجلبَ على المنصور وهجا ولد العباس ، فلما قُتل محمد صار إلى إبراهيم أخيه بالبصرة فلما قُتل خاف سديف على نفسه فهجا بني الحسن فقال :

بني حسنٍ أحـدثـوا تـوبـة فليس الحديث كما تزعمونا
أَقُلْتُم يكـون لنـا قـائمٌ فنحن بقائمكم كـافـرونـا

وقال أيضاً :

كَذَبَتْ بنو حسنٍ وربِّ محمدٍ ماالعم كابن العم في الميراث

وكان المنصور يقول : كأني بسديف يتهكم عند إبراهيم .

قالوا: وقال سديف وقد صعد إبراهيم المنبر :

---

١ ـ الهبرزي : الأسد . القاموس .

٢ ـ هما في ديوان بشار ص ٥٩٣ ـ بيروت ١٩٩٣ بشكل مختلف تماماً .

إيهـاً أبـا اسحـاق منّيْتَهـا في صحة منك وعمر طويل
أذكُرْ هداك الله دحل[١] الألى سيرتهم في مُصْمِتَات الكُبُول

يعني أباه ومن حمل معه ـ فلما قتل إبراهيم هرب سديف واستخفى وكتب إلى المنصور :

أيها المنصور ياخير العـرب خير من ينميه عبد المطلبْ
أنـا مـولاك وراج عفـوكم فاعْفُ عني اليوم من قبل العَطَبْ

واحتال بالكتاب حتى وصل اليه فوقَّعَ فيه :

مـا نَمَـاني مُحَمَّـدُ بن عـليٍّ إنْ تَشَبَّهْتُ بعـدها بِـوَليٍّ

ثم إنه قتل :

وقال إبراهيم بن علي بن هرمة يعتذر الى إبراهيم بن عبد الله :

يابن الفواطم خير الناس كلهم عند الفخار وَأَوْلاَهُم بتطهير
إني لَحَامِلُ عُذْرِي ثم ناشِرُهُ وليس ينفع عُذرٌ غير مَنْشُورِ
وحـالف بيمين غـير كاذبـة بالله والبُدْنِ إذ كُبَّتْ لتنحير
لقد أتاك العدا عني بفاحشةٍ منهم فَرَوُهَا بإسرافٍ وتكثير
لا تَسْمَعَنَّ بنا إفكاً ولا كذباً ياذا المعالي وياذا المجد والخَيْر[٢]

ويقال إنما اعتذر الى غيره منهم في أمر بلغه عنه .

وكان قُرَّةَ الصيرفي عيناً لأبي جعفر المنصور على إبراهيم فضربه إبراهيم وحبسه ، فلما قتل إبراهيم قال له أبو جعفر : مرحباً بك يا قرة ، مازلت أدعو الله لك بالسلامة . ووصله .

١ ـ الدحل : نقب ضيق فمه متسع أسفله حتى يمشى فيه ، أو مدخل تحت الجرف ، أو خرق في بيوت الأعراب يجعل لتدخله المرأة إذا دخل داخل .
٢ ـ ليست في ديوانه المطبوع .

خروج يحيى بن عبد الله بن الحسن

قالوا : وخرج يحيى بن عبد الله بن حسن بالجبل ، وصار الى ناحية الديلم فتوجه اليه الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك وزير الرشيد هارون أمير المؤمنين ، فجعل لملك الديلم ألف ألف ، فسلمه اليه على أن أعطاه الرشيد الأمان من القتل ، فكان محبوساً عند السندي بن شاهك فمات في الحبس

خروج الحسين بن علي بن حسن بن حسن بن حسن بن علي عليه السلام

وخرج في سنة تسع وستين ومائة الحسين بن علي بن حسن بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بالمدينة ، ثم أتى مكة فلقيه موسى بن عيسى بن موسى ، والعباس بن محمد بن علي ، ومحمد بن سليمان بن علي ، وسليمان بن أبي جعفر وهو على الموسم فقُتل بفخ[1] ، وبُعث برأسه إلى موسى الهادي أمير المؤمنين ، فنصب على الجسر ببغداد ، فصار علي بن محمد بن عبدالله بن حسن إلى مصر فحمل منها فمات ببغداد[2] .

وكان ادريس بن عبدالله بن حسن في وقعة فخ مع الحسين بن علي ، فهرب في خلافة الهادي إلى مصر وعلى بريدها يومئذ واضح مولى صالح بن المنصور الذي يُعرف بالمسكين ، وكان واضح يتشيع فحمله على البريد الى المغرب فوقع الى أرض طنجة ، وأتى بعض مدنها فاستجاب له من بها من البربر .

١ ـ فخ : واد بمكة . معجم البلدان .
٢ ـ لمزيد من التفاصيل انظر مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصبهاني ـ ط . القاهرة ١٩٤٩ ص ٤٣١ ـ ٤٦٠ .

فلما استخلف الرشيد بعد موسى الهادي أُعلم ذلك فضرب عنق واضح ، ودسَّ الشماخ مولى المهدي وكتب له إلى إبراهيم بن الأغلب وهو عامله على إفريقية فأنفذه إلى بلاد طنجة ، فادعى الشماخ الطب ، فدعاه ادريس ليسأله عن وجع عرض له في أسنانه فأعطاه سنوناً فيه سم كان معه ، ثم هرب فطُلب فلم يُقْدَر عليه ، ومات ادريس وصار مكانه ابن له يقال له ادريس أيضاً .

قال الشاعر :

أَتَظُنُّ يا ادريس أنَّكَ مُفْلِتٌ كَيْدَ الخليفة أو يَقِيْكَ حَذَارُ

إنَّ السيوف إذا انتضاها سخْطُهُ طالتْ وقُصِّرَ عندها الأعمارُ

وكان موسى بن عبدالله بن حسن بن حسن ذا عارضةٍ وبيان فأخذه المنصور ثم عفا عنه ، وفيه يقول الشاعر :

إنك إمَّا كنتَ جوناً أُترعا[1] أخاف أن تضرهم وتنفعا

وتسلكُ العيسُ طريقاً ميهعا فرداً من الأصحاب أو مُشَيَّعَا

وكان موسى آدم ، وولدته أمه ولها ستون سنة ، وكان موسى أَحْدَثَ عَيْنَاً فَكَرِهَ ذلك أصحاب الانضاح فقال :

يا ويحهم من هذه المسفوحَةْ إذا غَدَتْ أطباؤها[2] مفتوحةْ

وأصبحتْ وجوههم مقبوحهْ

فقال له رجل من ولد مطيع من بني عدي بن كعب يقال له محمد بن

١ ـ الجون : الأسود والأبيض ، والنور والظلمة ، والأسود تخالطه حمرة . وأترعه : ملأه . المعجم الوسيط .

٢ ـ الطبي : حلمات الضرع . القاموس .

اسماعيل : يا أبا حسن ما وفقت فيما صنعتَ وقلتَ ، فقال له حسن : ومن أنت ، انما أنت ذَنَبٌ في قريش ، فحلم عنه المطيعي وسكت فلم يجبه ، ثم التقيا بعد ذلك فأحَدَّ موسى النظر إليه فقال المطيعي : أتحُدّ النظر إلي وتستطيل بالخيلاء علي ، أغَرَّكَ حلمي عنك وعفوي عما كان منك ، ولخير لك أن تَرْبَع على ظلعك وتقيس فترك بشبرك وتعرف حالك من حال غيرك .

فقال له موسى: والله لَمَا أُعِدُّكَ ولا أَعْتَدُّ بك، والله إنك الغَوِيُّ الغَبِيُّ القريب من كل سوء ، البعيد من كل خير . وما ذكرُك شبري وفتري ، فان فتري من شبري ، وشبري من فتري من كَفٌّ رحبة الذراع ، طويلة الباع يُقيمها ما يُقْعِدكَ ، ويرفعها ما يَخفضك ، مهما جَهلت مني فأني عالم بأني خير منك أماً وأباً ونفساً. وإن رَغِمَ أنفُكَ وتصاغرت إليك نفسك .

وكان موسى شاعراً حَدِيَتْ[1] عنده أم سلمة بنت محمد بن طلحة بن عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق وهي التي يقال لها :

يعجبني من فِعْلِ كلُّ مُسْلِمَهْ مثل الذي تفعل أم سَلَمَهْ
إقصاؤها عن زوجها كل أَمَهْ لأنها قِدْمَاً تُسَامي المكرُمَهْ

وكتب موسى إليها يأمرها بالشخوص إليه في العراق فأَبَتْ فكتب إليها :

إني زعيمٌ أَنْ أجِيء بِضُرَّةٍ فَرَاسَيةٍ فرَّاسة للضرائر

فقال الربيع بن سليمان مولى محمد بن عبدالله بن حسن :

أبنْتُ أبي بكرٍ تكيدُ بضرةٍ لعمري لقد حاولتَ إحدى الكبائر

فكتب موسى إليها :

١ ـ حدي بالمكان : لزمه فلم يبرح . القاموس .

لا تتركيني في العراق فإنها بلادٌ بها أهل الخيانة والغدر
فإني زعيم أن أجيء بضُرَّةٍ مقابلةُ الأجداد طَيِّبةُ النَّشْر
إذا انتسبت من آل شيبان في الذرا وَمُرَّةَ لم تَحْفَلْ بفضل أبي بكر

وكان جعفر بن الحسن بن الحسن أخو عبدالله بن الحسن وعم محمد وابراهيم من رجال بني هاشم ووجوههم ، واختصم ولد الحسن والحسين في وصية علي فقال كل قوم هي فينا ، فكان زيد بن علي بن الحسين يخاصم لولد الحسين ، وكان جعفر بن الحسن يخاصم لولد الحسن .

وتزوج سليمان بن علي أم الحسن بن جعفر فولدت محمد وجعفراً ابني سليمان ، ومات جعفر بالمدينة .

وكان بالرقة محمد بن إبراهيم بن اسماعيل بن إبراهيم بن حسن بن حسن بن علي ، وتلقب إبراهيم بن حسن طباطبا وقدم أبو السرايا السري بن منصور الشيباني مفارقا لهرثمة بن أعين القائد في سبعمائة من قومه فدعاه محمد بن ابراهيم فأتاه فبايعه على الدعاء إلى الرضا من آل محمد .

وشخصا حتى دخلا الكوفة فصار أبو السرايا إلى قصر العباس بن موسى فأغلقوا دونه أبوابه ورمي ومن معه ، وكان مع أبي السرايا رجل يكنى أبا الشوك فرمى خادماً كان بين شرفتين فانقلب على رأسه ، ودخلوا القصر فأخذوا ما كان فيه ، وبايعه أهل الكوفة وذلك سنة تسع وتسعين ومائة ، فوجه اليهم الحسن بن سهل وهو خليفة المأمون ببغداد ، وكان ينزل الشماسية زهير بن المسيب الضبي في أربعة آلاف فهزمه أبو السرايا عند قنطرة الكوفة وأخذ ما كان معه ، وصار زهير إلى بغداد .

ثم إن محمد بن ابراهيم الطالبي مات بالكوفة بعد قدومه إياها بأقل من شهر ويقال بأربعين ليلة .

أمر الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام

قالوا كان الحسن أَسَنَّ من الحسين بسنة ويقال بأقل منها ، وكان الحسين يكنى أبا عبدالله ، وكان شجاعاً سخياً ، وكان يُشَبَّه بالنبي ﷺ ، إلاّ أن الحسن كان أشبه وجهاً بوجه رسول الله ﷺ منه ، ويقال إنه كان يشبه رسول الله ﷺ من سرته إلى قدميه .

وقال رسول الله ﷺ : «حسين مني وأنا منه ، أَحَبَّ الله من أَحَبَّ حسيناً . حسين سبط من الأسباط» .

حدثنا محمد بن مصفى الحمصي ، ثنا العباس بن الوليد عن شعبة عن بُريد بن أبي مريم عن أبي الحوراء السعدي قال : قلت لحسين بن علي : ما تذكر من رسول الله ؟ قال : أُتي رسول الله ﷺ بتمر من تمر الصدقة فأخذتُ منه تمرة فجعلتُ ألوكها ، فأخذها بلعابها حتى ألقاها في التمر وقال : «إن آل محمد لا تحل لهم الصدقة» .

قال وكان يقول : دع ما يريبك إلى ما لايريبك فإن الكذب ريبة ، وإن الصدق طمأنينة .

شبر وشُبَيْر ومُشْبر

حدثني هشام بن عمار ، ثنا عيسى بن يونس ، ثنا الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال : سمع رسول الله ﷺ بكاء حسن أو حسين فقام فزعاً فقال : «أيها الناس ، الولد فتنة ، لقد قمتُ إليه وما أعْقِلُ» .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن اسرائيل عن أبي اسحاق عن هانىء عن علي عليه السلام قال : ولد لي ابن سميته حرباً. فقال رسول الله ﷺ : ما سميتموه ؟ قلنا : سميناه حرباً . فقال : هو حسن . ثم ولد لي آخر فسميته حرباً فقال رسول الله ﷺ : ما سميتموه ؟ قلنا : حرباً ، قال : هو حسين . ثم ولد لي ابن آخر فسميته حرباً فقال رسول الله ﷺ ما سميتموه ؟ قلنا : حرباً . قال : هو محسن ، إني سميت بنيَّ هؤلاء بأسماء ولد هارون : شبر وشبير ومشبر .

فولد حسين : علياً الأكبر وأمه ثقفية ، قتل بالطَفّ ، وكان يقاتل وهو يقول :

أنا عليُّ بنُ الحسينِ بنُ عليْ   أَنَا وبَيْتُ الله أَوْلَىٰ بالنبيْ

من شمرٍ وشبثٍ وابن الدَّعيْ

وعلياً الأصغر وهو الذي أعقب ، وأمه أم ولد تسمىٰ سلافة .

قال الزهري : ما رأيتُ قرشياً قط أفضل من علي بن الحسين ، ومات بالمدينة وهو ابن ثماني وخمسين سنة ويقال ابن ستين ويكنى أبا محمد . وكانت وفاته في سنة أربع وتسعين ، ودفن بالبقيع ، ويقال مات في سنة اثنتين وتسعين .

وفاطمة بنت الحسين ، أمها أم اسحاق بنت طلحة بن عبيد الله .

وسُكَيْنَةُ ، أمها الرباب بنت امرىء القيس ، وقد ذكرنا أمرها فيما تقدم .

وكانت فاطمة بنت الحسين عند الحسن بن الحسن بن علي ، ثم خلف عليها عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان .

فولد علي بن الحسين : محمداً . وعبد الله . وحسيناً ، وأمهم أم عبد الله بنت الحسن بن علي . وعمراً وزيداً لأم ولد . وعلياً وخديجة لأم ولد . وأم موسىٰ . وأم حسن . وكلثم . ومليكة ، لأمهات أولاد شتىٰ .

فولد محمد بن علي : جعفر . وعبد الله ، وأمهما أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر ، فإلىٰ جعفر بن محمد بن علي تنسب الجعفرية وهو أبو موسى بن جعفر . وكان يكنى أبا عبد الله ومات بالمدينة .

وأما عبد الله بن محمد فكان يلقب دورقاً . مات بالمدينة وله عقب .

وأما زيد بن علي بن الحسين ، فكان يكني أبا الحسين ، قتل بالكوفة .

وكانت ميمونة بنت حسين بن زيد بن علي بن الحسين عند المهدي ، وكان حسين بن زيد أعمىٰ .

وكان لزيد ابن يقال له عيسى ، مات بالكوفة .

وأما علي بن علي بن الحسين فكان يلقب الأفطس وله عقب .

حدثني بكر بن الهيثم ، حدثني علي بن عبد الله المديني عن سفيان بن عيينة ، عن ابراهيم بن ميسرة ، عن طاوس عن ابن عباس قال : استشارني الحسين في الخروج فقلت : والله لولا أن يزري ذلك بي وبك لنشبتُ يدي في رأسك . فقال : والله لأنْ أقتل بمكان كذا وكذا أحب إلي من أن تُسْتَحَل بي هذه الحرمة غداً .

حدثني يوسف بن موسىٰ ، ثنا حكام ، أنبأ عمرو بن معروف عن ليث عن مجاهد قال : قال علي وهو بالكوفة : كيف أنتم إذا أتاكم أهل بيت نبيكم يحمل قويهم ضعيفهم ؟. قالوا : نفعل ونفعل . فحرَّكَ رأسه ثم قال : توردون ثم تعردون[1] ، ثم تطلبون البراءة ولا براءة لكم .

قالوا : وكان الحسين بن علي منكراً لصلح الحسن معاوية فلما وقع ذلك الصلح دخل جندب بن عبد الله الأزدي والمسيب بن نجبة الفزاري ، وسليمان بن صُرد الخزاعي ، وسعيد بن عبد الله الحنفي علىٰ الحسين وهو قائم في قصر الكوفة يأمر غلمته بحمل المتاع ويستحثهم ، فسلموا عليه فلما رأى ما بهم من الكآبة وسوء الهيئة ، تكلم فقال : إن أمر الله كان قدراً مقدوراً ، إن أمر الله كان مفعولاً . وذكر كراهته لذلك الصلح وقال : كنتُ طيِّب النفس بالموت دونه ولكن أخي عَزَّهم علي وناشدني فأطعته وكأنما يحزُّ أنفي بالمواسي ويُشَرِّحُ قلبي بالمُدَىٰ ، وقد قال الله عزوجل:﴿فعسىٰ أن تكرهوا

١ ـ عرد تعريداً : هرب . القاموس .

شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾[1] . وقال : ﴿وعسىٰ أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسىٰ أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾[2] .

فقال له جندب : والله ما بنا إلاّ أن تُضاموا وتنتقصوا ، فأمّا نحن فإنا نعلم أن القوم سيطلبون مودَّتنا بكل ما قدروا عليه ، ولكن حاشا لله أن نؤازر الظالمين ونظاهر المجرمين ونحن لكم شيعة ولهم عدو .

وقال سليمان بن صرد الخزاعي : إن هذا الكلام الذي كلمك به جندب هو الذي أردنا أن نكلمك به كلنا . فقال : رحمكم الله صدقتم وبررتم .

وعرض له سليمان بن صرد وسعيد بن عبد الله الحنفي بالرجوع عن الصلح فقال : هذا ما لا يكون ولا يصلح . قالوا : فمتىٰ أنت سائر ؟ قال : غداً إن شاء الله . فلما سار خرجوا معه ، فلما جاوزوا دير هند نظر الحسين إلى الكوفة فتمثل قول زميل بن أبير الفزاري ، وهو ابن أم دينار :

فما عن قِلًى فارقتُ دار معاشر هم المانعون باحتى وذِمَاري
ولكنه ما حُمَّ لابُدَّ واقعٌ نَظَارِ تَرَقَّبْ ما يُحَمُّ نَظَارِ

قالوا : ولما بايع الحسن معاوية ومضىٰ ، تلاقت الشيعة بإظهار الحسرة والندم على ترك القتال والإذعان بالبيعة ، فخرجت إليه جماعة منهم فخطؤوه في الصلح وعرضوا له بنقض ذلك ، فأباه وأجابهم بخلاف ما أرادوه عليه ، ثم إنهم أتوا الحسين فعرضوا عليه ما قالوا للحسن وأخبروه بما ردَّ عليهم فقال : قد كان صلح وكانت بيعة كنتُ لها كارها فانتظروا مادام هذا الرجل

١ ـ سورة النساء ـ الآية : ١٩ .
٢ ـ سورة البقرة ـ الآية : ٢١٦ .

حياً فإن يهلك نظرنا ونظرتم ، فانصرفوا عنه فلم يكن شيء أحبُّ إليهم وإلىٰ الشيعة من هلاك معاوية ؛ وهم يأخذون أعطيتهم ويغزون مغازيهم .

قالوا : وشخص محمد بن بشر الهمداني وسفيان بن لَيلى الهمداني إلىٰ الحسن وعنده الشيعة الذين قدموا عليه أولاً فقال له سفيان كما قال له بالعراق : السلام عليك يا أمير المؤمنين . فقال له : إجلس لله أبوك . والله لو سرنا إلى معاوية بالجبال والشجر ما كان إلا الذي قُضي .

ثم أتيا الحسين فقال : ليكن كل أمري منكم حلساً من أحلاس بيته مادام هذا الرجل حياً ، فإن يهلك وأنتم أحياء رجونا أن يخير الله لنا ويؤتينا رشدنا ولا يكلنا إلى أنفسنا فـ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾[1] .

قالوا : وكان حجر بن عدي أول من ذمّ الحسن علىٰ الصلح ، وقال له قبل خروجه من الكوفة : خرجنا من العدل ودخلنا في الجور ، وتركنا الحق الذي كنا عليه ، ودخلنا في الباطل الذي كنا نذمه ، وأعطينا الدَّنِيَّة ورضينا بالخسيسة وطلب القوم أمراً ، وطلبنا أمراً ، فرجعوا بما أحبوا مسرورين ، ورجعنا بما كرهنا راغمين .

فقال له : يا حجر ، ليس كل الناس يحب ما أحببتَ ، إني قد بَلَوْتُ الناس فلو كانوا مثلك في نيتك وبصيرتك لأقدمتُ .

وأتىٰ الحسين فقال له : يا أبا عبد الله شريتم العز بالذل ، وقبلتم القليل بترك الكثير ، أطِعْني اليوم وأعْصَني سائر الدهر ، دع رأي الحسن واجمع شيعتك ، ثم ادْعُ قيس بن سعد بن عبادة وابعثه في الرجال ، وأخرج

١ - سورة النحل - الآية : ١٢٨ .

أنا في الخيل فلا يشعر ابن هند إلا ونحن معه في عسكره فنضاربه حتى يحكم الله بيننا وبينه وهو خير الحاكمين ، فإنهم الآن غارون .. فقال : إنا قد بايعنا وليس إلى ما ذكرت سبيل .

قالوا : فلما توفى الحسن بن علي اجتمعت الشيعة ومعهم بنو جعدة بن هبيرة بن أبي وهب المخزومي ، وأم جعدة أم هانىء بن أبي طالب في دار سليمان بن صرد ، فكتبوا إلى الحسين كتاباً بالتعزية وقالوا في كتابهم : إن الله قد جعل فيك أعظم الخلف ممن مضى ، ونحن شيعتك المصابة بمصيبتك ، المحزونة بحزنك ، المسرورة بسرورك ، المنتظرة لأمرك .

وكتب إليه بنو جعدة يخبرونه بحسن رأي أهل الكوفة فيه ، وحبهم لقدومه وتطلعهم إليه ، وأن قد لقوا من أنصاره وإخوانه من يرضى هديه ، ويُطْمَأَنُّ إلى قوله ، ويعرف نجدته وبأسه ، فأفضوا إليهم بما هم عليه من شنآن ابن أبي سفيان والبراءة منه ، ويسألونه الكتاب إليهم برأيه .

فكتب إليهم : إني لأرجو أن يكون رأي أخي رحمه الله في الموادعة ورأيي في جهاد الظَلَمَة رشداً وسداداً ، فالصِقُوا بالأرض ، واخفوا الشخص ، واكتموا الهوى واحترسوا من الأظناء مادام ابن هند حياً ، فإن يحدث به حدثٌ وأنا حي يأتكم رأيي إن شاء الله .

وكان رجال من أهل العراق ولثمان[1] أهل الحجاز يختلفون إلى الحسين يُجلُّونه ويعظمونه ويذكرون فضله ويَدْعُونه إلى أنفسهم ويقولون : إنَّا لك عضد ويد ليتخذوا الوسيلة إليه وهم لا يشكُّون في أن معاوية إذا مات لم يعدل الناس بحسين أحداً .

١ ـ اللثام : ما على الفم من نقاب . القاموس .

فلما كثر اختلاف الناس إليه ، أتى عمرو بن عثمان بن عفان مروان بن الحكم وهو إذ ذاك عامل معاوية علىٰ المدينة فقال له : قد كثر اختلاف الناس إلى حسين ، ووالله إني لأرىٰ أن لكم منه يوماً عصيباً .

فكتب مروان ذلك إلى معاوية ، فكتب إليه معاوية : بأنْ اترك حسيناً ما تركك ولم يُظْهِر عداوته ويبدي صفحته ، واكمن عنه كمون الثرى إن شاء الله والسلام .

وكتب معاوية إلى الحسين : أما بعد فقد أُنهيت إلى عنك أمور إن كانت حقاً فإني لم أكن أظنها بك رغبة عنها ، وإن كانت باطلاً فأنت أسعد الناس بمجانبتها وبحظ نفسك تبدأ ، وبعهد الله توفي ، فلا تحملني على قطيعتك والإساءة إليك ، فإني متى أنكرتك تنكرني ، ومتى تُكِدْني أكِدْك ، فاتق الله يا حسين في شقِّ عصا الأمة ، وأن تُرْدِهِمْ في فتنة .

فكتب إليه الحسين كتاباً غليظاً يَعُدُّ عليه فيه ما فعل في أمر زياد وفي قتل حجر ، ويقول له : إنك قد فُتنت بكيد الصالحين مذ خَلَفْتَ : فكِدْني ما بدا لك .

وكان آخر نص الكتاب : والسلام على من اتبع الهدى .

فكان معاوية يشكو ما كتب به الحسين إليه إلى الناس ، فقيل له : اكتب إليه كتاباً تَعِيْبَه وأباه فيه ، فقال : ما عَسِيْتُ فيه أن أقول في أبيه إلا أن أكذب . ومثلي لا يعيب أحداً بالباطل ، وما عسيت أن أقول في حسين ولست أراه للعيب موضعاً إلا أني قد أردت أن أكتب إليه فأتوعده وأتهدده ، ثم رأيت ألا أجيبه .

ولم يقطع معاوية عن الحسين شيئاً كان يصله ويبره به ، وكان يبعث

إليه في كل سنة ألف ألف درهم وعروض وهدايا من كل ضرب ، فلما توفي معاوية رحمه الله للنصف من رجب سنة ستين وولي يزيد بن معاوية الأمر بعده كتب يزيد إلى عامله الوليد بن عتبه بن أبي سفيان في أخذ البيعة علىٰ الحسين وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، فدافع الحسين بالبيعة ، ثم شخص إلى مكة فلقيه عبد الله بن مطيع العدوي من قريش فقال له : جُعلتُ فداك أين تريد ؟ قال : أما الآن فأريد مكة وأما بعد أن آتى مكة فإني أستخير الله ، فقال : خار الله لك يا بن بنت رسول الله وجعلني فداك ، فإذا أتيت مكة فاتق الله ولا تأت الكوفة فإنها بلدة مشؤومة بها قتل أبوك وطُعن أخوك ، وأنا أرى أن تأتي الحرم فتلزمه فإنك سيد العرب ، ولن يعدل أهل الحجاز بك أحداً ووالله لئن هلكت لَنُسْتَرَقَّنَّ بعدك .

ويقال إنه كان لقيه على ماء في طريقه حين توجه إلى الكوفة من مكة ، فقال له : إني أرىٰ لك أن ترجع إلى الحرم فتلزمه ، ولا تأتي الكوفة .

ولما نزل الحسين مكة جعل أهلها يختلفون إليه . ومن كان بها من المعتمرين وأهل الآفاق ، وابن الزبير بمكة قد لزم جانب الكعبة يصلي ويطوف ، ويأتي الحسين وهو أثقل الناس عليه .

وحُدثت عن أبي مخنف عن عبد الملك بن نوفل عن مساحق عن أبي سعيد المقبري قال : رأيت حسيناً يمشي بين رجلين حين دخل مسجد رسول الله ﷺ وهو يقول :

لا ذَعَرْتُ السوام في وَضَح الصبح مغيرا
ولا دعيت يزيداً يوم أعطى مخافة الموت ضيما
والمنايا ترصدنني أن أحيدا

فعلمتُ أنه لا يلبث إلّا قليلاً حتى يخرج ، فما لبث أن خرج نحو مكة ثم خرج منها إلى العراق .

وقال العتبي : حجب الوليد بن عتبة أهل العراق عن الحسين فقال الحسين : يا ظالماً لنفسه ، عاصياً لربه ، علام تحول بيني وبين قوم عرفوا من حقي ما جهلته أنت وعمك ؟ فقال الوليد : ليت حلمنا عنك لا يدعو جهل غيرنا إليك فجناية لِسانك مغفورة لك ما سَكَنَتْ يدك ، فلا تخطرها فتخطر بك ، ولو علمتَ ما يكونُ بعدنا لأحببتنا كما أبغضتنا .

وبلغ الشيعة من أهل الكوفة موت معاوية وامتناع الحسين من البيعة ليزيد ، فكتبوا إليه كتاباً صَدَّرُوْهُ :

«من سليمان بن صُرَد ، والمسيب بن نجبه ، ورفاعة بن شداد ، وحبيب بن مُظْهِر ـ وبعضهم يقول مُطَهّر ـ وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة .

أما بعد فالحمدلله الذي قَصَمَ عدوَّكَ الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الأمة فابتزها أمرها وغصبها فيها ، وتأمَّرَ عليها بغير رضى منها ، ثم قتل خيارها واستبقى شرارها ، وجعل مال الله دُوْلَةً بين أغنيائها فبُعْداً له كما بَعُدَتْ ثمود ، وليس علينا إمام فاقدم علينا لعل الله يجمعنا بك على الحق ، واعلم أن النعمان بن بشير في قصر الإمارة ، ولسنا نجمع معه جمعة ، ولا نخرج معه إلى عيد ، ولو بلغَنَا إقبالك الينا أخرجناه فالحقناه بالشام . والسلام» .

وكان معاوية ولى النعمان الكوفة بعد عبد الرحمن بن أم الحكم ، وكان النعمان عثمانياً مجاهراً ببغض عليٍّ ، سيء القول فيه ، وبعثوا بالكتاب مع

عبدالله بن سبع الهمداني ، وعبدالله بن وال التيمي فَقَدِما بالكتاب على الحسين لعشر ليال خلون من شهر رمَضان بمكة ، ثم سرحوا بعد ذلك بيومين قيس بن مُسْهِر بن خليد الصيداوي من بني أسد ، وعبد الرحمن بن عبدالله بن الكدر الأرحبي وعمارة بن عبد السلولي ، فحملوا معهم نحواً من خمسين صحيفة ، الصحيفة من الرجل والاثنين والثلاثة والأربعة ، وكتبوا معهما :

«أما بعد فَحَيِّ هَلاَ ، فإن الناس منتظرون لا إمام لهم غيرك ، فالعجل ، ثم العجل ، ثم العجل ، والسلام» .

قالوا : وكتب إليه أشراف أهل الكوفة شبث بن ربعي اليربوعي ، ومحمد بن عمير بن عطارد بن حاجب التميمي ، وحجار بن أبجر العجلي ، ويزيد بن الحارث بن يزيد بن رويم الشيباني ، وعَزْرَةَ بن قيس الأَحْمَسي ، وعمرو بن الحجاج الزبيدي : «أما بعد فقد اخْضَرَّ الجناب ، وأَيْنَعَتِ الثمار ، وطمَت الجمام ، فإذا شئت فأقدم علينا فإنما تقدم على جُنْدٍ لك مجند ، والسلام» .

فتلاحقت الرسل كلها واجتمعت عنده فأجابهم على آخر كتبهم وأعلمهم أنْ قد قدم مسلم بن عَقيل بن أبي طالب ليعرف طاعتهم وأمرهم ، ويكتب إليه بحالهم ورأيهم ، ودعا مسلماً فوجهه مع قيس بن مسهر وعمارة بن عبد ، وعبد الرحمن بن عبدالله بن ذي الكدر ، فكتب إليه مسلم من الطريق : «إني توجهت مع دليلين من أهل المدينة فَضَلاَّ عن الطريق واشتد عليهما العطش حتى ماتا ، وصرنا إلى الماء فلم ننج الا بحشاشة أنفسنا ، وقد تطيرتُ من وجهي هذا ، فإن رأيت أن تعفيني منه وتبعث غيري فافعل» .

فكتب إليه الحسين : «أما بعد فقد خشيتُ أن يكون الذي حملك على الكتاب إلي بالاستعفاء من وجهك الجبن ، فامض لما أمرتك به» .

فمضى لوجهه ، وكان من حين مقتله ما قد ذكرناه في خبر ولد عقيل بن أبي طالب ، وكان مخرج مسلم بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان ليالٍ خلون من ذي الحجة سنة ستين ، ويقال يوم الأربعاء لتسع خلونَ من ذي الحجة سنة ستين ، يوم عرفة بعد خروج الحسين من مكة مقبلاً إلى الكوفة بيوم .

وكان الحسين خرج من المدينة إلى مكة يوم الأحد لليلتين بقيتا من رجب سنة ستين ، ودخل مكة ليلة الجمعة لثلاث ليال خلون من شعبان ، فأقام بمكة شعبان وشهر رمضان ، وشوال ، وذو القعدة ، ثم خرج منها يوم الثلاثاء لثمان ليال خلون من ذي الحجة يوم التروية وهو اليوم الذي خرج فيه مسلم بالكوفة ، وقد يقال إنه خرج بالكوفة يوم الأربعاء وهو يوم عرفة .

وحدثني بعض قريش أن يزيد كتب إلى ابن زياد : بلغني مسير حسين إلى الكوفة وقد ابتُلي به زمانك من بين الأزمان ، وبلدك من بين البلدان ، وابتُليت به من بين العمال ، وعندها تعتق أو تعوذ عبداً كما يُعتبد العبيد .

خروج الحسين بن علي من مكة إلى الكوفة

قالوا : ولما كتب أهل الكوفة إلى الحسين بما كتبوا به فاستخفُّوه للشخوص ، جاءه عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي بمكة فقال له : بلغني أنك تريد العراق وأنا مشفق عليك من مسيرك لأنك تأتي بلداً فيه عماله وامراؤه ومعهم بيوت الأموال ، وإنما الناس عبيد الدينار والدرهم ، فلا آمنُ عليك أن يقاتلك من وعدك نصره ، ومن أنت أحبُّ إليه ممن يقاتلك معه ، فقال له : قد نصحتَ ويقضي الله .

وأتاه عبدالله بن عباس فقال له : يابن عم إن الناس قد أرجفوا بأنك سائر إلى العراق فقال : نعم . قال ابن عباس ، فإني أعيذك بالله من ذلك ، أتذهب رحمك الله إلى قوم قد قتلوا أميرهم وضبطوا بلادهم ونفوا عدوهم ، فإن كانوا قد فعلوا فسر إليهم وان كانوا إنما دعوك إليهم وأميرهم عليهم قاهر لهم ، وعماله يجبون خراج بلادهم فإنما دعوك إلى الحرب والقتال ، فلا آمن من أن يغرُّوك ويكذبوك ويستنفروا إليك ، فيكونوا أشد الناس عليك ؟ قال الحسين : فاني أستخير الله وأنظر .

ثم عاد ابن عباس إليه فقال : يابن عم إني أتصبَّر فلا أصبر ، إني أتخوف عليك الهلاك إن أهل العراق قوم غدرٍ ، فأقم بهذا البلد فإنك سيد أهل الحجاز ، فإن أرادك أهل العراق وأحبوا نصرك فاكتب إليهم أن ينفوا عدوهم ثم صِرْ إليهم ، وإلا فإن في اليمن جبالاً وشعاباً وحصوناً ليس بشيء من العراق مثلها ، واليمن أرض طويلة عريضة ولأبيكَ بها شيعة فَأْتِهَا ثم أبثث دعاتك وكتبك يأتك الناس .

فقال له الحسين : يابن عم ، أنت الناصح الشفيق ولكني قد أزمعتُ المسير ونويتهُ ، فقال ابن عباس : فإن كنت سائراً فلا تَسِرْ بنسائِك وأصْبِيَتَكَ فوالله إني لخائف أن تقتل كما قُتل عثمان ونساؤه ينظرن إليه .

ثم خرج ابن عباس من عنده فمر بابن الزبير فقال له : قَرَّتْ عينك يابن الزبير بشخوص الحسين عنك ، وتخليته إياك والحجاز ، ثم قال :

يــالـك من قُبَّــرَةٍ بِمَعْمَــرِ خَلاَ لَكِ الجو فبيضي واصفري
ونَقِّري ما شئت أن تنقري

وروي أن ابن عباس خرج من عند حسين وهو يقول : واحسيناه أنعي حسيناً لمن سمع .

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، ثنا شبابة بن سوار عن رجل ـ قال: أحسبه يحيى بن اسماعيل بن سالم الأزدي ـ عن الشعبي قال : لما أراد الحسين الخروج من مكة إلى الكوفة قال له ابن عمر حين أراد توديعه : أطِعْنِي وأقِمْ ولا تخرج فوالله ما زواها الله عنكم إلا وهو يريد بكم خيراً . فلما ودعه قال : استودعك الله من قتيل .

وحدثني غير أحمد بن إبراهيم عن شبابه عن يحيى بن اسماعيل عن

الشعبي ان ابن عمر كان بمكة فقدم المدينة ، فأخبر بخروج الحسين فلحقه على مسيرة ثلاث ليال من المدينة فقال له : أين تريد ؟ قال : العراق ، قال : لا تأتهم ، لأنك بضعة من رسول الله ، والله لا يليها منكم أحد أبداً ، وما صرفها الله عنكم الا للذي هو خير لكم .

فقال : هذه بيعتهم وكتبهم ، فاعتنقه ابن عمر وبكى وقال : استودعك الله من قتيل والسلام .

وحدثني الحسين بن علي عن يحيى بن آدم عن أبي بكر بن عياش قال : كتب الأحنف إلى الحسين وبَلَغَهُ أنه على الخروج ﴿فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنَّك الذين لا يوقنون﴾[1] .

قالوا : وعرض ابن الزبير على الحسين أن يقيم بمكة فيبايعه ويبايعه الناس ، وإنما أراد بذلك أن لا يَتَّهِمهُ وأن يعذر في القول ـ فقال الحسين : لأن أُقتل خارجا من مكة بشبر أحبُّ إلي من أن أُقتل فيها ، ولأن أقتل خارجاً منها بشبرين أحب إلي من أن أُقتل خارجاً منها بشبر .

قالوا: واعترضت الحسين رسل عمرو بن سعيد الأشدق وعليهم أخوه يحيى بن سعيد بن العاصي بن أبي أُحيحة، فقالوا له: انصرف إلى أين تذهب ، فأبى عليهم . وتدافع الفريقان فاضطربوا بالسياط ، ثم ان حسيناً وأصحابه امتنعوا منهم امتناعاً قوياً ، ومضى الحسين على وجهه فنادوه : يا حسين ألا تتقي الله ، أتخرج من الجماعة ؟

قالوا : ولقي الحسين بالتنعيم[2] عيراً قد أقبل بها من اليمن بعث بها

١ ـ سورة الروم ـ الآية : ٦٠ .
٢ ـ خارج مكة ما يزال يحمل الاسم نفسه .

بجير بن ريسان الحميري إلى يزيد بن معاوية وكان عامله على اليمن ، وعلى العير وَرْسٌ وحلل ، ورسله فيها ينطلقون إلى يزيد ، فأخذها الحسين فانطلق بها معه وقال لأصحاب الإبل : لا أُكْرِهُكُم من أحبَّ أن يمضي معنا إلى العراق وفيناه كراه وأحسنَّا صحبته ، ومن أحب أن يفارقنا من مكاننا هذا أعطيناه من الكراء على قدر ما قطع من الأرض . فأوفى من فارقه حقه بالتنعيم ، وأعطى من مضى معه وكساهم ، فيقال إنه لم يبلغ كربلاء منهم الا ثلاثة نفر ، فزادهم عشرة دنانير عشرة دنانير ، وأعطاهم جملاً جملاً ، وصرفهم .

ولما صار الحسين إلى الصفاح[1] لقيه الفرزدق ابن غالب الشاعر فسأله عن أمر الناس وراءه فقال له الفرزدق : الخبير سألت ، إن قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية ، والقضاء من السماء ، والله يفعل ما يشاء ، فقال الحسين : صدقت .

وحدثني إسحاق الفروي أبو موسى عن سفيان بن عيينة عن لبطة بن الفرزدق عن أبيه قال : لقيني الحسين وهو خارج من مكة في جماعة عليهم يلامق[2] الديباج فقال : ما وراءك؟ قلت : أنت أحب الناس إلى الناس ، والسيوف مع بني أمية ، والقضاء من السماء .

حدثني أبو مسعود الكوفي عن عوانة بن الحكم عن لبطة بن الفرزدق قال : أخبرني أبي قال : لقيت الحسين فقلت له : القلوب معك والسيوف

١ ـ الصفاح : موضع بين حنين وأنصاب الحرم على يسرة الداخل إلى مكة من مشاش . معجم البلدان .

٢ ـ اليلامق : الأردية .

مع بني أمية ، وإذا في لسانه ثقل من برسام[١] كان عرض له بالعراق .

حدثني أحمد بن ابراهيم الدورقي ، ثنا وهب بن جرير عن أبيه عن الزبير بن الخِرِّيْت قال : سمعت الفرزدق قال : لقيت الحسين بذات عرق[٢] وهو يريد الكوفة ، فقال لي : ما ترى أهل الكوفة صانعين ، فإن معي جُمَلاً من كتبهم . قلت : يخذلونك فلا تذهب فإنك تأتي قوماً قلوبهم معك وأيديهم عليك ، فلم يُطعْني .

قالوا : ولحق الحسين عون بن عبدالله بن جعدة بن هبيرة بذات عرق بكتاب من أبيه يسأله فيه الرجوع ، ويذكر ما يخاف عليه من مسيره ، فلم يعجبه .

وبلغ ابن الحنفية شخوص الحسين وهو يتوضأ فبكى حتى سمع وقع دموعه في الطست .

وحدثنا عباس بن هشام بن الكلبي ، ثنا معاوية بن الحارث عن شمر أبي عمرو عن عروة بن عبدالله الجعفي قال : كان عبدالله بن يسار - ويسار هو أبو عقب - قدم علينا فقال : ان حسيناً قادم فانصروه وجعل يحض على القتال معه ، وكان يقول : يقتلني رجل يقال له عبيد الله . فَتَطَلَّبَهُ ابن زياد فتوارى وتزوج امرأة من مراد ، فأتاه عبيد الله بن الحر فاستخرجه ثم أتى به السبخة فقتله .

قالوا : ولما بلغ عبيدالله بن زياد إقبال الحسين إلى الكوفة بعث الحصين بن تميم بن أسامة التميمي ، ثم أحد بني جُشَيْش بن مالك بن

١ - البرسام : علة يهذى فيها . القاموس .
٢ - مهل أهل العراق ، وهو الحد بين نجد وتهامة . معجم البلدان .

حنظلة ، صاحب شُرطِهِ ، حتى نزل القادسية ونظم الخيل بينها وبين خفان[1] ، وبينها وبين القَطْقَطانة[2] إلى لَعْلَع[3] .

وكتب الحسين حين بلغ الحاجر[4] مع قيس بن مسهر الصيداوي من بني أسد إلى أهل الكوفة : «أما بعد فإن كتاب مسلم بن عَقيل جاءني يخبرني فيه بحسن رأيكم ، واجتماع ملأكم على نصرنا ، والطلب بحقنا فأثابكم الله على ذلك أعظم الأجر ، فاكمشوا أمركم ، وجدوا فيه فإني قادم عليكم في أيامي إن شاء الله ، والسلام» .

وقد كان مسلم كتب إليه قبل أن يقتل ببضع وعشرين ليلة : «أما بعد فإن الرائد لا يَكْذِبُ أهله ، ان جميع أهل الكوفة معك ، فأقبِل حين تنظر في كتابي» .

فلما ضار قيس بن مسهر بالقادسية أخذه الحصين بن تميم فبعث به إلى ابن زياد فأمره ان يصعد القصر فيلعن علياً ويكذب الحسين على القصر ، فلما رقيه قال : أيها الناس ، إن الحسين بن علي خير خلق الله وقد فارقته بالحاجر فأجيبوه وانصروه ، ثم لعن زياداً وابنه واستغفر الله لعلي ، فأمر ابن زياد فرمي به من فوق القصر فتقطع ومات رحمه الله .

قالوا : وكان زهير بن القين البجلي بمكة ، وكان عثمانياً ، فانصرف من مكة متعجلاً ، فَضَمَّه الطريق وحسيناً فكان يسايره ولا ينازله ، ينزل الحسين في ناحية وزهير في ناحية ، فأرسل الحسين إليه في إتيانه فأمرته امرأته ديلم

١ ـ خفان : موضع قرب الكوفة .
٢ ـ موضع قرب الكوفة من جهة البرية بالطف .
٣ ـ لعلع : منزل بين البصرة والكوفة .
٤ ـ منزل للحاج بالبادية . القاموس .

بنت عمرو أن يأتيه فأبى ، فقالت : سبحان الله أيبعث إليك ابن بنت رسول الله فلا تأتيه ؟ فلما صار إليه ثم انصرف إلى رحله قال لامرأته : أنت طالق ، فالحقي بأهلك فإني لا أحب أن يصيبك بسببي إلاَّ خيراً ، ثم قال لأصحابه : من أحب منكم أن يتبعني وإلا فإنه آخر العهد ، وصار مع الحسين .

ولقي الحسين ومن معه رجل يقال له بكر بن المعنقة بن رُود فأخبرهم بمقتل مسلم بن عقيل وهانىء ، وقال : رأيتهما يُجرّان بأرجلهما في السوق ، فطلب إلى الحسين في الانصراف ، فوثب بنو عَقيل فقالوا : والله لا ننصرف حتى ندرك ثأرنا أو نذوق ما ذاق أخونا . فقال حسين : ما خير في العيش بعد هؤلاء ، فعلم أنه قد عزم رأيه على المسير ، فقال له عبدالله بن سُلَيْم ، والمدري بن الشِّمَعْل الأسديان : خار الله لك ، فقال : رحمكما الله .

ثم سار إلى زبالة[1] وقد اسكثر من الماء ، وكان كلما مر بماء اتَّبَعَهُ منه قوم ، وبعث الحسين أخاه من الرضاعة وهو عبدالله بن يقطر إلى مسلم قبل أن يعلم أنه قُتل ، فأخذه الحصين بن تميم وبعث به إلى ابن زياد ، فأمر أن يعلى به القصر ليلعن الحسين وينسبه وأباه إلى الكذب ، فلما علا القصر قال : اني رسول الحسين ابن بنت رسول الله اليكم لتنصروه وتؤازروه على ابن مرجانة وابن سمية الدعي وابن الدعي لعنه الله ، فأمر به فألقي من فوق القصر إلى الأرض فتكسرت عظامه وبقي به رمق ، فأتاه رجل فذبحه ، فقيل له : ويحك ما صنعت ؟ فقال : أحببت أن أريحه . فلما بلغ الحسين قتل

١ ـ منزل معروف بطريق مكة من الكوفة ، وهي قرية عامرة بها أسواق بين واقصة والثعلبية . معجم البلدان .

ابن يقطر خطب فقال : أيها الناس قد خذلتنا شيعتنا وقتل مسلم وهانىء وقيس بن مسهر ويقطر ، فمن أراد منكم الانصراف فلينصرف . فتفرق الناس الذين صحبوه أيدي سبأ ، فأخذوا يميناً وشمالاً حتى بقي في أصحابه الذين جاؤوا معه من الحجاز .

وأقبل الحسين حين نزل أشراف فلما كان السحر أمر فتيانه فاستقوا الماء فأكثروا ثم سار من أشراف فرسموا صدر يومهم حتى انتصف النهار ، فما كان بأسرع من أن طلعت عليهم هوادي الخيل[1] فلما رأوها من بعيد حسبوها نخلاً ثم تبينوها ، فأمر الحسين بأَبْنِيَتِهِ فضربت ، وجاء القوم وهم ألف فارس مع الحر بن يزيد التميمي ثم اليربوعي حتى وقف الحر وخيله مقابلي الحسين وذلك في حر الظهيرة ، فقال الحسين لفتيانه : اسقوا القوم وارووهم ورشفوا الخيل ترشيفاً ففعلوا .

وكان مجيء الحر إليه من القادسية ، قَدَّمَه الحصين بن تميم بين يديه في ألف ، فلم يزل مواقفاً للحسين ، وصلى الحسين فصلىٰ خلفه ، ثم قال للحر وأصحابه ، إن تتقوا الله وتعرفوا الحق لأهله يكن ذلك أرضىٰ لله ، وإن أنتم كرهتمونا وجهلتم حقنا وكان رأيكم غير ما أتتني به كتبكم وقدِمَتْ به عليّ رسلكم انصرفتُ عنكم ، فقال له : والله ما ندري ما هذه الكتب التي تذكرها ، فأخرج الحسين خرجين مملوءين صحفاً فنشرها بين أيديهم فقال الحر : فإنا ليس من هؤلاء الذين كتبوا إليك ، وقد أُمرنا إن نحن لقيناك أن لا نقاتلك وأن نقدمك الكوفة على عبيد الله بن زياد . فقال الحسين : الموت أدنىٰ إليك من ذلك .

---

١ - هوادي الخيل : أوائلها .

ثم قال لأصحابه قوموا فاركبوا فركبت النساء ، ثم أراد الانصراف وأمر به أصحابه فلما ذهبوا لينصرفوا حال القوم بينهم وبين ذلك ، فقال الحسين للحر : ثكلتك أمك ، ما تريد ؟ فقال الحر : والله لو غيرك يقولها ما تركت ذكر أمه . ولكنه والله مالي إلى ذكر أمك من سبيل إلا بأحسن ما أقدر عليه ، فقال الحسين : فما تريد ؟ قال : أريد أن أقدمك على عبيد الله بن زياد ، قال : فإني والله لا أتبعك ، فقال الحر : وأنا والله لا أدعك .

فلما ترادّا الكلام قال له الحر : لم أؤمر بقتالك وإنما أُمرت أن أقدم بك الكوفة فإذا أبيت فخذ طريقاً لا يدخلك الكوفة ولا يردك إلى المدينة يكون بيني وبينك نِصْفَاً حتى أكتب إلى الأمير عبيد الله بن زياد وتكتب أنت إلى يزيد بن معاوية إن أَحْبَبْتَ ذلك ، أو إلى ابن زياد إن شئت ، فلعل الله أن يرزقني العافية من أن أبتلىٰ بشيء من أمرك .

فتياسر الحسين إلى طريق العُذَيْب[1] والقادسية وبينه حينئذٍ وبين العذيب ثمانية وثلاثون ميلاً ، ثم إن الحسين سار في أصحابه ، والحر بن يزيد يسايره .

وخطب الحسين عليه السلام فقال : إن هؤلاء قوم لزموا طاعة الشيطان ، وتركوا طاعة الرحمن ، فأظهروا الفساد ، وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأنا أحق من غَيَّرَ ، وقد أتتني كتبكم وقدِمَتْ علي رسلكم فإن تُتِمُّوا عليّ بيعتكم تصيبوا رشدكم ، ووبخهم بما فعلوا بأبيه وأخيه قبله ، فقام زهير بن القين فقال : والله لو كنا في الدنيا مخلدين لآثرنا فراقها في نصرتك ومواساتك . فدعا له الحسين بخير .

١ ـ ماء لبني تميم على مرحلة من الكوفة . معجم البلدان .

وأقبل الحر بن يزيد يقول : يا حسين أذكرك الله في نفسك فإني أشهد لئن قاتلت لتقاتلنّ ولئن قوتلت لتهلكنّ ، فقال الحسين : أبا لموت تخوفني ؟ أقول كما قال أخو الأوس :

سأمضي فما بالموت عار على الفتى ... إذا ما نوىٰ حقاً وجاهد مسلما
وآسىٰ الرجال الصالحين بنفسه ... وفارق مثبوراً وخالف مجرما
فإن عشت لم أُذمم وإن مت لم أُلَمْ ... كفىٰ لك ذلاً أن تعيش وتُرغَما

فلما سمع ذلك الحر بن يزيد تنحىٰ بأصحابه في ناحية عذيب الهجانات وهي التي كانت هجائن النعمان بن المنذر ترعىٰ بها ، وإذا هم بأربعة نفر مقبلين من الكوفة على رواحلهم يجنبون فرساً لنافع بن هلال يقال له الكامل ، وكان الأربعة النفر : نافع بن هلال المرادي ، وعمرو بن خالد الصيداوي[1] وسعد مولاه ومجمع بن عبد الله العائذي[2] من مذحج . فقال الحر : إن هؤلاء القوم ليسوا ممن أقبل معك فأنا حابسهم أو رادُّهم . فقال الحسين : إذاً أمنعهم مما أمنع منه نفسي ، إنما هؤلاء أنصاري وأعواني ، وقد جعلت لي ألا تعرض لي حتى يأتيك كتاب ابن زياد . فكف عنهم .

وسألهم الحسين عن الناس فقالوا : أما الأشراف فقد أُعظمت رشوتهم ومُلِئَتْ غرائرهم ليُستمال ودهم وتستنزل نصائحهم فهم عليك أُلْبٌ واحد ، وما كتبوا إليك إلا ليجعلوك سوقاً وكسباً ، وأما سائر الناس بعد فأفئدتهم تهوي إليك ، وسيوفهم غداً مشهورة عليك .

وكان الطِرمَّاح بن عدي دليل هؤلاء النفر فأخذ بهم على الغريين ثم

١ - «الصدائي» في رواية أخرى (من هامش الأصل) .
٢ - «العامرى» في رواية أخرى (من الهامش) .

ظعن بهم في الجوف ، وخرج بهم على البيضة إلى عُذَيب الهجانات ، وكان يقول وهو يسير :

يا ناقتي لا تُذْعَري مِنْ زَجْرِي وشَمِّري قبل طلوع الفجر
بخير رُكْبَانٍ وخير سَفْرِ حتى تُجَلِّي بِكَرِيْم النَّجْرِ
أتىٰ به الله بخير أمرِ ثَمَّتَ أبقاه بقاء الدهر

فدنا الطرماح بن عدي من الحسين فقال له : والله إني لأنظر فما أرىٰ معك كبير أحد ، ولو لم يقاتلك غير هؤلاء الذين أراهم ملازمين لك مع الحر لكان ذلك بلاء . فكيف وقد رأيت قبل خروجي من الكوفة بيوم ظَهْرُ الكوفة مملوءاً رجالاً فسألت عنهم فقيل : عرضوا ليوجهوا إلىٰ الحسين ، أو قال ليسرحوا ، فنشدتك الله إن قدرت أن لا تتقدم إليهم شبراً إلاّ فعلت ، وعرض عليه أن ينزله أجأ أو سلمىٰ أحد جبلي طيء ، فجزاه خيراً ثم ودعه ومضىٰ إلى أهله ، ثم أقبل يريده فبلغه مقتله ، فانصرف .

وحدثنا سعدويه ، ثنا عباد بن العوام ، حدثني حضين ، حدثني هلال بن إساف قال : أمر زياد فأُخذ ما بين واقصة إلى طريق الشام إلى طريق البصرة فلا يُترك أحد يلِجُ ولا يخرج ، فانطلق الحسين يسير نحو طريق الشام يريد يزيد بن معاوية ، فتلقته الخيول فنزل كربلاء .

وكان فيمن بعث إليه ، عمر بن سعد بن أبي وقاص ، وشمر بن ذي الجوشن ، وحصين بن نمير ، فناشدهم الحسين أن يُسَيِّرُوه إلى يزيدِ فيضع يده في يده فأبوا إلاّ حُكْمَ ابن زياد ، وكان ابن زياد ممن بعث إليه الحر بن يزيد الحنظلي فقال : ألا تقبلون ما يسألكم من إتيان يزيد ، فوالله لو سألكم هذا الترك والديلم ما كان ينبغي أن تمنعوهم إياه ، فضرب الحر وجه فرسه وصار

مع الحسين ، فلما دنا منه سلم عليه وعلى أصحابه وقاتل أصحاب ابن زياد فقتل منهم رجلين ثم قُتل .

قالوا : ومضى الحسين إلى قصر ابن مقاتل[1] فنزل به فإذا هو بفسطاط مضروب فسأل عن صاحبه فقيل له : عبيد الله بن الحر الجعفي ، فبعث إليه رسولاً يدعوه فقال للرسول : إني والله ما خرجت من الكوفة إلاّ كراهة أن يدخلها الحسين وأنابها ، فإن قاتلته كان ذلك عند الله عظيماً ، وإن كنت معه كنت أول قتيل في غير غناء عنه ، ووالله لا أراه ولا يراني .

فانتعل الحسين وأتاه فدعاه إلى الخروج معه وأعاد عليه القول الذي قاله لرسوله فقال الحسين : فإذا امتنعتَ من نصرتي فلا تظاهر عليّ ، فقال : أما هذا فكن آمناً منه .

ثم إنه أظهر الندم على تركه نصرة الحسين وقال في ذلك شعراً سنكتبه في موضعه إن شاء الله تعالىٰ .

وكان أنس بن الحارث الكاهلي سمع مقالة الحسين لابن الحر ، وكان قدم من الكوفة بمثل ما قدم له ابن الحر ، فلما خرج من عند ابن الحر سلم علىٰ الحسين وقال له : والله ما أخرجني من الكوفة إلا ما أخرج هذا من كراهة قتالك أو القتال معك ولكن الله قذف في قلبي نصرتك وشجعني على المسير معك ، فقال له الحسين ، فاخرج معنا راشداً محفوظاً .

وأقبل الحسين حتى دخل رحله فخفق برأسه خفقة فرأى في منامه قائلاً يقول : القوم يَسْرُوْنَ والمنايا تَسْرِي إليهم . ثم سار فلم يزل يتياسر حتى

١ ـ قصر كان بين عين التمر والشام قرب القطقطانة . معجم البلدان .

صار إلى نينوى[١] فإذا راكب قد أقبل على نجيب له من الكوفة، فلما انتهى إليهم سلم على الحر بن يزيد ولم يسلم علىٰ الحسين، ثم رفع الحر كتاباً من ابن زياد فيه: «أما بعد فَجَعْجِعْ[٢] بحسين حيث يبلغك كتابي ويقدم عليك رسولي ولا تنزله إلا في العراء في غير حصن وعلى غير ماء».

فقال الحر: هذا كتاب الأمير عبيد الله وقرأه وأخذهم بالنزول فأنزلهم في غير قرية وعلى غير ماء، وسألوه أن ينزلوا بنينوىٰ والغاضرية[٣] فأبى ذلك عليهم، فأشار عليه زهير بن القين بن الحارث البجلي أن يقاتلهم فقال: هؤلاء أيسر علينا فنقاتلهم حتى ننحاز إلى بعض هذه القرىٰ التي على الفرات، فلم يفعل، ونزل وذلك يوم الخميس لليلتين خلتا من المحرم سنة إحدى وستين.

فلما كان من الغد قدم عليهم عمر بن سعد بن أبي وقاص من الكوفة في أربعة آلاف، وكان عبيد الله بن زياد أراد توجيه عمر بن سعد إلى دستبى[٤] لأن الديلم كانوا خرجوا إليها وغلبوا عليها فولاه الري ودستبى فعسكر للخروج إليها بحمام أعين[٥]، فلما ورد أمر الحسين علىٰ ابن زياد أمره أن يسير إلىٰ الحسين، فإذا فرغ منه سار إلى عمله فاستعفاه عمر من قتال الحسين فقال: نعم أعفيك على أن ترد عهدنا علىٰ الري ودستبى، فقال له: أنظرني يومي هذا. فجاءه حمزة بن المغيرة بن شعبة وهو ابن أخته فقال

١ ـ بسواد الكوفة ـ المنطقة التي قامت فيها كربلاء. معجم البلدان.
٢ ـ أي سيره في الأرض الصعبة.
٣ ـ الغاضرية: قرية قريبة من الكوفة.
٤ ـ دستبى: كورة كبيرة كانت مقسومة بين الري وهمذان. معجم البلدان.
٥ ـ حمام أعين: بالكوفة. معجم البلدان.

له : يا خال إن سِرْتَ إلى الحسين أَثِمْتَ بربك وقطعتَ رحمك فوالله لأن تخرج من دنياك ومالك خيرٌ من أن تلقى الله بدم الحسين .

ثم أتى عمر بن سعد ابن زياد فقال: إما أن تخرج إلى الحسين بجندنا وإما أن تدفع إلينا عهدنا ، فألح عليه في الاستعفاء ، وألح ابن زياد بمثل مقالته ، فشخص عمر بن سعد إلى الحسين في أربعة آلاف حتى نزل بإزائه ، ثم بعث إليه يسأله عن سبب مجيئه فقال : كتب إليَّ أهل الكوفة في القدوم فأما إذ كرهوني فإني أنصرف .

وكان رسول عمر إليه قرة بن قيس الحنظلي فقال له حبيب بن مظهر : ويحك يا قرة ، أترجع إلى القوم الظالمين ؟ فقال : أصير إلى صاحبي بالجواب ثم أرى رأيي .

وكتب عمر بن سعد إلى ابن زياد بقول الحسين فقال ابن زياد :

الآن إذ عَلِقَتْ مخالبنا بـه   يرجو النجاة ولاتَ حِينَ أوانِ

وكتب إلى عمر : إعرض على الحسين أن يبايع يزيد بن معاوية هو وجميع أصحابه ، فإذا فعل ذلك رَأَيْنَا رَأْيَنَا . فلم يفعله .

قالوا : ولما سرح ابن زياد عمر بن سعد من حمام أعين ، أمر الناس فعسكروا بالنخيلة[1] ، وأمر أن لا يتخلف أحد منهم ، وصعد المنبر فقرظ معاوية وذكر إحسانه وإدراره الأعطيات ، وعنايته بأمور الثغور ، وذكر اجتماع الألفة به وعلى يده ، وقال : إن يزيد ابنه المتقيل[2] له ، السالك لمناهجه المحتذي لمثاله ، وقد زادكم مائة مائة في أعطيتكم ، فلا يبقين رجل من

١ ـ معكسر لأهل الكوفة خارجها .

٢ ـ اقتال : احتكم والشيء اختاره . والقيل هو الملك عند أهل اليمن . القاموس .

العرفاء والمناكب والتجار والسكان إلاّ خرج فعسكر معي ، فأيما رجل وجدناه بعد يومنا هذا متخلفاً عن العسكر برئت منه الذمة .

ثم خرج ابن زياد فعسكر وبعث إلى الحصين بن تميم ، وكان بالقادسية في أربعة آلاف فقدم النخيلة في جميع من معه ، ثم دعا ابن زياد كثير بن شهاب الحارثي ، ومحمد بن الأشعث بن قيس ، والقعقاع بن سويد بن عبد الرحمن المنقري ، وأسماء بن خارجة الفزاري ، وقال : طوفوا في الناس فَمُرُوهُمْ بالطاعة والاستقامة وخَوِّفُوهم عواقب الأمور والفتنة والمعصية ، وحثُّوهم على العسكرة . فخرجوا فعذروا وداروا بالكوفة ثم لحقوا به غير كثير بن شهاب فإنه كان مبالغاً يدور بالكوفة يأمر الناس بالجماعة ويحذرهم الفتنة والفرقة ، ويخذل عن الحسين .

وسرح ابن زياد أيضاً حصين بن تميم في الأربعة الآلاف الذين كانوا معه إلى الحسين بعد شخوص عمر بن سعد بيوم أو يومين ، ووجه أيضاً إلى الحسين حجار بن أبجر العجلي في ألف ، وتمارض شبث بن ربعي ، فبعث إليه فدعاه وعزم عليه أن يشخص إلى الحسين في ألف ففعل .

وكان الرجل يبعث في ألف فلا يصل إلاّ في ثلاثمائة أو أربعمائة وأقل من ذلك كراهة منهم لهذا الوجه .

ووجه أيضاً يزيد بن الحارث بن يزيد بن رويم في ألف أو أقل ، ثم ان ابن زياد استخلف على الكوفة عمرو بن حريث ، وأمر القعقاع بن سويد بن عبد الرحمن بن بجير المنقري بالتطواف بالكوفة في خيل ، فوجد رجلاً من همدان قد قدم يطلب ميراثاً له بالكوفة ، فأتى به ابن زياد فقتله فلم يبق بالكوفة محتلم إلا خرج إلى العسكر بالنخيلة .

ثم جعل ابن زياد يرسل العشرين والثلاثين والخمسين إلى المائة غدوة وضحوة ونصف النهار وعشية من النخيلة ، يُمِدُّ بهم عمر بن سعد ، وكان يكره أن يكون هلاك الحسين على يده . فلم يكن شيء أحب إليه من أن يقع الصلح .

ووضع ابن زياد المناظر على الكوفة لئلا يجوز أحد من العسكر مخافة لأن يلحق الحسين مغيثاً له ، ورتب المسالح حولها وجعل على حرس الكوفة والعسكر زحر بن قيس الجعفي ، ورتب بينه وبين عسكر عمر بن سعد خيلاً مضمرة مقدحة فكان خبر ما قِبَلَهُ يأتيه في كل وقت .

وَهَمَّ عمار بن أبي سلامة الدالاني أن يفتك بعبيد الله بن زياد في عسكره بالنخيلة فلم يمكنه ذلك . فلطف حتى لحق بالحسين فقُتل معه .

وقال حبيب بن مظهر للحسين : إن ههنا حياً من بني أسد أعراباً ينزلون النهرين وليس بيننا وبينهم إلا روحه ، أفتأذن لي في إتيانهم ودعائهم لعل الله أن يجر بهم إليك نفعاً أو يدفع عنك مكروها، فإذِنَ له في ذلك فأتاهم فقال لهم : إني أدعوكم إلى شرف الآخرة وفضلها وجسيم ثوابها، أنا أدعوكم إلى نصر ابن بنت نبيكم فقد أصبح مظلوماً، دعاه أهل الكوفة لينصروه فلما أتاهم خذلوه وعدوا عليه ليقتلوه، فخرج معهم منهم سبعون.

وأتى عمر بن سعد رجل ممن هناك يقال له جبلة بن عمرو فأخبره خبرهم، فوجه أزرق بن الحارث الصيداوي في خيل فحالوا بينهم وبين الحسين، ورجع ابن مظهر إلى الحسين فأخبره الخبر فقال: الحمد لله كثيراً.

وكان فراس بن جعدة بن هبيرة المخزومي مع الحسين وهو يرى أنه لايخالف، فلما رأى الأمر وصعوبته هاله ذلك فأذن له الحسين في الانصراف فانصرف ليلاً.

وجاء كتاب ابن زياد إلى عمر بن سعد أَنْ حُلْ بين حسين وأصحابه وبين الماء فلا يذوقوا منه قطرة، كما صُنع بالتقي الزكي المظلوم، فبعث خمسمائة فارس فنزلوا على الشريعة وحالوا بين الحسين وأصحابه وبين الماء ومنعوهم أن يستقوا منه وذلك قبل قتل الحسين بثلاثة أيام، وناداه عبد الله بن حصن الأزدي: ياحسين ألا تنظر إلى الماء كأنه كبد السماء، والله لاتذوق منه قطرة حتى تموت عطشاً.

فقال الحسين: اللهم اقتله عطشاً ولاتغفر له أبداً، فمات بالعطش، كان يشرب حتى يبغر[1] فما يُروى فما زال ذاك دأبه حتى لفظ نفسه.

فلما اشتد على الحسين العطش بعث العباس بن علي بن أبي طالب وأمه أم البنين بنت حزام من بني كلاب في ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً، وبعث معهم بعشرين قربة فجاؤوا حتى دنوا من الشريعة، واستقدم أمامهم نافع بن هلال المرادي ثم الجملي، فقال له عمرو بن الحجاج الزبيدي، وكان على منع الماء: من الرجل؟ قال: نافع بن هلال، قال: ماجاء بك؟ قال: جئنا لنشرب من هذا الماء الذي حلأ تمونا[2] عنه. قال: اشرب هنيئاً. قال: أفأشرب والحسين عطشان ومن ترى من أصحابه؟ فقال: لاسبيل إلى سقي هؤلاء، إنما وُضِعْنَا بهذا المكان لنمنعهم الماء.

فأمر أصحابه باقتحام الماء ليملاؤا قربهم فثار إليهم عمرو بن الحجاج وأصحابه، فحمل عليهم العباس ونافع بن هلال فدفعوهم ثم انصرفوا إلى رحالهم وقد ملاؤا قربهم.

١ ـ بغر: شرب ولم يرو، فأخذه داء من الشرب. القاموس.
٢ ـ حلأ: منع وطرد. القاموس.

ويقال إنهم حالوا بينهم وبين ملئها فانصرفوا بشيء يسير من الماء.

ونادى المهاجر بن أوس التميمي: ياحسين ألا ترى إلى الماء يلوح كأنه بطون الحيَّات، والله لاتذوقه أو تموت، فقال: إني لأرجو أن يوردنيه الله ويحلأكم عنه.

ويقال أن عمرو بن الحجاج قال: ياحسين. إن هذا الفرات تلغ فيه الكلاب وتشرب منه الحمير والخنازير، والله لاتذوق منه جرعة حتى تذوق الحميم في نار جهنم.

قال: وتواقف الحسين وعمر بن سعد خلوين فقال الحسين: اختاروا مني الرجوع إلى المكان الذي أقبلتُ منه أو أن أضع يدي في يد يزيد فهو ابن عمي ليرى رأيه فيّ، وإما ان تُسَيِّرُوني إلى ثغر من ثغور المسلمين فأكون رجلاً من أهله لي ما له وعلي ماعليه. ويقال إنه لم يسله إلا أن يشخص إلى المدينة فقط.

فكتب عمر بن سعد إلى عبيد الله بن زياد بما سأل فأراد عبيد الله أن يجيبه إلى ذلك، فقال له شمر بن ذي الجوشن الكلابي ثم الضبابي: لاتقبلن منه إلا أن يضع يده في يدك فإنه إن لم يفعل ذلك كان أولى بالقوة والعز، وكنت أولى بالضعف والعجز فلا ترض إلا بنزوله على حكمك هو وأصحابه، فإن عاقبت كان ذلك لك وإن غفرت كنت أولى بما تفعله، لقد بلغني أن حسيناً وعمر يجلسان ناحية من العسكر يتناجيان ويتحادثان عامة الليل، فقال ابن زياد: نِعْمَ مارأيت فاخرج بهذا الكتاب إلى عمر بن سعد فليعرض على حسين وأصحابه النزول على حكمي، فإن فعلوا ابعثْ بهم إليَّ سلْماً، وإن

هم أبوا قاتلهم، فإن فعل فاسمع له وأطعه، وإن أبى أن يقاتلهم فأنت أمير الناس، وَثِبْ عليه فاضرب عنقه وابعث إليّ برأسه.

وكان كتابه إلى عمر: «أما بعد فإني لم أبعثك إلى حسين لتطاوله، وتمنيه بالسلامة وتكون له عندي شافعاً، فانظر إن نزل حسين وأصحابه على الحكم فابعث بهم إليَّ سلماً، وإن أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم، فإنهم لذلك مستحقون، وإن قتلت حسيناً فأوطىء الخيل صدره وظهره لنذرٍ نذرتُه وقولٍ قلتهُ، فإنه عاق مشاق قاطع ظلوم، فإن فعلت ذلك جزيناك جزاء السامع المطيع، وإن أنت أَبَيْتَ فاعتزل عملنا وجندنا وخَلِّ بين شمر بن ذي الجوشن وبين العسكر وأمر الناس، فإنا قد أمرناه فيك بأمرنا والسلام».

فلما أوصل شمر الكتاب إليه قال عمر: ياأبرص ويلك لاقرَّبَ الله دارك ولاسهَّل محلَّتَك، وقَبَّحَكَ وقبحَّ ماقدمت له، والله إني لأظنك ثنيته عن قبول ماكتبتُ به إليه.

فقال شمر: أتمضي لأمر الأمير وإلا فَخلِّ بيني وبين العسكر وأمر الناس، فقال عمر: لا ولاكرامة، ولكني أتولى الأمر. قال: فدونك.

فجعل عمر شمراً على الرجال ونهض بالناس عشية الجمعة، ووقف شمر فقال: أين بنو اختنا؟ يعني: العباس، وعبد الله، وجعفر، وعثمان بني علي بن أبي طالب، وأمهم أم البنين بنت حزام بن ربيعة الكلابي الشاعر، فخرجوا إليه، فقال: لكم الأمان، فقالوا: لعنك الله ولعن أمانك، أتؤمننا وابن بنت رسول الله لاأمان له؟

ثم إن عمر بن سعد نادى: ياخيل الله اركبي وابشري، فركب في الناس وزحف نحو الحسين وأصحابه بعد صلاة العصر والحسين جالس أمام

بيته محتبياً بسيفه، فقال العباس بن علي: ياأخي، أتاك القوم، فنهض فقال: ياعباس اركب، بنفسي أنت ياأخي حتى تلقاهم فتقول لهم: مابدا لكم وماتريدون؟

فأتاهم العباس في عشرين فارساً فيهم زهير بن القين وحبيب بن مظهر، فسألوهم عن أمرهم فقالوا: جاء أمر الأمير أن نعرض عليكم النزول على حكمه أو نناجزكم.

فانصرف العباس وحده راجعاً فأخبر الحسين بقولهم، وقال لهم حبيب بن مظهر. والله لبئس القوم عند الله قومٌ قتلوا ذرية نبيهم وعترته، وعُبَّادَ أهل المصر. فقال له عزرة بن قيس: انك لتزكي نفسك.

وقال عزرة لزهير بن القين: كنتَ عندنا عثمانياً فما بالك؟ فقال: والله ماكتبتُ إلى الحسين ولاأرسلتُ إليه رسولاً ولكن الطريق جمعني وإياه فلما رأيته ذكرت به رسول الله ﷺ وعرفتُ ماتقدم عليه من غدركم ونكثكم وميلكم إلى الدنيا، فرأيت أن أنصره وأكون في حزبه حفظاً لما ضيعتم من حق رسول الله.

فبعث الحسين إليهم يسألهم أن ينصرفوا عنه عَشِيَّتَهُمْ حتى ينظر في أمره، وإنما أراد أن يوصي أهله ويتقدم إليهم فيما يريد.

فأقبل عمر بن سعد على الناس فقال: ماترون؟ فقال عمرو بن الحجاج بن سلمة الزبيدي: سبحان الله. لو كان هؤلاء من الديلم ثم سألوك هذه المنزلة لكان ينبغي أن تجيبهم إليها.

وقال له قيس بن الأشعث بن قيس، أجبهم إلى ماسألوا فلعمري

لنصحبنك بالقتال غداً، فقال: والله لو أعلم أنهم يفعلوا ماأَخَّرْتُهُم، فانصرفوا عنه تلك العشية.

وعرض الحسين على أهله ومن معه أن يتفرقوا ويجعلوا الليل جملاً، وقال: إنما يطلبونني وقد وجدوني، وما كانت كُتُبُ من كَتَبَ إليَّ فيها أظن إلا مكيدة لي وتَقَرُّباً إلى ابن معاوية بي، فقالوا: قبح الله العيش بعدك.

وقال مسلم بن عوسجة الأسدي: أنخليك ولم نعذر إلى الله فيك في أداء حقك، لا والله حتى أكسر رمحي في صدورهم، وأضربهم بسيفي ماثَبَتَ قائمه في يدي، ولو لم يكن سلاحي معي لقذفتهم بالحجارة دونك.

وقال له سعيد بن عبد الله الحنفي نحو ذلك، فتكلم أصحابه بشبيه بهذا الكلام، وكان مع الحسين حُوَيّ مولى أبي ذر الغفاري فجعل يعالج سيفه ويصلحه ويقول:

يادهرُ أُفٍّ لكَ من خليلِ كم لك بالإشراق والأصيلِ
من طالبٍ وصاحبٍ قتيلِ والدهر لايقْنَعُ بالبديلِ
وإنما الأمر إلى الجليلِ وكل حيٍّ سالكٌ سبيلِ

ورددها حتى حفظت وسمعتها زينب بنت علي فنهضت إليه تجر ثوبها وهي تقول: واثكلاه، ليت الموت أعدمني الحياة اليوم، ماتت فاطمة أمي وعلي أبي والحسن أخي ياخليفة الماضي، وثِمال[1] الباقي، فقال الحسين: ياأُخَيَّة، لايُذْهِبَنَّ حِلْمَكِ الشيطان. قالت: أتغتصب نفسك اغتصاباً، ثم لطمتْ وجهها وشقت جيبها وهو يعزيها ويصبرها، ثم أمر أصحابه أن يُقرِّبوا بعض بيوتهم من بعض وأن يُدخلوا بعض الأطناب في بعض، وأن يقفوا بين

١ ـ الثمال: الغياث الذي يقوم بأمر قومه، والملجأ. القاموس.

البيوت فيستقبلوا القوم من وجه واحد والبيوت وراءهم وعن أيمانهم وشمائلهم، وقد حَفَّتْ بهم البيوت إلا الوجه الذي يأتيهم عدوهم منه.

ولما جُنَّ الليل على الحسين وأصحابه قاموا الليل كله يصلون ويسبحون ويستغفرون ويدعون ويتضرعون.

مقتل الحسين بن علي عليهما السلام

قالوا: فلما صلى عمر بن سعد الغداة، وذلك يوم السبت ويقال يوم الجمعة عاشوراء خرج فيمن معه من الناس، وعبأ الحسين أصحابه الغداة، وكان معه اثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً. فجعل زهير بن القين في ميمنة أصحابه وحبيب بن مظهر في ميسرة أصحابه وأعطى رايته العباس بن علي أخاه، وجعل البيوت في ظهورهم.

وكان الحسين أمر فأُتي بقصب وحطب إلى مكان من ورائهم منخفض كأنه ساقية وكانوا حفروه في ساعة من الليل فصار كالخندق، ثم ألقوا فيه ذلك القصب والحطب وقالوا: إذا غدوا فَقَاتَلُوا، ألهبنا فيه النار لئلا يأتونا من ورائنا، ففعلوا.

وجعل عمر بن سعد على ميمنته عمرو بن الحجاج الزبيدي، وعلى ميسرته شمر بن ذي الجوشن الضبابي، وعلى الخيل عزرة بن قيس الأحمسي، وعلى الرجالة شبث بن ربعي الرياحي، وأعطى الراية دريداً مولاه.

وأمر الحسين بفسطاط فضُرب فأطلى فيه بالنورة، ثم أتى بجفنة أو

صحفة فَميْثَ فيها مسك وتَطَيَّبَ منه، ودخل برير بن خضير الهمداني فأطلى بعده، ومسَّ من ذلك المسك، وتحنط الحسين وجميع أصحابه وجَعلت النار تلتهب خلف بيوت الحسين وأصحابه فقال شمر بن ذي الجوشن: ياحسين، تعجلتَ النار، فقال: أنت تقول هذا يابن راعية المعزى، أنت والله أَوْلَى بها صلياً، فقال مسلم بن عوسجة: يابن رسول الله ألا أرميه بسهم فإنه قد أمكنني فقال الحسين: لاترمه فإني أكره أن أبدأهم.

وكان مع الحسين فرس يدعى لاحقاً يقال إن عبيد الله بن الحر أعطاه إياه حين لقيه فحمل عليه ابنه علي بن الحسين، ثم دعا براحلته فركبها ونادى بأعلى صوته: أيها الناس اسمعوا قولي، فتكلم بكلام عَدَّدَ فيه فضل أهل بيته، ثم قال: أتطلبوني بقتيل منكم قتلته، أو بمال استهلكته أو بقصاص من جراخة جرحتها؟ فجعلوا لايكلمونه.

ثم نادى: ياشبث بن ربعي، ياحجار بن أبجر، ياقيس بن الأشعث، يايزيد بن الحارث، ألم تكتبوا إليّ أنْ قد أينعت الثمار واخضرَّ الجناب وطَمَتِ الجمام، وإنما تَقْدم على جند لك مجند؟

قالوا: لم نفعل، ثم قال: أيها الناس، إذ كرهتموني فدعوني أنصرف إلى مأمني، فقال له قيس بنَ الأشعث: أولا تنزل على حكم بني عمك فإنهم لن يُرُوك إلا ماتحب.

فقال: إنك أخو أخيك، أتريد أن يطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم بن عقيل الذي غَرَّهُ أخوك، والله لاأعطي بيدي إعطاء الذليل، ولاأفر

فرار العبد، عباد الله، ﴿واني عُذْتُ بربي وربكم أن ترجمونْ * وإن لم تُؤمِنَوا لي فاعتزلونْ﴾[1].

وبكين أخواته فَسَكَّتَهُنَّ، ثم قال: لايبعد الله ابن عباس وكان نهاه أن يخرجهنَّ معه.

وقال له زهير بن القين: عباد الله، إنَّ ولد فاطمة أحقّ بالنصر والودّ من ولد سمية، فإن لم تنصروهم فلا تقتلوهم، وخلّوا بين هذا الرجل وابن عمه يزيد فلعمري أن يزيد ليرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين.

فرماه شمر بسهم وقال: اسكتْ أسكتَ الله نَأْمَتَكَ. فقال له زهير: ابشر بالحرق يوم القيامة، فقال له شمر: إن الله قاتلُكَ وقاتِلُ أصحابك عن ساعة.

وكلمهم برير بن خضير وغيره ووعظوهم وذكروا غرورهم الحسين بكتبهم، وقال الحر بن يزيد اليربوعي وهو الذي كان يساير الحسين ويوافقه: والله لاأختار النار على الجنة، ثم ضرب فرسه وصار إلى الحسين فقُتل معه، وقال له الحسين حين صار إليه: أنت والله الحر في الدنيا والآخرة، وفي الحر بن يزيد يقول الشاعر:

لَنَعْمَ الحُرُّ حُرُّ بني رياحٍ   وحُرٌّ عند مُخْتَلَفِ الرِّماح

وأقبل الحر على أهل الكوفة وهو عند الحسين فقال: لأُمِّكُمُ الهبل والعبر، دعوتموه حتى إذا أتاكم أسلمتموه فصار في أيديكم كالأسير قد حلأتموه ونساءه وأصحابه عن ماء الفرات الجاري الذي يشربه اليهود والنصارى والمجوس، ويتمرغ فيه خنازير السواد، لبئسما خَلَفْتُم به محمداً في ذُريته،

١ ـ سورة الدخان ـ الآيتان: ٢٠ ـ ٢١.

فدعوا هذا الرجل يمضي في بلاد الله، أَمَا أنتم مؤمنون، وبنبوَّة محمد مصِّدقون ولابالمعاد موقنون؟. فحملت عليه رجالة لهم، فرمته بالنبل فأقبل حتى وقف أمام الحسين، وزحف عمر بن سعد نحوهم، ونادى يادُويد، أَدْنُ رَايَتَكَ، فأدناها، ثم وضع عمر سهماً في كبد قوسه ورمى وقال: اشهدوا أني أول من رمى. فلما رمى عمر ارتمى الناس.

وخرج يسار مولى زياد، وسالم مولى ابن زياد فدعوا إلى المبارزة، فقال عبد الله بن عمير الكلبي: أبا عبد الله، رحمك الله إئذن لي أخرج إليهما، فخرج رجل آدم طوال شديد الساعدين بعيد مابين المنكبين فشدَّ عليهما فقتلهما وهو يقول:

إنْ تنكروني فأنا ابن كلبِ حَسْبِيَ بيتي في كليبٍ حَسْبَي
إني امـرؤٌ ذو مِرَّةٍ وعَصْبِ ولستَ بالخَوَّار عند النَّكْبِ
إني زعيمٌ لكِ أُمَّ[1] وَهْبِ بالطَّعْنِ فيهم مَقْدَمَاً والضَّرْبِ
ضرب غلام مؤمنٍ بالرَّبِّ

فأقبلت إليه امرأته فقالت: قاتِلْ بأبي أنت وأمي عن الحسين ذرية محمد فأقبل يردها نحو النساء.

وحمل عمرو بن الحجاج الزبيدي وهو في الميمنة، فلما دنا من الحسين وأصحابه جثوا له على الركب، وأشرعوا الرماح نحوه ونحو أصحابه، فلم تقدم خيلهم على الرماح، ورجعت فرشقوهم بالنبل فصرعوا منهم رجالاً وجرحوا آخرين.

---

١ - في هامش الأصل مايفيد أنه في رواية أخرى «يابن» وهب.

وحمل شمر من قبل الميسرة في الميسرة فاستقبلوهم بالرماح فلم تقدم الخيل عليها فانصرفوا فرموهم بالنبل حتى صرعوا منهم رجالاً وجرحوا آخرين.

وقال رجل من بني تميم يقال له عبد الله بن حوزة، وجاء حتى وقف بحيال الحسين فقال: أبشر ياحسين بالنار، فقال: كلا، إني أقدم على رب رحيم وشفيع مطاع، ثم قال: من هذا؟ قالوا: ابن حوزة. قال: حازه الله إلى النار، فاضطرب به فرسه في جدول فعلقت رجله بالركاب ووقع رأسه في الأرض، ونفر في الفرس فجعل يمر برأسه على كل حجر وأصل شجرة حتى مات، ويقال: بقيت رجله اليسرى في الركاب فشد عليه مسلم بن عوسجة الأسدي فضرب رجله اليمنى فطارت، ونفر به فرسه يضرب به كل شيء حتى مات.

وبارز يزيد بن معقِل بَرير بن خضير،فضرب بريراً ضربة خفيفة وضربه برير ضربة قَدَّتِ المغفر، وجعل ينضنض سيفه في دماغه.

وحمل رضيّ بن منقذ العبدي فاعتنق بريراً فاعتركا ساعة، ثم إن بريراً قعد على صدره فقال رضيّ: أين أهل المصاع والدفاع؟. فحمل كعب بن جابر بن عمرو الأزدي بالرمح فطعنه في ظهره، فلما وجد برير مَسَّ الرمح عَضَّ أنف رضي فقطع طرفه، وشد عليه كعب فضربه بسيفه حتى قتله.

فلما رجع كعب بن جابر قالت له أخته النوار بنت جابر: أعنتَ على ابن فاطمة وقتلت بريراً سيد القراء، لقد أتيت عظيماً، والله لاأكلمك أبداً.

وخرج عمرو بن قرظة بن كعب الأنصاري يقاتل دون الحسين وهو يقول:

قـد علمتْ كتيبة الأنصـار أني سأحمي حوزةَ الذِّمَـارِ
أضربُ غير نَكْسٍ شارِ

وقاتل حتى قتل، وكان الزبير بن قرظة بن كعب أخوه مع عمر بن سعد فنادى: ياحسين ياكذاب يابن الكذاب أضللتَ أخي وغَرَرْتَهُ حتى قتلته، فقال حسين: إن الله لم يُضلّ أخاك ولكنه هداه وأضلك فقال: قتلني الله إن لم أقتلك، وحمل على الحسين فاعترضه نافع بن هلال المرادي فطعنه فصرعه، فاستنقذ وبرأ بعد. وقال بعضهم اسم ابن قرظة الذي كان مع عمر بن سعد: علي، والأول قول الكلبي.

وقتل الحر بن يزيد رجلين بارزاه أحدهما: من شقرة من بني تميم يقال له يزيد بن سفيان، والآخر من بني زبيد ثم من بني قطيعة يقال له مزاحم بن حريث، فقال عمرو بن الحجاج حين رأى ذلك: ياحمقى، أتدرون من تقاتلون، إنما تقاتلون نقاوة فرسان أهل المصر، وقوماً مستقتلين مستميتين فلا يَبْرُزَنَّ لهم منكم أحد، فإنهم قليل، وقَلَّ مايبقون. والله لو لم ترموهم إلا بالحجارة لقتلتموهم. فقال عمر: صَدَقْتَ، هذا الرأي، ونادى: ألا لايبارزُنَّ رجل منكم رجلاً من أصحاب الحسين.

ثم إن عمرو بن الحجاج حمل على الحسين من نحو ميمنة عمر بن سعد مما يلي الفرات، واضطربوا ساعة فصرع مسلم بن عوسجة الأسدي أول أصحاب الحسين، فلم يلبث أن مات، فصاحت جارية له: يابن عوسجياه ياسيداه. وكان الذي قتله مسلم بن عبد الله الضبابي وعبد الرحمن بن خشكارة البجلي.

وسر أصحاب عمرو بن الحجاج بقتل مسلم، فقال لهم شبث بن

ربعي: ويحكم أتفرحون بقتل مسلم، والله لقد رأيته يوم سلق اذربيجان قتل ستة من المشركين قبل أن تنام خيول المسلمين، أفيقتل منكم مثله وتفرحون؟

وحدثنا عمر بن شبه، ثنا أبو أحمد الزبيري، حدثني عمي الفضيل بن الزبير عن أبي عمر البزار عن محمد بن عمرو بن الحسن بن علي قال: كنا مع الحسين بنهري كربلاء فجاءنا رجل فقال: أين حسين؟. قال: هاأنذا. قال: ابشر بالنار تَرِدُهَا الساعة، قال: بل أُبشِرُ برب رحيم وشفيع مطاع، فمن أنت؟ قال: محمد بن الأشعث.

ثم جاء رجل آخر فقال: أين الحسين؟. قال هاأنذا. قال: ابشر بالنار تردها الساعة. قال: بل أبشر برب رحيم وشفيع مطاع فمن أنت؟ قال: شمر بن ذي الجوشن. فقال الحسين: الله أكبر، قال رسول الله ﷺ: «إني رأيت كلباً أبقع يلغ في دماء أهل بيتي».

قال: ثم قُتل الحسين فحمل رأسه إلى يزيد وحُملنا فأقعَدَني يزيد في حجره، وأقعد ابناً له في حجره ثم قال لي: أتصارعه؟ فقلت: اعطني سكيناً وأعطه سكيناً ودعني وإياه. فقال: ماتَدَعُون عداوتنا صغاراً وكباراً.

وحمل شمر في الميسرة فثبتوا له وطاعنوه ونادى أصحابه، فحمل على الحسين وأصحابه من كل جانب، وقُتل عبد الله بن عمير الكلبي، فجعلت امرأته تبكي عند رأسه، فأمر شمر غلاماً له يقال له رستم فضرب رأسها بعمود حتى شدخه فماتت مكانها.

قالوا: وركب الحسين دابة له ووضع المصحف في حجره بين يديه فما زادهم ذلك إلا إقداماً عليه، ودعا عمر بن سعد الحصين بن تميم فبعث معه

المجففة[١] وخمسمائة من المرامية، فرشقوا الحسين وأصحابه بالنبل حتى عقروا خيولهم فصاروا رجالة كلهم، واقتتلوا نصف النهار أشد قتال وأبرحه، وجعلوا لايقدرون على إتيانهم إلا من وجه واحد لاجتماع أبنيتهم وتقاربها ولمكان النار التي أوقدوها خلفهم.

وأمر عمر بتخريق أبنيتهم وبيوتهم فأخذوا يخرقونها برماحهم وسيوفهم، وحمل شمر في الميسرة حتى طعن فسطاط الحسين برمحه ونادى: عليَّ بالنار حتى أحرق هذا البيت على أهله. فصحن النساء وولولن وخرجن من الفسطاط، فقال الحسين: ويحكَ أتدعو بالنار لتحرق بيتي على أهلي؟

وقال شبث بن ربعي: ياسبحان الله مارأيت موقفاً أسوأ من موقفك، ولاقولاً أقبح من قولك، فاستحيا شمر منه،

وحمل عليه زهير بن القين في عشرة نفر فكشفه وأصحابه عن البيوت، وشد الحصين بن تميم على حبيب بن مظهر، فشد حبيب على الحصين فضرب وجه فرسه بالسيف فشبَّ ووقع عنه فاستنقذه أصحابه، وجعل حبيب يقول:

أنـا حبيب وأبي مـظهـر فارس هيجاء وحرب مسعر
وأنتم منـا لعمـري أكـثر ونحن أوفى منكمُ وأَصْـبَر
ونحن أعـلى حجة وأظهـر حقـاً وأبقى منكمُ وأعـذَر

فقاتل قتالاً شديداً، وحمل على رجل من بني تميم يقال له: بُديل بن صُرَيم فضربه بالسيف على رأسه فقتله، وحمل عليه رجل من بني تميم آخر فطعنه فوقع ثم ذهب ليقوم فضربه الحصين بن تميم بالسيف على رأسه فسقط، ونزل إليه التميمي فاحتز رأسه وأخذه الحصين فعلقه في عنق فرسه

١ ـ التجفاف: آلة الحرب يلبسه الفرس والانسان ليقيه في الحرب. القاموس.

ساعة ثم دفعه إلى التميمي يتقرب به إلى ابن زياد، فأتى به الكوفة فرآه القاسم بن حبيب بن مظهر فسأله أن يدفع إليه رأس أبيه فأبى فحقد ذلك عليه حتى قتله في أيام مصعب بن الزبير، وهو قائل نصف النهار، ضربه بالسيف حتى برد.

وقاتل الحر بن يزيد وهو يقول:

أَضرِبُ في أعراضهم بالسيف　　عن خير من حَلَّ منى والخيف

فقاتل هو وزهير بن القين قتالاً شديداً، وشدت رجاله على الحر فقتل، وحضرت الصلاة فصلى الحسين بأصحابه صلاة الخوف، فلما فرغوا شد عليهم العدو فاقتتلوا بعد الظهر قتالاً شديداً، ووصل إلى الحسين فاستهدف دونه سعيد بن عبد الله الحنفي، فما زال يرمي حتى سقط، ويقال إنه استهدف دونه رجل من بني حنيفة غير سعيد بن عبد الله.

وقاتل زهير بن القين وهو يقول:

أنا زهير وانا ابن القين　　أذودهم بالسيف عن حسين

وجعل يقول:

أَقْدِمْ هُديت هادياً مَهدياً　　فاليوم تلقى جدك النبيا
وحسناً والمرتضى عليا

فشد عليه مهاجر بن أوس التميمي وكثير بن عبد الله الشعبي فقتلاه.

وقاتل حُوَيّ مولى أبي ذر بين يدي الحسين وهو يقول:

كيف تَرَى الفُجَّارُ ضربَ الأسْوَدِ　　بالسيف صلتا عن بني محمدِ
أَذُبُّ عنهمْ باللسان واليد　　أرجو به الجنة يوم المَوْرِدِ

فلم يزل يكرُّ حتى قُتل.

وقاتل بشير بن عمرو الحضرمي وهو يقول:

اليوم يانفس ألاقي الرحمنْ واليوم تُجزين بكل إحسانْ
لاتجزعي فكل شيء فانْ والصبر أحظى لك عند الديَّان

وجعل عبد الرحمن بن عبد الله بن الكَدَن يقول:

إني لمن ينكرني ابن الكدن إني على دين حسين وحسن

وقاتل حتى قتل، وكان نافع بن هلال قد سَوَّم نَبْلَهُ، أي أعلمها، فكان يرمي بها ويقول:

أَرْمِي بها مُعَلِّماً أفواقَها والنفس لاينفعُها إشفاقُها

فقتل اثني عشر رجلاً من أصحاب عمر بن سعد، ثم كُسرت عضده وأُخذ أسيراً فضرب شمر عنقه.

قالوا: فلما رأى بقية أصحاب الحسين أنهم لايقدرون على أن يمتنعوا ولايمنعوا حسيناً تنافسوا في أن يقتلوا فجعلوا يقاتلون بين يديه حتى يقتلوا.

وجاء عابس بن أبي شبيب فقال: ياأبا عبد الله، والله ماأقدر على أن أدفع عنك القتل والضيم بشيء أعز عليّ من نفسي فعليك السلام. وقاتل بسيفه فتحاماه الناس لشجاعته، ثم عطفوا عليه من كل جانب فقتل.

ولما رأى الضحاك بن عبد الله المشرقي، من همدان، انه قد خلص إلى الحسين وأهل بيته وقُتل أصحابه، قال له: كنت رافقتُك على أن أُقاتل معك ماوجدت مقاتلاً فَأذَنْ لي في الانصراف فإني لاأقدر على الدفع عنك ولاعن

نفسي، فأذن له، فعرض له قوم من أصحاب عمر بن سعد من اليمامة، ثم خلوا سبيله فمضى.

وترك أبو الشعثاء يزيد بن زياد بن المهاصر بن النعمان الكندي بين يدي الحسين فرمى ثمانية أسهم أصاب منها بخمسة، قتلت خمسة نفر وقال:

أنـا يـزيـدٌ وأبي المهـاصر أشجعُ من ليثٍ بغيْلٍ خادرْ
يـارب إني للحسين نـاصرْ ولا بن سعدٍ رافضٌ مُهاجرْ

وكان أبو الشعثاء مع من خرج مع عمر بن سعد ثم صار إلى الحسين حين ردوا ماسأل ولم ينفذوه، فقاتل حتى قتل.

وقتل مع الحسين زياد بن عمرو بن عريب الصائدي من هَمْدان فكان يكنى أبا ثمامة، وقاتل مع الحسين جياد بن الحارث السلماني من مراد فقتل وقتل معه سوار بن أبي حُمير، أحد بني فهم الجابري من هَمْدان، أصابته جراحة فمات منها، وسيف بن الحارث بن سريع الهَمْداني، ومالك بن عبد الله بن سريع وهو ابن عمه وأخوه لأمه.

وقاتل بدر بن المغفل بن جَعونه بن عبد الله بن حُطيط بن عتبة بن الكلاع الجعفي وجعل يقول:

انا ابن جعفي وأبي الكلاع وفي يميني مُـرْهَفٌ قَراع[1]
ومازنٌ ثَعْلَبُهُ لَمَّاع

فقتل، وقتل مع الحسين: الحجاج بن مسروق بن مالك بن كثيف بن عتبة بن الكلاع الجعفي أيضاً، وقتل مجمع بن عبد الله بن مجمع من عائذ

١ ـ في رواية ثانية «قطاع» (من هامش الأصل).

الله بن سعد العشيرة، وقتل معه عبد الأعلى بن زيد بن الشجاع الكلبي، وقتل معه عبد الله وعبد الرحمن ابنا عزرة الغفاري.

قالوا: وكان أول قتيل من آل أبي طالب: علي الأكبر بن الحسين بن علي، قتله مُرَّةُ بن منقذ بن الشجاع العبدي. ورمى عمرو بن صبيح الصيداوي عبد الله بن مسلم بن عقيل، واعتوره الناس فقتلوه ويقال إن رقاد الجنبي كان يقول: رميت فتى من آل الحسين ويده على جبهته فأَثْبَتُّها فيها وجعلت أنضنض سهمي حتى نزعته من جبهته، وبقي النصل فيها.

وحمل عبد الله بن قطبة الطائي على عون بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فقتله، وشد بشر بن شوط العثماني، وعثمان بن خالد الجهني على عبد الرحمن بن عقيل فقتلاه.

وحمل عامر بن نهشل من بني تيم الله بن ثعلبة على محمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فقتله، ورمى عبد الله بن عروة الخثعمي جعفر بن عقيل بسهم فغلق قلبه، وقتل عمرو بن سعيد بن نفيل الأزدي القاسم بن الحسن فصاح ياعماه، فوثب الحسين وثبة ليث فضرب عمراً فأطَنَّ يده، وجاء أصحابه ليستنقذوه فسقط بين حوافر الخيل فتوطأته حتى مات.

ورمى عبد الله بن عقبة الغنوي أبا بكر بن الحسن بن علي بسهم فقتله، ففي ذلك يقول ابن أبي عقب:

وعند غَنِيٍّ قطرة من دمائنا وفي أسدٍ أخرى تُعَدُّ وتُذْكَرُ

وقال بعضهم: قَتَل حرملة بن كاهل الأسدي ثم الوالبي العباس بن علي بن أبي طالب مع جماعة وتعاوروه، وسَلَبَ ثيابه حكيم بن طفيل

الطائي، ورمى الحسين بسهم فتعلق بسرباله، ورَمَى حرملة بن كاهل الوالبي عبد الله بن حسين بسهم فذبحه.

وشد هانىء بن ثبيت الحضرمي على عبد الله بن علي فقتله وجاء برأسه، وقتل عثمان بن علي أيضاً، رماه خولي بن يزيد بسهم، ثم شد عليه رجل من بني أبان بن دارم فقتله.

قالوا: واشتد عطش الحسين بن علي عليهما السلام فدنا ليشرب من الماء فرماه حصين بن تميم بسهم فوقع في فمه فجعل يتلقى الدم من فمه ويرمي به، ثم جعل يقول: اللهم أحصِهِم عَدَدَاً واقتلهم بَدَدَا، ولاتَذَرْ على الأرض منهم أحدا.

ويقال إنه لما فُضَّ عسكره مضى يريد الفرات فرماه رجل من بني أبان بن دارم فأصاب حنكه فقال: اللهم إني أشكو إليك مايُفْعَلُ بي.

قالوا: ثم إن شمر بن ذي الجوشن أقبل في عشرة أو نحوهم من رجال أهل الكوفة قِبَلَ منزل الحسين الذي فيه ثقله وعياله، فمشى نحوهم فحالوا بينه وبين رحله، فقال لهم: ويحكم إن لم يكن لكم دين فكونوا في أمر دنياكم أحراراً، امنعوا أهلي من طغامكم وسفهائكم.

فقال له شمر: ذاك لك يابن فاطمة، وأقدم عليه بالرجالة منهم أبو الجنوب عبد الرحمن بن زياد بن زهير الجعفي، وخولي بن يزيد الأصبحي والقاسم بن عمرو بن نذير الجعفي، وكان فيمن اعتزل علياً، وصالح بن وهب اليزني، وسنان بن أنس النخعي. فجعل شمر يحرضهم عليه، فقال لأبي الجنوب: أَقْدِم على حسين، فقال له: وما يمنعك أنت من ذلك؟. فقال:

إليّ تقول هذا؟ فقال أبو الجنوب: هممتُ أن أخضخض سناني في عينك. وانصرف عنه شمر.

وكان أبو الجنوب شجاعاً مقداماً،ثم إن شمراً أقبل في خمسين من الرجالة فأخذ الحسين يشد عليهم فينكشفون عنه، حتى إذا أحاطوا به ضاربهم حتى كشفهم عن نفسه.

وشد بحر بن كعب بن عبيد الله على الحسين فلما أهوى إليه بالسيف غدا غلام ممن مع الحسين إلى الحسين فضمه الحسين إليه فقال الغلام: يابن الخبيثة، أتقتل عمي، فضربه بالسيف فاتقاه الغلام بيده فعلقها بجلدة منها.

ولما بقي الحسين في ثلاثة نفر أو أربعة دعا بسراويل محشوة فلبسها، فذكروا أن بحر بن كعب التيمي سلبه إياها حين قتل، فكانت يداه في الشتاء تنضحان الماء، وفي الصيف تيبسان فكأنهما عودان.

وكان الحسين يحمل على الرجالة عن يمينه وشماله حتى ينذعروا، وعليه قميص من خز أو جبة وهو مُعْتَمْ فما رأى الناس أربط جأشاً ولاأمضى جنانا منه، ينكشفون عنه انكشاف المعزى إذا شَدَّ فيها الذئب.

قالوا: ومكث الحسين طويلاً كلما انتهى إليه رجل فأمكنه قتله انصرف عنه كراهة أن يتولى قتله، ثم إن رجلاً يقال له مالك بن النسير الكندي وكان فاتكا لايبالي على ماأقدم، أتاه فضربه على رأسه بالسيف وعليه برنس فقطع البرنس وأصاب السيف رأسه فأدماه حتى امتلأ البرنس دماً فألقى البرنس ودعا بقلنسوة فلبسها وقال للرجل: لاأكلتَ بها ولاشربت وحشركَ الله مع الظالمين.

وأخذ الكندي البرنس فيقال إنه لم يزل فقيراً وشلت يداه.

وقالت زينب بنت علي لعمر بن سعد: ياعمر أيُقْتَلُ أبو عبد الله وأنت تنظر؟. فبكى وانصرف بوجهه عنها.

ونادى شمر في الناس: مابالكم تَحيدون عن هذا الرجل؟ ماتنتظرون؟. اقتلوه ثكلتكم امهاتكم فحملوا عليه من كل جانب فضربه زرعة بن شريك التيمي على كفه اليسرى وضُرب على عاتقه ثم انصرفوا عنه وهو ينوء ويكبو.

وحمل عليه وهو في تلك الحال سنان بن أنس بن عمرو النخعي فطعنه بالرمح فوقع، ثم قال لخولي بن يزيد الأصبحي: احتز رأسه، فأراد أن يفعل فضعف وأرعد، فقال له سنان: فَتَّ الله في عضدك وأبانَ يدك، ونزل إليه فذبحه ثم دفع رأسه إلى خولي.

وكان قد ضرب قبل ذلك بالسيوف وطعن فوجد به ثلاث وثلاثون طعنة، وأربع وثلاثون ضربة، ويقال أن خولي بن يزيد هو الذي تولى احتزاز رأسه بإذن سنان.

وسلب الحسين ماكان عليه، فأخذ قيس بن الأشعث بن قيس الكندي قطيفة له وكانت من خز، وأخذ نعليه رجل من بني أود يقال له الأسود، وأخذ سيفه رجل من بني نهشل بن دارم، ومال الناس على الوَرْسُ والحُلَلُ والإبل فانتهبوها، وأخذ الرحيل بن زهير الجعفي، وجرير بن مسعود الحضرمي، وأسيد بن مالك الحضرمي أكثر تلك الحُلل والورس وأخذ أبو الجنوب الجعفي جملاً كان يستقى عليه الماء، وسماه حسيناً.

وكان سويد بن عمرو بن أبي المطاع قد صُرع فأثخن، فسمع قائلاً

يقول: قُتل الحسين فنهض بسكين معه فقاتل به فقتله عزرة بن بطان التغلبي، وزيد بن رقاد الجنبي، فكان آخر قتيل.

وجاذبوا النساء ملاحفهنَّ عن ظهورهن، فمنع عمر بن سعد من ذلك فأمسكوا.

ونادى عمر بن سعد في أصحابه: من ينتدب للحسين فيوطئه فرسه فانتدب عشرة منهم اسحاق بن حيوة الحضرمي، وهو الذي سلب الحسين قميصه فَبَرِصَ، فداسوا الحسين بخيولهم حتى رضّوا ظهره وصدره.

وكان سنان بن أنس شجاعاً وكانت به لوثة، وقال هشام بن محمد الكلبي: قال لي أبي محمد بن السائب أنا رأيته وهو يُحْدِثُ في ثوبه، وكان هرب من المختار بن أبي عبيد الثقفي إلى الجزيرة. ثم انصرف إلى الكوفة، قالوا: وأقبل سنان حتى وقف على باب فسطاط عمر بن سعد ثم نادى بأعلى صوته:

أَوْقِرْ ركابي فضة وذهبا أنا قتلتُ الملك المحجبا
قتلتُ خير الناس أماً وأبا وخيرُهمُ إذ يُنْسبُون نسباً
وخيرهم في قومهم مركبا

فقال له عمر بن سعد: أشهد أنك مجنون ماصَحَحْتَ قط، أدخلوه إليّ فلما دخل حذفه بالقضيب ثم قال: ياأحمق أتتكلم بهذا، والله لو سمعك ابن زياد لضرب عنقك.

وكان مع الحسين عليه السلام عقبة بن سمعان مولى الرباب بنت امرىء القيس، الكلبية، أم سكينة بنت الحسين، فقال له عمر بن سعد: من أنت؟ قال: مملوك. فخلّى سبيله.

وكان المرقع بن قمامة الأسدي مع الحسين فجاء قوم من بني أسد فأمنوه فخرج إليهم.فلما قدم به عمر على ابن زياد أخبره خبره فَسَيَّره إلى الزارة من البحرين،

قالوا: وكان جميع من قتل مع الحسين من أصحابه اثنين وسبعين رجلاً، ودفن أهل الغاضرية من بني أسد جثة الحسين، ودفنوا جثث أصحابه رحمهم الله بعدما قتلوا بيوم، وقتل من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون رجلاً، سوى من جرح منهم، فصلى عمر عليهم ودفنهم.

وبعث عمر برأس الحسين من يومه مع خولي بن يزيد الأصبحي من حمير، وحميد بن مسلم الأزدي إلى ابن زياد فأقبلا به ليلاً فوجدا باب القصر مغلقاً، فأتى خولي به منزله فوضعه تحت أجانة في منزله، وكان في منزله امرأة يقال لها النوار بنت مالك الحضرمي فقالت له: ماالخبر؟. قال: جئت بغنى الدهر، هذا رأس الحسين معك في الدار. فقالت: ويلك جاء الناس بالفضة والذهب وجئت برأس ابن بنت رسول الله، والله لايجمع رأسي ورأسك شيء أبداً.

وأقام عمر بن سعد يومه والغد، ثم أمر حميد بن بكير الأحمري، فنادى في الناس بالرحيل إلى الكوفة، وحمل معه أخوات الحسين وبناته ومن كان معه من الصبيان، وعلي بن الحسين الأصغر مريض، فلطمن النسوة، وصحن حين مررن بالحسين، وجعلت زينب بنت علي تقول:

يامحمداه صلى عليك ملك السما.

هذا حسين بالعرا، مُزَمَّلٌ بالدما، مقطع الأعضاء

يامحمداه، وبناتك سبايا وذريتك مقتلةٌ تسفي عليها الصَّبَا،

فأبكتْ كل عدو وولي

واحتزت رؤوس القتلى فحمل إلى ابن زياد اثنان وسبعون رأساً مع شمر بن ذي الجوشن، وقيس بن الأشعث وعمرو بن الحجاج الزبيدي، وعزرة بن قيس الأحمسي من بجيلة، فقدموا بالرؤوس على ابن زياد.

وحدثني بعض الطالبيين أن ابن زياد جعل في علي بن الحسين جُعْلاً، فأتي به مربوطاً فقال له: ألم يقتل الله علي بن الحسين؟ فقال: كان أخي يقال له علي بن الحسين وإنما قتله الناس، قال: بل قتله الله. فصاحت زينب بنت علي: يابن زياد، حسبك من دمائنا فإن قتلته فاقتلني معه، فتركه.

وروى حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد قال: مارأيت قرشياً أفضل من علي بن الحسين، قال: وكان يقول ياأيها الناس احببتمونا حب الإسلام، فما برح حبكم حتى صار علينا عاراً.

وقال أبو مخنف: لما قتل الحسين جيء برؤوس من قتل معه من أهل بيته وأصحابه إلى ابن زياد، فجاءت كندة بثلاثة عشر رأساً، وصاحبهم قيس بن الأشعث، وجاءت هوازن بعشرين رأساً، وصاحبهم شمر بن ذي الجوشن، وجاءت بنو تميم بسبعة عشر رأساً، وجاءت بنو أسد بستة عشر رأساً، وجاءت مذحج بسبعة أرؤس، وجاء سائر قيس بتسعة أرؤس.

قالوا: وجعل ابن زياد ينكث بين ثنيتي الحسين بالقضيب، فقال له زيد بن أرقم: إعْلُ بهذا القضيب غير هاتين الثنيتين فوالله لقد رأيت شفتي رسول الله عليهما تقبلهما، ثم جعل الشيخ يبكي، فقال له: أبكى الله عينيك فوالله لولا أنك شيخ قد خرفتَ لضربت عنقك، فنهض وهو يقول للناس: أنتم العَبيدُ بعد اليوم يامعشر العرب، قتلتم ابن فاطمة، وأمَّرْتُم ابن

مرجانة، فهو يقتل خياركم ويستعبد شراركم، فَبُعْدَاً لمن رضي بالعار والذل.

ولما أُدخل أهل الحسين على ابن زياد نظر إلى علي بن الحسين فقال: انظروا أنبت؟ قيل: نعم. قال: اضربوا عنقه. فقال: إن كانت بينك وبين هؤلاء النسوة قرابة فابعث معهن رجلاً يحافظ عليهن، فقال: أنت الرجل فبعث به معهنَّ.

حدثنا سعيد بن سليمان، ثنا عباد بن العوام عن أبي حصين قال: لما قتل الحسين مكثوا شهرين أو ثلاثة وكأنما تُلَطَّخُ الحيطان بالدم من حين صلاة الغداة إلى طلوع الشمس.

وحدثني عمر بن شبه عن موسى بن اسماعيل عن حماد بن سلمة عن سالم القاص قال: مُطِرْنَا أيام قتل الحسين دماً.

حدثني عمر بن شبه عن عفان عن حماد عن هشام عن محمد بن سيرين قال: لم تر هذه الجمرة في آفاق السماء حتى قتل الحسين.

حدثنا عمرو عن ابن وهب عن ابن لهيعة عن أبي قبيل أن السماء أظلمت يوم قتل الحسين، حتى رأوا الكواكب.

قالوا: وخطب ابن زياد فقال: الحمد لله الذي قتل الكذاب ابن الكذاب الحسين وشعيته، فوثب عبد الله بن عفيف الأزدي ثم الغامدي وكان شيعياً وكانت عينه اليسرى ذهبت يوم الجمل، واليمنى يوم صفين، وكان لايفارق المسجد الأعظم، فلما سمع مقالة ابن زياد قال له: يابن مرجانة، إن الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك والذي ولاه وأبوه، يابن مرجانة أتقتلون أبناء النبيين وتتكلمون بكلام الصديقين؟ فقال ابن زياد: عليَّ به فنادى بشعار الأزد: مبرور، يامبرور، وحاضروا الكوفة من الأزد

يومئذ سبعمائة، فوثبوا فتخلصوه حتى أتوا به أهله، فقال ابن زياد للاشراف: أما رأيتم ماصنع هؤلاء. قالوا: بلى. قال: فسيروا أنتم ياأهل اليمن حتى تأتوني بصاحبكم، وامتثل صنيع أبيه في حجر حين بعث أهل اليمن. وأشار عليه عمرو بن الحجاج بأن يحبس كل من كان في المسجد من الأزد، فحبسوا وفيهم عبد الرحمن بن مخنف وغيره فاقتلت الأزد وأهل اليمن قتالاً شديداً، واستبطأ [ابن] زياد أهل اليمن فقال لرسول بعثه إليهم: انظر مابينهم. فرأى أشد قتل. فقالوا: قل للأمير: إنك لم تبعثنا إلى نبط الجزيرة ولاجرامقة الموصل، إنما بعثتنا إلى الأزد، إلى أسود الأجم ليسوا ببيضة تُحْسَى ولاحرملة[1] توطأ، فقتل من الأزد عبيد الله بن حوزة الوالبي ومحمد بن حبيب الكبري[2]، وكثرت القتلى بينهم وقويت اليمانية على الأزد وصاروا إلى خُصٍّ في ظهر دار ابن عفيف فكسروه واقتحموا، فناولته ابنته سيفه فجعل يذب به، وشدوا عليه من كل جانب فانطلقوا به إلى ابن زياد وهو يقول:

أُقْسِمُ لو يُفْسَحُ لي من بصري شَقَّ عليكم مَوْرِدِي وَصَدرِي

وخرج سفيان بن يزيد بن المغفل ليدفع عن ابن عفيف، فأخذوه معه، فقتل ابن عفيف وصلب بالسبخة، وأتي بجندب بن عبد الله فقال له ابن زياد: والله لأتقربن إلى الله بدمك فقال: إنما تتباعد من الله بدمي، وقال لابن المغفل: قد تركناك لابن عمك سفيان بن عوف فإنه خير منك.

وجعل عمر بن سعد يقول: مارجع أحد إلى أهله بشر مما رجعتُ به،

---

١ ـ الحرمل: حب بنات يخرج السوداء والبلغم اسهالاً. القاموس.

٢ ـ في هامش الأصل: «من بني كبير».

أطعتُ الفاجر الظالم ابن زياد وعصيتُ الحكم العدل، وقطعت القرابة الشريفة.

حدثني عمر بن شبه عن أبي عاصم عن قرة بن خالد عن أبي رجاء قال: قال جار لي حين قتل الحسين: ألم تر كيف فعل الله بالفاسق ابن الفاسق، فرماه الله بكوكبين في عينيه.

قالوا: ونصب ابن زياد رأس الحسين بالكوفة وجعل يُدَارُ بِهِ فيها، ثم دعا زحر بن قيس الجعفي فسرح معه برأس الحسين ورؤوس أصحابه وأهل بيته إلى يزيد بن معاوية، وكان مع زحر أبو بردة بن عوف الأزدي، وطارق بن أبي ظبيان الأزدي، فلما قدموا عليه قال: لقد كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين، لعن الله ابن سمية، أما والله لو كنت أنا صاحبه لعفوت عنه، رحم الله الحسين فقد قتله رجل قطع الرحم بينه وبينه قطعاً، ولم يصل زحر بن قيس بشيء.

العمري عن الهيثم عن عبد الملك بن عمير أنه قال: رأيت في هذا القصر عجباً، رأيت رأس الحسين على ترس موضوعاً بين يدي ابن زياد، ثم رأيت رأس ابن زياد بين يدي مصعب، ثم رأس المختار بين يدي مصعب ثم رأس مصعب بين يدي عبد الملك بن مروان.

وقال الهيثم بن عدي عن عوانة: لما وضع رأس الحسين بين يدي يزيد تمثل ببيت الحصين بن حمام المري:

يُفَلِّقْنَ هَامَاً مِنْ رجالٍ أَعِزَّةٍ   علينا وَهُمْ كانوا أَعَقَّ وَأَظْلَمَا

حدثني عمرو الناقد، وعمر بن شبة قالا: ثنا أبو أحمد الزبيري عن عمه فضيل بن الزبير وعن أبي عمر البزار عن محمد بن عمرو بن الحسن

قال : لما وضع رأس الحسين بن علي بين يدي يزيد قال متمثلاً :

يُفَلِّقْنَ هاماً من رجال أَعِزَّةٍ علينا وهم كانوا أعقَّ وأظلما

قالوا : وأمر عبيد الله بن زياد بعلي بن الحسين فَغُلَّ بِغِلٍّ إلى عنقه ، وجهز نساءه وصبيانه ، ثم سرح بهم مع محفز بن ثعلبة من عائذة قريش ، وشمر بن ذي الجوشن وقوم يقولون : بعث مع محفز برأس الحسين أيضاً ، فلما وقفوا بباب يزيد رفع محفز صوته فقال : يا أمير المؤمنين هذا محفز بن ثعلبة أتاك باللئام الفجرة . فقال يزيد : ما تحفزتْ[1] عنه أمُّ محفز أَلأَمَ وأَفْجَرَ .

وبعث يزيد برأس الحسين إلى نسائه فأخذته عاتكة ابنته وهي أم يزيد بن عبد الملك فغسلته ودهنته وطيبته . فقال لها يزيد : ما هذا ؟ قالت : بعثتَ إلي برأس ابن عمي شعثاً فلممته وطيبته .

ودفن رأس الحسين في حائط بدمشق إما حائط القصر وإما غيره ، وقال قوم : دفن في القصر حفر له وأعمق .

قالوا : وجعل يزيد ينكث بالقضيب ثغر الحسين حين وضع رأسه بين يديه ، فقال أبو برزة الأسلمي : أتنكث ثغر الحسين ، لقد أخذ قضيبك من ثغره مأخذاً ربما رأيت رسول الله ﷺ يرشفه ، أما إنك يا يزيد تجيء يوم القيامة وشفيعك ابن زياد ، ويجيء الحسين وشفيعه محمد . ثم قام . ويقال إن هذا القائل رجل من الأنصار .

وحدثني ابن برد الأنطاكي الفقيه عن أبيه قال : ذكروا أن رجلاً من

---

١ ـ حفز يحفزه : دفعه من خلفه ، وبالرمح طعنه ، وعن الأمر أعجله وأزعجه ، المرأة جامعها . القاموس .

أهل الشام نظر إلى ابنة لعلي فقال ليزيد : هب لي هذه ، فأسمعته زينب كلاماً ، فغضب يزيد وقال : لو شئت أن أهبها له فعلتُ ، أو نحو ذلك .

وقال يزيد حين رأى وجه الحسين : ما رأيت وجهاً قط أحسنَ منه . فقيل له : إنه كان يشبه رسول الله ﷺ ، فسكت .

وصيَّحَ نساءٌ من نساء يزيد بن معاوية وولولنَ حين أُدخل نساء الحسين عليهن ، وأقمن على الحسين مأتماً . ويقال إن يزيد أُذِنَ لهنَّ في ذلك .

وأعطى يزيد كلَّ امرأة من نساء الحسين ضعف ما ذهب لها وقال : عَجَّلَ ابن سمية لعنة الله عليه .

وبعث يزيد بالنساء والصبيان إلى المدينة مع رسول ، وأوصاه بهم ، فلم يزل يرفق بهم حتى وردوا المدينة ، وقال لعلي بن الحسين : إن أحببتَ أن تقيم عندنا بررناك ووصلناك . فاختار إتيان المدينة ، فوصله وأشخصه إليها .

ولما بلغ أهل المدينة مقتل الحسين كثر النوائح والصوارخ عليه ، واشتدت الواعية في دور بني هاشم ، فقال عمرو بن سعيد الأشدق : واعية بواعية عثمان ، وقال مروان حين سمع ذلك :

عَجَّتْ نساء بني زبيد عَجَّةً كعجيج نسوتنا غداة الأَرْنَبِ

وقال عمرو بن سعيد : وددتُ والله أن أمير المؤمنين لم يبعث إلينا برأسه . فقال مروان : بئس ما قلتَ هاته :

يا حبذا بَـرْدُكَ في اليدين ولـونكَ الأحمر في الخـدَّين

وحدثنا عمر بن شبة ، حدثني أبو بكر عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عن أبيه قال : رعف عمرو بن سعيد على منبر

رسول الله ﷺ ، فقال بيار الأسلمي وكان زاجراً : إنه ليوم دم ، قال فجيء برأس الحسين فنصب فصرخ نساء أبي طالب فقال مروان :

عجت نساء بني زبيد عجة كعجيج نسوتنا غداة الأزيب

ثم صِحْنَ أيضاً فقال مروان .

ضربت ذو شر فيهم ضربة أثبَتَتْ أَنْ كان مُلْكٌ فاستقر

وقام ابن أبي حبيش وعمرو يخطب فقال : رحم الله فاطمة ، فمضى في خطبته شيئاً ، ثم قال : واعجباً لهذا الألثغ ، وما أنت وفاطمة . قال : أمها خديجة ، يريد أنها من بني أسد بن عبد العزىٰ . قال : نعم والله وابنة محمد . أخذتها يميناً وأخذتها شمالاً . وددت والله أن أمير المؤمنين كان نَحَّاهُ عين ولم يرسل به إلي ، ووددت والله أن رأس الحسين كان على عنقه ، وروحه كانت في جسده .

وقال عوانة بن الحكم : قتل الحسين بكربلاء ، قتله سنان بن أنس ، واحتـز رأسه خولي بن يزيد ، وجاء به إلى ابن زياد ، فبعث به إلى يزيد مع محفز بن تعلبة .

ويقال إن الحجاج سأله كيف صنع بالحسين فقال : دسرته[1] بالرمح دسراً وهبرته بالسيف هبراً . فقال الحجاج : لا تجتمعان في الجنة والله أبداً ، وقال : ادفعوا إليه خمسمائة درهم ، فلما خرج قال : لا تعطوه شيئاً .

قال وكان الحسين يوم قتل ابن ثمان وخمسين سنة ، وذلك في سنة إحدى وستين يوم عاشوراء .

وقال الواقدي : قتل الحسين شمر بن ذي الجوشن وقد نصل

١ ـ الدسر : الطعن والدفع . القاموس .

خضاب[١] لحيته ، وكان يخضب بسوادٍ ، وأوطأه شمر فرسه وذلك في يوم عاشوراء سنة إحدى وستين وهو ابن ثمان وخمسين سنة ، ويقال ابن ست وخمسين .

وقال الكلبي : ولد الحسن في سنة ثلاث من الهجرة ، والحسين في سنة أربع . وقال : بعث يزيد برأسه إلى المدينة فنصب على خشبة ، ثم رُدَّ إلى دمشق فدفن في حائط[٢] بها ، ويقال في دار الإمارة . ويقال في المقبرة .

حدثني شجاع بن مخلد الفلاس عن جرير عن مغيرة قال : قال يزيد حين قتل الحسين : لعن الله ابن مرجانة ، لقد وجده بعيد الرحم منه .

حدثني هشام بن عمار ، حدثني الوليد بن مسلم عن أبيه قال : لما قدم برأس الحسين على يزيد بن معاوية وأُدخل أهله الخضراء تصايحت بنات معاويه ونساؤه ، فجعل يزيد يقول :

يا صيحةً تُحْمَدُ من صوائح ما أهونَ الموت على النوائح

إذا قضى الله أمراً كان مفعولاً ، قد كنا نرضى من طاعة هؤلاء بدون هذا .

ولما أدخل علي بن الحسين على يزيد قال : يا حبيب . إن أباك قطع رحمي وظلمني فصنع الله به ما رأيت ، فقال علي بن الحسين : ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها﴾[٣] . فقال يزيد لخالد ابنه أجبه ، فلم يدر ما يقول ، فقال يزيد : قل له :

١ ـ نصلت اللحية : خرجت من الخضاب . القاموس .

٢ ـ الحائط : الحديقة أو البستان ، ودار الإمارة هي قصر الخضراء وكان بجوار الجامع الأموي إلى الجنوب منه .

٣ ـ سورة الحديد ـ الآية : ٢٢ .

﴿ما أصاب من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾[١] .

وحدثني العمري عن الهيثم بن عدي عن مجالد بن سعيد قال : كتب يزيد إلى ابن زياد : «أما بعد : فَزِدْ أهل الكوفة أهل السمع والطاعة في أعطياتهم مائة مائة» .

قال الهيثم بن عدي ، قال سليمان بن قته :

إن قتيل الطَّفِّ من آل هاشمٍ أذلَّ رقاباً من قريشٍ فَذَلَّتِ
وكانوا لنا غُنْمَاً فعادوا رزيةً لقد عَظُمَتْ تلك الرزايا وجَلَّتِ
وعند غنيٍّ قطرة من دمائنا سيجزيهمُ يوماً بها حيث حَلَّتِ
مررتُ على أبيات آل محمدٍ فألفيتها أمثالها يوم حلت

وقال أبو دهبل الجمحي :

يبيت السكارى من أمية نُوَّماً وبالطَّفِّ قتلىٰ ما ينام قتيلها

وقالت زينب بنت عقيل ترثي قتلىٰ أهل الطفّ . وخرجتْ تنوح بالبقيع :

ماذا تقولون إن قال النبي لكمْ ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بأهل بيتي وأنصاري أما لكمُ عهدٌ كريمٌ أما توفون بالذمم
ذرِّيتي وبنو عمي بمَضْيَعَةٍ منهم أسارى وقتلىٰ ضُرِّجوا بدمِ
ما كان ذا جزائي إذا نصحتكُمُ أنْ تخلِفُوْني بسوءٍ في ذوي رحمي

فكان أبو الأسود الدولي يقول : ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾[٢] .

---

١ ـ سورة الشورى ـ الآية : ٣٠ .
٢ ـ سورة الأعراف ـ الآية : ٢٣ .

وكانت زينب هذه عند علي بن يزيد بن ركانة من بني المطلب بن عبد مناف ، فولدت له ولداً منهم عَبْدَة ، وولدت وهب بن وهب أبا البختري القاضي .

وقال المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب .

أضحكني الـدهـر وأبكـاني والـدهر ذو صـرفٍ وألوانِ
يا لهف نفسي وهىٰ النفسـ س لا تنفكُّ من هَمٍّ وأحزانِ
عـلى أناس قُتِّلُوا تسعـةٌ بالطَّفِّ أُمسـوا رَهْنَ أكفانِ
وستَّـةٌ مـا إن أرىٰ مثلهم بني عقيـلٍ خـيرِ فـرسـانِ

قال عبد الرحمن بن الحكم أخو مروان بن الحكم بن أبي العاص :

لهام بجنب الطَّفِّ أدنىٰ قرابة من ابن زياد العبدذي الحسب الوَغْلِ
سمية أمسىٰ نسلها عدد الحصا وبنت رسول الله ليس لها نسل

فذكر أنه أنشد يزيد هذه الأبيات فضرب صدره وقال : اسكت .

وقال الهيثم : خرج رجل من الأزد فيمن وُجِّهَ إلى الحسين فنهته امرأته فلما رجع قال :

ألم تخبري عني وأنت ذميمةٌ غداة حسينٍ والرماح شوارعُ
ألم آتِ أقصىٰ ما كرهتُ ولم يُعَبْ عليَّ غداة الرَّوْعِ ما أنا صانعُ

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، ثنا وهب بن جرير عن أبيه عن هشام بن حسان عن ابن سيرين عن أنس بن مالك ، قال : لما جيء برأس الحسين إلى ابن زياد وضع بين يديه في طست فجعل ينكث في وجنته بقضيب ويقول : ما رأيتُ مثل حُسْن هذا الوجه قط . فقلت إنه كان يشبه النبي ﷺ .

حدثنا حفص بن عمر عن الهيثم بن عدي عن أبي يعقوب عن عبد الملك بن عمير قال : لقد رأيت في قصر الكوفة عجباً ، رأيت رأس الحسين بين يدي ابن زياد على ترس ، ثم رأيت رأس ابن زياد بين يدي المختار على ترس ، ثم رأيت رأس المختار بين يدي مصعب على ترس ، ثم رأيت رأس مصعب بين يدي عبد الملك بن مروان على ترس .

وقال سراقة البارقي :

عين بَكيٍّ بعبرةٍ وعويل واندبي إنْ نَدَبْتِ آل الرسول
خمسةٌ منهُمُ لصلبِ عليٍّ قد أُبيدوا وسبعةٌ لعقيلِ

قال المدائني : قتل الحسين والعباس وعثمان ومحمد لأم ولد بنو علي ، وعلي بن الحسين وعبد الله وأبا بكر والقاسم بنو حسين ، وعون ومحمد ابنا عبد الله بن جعفر ، وعون وعبد الرحمن وعبد الله بن عقيل ، وعبد الله بن مسلم بن عقيل ، ومحمد بن أبي سعد بن عقيل .

حدثنا سعيد بن سليمان ، ثنا عباد بن العوام عن حصين أن أهل الكوفة كتبوا إلى الحسين : إنّا معك ومعنا مائة ألف سيف ، فبعث إليهم مسلم بن عقيل فنزل بالكوفة دار هانىء بن عروة ، فبعث إليه ابن زياد فأتىٰ فضربه بقضيب كان معه ، ثم أمر فكُتِّفَ فضربت عنقه فبلغ ذلك مسلم بن عقيل فخرج في ناس كثير .

قال حصين : فحدثني هلال بن إساف قال : لقد تفرقوا عنه ، فلما قَلَّتِ الأقوات قيل لابن زياد : ما نرىٰ معه كبير أحد . فأمر فرفعت جرادي[1] فيها النار حتى نظروا فإذا ليس مع مسلم إلّا قدر خمسين ، فقال

١ ـ الجرادي جمع جريدة ، والجريدة سعفة طويلة رطبة أو يابسة ، أو التي تقشر من خوصها . القاموس .

ابن زياد للناس : تميزوا أرباعاً ، فانطلق كل قوم إلى رأس ربعهم فنهض إليهم قوم قاتلوا مع مسلم فجرح مسلم جراحة ، وقتل ناس من أصحابه ، ولجأ إلى دار من دور كندة ، فجاء رجل إلى محمد بن الأشعث وهو جالس عند ابن زياد فأخبره بذلك ، فقال لابن زياد : إنه قال لي أن مسلماً في دار فلان ، فقال ائتوني به ، فدخل عليه وهو عند امرأة قد أوقدت ناراً فهي تغسل عنه الدم فقالوا له : انطلق إلى الأمير : فقال : عفواً ؟ قالوا : ما نملك ذلك . فانطلق معهم فلما رآه أمر به فكُتِّفَ . وقال : أجئتَ يا بن حلية لتنزع سلطاني ؟ وأمر به فضربت عنقه ، قال : وحلية أم مسلم بن عقيل ، وهي أم ولد .

ثم أمر بأخذ ما بين واقصة إلى طريق الشام إلى طريق البصرة .

وأقبل الحسين وهو لا يشعر بشيء حتى لقي الأعراب فسألهم فقالوا : والله ما ندري غير أنا لا نقدر على أن نخرج أو نلج ، فانطلق يسير نحو الشام الى يزيد فلقيته الخيول بكربلاء فناشدهم الله ، وكان بعث اليه عمر بن سعد ، وشمر بن ذي الجوشن ، وحصين بن نمير، فناشدهم الله أن يسيروه الى يزيد فيضع يده في يده ، فقالوا : لا إلا على حكم ابن زياد .

وكان فيمن بعث اليه الحر بن يزيد الحنظلي فقال لهم : يا قوم لو سألتكم هذا الترك والديلم ما حَلّ لكم أن تمتنعوا منه ، فأبوا إلا أن يحملوه على حكم ابن زياد ، فركب وصار مع الحسين ، ثم كَرَّ على أصحاب ابن زياد فقاتلهم فقتل منهم رجلين ثم قتل .

وذكر أن زهير بن القين العجلي لقي الحسين وكان حاجاً فأقبل معه .

قالوا : وأخرج اليه ابن زياد ابن أبي حويزة المرادي ، وعمرو بن

الحجاج ، ومَعْناً السُّلَمي . قال حصين : فحدثني سعد بن عبيدة قال : إن أشياخنا من أهل الكوفة لوقوف على تلٍ يبكون ويقولون : اللهم أنزل عليه نصرك ، فقلت : يا أعداء الله ألا تنزلون فتنصرونه .

قال : وأقبل الحسين يكلم من بعث اليه ابن زياد ، وإني لأنظر اليه وعليه جبة بُـرد فلما أبوا ما قال لهم انصرف الى مصافه ، وإنهم لمائة رجل أو قريب من مائة فيهم من صُلْبِ علي خمسة وستة عـشر من الهاشميين ، وفيهم رجل من سليم حليف لهم ، ورجل من كنانة حليف لهم .

قال حصين : وأخبرني سعد بن عبيدة قال : إنا لمستنقعون في الماء مع عمر بن سعد إذا أتاه رجل فَسَارَّهُ فقال : بعث إليك ابن زياد ابن حويزة بن بدر التميمي وأمره ان أنت لم تقاتل أن يضرب عنقك ، قال فخرج فوثب على فرسه ، ثم دعا بسلاحه وصار إليهم فقاتلهم ، فجيء برأس الحسين الى ابن زياد فوضع بين يديه وجعل ينكثه بقضيب له ويقول : أرى أبا عبدالله قد كان شمط[1] وأمر ببناته ونسائه فكان أحسن ما صنع بهن أن أمر لهن بمنزل في مكان معتزل وأجرى عليهن رزقاً وأمر لهن بكسوة ونفقة .

ولجأ ابنان لعبدالله بن جعفر الى رجل من طيء فضرب أعناقهما ، وأتى ابن زياد برؤوسهما ، فَهَمَّ بضرب عنقه ، وأمر بداره فَهُدِمَتْ .

قال حصين : فلما قتل الحسين لبثوا شهرين أو ثلاثة وكأنما تلطخ الحوائط بالدماء مذ صلاة الصبح الى ارتفاع الشمس .

قال حصين فحدثني مولى ليزيد بن معاوية قال : لما وضع رأس

١ ـ الشمط : بياض الرأس يخالط سواده . القاموس .

الحسين بين يدي يزيد رأيته يبكي ويقول : ويلي على ابن مرجانة فعل الله به كذا ، أما والله لو كانت بينه وبينه رحم ما فعل هذا .

حدثني عبيدالله بن محمد بن عائشة عن مهدي بن ميمون عن محمد بن أبي يعقوب الضبي عن ابن أبي نعيم قال : سأل رجل ابن عمر عن دم البعوض يصيب المحرم ، فقال له : من أين أنت ؟ قال : أنا من أهل العراق ، فقال ؛ واعجباً من قوم يسألون عن دم البعوض وقد سفكوا دم ابن بنت نبيهم .

وحدثني أبو خيثمة ، ثنا وهب بن جرير عن أبيه قال : بعث ابن زياد عمر بن سعد على جيش وبعث معه شمر بن ذي الجوشن وقال له : اذهب معه فإن قتل الحسين والا فاقتله وأنت على الناس ، فلقوه في تسعة عشر من أهل بيته فقال : يا أهل الكوفة كتبتم إلي في القدوم ثم صنعتم ما أرى ، فأنا أنزل على حكم يزيد ، قالوا : انزل على حكم الامير ، قال : ما كنت لأنزل على حكم ابن مرجانة . وقاتل ومن معه حتى قتلوا . فقال الشاعر .

فأيُّ رزيَّةٍ عَدَلَتْ حُسَيْناً غَداةَ سَطَتْ به كَفَّا سِنَانِ

وحدثنا عمرو بن شبه ، ثنا الصلت بن مسعود الجحدري ، ثنا عاصم بن قرْهد عن أبي بكر الهذلي عن الحسن[1] أنه لما قتل الحسين بكى حتى اختلج جنباه ، ثم قال : واذل أمة قَتَل ابن دَعِيِّها ابن نبيها .

وحدثت عن أبي عاصم النبيل ، عن ابن جريج ، عن ابن شهاب قال : ما رفع حجر بالشام يوم قتل الحسين إلا عن دم .

---

١ ـ الامام الحسن البصري .

حدثنا يوسف بن موسى عن جرير عن الأعمش أن رجلاً أحدثَ على قبر الحسين فجذم وبرص وجن ، فولده يتوارثون ذلك[1] .

١ - في هامش الأصل : آخر الجزء الحادي عشر من الأصل ، ولله كل حمد وكمال [وله بالغ الجزاء] على ما هو [أهله] ولله الحمد .

أمر زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام .

كان زيد بن علي لَسِنَاً خطيباً دخل على هشام بن عبد الملك فقال : إنه ليس أحد بدون أن يوصي بتقوى الله ولا أحدُ فوق أن يوصى بها . وأقام قبله في خصومة فلما شخص عن بابه كتب إلى عامله على المدينة : «أما بعد فإن زيد بن علي قدم عليَّ فرأيته رجلاً حُوَّلاً قُلَّبَاً خليقاً بصوغ الكلام وتمويهه» ، وأمره بتفقده والإشراف عليه وحَذَّرَهُ إياه .

وحدثني مصعب بن عبدالله الزبيري عن أبيه قال : نازع محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عبدالله بن حسن بن حسن في صدقة علي بن أبي طالب ، فوكل محمدٌ أخاه زيد بن علي بالخصومة فكان محمد وعبدالله يتنازعان عند عامل المدينة ابراهيم بن هشام ، فقال عبدالله لزيد ، وكانت أمه سندية : يابن السندية الساحرة ، أتطمع في الخلافة ؟ فانصَرَفَ زيد فدخل على عمته فاطمة بنت الحسين بن علي وهي أم عبدالله بن حسن ، وأخويه ابراهيم ، وحسن بن حسن بن حسن ، فشكا فبكى إليها فقالت : إنْ سَبَّ أمك فَسُبَّنِي . فعاد للخصومة فَعَادَ لَهُ عبدالله فشتم أمه فقال له

زيد : أوتذكر عبدالله بن الضحاك بن قيس حين كانت أمك تبعث إليه بالعَلْك الأحمر والأخضر والأصفر فتجيئه فتقول له : فمك . فإذا فتح فاه طرحته فيه ، فأخبرها بنوها عبدالله ، وحسن ، وابراهيم بنو حسن بن حسن بن علي بقول زيد ، فغضبت وقالت : كنتم أحداثاً فكنت أُداريه وأُمَنِّيْه أتزوجه لأنه كان يتوعدني إن لم أفعل ، حتى كتبت الى يزيد بن عبد الملك فعزله .

قال : وشخص ولد الحسن بن علي والحسين إلى هشام بسبب هذه المنازعة ، فاجتمع زيد بن علي وحسن بن حسن عنده ، فَأَعَانَ عمر بن علي زيداً على حسن ، فقال هشام لعمر : كيف لا تطلب القيام بهذه الصدقة لنفسك ؟ فقال حسن : يمنعه من ذلك «خولة والرباب» جَرَّتَاهُ اللتان كان ينتبذ فيهما ، فَصَبَّ أبان بن عثمان ما فيهما على رأسه وهو والي المدينة ،

وروى بعضهم أن زيداً رأى في منامه أنه أضرم بالعراق ناراً ثم أطفأها ، فقصها على يحيى ابنه وقد راعته ، وَوَرَدَ عليه كتاب هشام في القدوم عليه ، فلما أتاه قال له : إلحق بأميرك يوسف بن عمر . فقدم عليه وحذره إياه .

المدائني عن ابن جُعْدَبة قال : كان جعفر بن حسن بن الحسن بن علي من رجال بني هاشم ، فاختصم ولد الحسن والحسين في وصية علي فقال كل قوم : فينا . فكان زيد يخاصم لولد الحسين ، وكان جعفر يخاصم لولد الحسن .

المدائني عن جويرية بن أسماء قال: تنازع ولد الحسن والحسين في أموال علي فكان القائم بأمر ولد الحسين زيد ، والذي يقوم بأمر ولد الحسن

جعفر بن الحسن بن الحسن بن علي ، فكانا يختصمان . ثم مات جعفر بن الحسن بن الحسن فقام مقامه عبدالله بن الحسن بن الحسن ، ثم جرى بين زيد وخالد[1] كلام بالكوفة فخرج هو وعبدالله بن الحسن وعمر بن علي بن أبي طالب ومحمد بن عمر إلى هشام فلما عذب يوسف بن عمر طارقاً غلام خالد بن عبدالله القسري ، ادعى أن له عند زيد بن علي وعمر ، ومحمد بن عمر ، وداود بن علي بن عبدالله بن عباس مالاً ـ وكان داود مع خالد بن عبدالله في أصحابه ـ وعند أيوب بن سلمة المخزومي ودائع وأموالاً فكتب يوسف بذلك إلى هشام فحملهم هشام إليه ولم يحمل المخزومي لأن مخزوماً أخواله .

وكان عمر مسناً فأمر بالرفق به ، وكتب هشام الى يوسف : إن ثبت عليهم حق فَخُذْهُم به وإلا فلا تطالبهم بشيء ، وسرح هشام معهم رجلاً ، فلما جمع بينهم وبين طارق قال : إنما التمستُ أن يُكَفَّ عني العذاب الى أن يذهب الرسول ويحملوا . وما لخالد قِبَلَهُم شيء .

وقال عمر بن علي : كيف يُوِدِعُنَا من كان يلعننا ؟ فخلى سبيلهم . فخرج محمد بن عمر وداود بن علي الى المدينة ، وخرج زيد معهما ، فاتبعه قوم من أهل الكوفة فدعوه الى أن يبايعوه ، فرجع وأقام بالكوفة ، فبلغ يوسف أمره فقال : لا أصدق به . لقد كلمت زيداً فرأيت ثَمَّ نبلاً وعقلاً ولم يكن ليفسد نفسه .

وبلغ هشاماً مكان زيد بالكوفة وأنه يدعو الناس ، فكتب الى

---

١ ـ خالد بن عبدالله القسري ـ والي هشام على العراق .

يوسف : أن أحبس الناس في المسجد واحلفهم رجلاً رجلاً على خبره وأمرِهِ حتى تَتَيَقَّنَهُ .

فلما اجتمعوا سد الأبواب إلا باب الفيل وحده وأحلف الناس وبحثهم عن أمر زيد ، ثم إن زيداً قتل فبعث يوسف برأسه الى هشام فنصبه هشام بدمشق ، فقال بعض الشعراء

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلةٍ وما كان مَهْدِيٌّ على الجذع يُصْلَبُ

فلما ظهر عبدالله بن علي بن عبدالله بن عباس رضي الله تعالى عنهما على الشام أخذ ذلك الشاعر فجعل يضرب رأسه بعمود بيده حتى نثر دماغه ، وأمر فأحرق بالنار .

قال وقال الكميت بن زيد الأسدي :

دعاني ابن الرسول فلم أُجِبْهُ أيا لهفي على القلب الفَرُوقِ
حذارَ مَنِيَّةٍ لا بُدَّ منها وهل دون المنية من طريقِ

وقال أيضاً :

دعاني ابن الرسول فلم أُجِبْهُ فلهفي اليوم للرأي الغَبِيْنْ
فواندمي على أن لا أكن عاضدت زيداً[1] حفاظاً لابن آمنة الأمين

وقال الشاعر حين أُشخص ريدُ وداود :

يَأْمَنُ الظبي والحمام ولا يأ منُ أهل النبي عند المَقام
طِبْتَ بيتاً وطابَ أهلك أهلاً أهلُ بيت النبيِّ والإسلام

حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن أبي مخنف ، وقرأتُ على المدائني عن أشيَاخ ذكرهم ، وأخبرني عبدالله بن صالح رحمه الله عن عبثر بن

١ ـ لم ترد هذه الأبيات في ديوان الكميت المطبوع ، وصدر البيت الرابع مضطرب الوزن .

القاسم بن زبيد ، وابن كناسة قالوا : كان زيد بن علي رضي الله تعالى عنه مع خالد بن عبدالله القسري في أصحابه في الكوفة ، وخالد والي العراق . وكان داود بن علي بن عبدالله بن العباس رضي الله تعالى عنهم مع خالد أيضاً ، فلما ولي يوسف بن عمر الثقفي العراق مكان خالد بلغه أن خالداً أودع زيد بن علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهم وداود بن علي بن عبدالله بن العباس مالاً ، فَحَلَفَا على ذلك فقبل يمينهما ، وانصرفا إلى مكة فلقيهما نصر بن خزيمة العبسي فدعاهما الى الخروج فأجابه زيد بن علي رضي الله تعالى عنهما ، فقال داود لزيد : يابن عم لا تفعل فإنهم يَغُرُّوْنَكَ ويُسلمونك . قال عبدالله بن صالح في حديثه عن ابن كناسة ، وأنشد داود :

أنا ابن بجدتهم[1] عِلْماً وتَجْرِبَةً فَاسْأَلْ بِسَعْدٍ تجِدْني أَعْلَمُ الناسِ

قالوا : فقال زيد : يابن عم ، كم نصبر لهشام ؟ قال داود : نصبر يا أبا الحسين حتى نجد الفرصة . فقال : يابن عم من أحبَّ الحياة ذَلَّ . ومضى داود لوجهه ، ثم رجع الى الكوفة وقد صُلب زيد فأراد انزاله فأدركته خيل يوسف فتركه ، فقال له سلمة بن كهيل : إن أباك كان خيراً منك ، وقد كان بايعه أكثر ممن بايعك ، وكان اولئك خير من هؤلاء فامض لوجهك .

فلما أتى الى اليمامة كتب هشام الى يوسف إن سلمة كان خيراً لك بالمصر من عشرة آلاف دارع،وقد كان ينبغي لك أن لا تحول بينه وبين الشخوص عن الكوفة .

١ ـ يقال هو ابن بجدتها للعالم بالشيء والدليل الهادي ، ولمن لا يبرح عن قوله . القاموس .

وقد قيل إنه بايعه هو وحجية بن الأجلح الكندي ، وقتل حجية معه .
عمرو بن محمد عن ابن ادريس عن ليث قال : جاء منصور الى زياد اليامي وهو يبكي ويقول : ابن بنت نبيكم فقال زياد : ما كنت لأخرج إلاّ مع نبي وما أنا بواجده فأمسك .

المدائني عن أبي مخنف وغيره : ادعى يزيد بن خالد بن عبدالله القسري ، وقد جلده يوسف بن عمر وحلقه ، مالاً قبل زيد بن علي ، ومحمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ، وداود بن علي بن عبدالله ، وسعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ، وأيوب بن سلمة بن عبدالله بن سلمة بن الوليد المخزومي ، دفعه أبوه إليهم ، فكتب يوسف بن عمر فيهم إلى هشام بن عبدالملك، وزيد بن علي، ومحمد بن عمر يومئذ برصافة هشام[1] يخاصمان عبدالله بن حسن بن حسن بن علي في صدقة علي ووصيته ، فلما ورد كتاب يوسف على هشام بعث إليهما فذكر لهما ما كتب به يوسف ، فأنكرا ، فأشخص زيداً ومحمدا إلى يوسف ، وأمره أن ينظر فيما ادعى ابن خالد عليهما وعلى أصحابهما ، فإن أقام البينة أشخصهم إليه ، وإلاّ أخرجهم بعد العصر الى المسجد وأحلفهم على صدقهم ، فإن حلفوا خلى سبيلهم .

فقدم زيد بن علي الحيرة، فنزل بها على رجل يقال له عبد المسيح ، فولد له غلام فسماه عيسى، وناظر يوسف زيداً ومحمد بن عمر وأصحابهما، فقال ابن خالد: ما لي قبلهم شيء، فقال يوسف: أبي كنت تهزأ أم بأمير المؤمنين؟ قال: لا، ولكني استرحت إلى قولي، وقلت تمسك عن عذابي إلى أن تكتب بحمل من حمل.

---

١ ـ على مقربة من الرقة ، مازالت بقاياها موجودة .

فعذبه حتى ظن أن قد قتله، ثم أخرج زيد وأصحابه إلى المسجد بعد العصر فحلفوا أنه ليس لخالد ولاليزيد عندهم شيء، وغلّظ عليهم الأيمان وكتب بذلك إلى هشام، فأمره بتخلية سبيلهم وإشخاصهم إلى المدينة.

وقد روي أن ابن داود، وزيدا، ومحمد بن عمر كانوا في عسكر هشام، وأن يوسف بن عمر حمل إليه باقيهم فأحلفهم فحلفوا فخلى سبيلهم.

قالوا: ولقي زيد بن علي الأبرش الكلبي وهو خارج من عند هشام فقال: إنه والله ماترك قوم الجهاد إلا ذَلُّوا، فسمعها خادم لهشام، ويقال سمعها الأبرش فأبلغها الأبرش هشاماً فاحتملها عليه وقال له: يازيد أخرج إلى حيث شئت ولاتدخل الكوفة.

قالوا: ولحق زيداً بعد شخوصه من الكوفة قوم من الشيعة فقالوا له: أنا نرجو أن تكون المنصور[1]، وأن يكون هذا الزمان زمان هلاك بني أمية، فقال له داود حين أراد المضي إلى الكوفة وقد أُطّلِعَ على أمره: ياأبا الحسين، إن أهل الكوفة أصحاب علي وأصحاب الحسين فاحذرهم، فلم يقبل ورجع إلى الكوفة مستتراً، فقال له محمد بن عمر بن علي: قد صَدَقَكَ ابن عمك فلا تخرج، فلما أبى مضى إلى المدينة وتركه.

قالوا: ولما قدم زيد الكوفة أقبلتِ الشيعة تختلف إليه وأتته المَحكِّمَةُ[2] أيضاً فبايعوه جميعاً حتى أحصى في ديوانه خمسة عشر ألفاً، ويقال، اثنا عشر ألفاً من أهل الكوفة خاصة، سوى: أهل المدائن، والبصرة، وواسط،

١ ـ من ألقاب المهدي المنتظر.

٢ ـ أي خوارج.

والموصل، وخراسان، والري، وجرجان، والجزيرة، فأقام بالكوفة بضعة عشر شهراً، وأتى البصرة وأقام بها شهرين.

وقد كان وَجَّهَ دعاته إلى الآفاق فأجابه ناس من أهل كل ناحية، وكان قد نزل بالكوفة في منزل مولى له يقال له حميد بن دينار في أحمس وفي منزل نصر بن خزيمة العبسي، فبلغ يوسف أنه بالكوفة في عبس فتحوَّلَ إلى بارق فنزل فيهم في منزل نصر بن عبد الرحيم البارقي، ثم تحوَّل إلى بني يربوع ثم إلى بني بكر بن وائل، وكتب إلى هلال بن خبَّاب فأجابه.

وكان إذا بويع قال: أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه وجهاد الظالمين، والدفع عن المستضعفين، واعطاء المحرومين، وقسم هذا الفيء على أهله، وَرَدِّ المظالم وإقفال المُجَمَّرة، ونصرنا أهل البيت على من نصب لنا الحرب، أتبايعون على هذا؟ فيبايعونه ويضع يده على يد الرجل، ثم يقول: عليك عهد الله وميثاقه لَتَفِيَنَّ لنا، ولتَنْصَحَنَا في السر والعلانية، والرخاء والشدة، والعسرة واليسرة، فَيُماسِح على ذلك.

وقرأتُ في كتاب سالم كاتب هشام كتاباً نُسْخَتُهُ: «أما بعد فقد عرفتَ حال أهل الكوفة في حبهم أهل هذا البيت، ووضعهم إياهم في غير مواضعهم لافتراضهم على أنفسهم طاعتهم، ونحلتهم إياهم عظيم ماهو كائن مما استأثر الله بعلمه دونهم حتى حملوه على تفريق الجماعة والخروج على الأئمة، وقد قدم زيد بن علي على أمير المؤمنين في خصومه، فرأى رجلاً جدلاً لَسِنَاً حُوَّلاً قُلَّباً، خليقاً بصوغ الكلام وتمويهه واجترار الرجال بحلاوة لسانه، وكثرة مخارجه في حُجَجِهِ، وبما يدلي به عند الخصام من العُلُوِّ على الخصم بالقوة المؤدية إلى الفَلْج، فَعَجِّل إشخاصه إلى الحجاز، ولاتدعه العام قِبَلَكَ

من لين لفظه، وحلاوة منطقه، مع مايدلي به من القرابة برسول الله، وجدهم سبيلاً إليه غير متفرقين».

وكتب زيد إلى أهل الآفاق كتباً يصف فيها جور بني أمية، وسوء سيرتهم، ويحضهم على الجهاد ويدعوهم إليه، وقال: لاتقولوا خرجنا غضباً لكم، ولكن قولوا خرجنا غضباً لله ودينه.

وبعث زيد بن علي عطاء بن مسلم وهو ابن اخت سالم بن أبي الجعد إلى زبيد اليامي يدعوه إلى الجهاد معه، فقال: أخبره أنَّ نصرته حق وحظ، ولكني أخاف أن يخذل كما خُذل جده الحسين.

وبعث إلى أبي حنيفة فكاد يغشى عليه فرقاً، وقال: من أتاه من الفقهاء؟ فقيل له: سلمة بن كهيل ويزيد بن أبي زياد، وهاشم البرند، وأبو هاشم الرماني وغيرهم. فقال: لست أقوى على الخروج، وبعث إليه بمال قواه به.

وقد كان سلمة بن كهيل فيما يقال أشد الناس نهياً لزيد عن الخروج، ويقال: إنه بايعه.

وبعث زيد إلى سليمان الأعمش فقال: قولوا له إني لا أثق لك بالقوم، ولو وثقت لك بثلاثمائة رجل منهم لغَيَّرنا لك جوانبها.

وكتب إلى الزهري مع رسول له يدعوه إلى الجهاد معه، فقال: أما مادام هشام حياً فلا. فإن أَخَّرْتَ الخروج إلى ولاية الوليد خرجتُ معك.

وحدثنا يوسف بن محمد، ثنا حكام الرازي عن عنبسة قال: سمعت أبا حصين قال لقيس بن الربيع: ياقيس. قال: لبيك. قال: لالبيك ولاسعديك، تبايع رجلاً من ولد رسول الله ثم تخذله، وكان ممن بايع زيداً.

قالوا: وبلغ يوسف بن عمر بيعة من بايع من أهل واسط فحصَّنَها وتوثق من أبوابها واستَدَّ عليهم، وكذلك المدائن، وشحن واسطاً بالخيول.

وكان خليفته على الكوفة الحكم بن الصلت بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل، فقدم يوسف الكوفة وصار إلى الحيرة فنزل بها، ولما رأى أصحاب زيد المبايعون أن يوسف بن عمر قد علم بأمر زيد وصحَّ عنده خبره، وأنه يبحث عنه، ويفحص عن خبره، ويدس إليه، اجتمع إلى زيد جماعة منهم من الرؤساء، فقالوا: يرحمك الله ماقولك في أبي بكر وعمر؟ فقال: كنا أَحَقَّ البَرِيَّةِ بسلطان رسول الله ﷺ فاستأثرا علينا، وقد وُليا علينا وعلى الناس فلم يألوا عن العمل بالكتاب والسنَّة، ففارقوه ورفضوا بيعته، وقالوا: إن أبا جعفر محمد بن علي بن الحسين هو الإمام، وجعفر بن محمد إمامنا بعد أبيه، وهو أحق بها من زيد، وإن كان زيد أخاه، فسماهم زيد حين رفضوا بيعته: الرافضة.

وقال لهم زيد: وجهوا إلى أبي جعفر رسولاً، فإن أمركم بالخروج معي فاخرجوا، فاعتلُّوا عليه، ثم قالوا: لو أمرنا بالخروج معك ماخرجنا لأنا نعلم أن ذلك تقية منه واستحياء منك. فقال: كُفُّوا أيديكم عني.

وكان زيد يقول: رفَضَتْنِي الرافضة كما رفضت الخوارج علياً.

ويقال إن طائفة منهم قالوا لمحمد بن علي قبل خروج زيد: إن أخاك زيداً فينا يبايع، فقال بايعوه فهو اليوم أفضلنا، فلما قدم الكوفة كتموا زيداً ماسمعوا من أبي جعفر محمد بن علي أخيه.

قالوا: وكتب عبد الله بن حسن إلى زيد: يابن عم، إن أهل الكوفة

قوم نفج[1] العلانية خور السريرة، هرج الرخاء جزع عند اللقاء، تقدمهم ألسنتهم ولاتشايعهم قلوبهم لايثوون بِغنَاء فيرجون ولايثبتون على عداوة فيخافون، ولقد تواترت إليّ كتبهم فصممت عن ندائهم وأَلْبَسْتُ قلبي غطاء عن ذكرهم يأساً منهم واطراحَاً لهم، وإنما هم كما قال عليّ رحمه الله تعالى: «إن أُهملتم خضتم، وإن حُوربتم خُرتُم، وإن اجتمع الناس على إمام طَعَنْتُم، وإن دُعيتمُ إلى مشاقة أجبتم».

وقال علي بن هاشم: إني سمعت زيداً يقول: البراءة من أبي بكر وعمر: البراءة من علي.

قالوا: ولما استَتَبَّ لزيد خروجه واعَدَ أصحابه الزيدية الذين وافقوه على تولي أبي بكر وعمر ليلة الأربعاء أول ليلة من صفر سنة اثنتين وعشرين ومائة، فخرج قبل الأجل، وذلك أنه بلغ يوسف بن عمر أمره، فأمر الحكم أن يجمع وجوه أهل الكوفة في المسجد الأعظم ثم يحصرهم فيه، فبعث الحكم إلى العرفاء والشرط والمناكب ووجوه المقاتلة فأدخلهم المسجد، ثم نادى مناديه: أيما رجل من وجوه العرب والموالي أدركناه في رَحْلِهِ الليلة فبرئَتْ منه الذمة، إئتوا المسجد الأعظم.

فأتوا المسجد وطلبوا زيداً في دار إسحاق بن معاوية الأنصاري ثم الأوسي وبلغهم أنه تحول إليها فلم يقدروا عليه وذلك لأنه هرب منها حين بلغه إقبالهم إليها لطلبه.

وخرج ليلة الأربعاء لسبع ليال بقين من المحرم سنة إثنتين وعشرين ومائة في جماعة كانوا حوله، وآخرين بعث إليهم رسله فوافوه، وأمر فأشعلت

١ ـ النفاج: المتكبر والمفرط فيما يقول، وتنفج: افتخر بأكثر مما عنده. القاموس.

النيران في الجرادي، فكلما أكلت جردياً رفعوا آخر فلم يزالوا كذلك إلى طلوع الفجر، وكانت ليلة باردة فلم يتتامّ إليه فيها إلا أربعمائة، فقال: أين الناس، أتراهم تخلفوا للبرد؟ فقيل له: لا، ولكنهم جُمعوا في المسجد وأُغلقت الدروب ليُقطعوا عنك.

وقد ذكر بعض أهل الكوفة أنه اجتمع إلى زيد أربعة آلاف فلم يصبح إلا وهو في ثلاثمائة أو أقل منها.

وقال أبو مخنف فيما حدثني به عباس بن هشام عن أبيه عنه أن زيداً أصبح في مائتين وثمانية عشر رجلاً.

وقال عوانة: أصبح في مائتين وخمسين.

وقيل إن يوسف دس مملوكاً خراسانياً ألكن، وأعطاه خمسة آلاف درهم فأمره أن يَلْطَأ لبعض الشيعة فيخبر أنه قدم من خراسان حباً لأهل البيت، وأن معه مالاً يريد تقويتهم به، فلم يزل يتدسس حتى أُدخل على زيد، ثم دل يوسف عليه، فوجه إليه الخيل فخرج زيد ونادى بشعاره، فخرج إليه أقل من ثلاثمائة، فقال: لاتبعد ياداود.

قالوا: وكان زيد وجه القاسم بن عبد الله التنعي من حضرموت لينادي بشعار رسول الله ﷺ في الناس وهو: يامنصور أمت، وهو كان شعار زيد الذي واطأ عليه أصحابه، فلقيه جعفر بن عباس بن زيد الكندي فشد عليه وعلى أصحابه فقتل من أصحابه رجلاً وارْتَثَّ القاسم، فأتي به يوسف بن عمر فضرب عنقه على باب القصر، فأقبل نصر بن خزيمة العبسي يريد زيداً في جماعة من الزيدية، فلقيه خليفة الحكم بن الصلت فشد عليه نصر بن خزيمة فقتله وانهزم من كان معه.

وندب يوسف بن عمر بن الحكم لمحاربة زيد عبيد الله بن عباس بن يزيد الكندي، والأصبغ بن ذؤالة بن لقيم بن لجأ بن حارثة بن زامل الكلبي، وبعث يوسف لمحاربته أيضاً: الريان بن سليمة الأراشي من بلي في القيقانية وهم ألفان وثلاثمائة، وهم من أهل السند يقال إنهم بخارية، لقبوا القيقانية. فلما كان من الغد يوم الأربعاء عبأ زيد أصحابه وعليه درع تحت قباء أبيض ومعه سيف ودرقة فجعل على ميمنته نصر بن خزيمة، وعلى ميسرته معاوية بن إسحاق الأنصاري، ثم خطب فذكر أبا بكر وعمر فترحم عليهما، وذكر عثمان وماأَحْدَثَ، وذَمَّ معاويةوبني أمية ثم انحاز إلى جبانة الصائديين[1] من همدان، وبها خمسمائة فارس من أهل الشام، فحمل عليهم فهزمهم، وكان على فرس له جواد، فوقف على باب رجل ممن بايعه يقال له أنس بن عمرو فناداه ياأنس، قد ﴿جاء الحق وزُهق الباطل﴾[2]، فلم يُجبه ولم يخرج إليه، فقال زيد: ماأخلقكم أن تكونوا فعلتموها فالله حسبكم.

ثم أتى زيدٌ الكناسة فحمل على جماعة من أهل الشام كانوابها فهزمهم وشلهم إلى المقبرة، ويوسف على تلٍ مشرفٍ ينظر إلى زيد وأصحابه وهو في مائتين فلو شاء قتل يوسف قتله، ولكنه صرف عنه.

ودعا زيد الناس بالكناسة وناشدهم فلم يجبه إلا رجلان أو ثلاثة، فقال لنصر بن خزيمة: أراها والله حسينية، فقال نصر: إنما علي أن أضرب بسيفي حتى أموت.

قالوا: وقال نصر لزيدٍ إن الناس محصورون في المسجد فامض بنا

١ ـ في رواية أخرى «الصيادين» (من هامش الأصل).
٢ ـ سورة الاسراء ـ الآية: ٨١ .

إليهم، فخرج زيد معه يريد المسجد، فمر على دار خالد بن عرفطة وبلغ عبيد الله بن عباس الكندي،وكان قائداً من قواد يوسف بالكوفة،إقباله فخرج إليه في أهل الشام الذي كانوا بالكوفة، وأقبل زيد إليه فالتقوا على باب عمر بن سعد بن أبي وقاص الزهري فكاع صاحب لواء عبيد الله، وهو مولى يقال له سلمان، فقال له: احمل يابن الخبيثة، فحمل حتى انصرف وقد خُضِّبَ لواؤه. ويقال إنهم التقوا بجبانة السبيع.

حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن أبي مخنف قال: لما التقوا ضرب واصل الحناط الأحول عبيد الله بن عباس الكندي ضربة وقال: خذها وأنا الغلام الحناط. فقال: والله لأتركنك لاتكيل بقفيز بعدها، وحمل عليه فضربه، فلم يصنع شيئا وانهزم ابن عباس حتى انتهى الى دار عمرو بن حريث.

وجاء زيد ومن معه إلى باب الفيل،وجعل نصر بن خزيمة ينادي: ياأهل المسجد اخرجوا من الذل إلى العز، ومن الضلالة إلى الهدى، اخرجوا إلى الدين والدنيا فإنكم لستم في واحدٍ منهما.

وأشرف أهل الشام عليهم يرمونهم بالحجارة من فوق المسجد، وكانت بالكوفة يومئذٍ مناوشة في نواحيها، وكان منادي زيد ينادي بين يديه: من ألقى سلاحه فهو آمن. وأمر أصحابه أن ينادوا بذلك، وعرض نساء من نساء أهل الكوفة على زيد أن يخرجن فيقاتلن معه فقال: قِرْن في بيوتكنَّ فوالله فما ترجىٰ رجالكم فكيف النساء. ليس علىٰ النساء ولا علىٰ المرضى قتال.

وحدثني حفص بن عمر العمري عن الهيثم بن عدي عن ابن عياش

الهمداني قال : إني لواقف على رأس يوسف قبل قتل زيد إذ قال لي : يا بن عياش إن هذا الزاني ابن الزانية ـ يعني زيداً ـ قد خرج بأجمة سالم ـ وهو يريد جبانة سالم ـ فقلت : أصلح الله الأمير ، أجمة سالم على خمسة عشر فرسخاً من الكوفة وأكثر فلعله خرج بجبانة سالم . فقال : نعم ويحك . جبانة سالم .

قال : وبلغني أن على شرطته نصر بن سيار ، قلت : نصر بن خزيمة العبسي ، قال : نعم . فوجَّه رسولاً يأتيه بخبرهم فقال : قد استقبل نصر بن خزيمة أبا حفص عمر بن عبد الرحمن خليفة الحكم فقتله ، قال:وكان يوسف دهره سكران من الخمر لا يفيق .

قالوا : ولما نادى زيد أهل المسجد ونودوا له فلم يخرج إليه أحد منهم انصرف إلى ناحية دار الرزق ، فوجه يوسف إليه الخيول فجعلت تمر كردوساً كردوساً ، ونادى مناديه : إن من جاء برأس الفاسق زيد بن علي فله ألف دينار . فقوتل أشد قتال وصبر أشد صبر .

وقدم عامر بن ضَبَّارة المري على يوسف ، أمدَّه به هشام حين بلغه أن زيداً بويع ، ومعه ثمانية آلاف فانتدب رجل من أصحاب ابن ضبارة من أهل الشام فطلب المبارزة ، فبرز له نصر بن خزيمة العبسي ، فقال أهل الشام ؛ من أنت ؟ قال : نصر بن خزيمة العبسي . قال : ما أحد أبغض إلي من أن أصيبه منك ، وكان قيسياً ـ فصاح به الشاميون : فعل الله بك وفعل ، وأنَّبُوه وعيروه ، فعطف على نصر فتشاولا ساعة ، ثم ضرب كل واحد منهما صاحبه فأثبته ، فرجع نصر مثخناً ، ورجع الشامي وقد قطع نصر رجله من

الفخذ فهو مثخن أيضاً ، فمات الشامي ومات نصر ، وقد عرف مكانه فأتي به يوسف فأمر بصلبه .

وحدثني أبو مسعود الكوفي عن أبيه قال : اجتمع إلى زيد في أول ليلة أربعمائة ، ثم أصبح وهم أقل من ثلاثمائة ثم لم تزل يثوب إليه العدة بعد العدة ، ودعا نصر بن خزيمة قوماً من قيس فتتام مع زيد ألف رجل فلقي بهم من لقي من أصحاب ابن ضبارة . وكانت وقعتهم بجبانة سالم ، ويقال بغيرها .

قالوا : ولما قتل نصر بن خزيمة وأحاطت الخيول بزيد بن علي قال : إن القيام لهؤلاء الطغاة لغرر فلو لجأنا إلى الحيطان فجعلناها من وراء ظهورنا فلم يأتوا إلا من وجه واحد . فصوبه أصحابه فعطف برأس دابته . فناداه أهل الشام : يا بن أبي تراب ، يا بن المنافق ، يا بن السندية . إلى أين ؟ فلما سمع زيد ذلك كر عليهم فكشفهم ، فما رأى الناس قط فارساً أشجع منه ، وقد كانوا على ذلك كالمتهيبين لقتله ، وكانت مواقعته إياهم عند دار الرزق بالكوفة ، فلما كان المساء رمي زيد بسهم في جبهته من يسارها ، وذلك الثبت ، ويقال في رجله .

وحدثني عباس بن هشام عن أبيه عن جده قال : تولىٰ حرب زيد بالكوفة عبيد الله بن العباس الكندي والأصبغ بن ذؤالة الكلبي في جماعة بعث بهم إليه يوسف من الحيرة وكان بها وهو يومئذ على العراق ، وكان الحكم بن الصلت بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي خليفته على الكوفة ، فأهل الكوفة يقولون : رمى زيداً داود بن سليمان بن كيسان مولى بشر بن عمارة بن حسان بن جبار الكلبي ، وكيسان صاحب الباب بدمشق

وأولاد داود يدفعون ذلك وينتفون منه ويقولون رماه رجل من القيقانية فأصاب جبهته وذلك عند المساء،فدعي له بحجام فنزع النشابه فسالت نفسه معها .

وقال أبو مخنف : رُمي زيد بسهم في جبهته فبلغ الدماغ فرجع ورجع أصحابه ، وأهل الشام يظنون أنهم إنما رجعوا للمساء والليل .

مقتل زيد بن علي

وتحامل زيد حتى دخل دار الجرارين التي بالسبخة وأوصىٰ يحيى ابنه بتقوى الله وجهاد بني أمية ، ومكث هنيهة ثم قضىٰ ليلة الجمعة فدفن في دار الجرارين وأجروا عليه ساقية من ماء السبخة كي يخفى قبره ، وكان معهم غلام سندي أتى زيداً من أول النهار في قوم أتوه ليقاتل معه فلم يقبله وقال : لا يقاتل مملوك بغير إذن مولاه ، فدل على قبره .

وحدثني عبد الله بن صالح عن حمزة الزيات قال : دخل زيد دار جرار فجاءه[1] بطبيب يقال له سفيان مولى لبني رؤاس فانتزع النصل الذي رمي به من جبهته فلم يلبث أن مات .

وقال أبو مخنف : أرسل إلى حجام حميد الرؤاسي فقال له الحجام : انك إن نزعته متَّ مع إخراجه فقال : الموت أيسر مما أنا فيه ، فأخذ الكلبتين وانتزعه فخرجت نفسه معه ودفن في حفرة من الحفر التي يؤخذ منها الطين ، ومضى عبد سندي إلى الحكم فأخبره بخبره .

---

١ ـ فجاؤوه في رواية أخرى (من هامش الأصل) .

وحدثني العمري عن الهيثم عن عوانة قال : رمي زيد بسهم فأصاب جبهته أو عينه فسقط فحامىٰ عليه يحيى ابنه ووجوه من معه حتى جاوزه إلى عسكرهم وبه رمق ذلك في الظلام ، ثم عبروا به الفرات بالكوفة وقطعوا الجسر وانتزعوا السهم ففاضت نفسه معه ، ثم دفنوه وتفرقوا ، فلما أصبح الصبح جاء علج وقد رآه يُدْفَنُ ، فَدَلَّ الحكم على قبره فنبشه واحتزَّ رأسه ، وبعث به إلى يوسف فحُملت جثته على بعير وصُلبت بالكناسة بالكوفة ، وكان عليه قميص أصفر هروي. وصلب معه معاوية بن إسحاق الأنصاري وكان قتل قبل ذلك في المعركة ، ونصر بن خزيمة العبسي وزياد النهدي ثم خلى سبيل أهل المسجد .

وبعث يوسف برأس زيد وسائر رؤوس من قتل معه إلى هشام بن عبد الملك ، وطُلب يحيى بن زيد فلم يُقْدَر عليه .

حدثني أبو الحسن المدائني قال : لما أُتي يوسف برأس زيد وهو بالحيرة نظر الناس إليه ، ثم تفرقوا وهو مطروح في ناحية من منزل يوسف ، فجاء ديك فنقره ، فقال زُميل الكلابي :

اطرد الديك عن ذؤابة زيد طال ما كان لا يطأه الدجاج[1]
ابن بنت النبيِّ أكرم خلق اللـ ـه زين الوفود والحجاج
حملوا رأسه إلى الشام ركضاً بالسُّرىٰ والبكور والإدلاج

في أبيات .

وحدثني محمد بن الاعرابي عن سعد بن الحسن بن قحطبة قال : رمىٰ

١ ـ في هامش الأصل : يريد الشعر .

زيدآرجل من ولد كيسان مولى كلب فأخذه عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس بالشام فقتله وصلبه .

وقال ابن عباس الكلبي حين قُتل زيد لريطة بنت أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية أم يحيى بن زيد :

بسيف ابن عباسٍ وسيف ابن زاملٍ ... بَدَتْ مقلتاها والبَنَانُ مُخَضَّبُ

يعني عبيد الله بن العباس الكندي والأصبغ بن ذؤالة يقول : بسيفي هذا غلب أصحاب زيد وظهرتْ حرمته .

وحدثني عبد الله بن صالح المقرىء ، حدثني أصحابنا قالوا : أعطى يوسف الذي جاءه برأس نصر بن خزيمة ودلهم على جثته ألف درهم ، وأعطى الذي جاءه برأس معاوية بن إسحاق الأنصاري ودلهم على جثته سبعمائة درهم .

وقال بعض الهلاليين في زيد :

يا ابا الحسين فلو رجال نُصَّرٌ ... نصروك كان لِوِرْدِهم إصدار
يا ابا الحسين كيف عذت بمعشر ... غُدْرٍ لئام أسلموك وطاروا
غَرُّوا أباك وأسلموه وقبلهم ... غروا الوصيَّ وكلهم غرَّار

وقال أبو نُميلة في قصيدة له :

يا ابا الحسين أعاد فقدك لوعة ... من يَلْقَ ما لاقيت منها يكمدِ
كنت المؤمَّلُ للعظائم والذي ... يرجىٰ لأمر الأمة المتأوِّدِ
أَرَضِيْتُمُ في دينكم أن تأمنوا ... والخَوْفُ في أبيات آل محمدِ
ونساؤكم بغضارة وبشاشة ... ونساؤهم يُعْوِلْنَ بين العُوَّدِ
يبكين أَشْيَبَ بالكناسة طيباً ... نَبَشَ الترابَ عليه من لم يُوْسِدِ

وقال آخر :

لعن الله حوشباً وخراشاً ومزيدا
إنهم حاربوا الإله وآذوا محمدا
يا خراش بن حوشب أنت اشقى الورى غدا

وكان خراش على شرط يوسف بن عمر وهو تَوَلَّى نبش زيد وصلبه .

وحدثني يوسف بن موسىٰ عن جرير بن عبد الحميد عن مغيرة قال : كنت كثيراً أضحك فلما قتل زيد انقطع ضحكي .

قالوا:وبعث يوسف بن عمر إلى أم امرأة لزيد أزدية فهدم دارها وحملت إليه فقال لها : أزوجت زيداً ؟ قالت : نعم زوجته وهو سامع مطيع ، ولو خطب إليك إذ كان كذلك لزوجته . فقال : شقوا عليها ثيابها فجلدها بالسياط وهي تشتمه وتقول : ما أنت بعربي تعريني وتضربني لعنك الله ، فماتت تحت السياط ثم أمر بها فألقيت في العراء فسرقها قومها ودفنوها في مقابرهم .

قالوا : وأخذ امرأة قَوَّتْ زيداً على أمره فأمر بها أن تقطع يدها ورجلها فقالت : اقطعوا رجلي أولاً حتى أجمع عليّ ثيابي ، فقطعت يدها ورجلها ولم تحسم حتى ماتت . وضرب عنق زوجها .

وضرب امرأة أشارت على أمها أن تؤوي ابنة زيد خمسمائة سوط ، وهدم دوراً كثيرة .

وأُتي يوسف بعبد الله بن يعقوب السلمي من ولد عتبة بن فرقد ، وكان زوج ابنته من يحيى بن زيد فقال له يوسف : ائتني بابنتك . قال :

وما تصنع بها جارية[1] عاتق في البيت . قال : أقسم لتأتيني بها أو لأضربَنَّ عنقك .

وقد كان كتب إلى هشام يصف طاعته ، فأبى أن يأتيه بابنته ، فضرب عنقه ، وأمر العريف أن يأتيه بابنة عبد الله بن يعقوب فأبى فأمر به فدقَّتْ يده ورجله .

ووكل يوسف بخشبة زيد أربعمائة رجل يحرسونها . ينوب في كل ليلة مائة رجل ، وبنىٰ حول جذعه بناء كالدكة من آجر .

وكان زهير بن معاوية أحد من يحرسه ، فلما مات هشام وولي الوليد بن يزيد وفد إليه يوسف فلما رجع من عنده إلى الكوفة أمر بإحراق زيد عليه السلام ، فجمع الحطب والقصب ، وجاء الغوغاء من ذلك بشيء كثير فأعطاهم دراهم كثيرة ، ثم أمر به فأحرق وألقى رماده في الفرات .

ويقال إن الوليد قال له : انظر عجل أهل الكوفة فَحَرِّقْهُ ثم انسِفْهُ في اليمِّ نسفاً ، ويقال إنه كتب إليه بذلك .

وكتب يوسف بن عمر إلىٰ هشام في أم ولد لزيد ومعها ثلاثة أولاد لها صِبْيَان ، فأمر أن يُدفعوا إلى أقرب الناس إليهم فدفعوا إلى الفضل بن عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وهو الذي يقول :

إذا ما كنت متخذاً خليلاً فلا تجعل خليلك من تميم
بَلَوْنَا حُرَّهُم والعبدَ منهم فما عُرِف العبيد من الصميم
مـوالينا إذا احتاجوا إلينا وسَيْرٍ قُدَّ من من وسط الأديم
وأعداءٌ إذا ما النعل زَلَّتْ وأولٌ من يُغِيْرُ على الحريم

[1] ـ العاتق : الجارية أول ما أدركت . القاموس .

وهو الذي يرثي زيداً في قصيدة طويلة :

ألا عين جُودي ثم جودي بدمعك ليس ذا حينُ الجمودِ
ولا حِينْ التجَّلُّدِ فاستهلِّي وكيف جمود دمعك بَعْدَ زيدِ
أَبَعْدَ ابنُ النبيِّ أبي حسينٍ صليباً بالكناسة فوق عودِ
يظل على عمودهمُ ويُمْسي بنفسي أَعْظُمٌ فوق العمودِ
تعدى المترف الجبار فيه فأخرجه من القبر اللحيدِ
دعاه معشر غَرُّوا أباه حُسَيْناً بعد توكيد العهود

قالوا : ولما فرغ يوسف من أمر زيد صعد منبر الكوفة فشتم أهلها وقال : يا أهل المِدْرَة الخبيثة ، والله ما يقَعْقعُ لي بالشِّنَان ، ولا تقرن بي الصعبة ، لقد هممت أن أخرب بلدكم وأن أحربكم بأموالكم ، والله ما أَطَلْتُ منبري إلا لأُسمعكم عليه ما تكرهون ، فإنكم أهل بغي وخلاف . ولقد سألتُ أمير المؤمنين أن يأذن لي فيكم ولو فعل لقتلت مقاتلتكم وسبيتُ ذريتكم ، إن يحيى بن زيد ليتنقل في حجال نسائكم كما كان أبوه يفعل وما فيكم مطيع إلا حكيم بن شريك المحاربي ، ووالله لو ظفرت بيحياكم لَعَرَقْتُ خصيتيه كما عَرَقْتُ خصيتي أبيه .

وكتب إلى هشام في أهل الكوفة ، فكتب إليه : أهل الكوفة أهل سمع وطاعة ، فَمُرْ لهم بأعطياتهم . فقال : يا أهل الكوفة ، إن أمير المؤمنين قد أمر لكم بأعطياتكم فخذوها لا بارك الله لكم فيها .

وكان شريك بن حكيم سعى بزيد .

ورأت امرأة على زيد برداً حسناً وذلك قبل خروجه ، فسألت زوجها أن يشتري لها مثله فقال :

تكلفُني أبـراد زيـد ووشيـه ولست ببياع لدى السوق تاجر

ويقال إنه زيد بن حسن بن علي بن أبي طالب .

وحدثني أبو مسعود قال : دخل رجل من الأنصار بين زيد وعبد الله بن حسن فقال له زيد : ما أنت والدخول بيننا فأنت من قحطان ، فقال : أنا والله خير منك ، فانْبَرى له رجل من قريش فقال : كذبت والله . هو خير منك نفساً وأماً وأباً ، وأولاً وآخراً . وفوق الأرض وتحتها ، فحلف زيد أن لا ينازع عبد الله بين يدي الوالي وقاما .

أمر يحيى بن زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام

حدثني الحسين بن علي الحرمازي عن علي القصير مولى قريش قال : لما قتل زيد بن علي استخفى ابنه يحيى ثم هرب حين سكن عنه الطلب إلى خراسان فقتل بها ، رماه رجل من أصحاب نصر بن سيار فقتله ، وأخذ رأسه فبعث به نصر إلى يوسف بن عمر .

وكان يحيى بن الحسين بن زيد يسمى ذا الدمعة ، وكانت عينه لا تكاد تجف من الدموع فقيل له في ذلك فقال :

وهل ترك السهمان فيَّ مَضْحَكاً　　سهم زيد وسهم يحيى بن زيد

وقال الكوفيون : لما قتل زيد أتى يحيى جبانة السبيع فلم يزل بها وهو في عشرة فقيل له : قد فضحك الصبح وأين تريد ؟ فأتى نينوى ، ثم أتى قرية قصر ابن هبيرة ولم يكن القصر يومئذٍ ، فنزل على رجل من أهل الكوفة يقال له سالم فتفرق أصحابه عنه ، ثم أتى المدائن وهي إذ ذاك طريق الناس إلى خراسان ، فبلغ يوسف خبره فَسَرَّحَ في طلبه حريث بن أبي الجهم الكلبي فخرج حتى أتى المدائن ، ومضى يحيى حتى أتى الري فأقام بها أياماً ، ثم

توجه إلى سرخس فأقام بها ستة أشهر عند يزيد بن عمر وأتاه قوم من المحكِّمة فسألوه أن يبايعوه على قتال بني أمية ، فأعجبه ذلك منهم ، فنهاه يزيد بن عمر ، وقال : كيف تقاتل بقوم يتبرأون من علي وأهل بيته ؟ فقال لهم قولاً جميلاً وفرقهم عنه ، وأتى بلخ من سرخس فأقام عند الحريش وهو رجل من ربيعة ، فلم يزل عنده حتى مات هشام بن عبد الملك ، وكتب يحيى إلى بني هاشم من خراسان :

خليليَّ عني بالمدينة بَلِّغَا ... بني هاشمٍ أهل النُّهىٰ والتجارب
فحتَّى متى لا تطلبون بثأركم ... أمية إن الدهر جَمٌّ العجائب
لكل قتيلٍ معشر يطلبونه ... وليس لزيدٍ بالعراقين طالب

قالوا : وبلغ يوسف بن عمر خبر يحيى فكتب إلى نصر بن سيار أنْ خذ الحريش بيحيى بن زيد حتى يأتيك به ، فكتب نصر إلى عقيل بن معقل عامله على بلخ في ذلك فجحد الحريش أن يكون يعرف مكانه ، فحمله إلى نصر فلم يقر له بأنه عنده ولا أنه يدري أين هو ، فضربه ستمائة سوط وهو يقول : دلني على يحيى فيقول : والله لو كان تحت قدمي ما رفعتها عنه فاصنع ما أنت صانع . فلما رأى ذلك ابنه قريش بن الحريش دلَّ على يحيى فوجد في بيت فأخذوه ومعه يزيد بن عمر ، ورجل آخر من عبد القيس شخص معه من الكوفة فحمله إلى نصر فلما صار إليه حبسه .

وكتب نصر إلى يوسف بخبره ، فكتب بذلك إلى الوليد ، فأمر الوليد أن يؤمن يحيى ويخلى سبيله وسبيل أصحابه وقال : إنما هو رجل هرب واستخفى فأطلقه نصر وأمره أن يلحق بالوليد وأعطاه ألفي درهم وبغلين ، فخرج حتى أتى سرخس ، فبعث إليه نصر من أزعجه وكتب إلى العمال في

إزعاجه وأن يسلمه كل عامل إلى العامل الذي يليه ، وكان يبسط لسانه في بني أمية ، والوليد ، ويوسف بن عمر ، وهشام فيكف عنه ، فلما صار بأبر شهر سلم إلى عاملها عمرو بن زرارة فَبَرَّهُ وأمر له بألف درهم نفقة ، ويقال بخمسة آلاف درهم ، فلما صار ببيهق خاف أن يصير إلى يوسف فيغتاله يوسف ، وبيهق أقصى عمل خراسان وكان يحيى بن زيد قد اشترى دواب لحمل أصحابه عليها وهم سبعون رجلاً ، فرجع إلى عمرو بن زرارة فقال : إني إنما أريد بلخ ولست أقيم في عملك إلا ريثما أريح وأستريح فإني أجد علة ، فأقام بأبر شهر أياماً .

وكتب عمرو بن زرارة بذلك إلى نصر ، فوجه نصر جيشاً أمده به فواقعهم يحيى وهو في سبعين فهزمهم وقتل عمراً وعدة من أصحابه ، وأخذ سلاحهم ، وسار حتى أتى هراة ، ثم أتى الجوزجان فانضم إليه قوم من أهلها ، وأهل الطالقان ، والفارياب ، وبلخ فَتَتَامَّ جميع من معه مائة وخمسون رجلاً ، فلما بلغ نصراً مقتل عمرو بن زرارة ونزول يحيى الجوزجان ، وجه سلم بن أحوز التميمي من بني كابية بن حرقوص بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم في ثمانية آلاف من أهل الشام ، وغيرهم من أهل خراسان ، فخرج سلم فواقعه وقد عَبَّأ أصحابه فجعل سورة بن محمد بن عبد الله بن عزيز الكندي على ميمنته ، وحماد بن عمرو السعدي على ميسرته .

وعبأ يحيى أيضاً أصحابه فاقتتلوا ثلاثة أيام ينتصف كلٌّ من كلٍ وليست تزول قدم رجل من أصحاب يحيى .

فلما كان اليوم الثالث من آخر النهار رمى رجل من موالي عنزة يحيى بنشابة فأصابت جبهته ، وحَفَّ به أصحابه فقاتلوا أشد قتال سمع به ، ولم

يفارقوه حتى قتلوا عن آخرهم ، وَوَجد سورة بن محمد بن عبد الله يحيى قتيلاً فاحتز رأسه ، وأخذ الذي رماه سَلَبَهُ حتى قميصه .

فلما ظفر أبو مسلم بَعْدُ ، أخذ سورة بن محمد بن عبد الله بن عزيز الكندي والرجل الذي رمى يحيى فقطع أيديهما وأرجلهما وصلبهما .

وكان عبد الله بن عزيز من أصحاب ابن الحنفية ، وقتل يوم عين الوردة مع التوابين .

وبعث سلم بن أحوز برأس يحيى إلى نصر ، فبعث به نصر إلى يوسف بن عمر ، وبعث به يوسف إلى الوليد بن يزيد ، وصلبت جثته على باب الجوزجان سنة خمس وعشرين ومائة ، فلم تزل جثة يحيى مصلوبة إلى أن ظهرت المسودة بخراسان فأنزلوه وغسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه ، وتولى ذلك أبو داود خالد بن ابراهيم وخازم بن خزيمة ، وعيسى بن ماهان .

وبلغ أبا مسلم أن ابراهيم بن ميمون الصائغ ، كان ممن أعان على يحيى فقتله ، وتتبع قتلة يحيى وأصحابه فجعل يقتلهم فقيل له : إن أردت استقصاء أمرهم فعليك بالديوان ، فلم يَدَعْ أحداً ممن وجد اسمه في الجيش الموجه إليه ممن قدر عليه إلا قتله .

وكان ابراهيم البيطار أشد الناس على يحيى فمر أبو مسلم يوماً في غلمان يلعبون بالحمام فقال قائل منهم : سقط حمامي في منزل ابراهيم البيطار ، فسأل عن منزل ابراهيم فوقفوه عليه فأمر به فاستُخرِجَ من منزله فعرفه بالصفة ، وأقر باعانته على يحيى فقطع يديه وصلبه .

فقال الشاعر

ألا يا عين ويحك أسعديني لمقتل ماجدٍ بالجوزجان

وقتل سلم بن أحوز بجرجان حين قدمها قحطبة وهو يريد العراق ، وسلم هو الذي قتل جهم بن صفوان صاحب الجهمية بمرو .

حدثني محمد بن الأعرابي قال : قتل يحيى بالجوزجان ، وصلب في طاق بها ، فلم يزل مصلوباً حتى ظهر أمر أبي مسلم بخراسان ، فأمر به فأنزل ووووري وتولى الصلاة عليه ودفنه وتتبع جميع من قاتله فقتلهم إلا من أعجزه منهم ، وسود أهل خراسان .

وقال أبو عبيدة : هرب يحيى ومعه زهير بن محمد العامري فأخفاه في قرية لعبد الملك بن بِشر بن مروان فطلب فلم يقدر عليه ، فلما سكنت الأفوه مضى إلى خراسان ، وكان معه أبو نميلة مولى بني عبس وكان دليل نصر بن سيار عليه .

وحدثني علي بن الأثرم عن أبي عبيدة معمر بن المثنى عن أبي جنادة العدوي ، قال : خرج أبو مسلم في رمضان للطلب بدم يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، فعقد لواءً أسود ، وخرج ومن معه مسوِّدين كما يلبس للإحداد ، وكان ذلك أول سواد رأيناه فاقشعررنا منه .

وحدثني أبو مسعود الكوفي قال : هرب يحيى بن زيد فاستخفى ولم يقدر يوسف بن عمر عليه ، وانطوى عنه خبره ، فلماكف عنه الطلب مضى إلى خراسان ، فدل نصر بن سيار عليه فكتب إلى عامله على بلخ فأخذه وحمله إلى نصر في الحديد ، فقال له نصر : ارحل عن خراسان إلى حيث شئت فإن أباك قتل أمس وأنا أكره أن أقتلك اليوم أو أعرضك للقتل ، فلم يقبل قوله وأتى نيسابور فاجتمع إليه قوم فقتل عاملها وهو رجل من بني

سليم ، وأخذ ما في بيت المال ، فوجه نصر بن سيار إليه سلم بن أحوز المازني من تميم صاحب شرطته فقاتله في يوم جمعة إلى وقت الصلاة ثم تحاجزوا ، ودخل يحيى وأصحابه مبقلة ليتوضأوا للصلاة ويصلوا فكارّ عليهم سلم الخيل وهم غارون فقتلهم ، وشد رجل من كندة يقال له سورة بن محمد على يحيى فقتله واحتز رأسه وأتى نصراً به ، فبعث به إلى الوليد بن يزيد فنصبه بدمشق .

قال الشاعر في يحيى حين حمل مكبلاً :

أليس بعين الله ما تَصنَعُونَهُ عَشِيَّةَ يحيى مُوْثَقٌ في السلاسل
كلاب تعاوَتْ لا هَدَى الله أمرها فجاءَتْ بصيدٍ لا يَحِلُّ لآكل

وبعضهم يقول : صلب بالطالقان ، وذلك غلط .

المدائني قال : كان زيد بن علي يقول : اطلب ما يعنيك واترك ما لا يعنيك ، فإن في تركِ ما لا يعنيك دَرْكاً لما يعنيك ، وإنما تُقْدِمُ على ما قَدَّمْتَ لا على ما أخَّرْت . وآثِرْ ما تلقاه غداً على ما لا تلقاه أبداً .

أمر محمد بن محمد بن زيد بن علي عليهم السلام

قالوا : لما مات ابن طباطبا عقد أبو السرايا لمحمد بن محمد بن زيد بن علي بن حسين بن علي وهو يومئذٍ غلام ، فخطب فأحسن القول في بني العباس ، وقال : إن قوماً يزعمون أن مال بني العباس فيء لنا ، جهال ضلال ، يحكمون بلا علم ويقولون بلا رويَّة ، فقام إليه عبد العزيز بن عيسى بن موسى فجزاه خيراً وشكره ، وقال له عبد الله بن رئاب : قد كان هذا الكلام يتلجلج في صدري حتى أخرجه الله على لسانك .

ووجه الحسن بن سهل عبدوس بن أبي خالد المروزي أحد قواد الأبناء في كثف من الناس فقاتله فقتل عبدوس وجميع أصحابه ، وأسر هارون أخوه المقتول بالسند في خلافة الواثق بالله فحبس بالكوفة ، ونزل أبو السرايا قصر ابن هبيرة ، ثم نهر صرصر ، وبعث إلى المدائن من أخذها .

فوجه الحسن بن سهل إليه بمشورة منصور بن المهدي وغيره هرثمة بن أعين . وقال علي بن أبي سعيد : هبوا أن هرثمة قد مات أتضيع الخلافة ؟

وكان هرثمة قد شخص يريد خراسان والمأمون بها ، فوجه إليه من

رده ، وضم إليه محمد بن إبراهيم الإفريقي وموسى بن يحيى بن خالد بن برمك فعسكر بالفرك ، ومضى إلى نهر صرصر واتخذ جسراً ربطه بالسلاسل فقاتل أبا السرايا فهزمه ، ولقيته خيل ابن أبي سعيد بالمدائن فقتل أبو الهرماس أحد أصحابه ، ومضى أبو السرايا يريد قصر ابن هبيرة ، وأقحم هرثمة مهراً له في الأجمة ، فلم تكن له حيلة فنادى: يا أبا السرايا إني لم آت لمحاربتك ، ولكنه بلغنا موت المأمون فجئت لنجتمع على رجل يلي الأمر ، فربثه[1] حتى تخلص وتلاحق به أصحابه ، فحمل على أبي السرايا وأصحابه ، وأنشب الحرب ، فهزمهم هرثمة ، وقتل من أهل الكوفة زهاء ثلاثين ألفاً ، وصار أبو السرايا إلى الكوفة منهزماً .

وقدم قوم من أهل قم فصاروا مع أبي السرايا فلقي هرثمة فتضعضع أصحابه للقاء القميين إياهم ، ثم لم يزل هرثمة يغاديهم القتال ويراوحهم إياه أربعين يوماً حتى قتل من أهل الكوفة خلق ، وفشلوا ، فكان يصاح السلاح فلا يخرج منهم أحد .

وتوجه أبو السرايا إلى البصرة وعامله عليها العباس بن محمد الجعفري ، فغلبه عليها زيد بن موسى ، وسبق علي بن أبي سعيد أبا السرايا إلى البصرة فقاتله أهلها ومن بها من العلوية ، وكان أحمد بن سعيد بن سلم على مقدمة ابن أبي سعيد ، فخرج زيد بن موسى إلى المدينة ، ومال أبو السرايا إلى الأهواز فلقيه الباذغيسي وهو يلقب المأموني ، والقطيعة بسر من رأى منسوبة إليه ، فقتل أصحاب أبي السرايا تحت كل حجر .

واعتل أبو السرايا فمضى هو ومحمد بن محمد ، وأبو الشوك ،

١ ـ الربث عن الحاجة : الحبس عنها ، كالتريث .

والطبكي ـ وكان الطبكي قد صار مع أبي السرايا ـ متنكرين حتى صاروا إلى ناحية خانقين ، فأنزلهم رجل هناك ، وكان حماد الكندغوش على طريق خراسان ، فبعث إليه الذي آواهم : إن أردت أبا السرايا ، ومحمد بن محمد ، وأبو الشوك فإنهم عندي ، فركب حماد وأحسَّ القوم بالشر فتسوروا حائطاً ومضوا فدخلوا الجبل فطلبهم حماد حتى وقف عليهم فأخذهم وجاء بهم إلى الحسن بن سهل ، والحسن بالنهروان فأدخلهم عليه ، فأمر بضرب عنق ابن أبي السرايا ، فضربه هارون بن أبي خالد ، وبعث بمحمد وبأبي الشوك إلى المأمون بخراسان ، فمات محمد بعدما شاء الله وبقى أبو الشوك حياً ثم مات .

فكان عقب علي من ولده للحسن والحسين والعباس ابن الكلابية ، وعمر ابن التغلبية ، ومحمد ابن الحنفية ، عليهم السلام .

أمر محمد بن علي بن أبي طالب وهو ابن خولة الحنفية

حدثنا الحسين بن علي الأسود العجلي عن يحيى بن آدم عن عبدالله بن المبارك عن الحسن بن عمرو الفُقَمي عن منذر الثوري عن ابن الحنفية أنه قال : ليس بحليم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بداً حتى يجعل الله له فرجاً ومخرجاً .

وحدثني عبدالله بن صالح المقرىء عن ابن كناسة ، حدثني مشايخ لنا قالوا : أهدى يزيد بن قيس إلى الحسن والحسين هدية فحطأ[1] على كتف ابن الحنفية ثم قال متمثلاً :

وماشر الثلاثة أم عمروٍ بصاحبك الذي لا تصحبينا

فأهدى إليه كما أهدى إلى أحدهما .

وحدثنا أبو الحسين المدائني قال : قال ابن الحنفية : الكمال في ثلاث : العفة في الدين والصبر على النوائب وحسن التقدير للمعيشة .

المدائني عن أبي العباس التميمي قال : قال محمد بن الحنفية : من كَرُمَتْ عليه نفسه صَغُرت الدنيا في عينه .

١ ـ حطأ فلانا : ضرب ظهره بيده مبسوطة . القاموس .

وقال ابن الكلبي : كان خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد مع ابن الحنفية ، وكان المهاجر أبوه قتل مع علي بصفين ، فأخذ عبدالله بن الزبير خالد بن المهاجر فعلق في عنقه زكرة[١] مملوءة شراباً ، ثم ضربه الحد ، فقال ابن الحنفية : ان ابن الزبير لرحب الذراع بما يضره .

وكان ابن الحنفية يقول : إنما يأمن في غده من خاف الله في يومه . وكان يقول : شر عادات المرء اتباعه هواه .

المدائني قال : قال رجل لابن الحنفية وهو بالشام : أعليٌّ أفضل أم عثمان ؟ فقال : اعفني ، فلم يعفه فقال : أنت شبيه فرعون حين سأل موسى فقال : ما﴿بال القرون الأولى * قال عِلْمُها عند ربي في كتاب﴾[٢] فصاح الناس بالشامي : يا شبيه فرعون ، حتى هرب إلى مصر .

وروي عن ابن الحنفية أنه قال : من لم يستعن بالرفق في أمره أضر الخلق بعمله .

وولد لمحمد بن الحنفية ، ويكنى أبا القاسم : الحسن بن محمد لا بقية له وأمه جمال بنت قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف بن قصي ، وأمها دُرة بنت عقبة من الأنصار ، وهو أول من تكلم في الإرجاء[٣] ، وكان ناسكاً مات في خلافة عمر بن عبد العزيز . وأخوه لأمه الصلت بن سعد بن الحارث بن الصمة من بني النجار من الأنصار .

وعبدالله بن محمد ويكنى أبا هاشم . وجعفر الأكبر . وحمزة . وعلي ، لأم ولد تدعى نائلة .

١ ـ الزكرة : زق للخمر والخل . القاموس .
٢ ـ سورة طه ـ الآيتان : ٥١ ـ ٥٢ .
٣ ـ في المكتبة الظاهرية رسالة مخطوطة بالارجاء منسوبة له .

وجعفر الأصغر . وعون ، أمهما أم جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبي طالب .

والقاسم بن محمد . وعبد الرحمن ، لا بقية لهما . وأم القاسم ، وأم أبيها . ورقيه . وحبابه ، أمهم الشهباء بنت عبد الرحمن بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، وأمها ابنة المطلب بن أبي وداعة السهمي .

وابراهيم بن محمد ، وأمه مشرعة ويقال بسرة بنت عباد بن شيبان بن جابر بن نسيب بن وهيب من ولد مازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة ، وأمها أميمة بنت ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب ، وأمها أم الحكم بنت الزبير بن عبد المطلب .

وقال أبو اليقظان : لا عقب لأبي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية .

وقال غيره : ولد له هاشم ومحمد الأكبر أمهما من ولد آبي اللحم[1] الغفاري . ومحمد الأصغر وغيرهم .

حدثني عبدالله بن صالح عن ابن كناسة عن قيس بن الربيع أن الشيعة كانت تزعم أن محمد بن الحنفية هو الإمام بعد علي بن أبي طالب ، فلما توفي قالوا : هو أبو هاشم ابنه ، فوشى بأبي هاشم رجل إلى الوليد بن عبد الملك بن مروان وقال : ان له بالعراق شيعة وإنه يتسمى أمير المؤمنين ، فقبل الوليد ذلك ، وبعث إلى عبدالله بن محمد فقدم به عليه فحبس في

١ ـ في هامش الأصل : عن الإكمال لابن ماكولا : «آبي اللحم الغفاري ، له صحبة ، اختلف في اسمه فقيل : عبدالله بن عبد الملك ، وقيل خلف بن عبدالملك ، وقيل الحويرث بن عبدالله بن خلف بن مالك ، كان لا يأكل ما ذبح للأصنام ، قتل يوم حنين» . انظر الاكمال ـ ط . حيدرأباد ١٩٦٢ ج ١ ص ٣ .

سجن دمشق ، ثم حُوِّل من السجن إلى دار حتى قدم علي بن الحسين بن علي على الوليد وكان مرضياً عندهم ، فكلمه فيه فأطلقه وأنزله في قصره ، فكان يسمر عنده ، فقال له ليلة من الليالي : لقد أسرع إليك الشيب يا أبا البنات ، وكان أكثر ولده بنات . فقال له : أتعيرني بالبنات وقد كان نبي الله لوط ، ونبي الله شعيب ، ومحمد نبي الله صلى الله عليهم آباء بنات ، فغضب الوليد وقال : إنك لألد[١] ، وأمره أن يرحل عنه فرحل يريد المدينة ، فلما كان بالبلقاء مرض فمال إلى محمد بن علي بن عبدالله بن العباس فتوفي عنده وأوصى إليه .

المدائني عن غسان بن عبد الحميد قال : وفد أبو هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية على سليمان بن عبد الملك فوصله ، ثم تجهز فَقَدَّمَ ثقله ، وأتى سليمان ليودعه فحبسه سليمان حتى تغدى عنده في يوم شديد الحر ، فخرج نصف النهار وقد عطش عطشاً شديداً فمر بأخبية ، فعدل إلى خباء منها فاستسقى فسُقي فَفَتَر وسقط ، فأرسل رسولاً إلى محمد بن علي بن عبدالله بن عباس وقال له : ان هذا الأمر أمر أنت أوَّلُ من يقوم به ولولدك آخره .

المدائني قال : كان ابراهيم بن محمد بن طلحة أخا الحسن بن الحسن لأمه وكان جَلْداً فغلب على الأموال التي لبني الحسن فشكوا ذلك لأبي هاشم بن محمد بن الحنفية ، فإنه لعند هشام بن اسماعيل المخزومي ، وهو والي المدينة ، اذ دخل ابراهيم بن محمد بن طلحة ، فقال أبو هاشم : أصلح الله الأمير ، إن أردتَ الظالم الظالع فهذا ، وكان ابراهيم أعرج ، فأغلظ له

١ ـ الألد : الخصم الشحيح الذي لا يزيغ إلى الحق . القاموس .

ابراهيم وقال : أما والله إني لأبغضك . فقال : ما أحقك بذلك ، ولم لا تبغضني وقد قتل جدي أباك ، وناك عمي أمك ، وأمه خولة بنت منظور .

وحدثني حفص بن عمر عن الهيثم بن عدي عن معن بن يزيد الهمداني قال : لما استخلف سليمان بن عبد الملك أتاه أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وافداً في عدة من الشيعة منهم أبو ميسرة ، وأبو عكرمة مولى قريش ، وحيان خال ابراهيم بن سلمة ، وغيرهم . وكان محمد بن الحنفية حين حضرته الوفاة أوصى إليه وقلده أمر الشيعة والقيام بشأنهم ، فلما دخل عليه استبرع بيانه وعقله ، وقال : ما أظن هذا إلّا الذي يُحَدَّثُ عنه . فأجازه وقضى حوائجه ثم شخص ، فبعث سليمان معه دليلاً وأمره أن يخدمه فحاد به عن الطريق ، وقد أعدله أعرابياً في خباء ومعه غنم له ومعه سم ، فوافاه وقد كاد العطش يأتي عليه ، فاستسقى من الأعرابي فسقاه لبناً قد جعل فيه ذلك السم ، فلما شربه مرض ، فمال إلى محمد بن علي بن عبدالله بن عباس وهو بالحميمة ، فمات عنده .

وحدثني أبو مسعود الكوفي عن عوانة قال : قدم أبو هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية على سليمان بن عبد الملك فَبَرَّهُ وأكرمه ، ثم صرفه واعدَّ له في طريقه أعراباً في أخبية ، وعندهم أغِنامٌ لهم ، ووجه معه رجلاً من خاصته ينزله ويقوم بحوائجه ، فلما صار إلى الأخبية عرض عليه لبناً وقد اشتد عطشه ، فدعا الرجل له به فأتي بشيء منه في قدح نطار[1] فألقى فيه سماً دفعه سليمان إليه وأبو هاشم لا يدري ، فلما شربه أحس بالسم فعدل إلى الحميمة

١ ـ الناطور حافظ الكرم والنخل ، والنطار : الخيال المنصوب بين الزرع . القاموس .

فمات هناك عند محمد بن علي بن عبدالله بن عباس بن عبد المطلب ، وقال له : يابن عم ، إنا كنا نظن أن الإمامة فينا ، فقد زال الشك ، وصرح اليقين بأنك الامام دون أبي رحمه الله ، وأعطاه كتبه وسمى له شيعته .

خبر محمد ابن الحنفية وابن الزبير وعبد الملك بن مروان .

قالوا: بايع محمد ابن الحنفية ليزيد بن معاوية حين أخذ معاوية له البيعة على الناس غير مغتاص ولا ملتوٍ عليه ، فكان معاوية يشكر له ذلك ويصله عليه ويقول : ما في قريش كلها أرجح حلماً ولا أفضل علماً ولا أسكن طائراً ، ولا أبعد من كل كبر وطيش ودنس من محمد بن علي ، فقال له مروان ذات يوم : والله ما نعرفه الا بخير ، فأما كل ما يذكر فإن غيره من مشيخة قريش أولى به ، فقال معاوية : لا تجعلن من يتخلق لنا تخلقاً وينتحل لنا الفضل انتحالاً كمن جبله ، إنه على الخير وأجراه على السداد ، فوالله ما علمتك إلا موزعا مغرى بالخلاف .

وكان يزيد يعرف ذلك له أيضاً ، فلما ولي يزيد لم يسمع عن ابن الحنفية الا جميلاً وببيعته إلا تمسكاً ووفاءً ، وازداد له حمداً وعليه تعطفاً ، فلما قتل الحسين بن علي ، وكان من ابن الزبير ما كان مما نحن ذاكروه ان شاء الله كتب يزيد إلى ابن الحنفية يعلمه أنْ قد أَحَبَّ رؤيته وزيارته إياه ، ويأمره بالإقبال إليه ، فقال له عبدالله ابنه : لا تأته فإني غير آمنه عليك ، فخالفه

ومضى إلى يزيد ، فلما قدم عليه أمر فأنزل منزلاً وأجرى عليه ما يصلحه ويسعه ، ثم دعا به وأدنى مجلسه وقرَّبَه حتى صار معه ، ثم قال له : آجرنا الله وإياك في الحسين بن علي ، فوالله لئن كان نغضك[1] لقد نغضني ، ولئن كان أوجعك لقد أوجعني ، ولو أني أنا الذي وليت أمره ثم لم استطع دفع الموت عنه إلا بحزِّ أصابعي أو بذهاب نواظري لفديته بذلك ، وإن كان قد ظلمني وقطع رحمي ولا أحسبه إلا قد بلغك أنا نقوم به فننال منه ونذمه ، وأيم الله ما نفعل ذلك لئلا يكونوا الأحباء الأعزاء ، ولكنا نريد إعلام الناس أنا لا نرضى إلا بأن لا ننازع أمراً خصنا الله به ، وانتخبنا الله له .

فقال له ابن الحنفية : وصلك الله ، ورحم حسيناً وغفر له ، قد علمنا أن ما نغضنا فهو لك ناغض ، وما عالنا فهو لك عائل ، وما حسين بأهل أن تقوم به فتقصيه وتجذبه ، وأنا أسألك يا أمير المؤمنين أن لا تُسمعني فيه شيئاً أكرهه .

فقال يزيد : يابن عم . لست تسمع مني فيه شيئاً تكرهه ، وسأله عن دَيْنِهِ ، فقال : ما علي دين فقال يزيد لابنه خالد بن يزيد : يا بني إن عمك هذا بعيد من الخبِّ واللؤم والكذب ، ولو كان لبعض هؤلاء لقال : عليَّ كذا وكذا ، ثم أمر له بثلاثمائة ألف درهم فقبضها ، ويقال انه أمر له بخمسمائة ألف ، وعروض بمائة ألف درهم .

وكان يزيد يتصنع لابن الحنفية ويسأله عن الفقه والقرآن ، فلما جاء ليودعه قال له : يا أبا القاسم إن كنت رأيت مني خلقاً تنكره نزعتُ عنه ، وأتيت الذي تشير به عليّ ، فقال : والله لو رأيت منكراً ما وسعني إلا أن

١ ـ نغض : تحرك واضطرب . القاموس .

أنهاك عنه وأخبرك بالحق لله فيه ، لما أخذ الله على أهل العلم من أن يبينوه للناس ولا يكتموه ، وما رأيت منك إلّا خيراً .

وشخص من الشام حتى ورد المدينة ، فلما وثب الناس بيزيد وخلعوه ومالوا إلى ابن الزبير ، وأتاهم مسلم بن عقبة المري في أهل الشام ، جاء عبدالله بن عمر بن الخطاب وعبدالله بن مطيع في رجال من قريش والأنصار فقالوا لابن الحنفية : أخرج معنا نقاتل يزيد ، فقال لهم محمد بن علي : على ماذا أقاتله ولم أخلعه ؟ قالوا : إنه كفر وفجر ، وشرب الخمر ، وفسق في الدين ، فقال لهم محمد بن الحنفية : ألا تتقون الله هل رآه أحد منكم يعمل ما تذكرون ، وقد صحبته أكثر مما صحبتموه فما رأيت منه سوءاً .

قالوا : إنه لم يكن يطلعك على فعله . قال : أفأطلعكم أنتم عليه ؟ فلئن كان فعل إنكم لشركاؤه ، ولئن كان لم يطلعكم لقد شهدتم على غير ما علمتم .

فخافوا أن يُثَبِّط قعوده الناس عن الخروج فعرضوا عليه أن يبايعوه إذكَرِهَ ان يبايع لابن الزبير ، فقال : لست أقاتل تابعاً ولا متبوعاً . قالوا : فقد قاتلت مع أبيك . قال : وأين مثل أبي اليوم .

فأخرجوه كارهاً ومعه بنوه متسلحين وهو في نعل ورداء ، وهو يقول : يا قوم اتقوا الله ولا تسفكوا دماءكم . فلما رأوه غير منقاد لهم خلوه . فذهب أهل الشام ليحملوا عليه فضارب بنوه دونه فقتل ابنه القاسم بن محمد ، وضرب أبو هاشم قاتل أخيه فقتله .

وأقبل ابن الحنفية إلى رحله فتجهز ثم خرج إلى مكة من فوره ذلك ، فأقام بها حتى حصر عبد الله بن الزبير حصاره الأول ، وهو في ذلك قاعد عنه

لا يغشاه ولا يأتيه ، وسأل قوم من الشيعة من أهل الكوفة عن خبره فأُعلموا أنه بمكة ، فشخصوا إليه وكانوا سبعة عشر رجلاً وهم : معاذ بن هانىء بن عدي ابن أخي حجر بن عدي الكندي ، ومحمد بن يزيد بن مزعل الهمداني ثم الصائدي ، ومحمد بن نشر الهمداني ، وأبو المعتمر حنش بن ربيعة الكناني ، وأبو الطفيل عامر بن واثلة الكناني ، وهانىء بن قيس الصائدي ، وصخير بن مالك المزني ، وسرح بن مالك الخثعمي ، والنعمان بن الجعد الغامدي ، وشريح بن احناء الحضرمي ، ويونس بن عمرو بن عمران الجابري من همدان ، وعبد الله بن هانىء الكندي ، وهو الذي قتل بعد ذلك مع المختار ، وجندب بن عبد الله الأزدي ، ومالك بن حزام بن ربيعة ، قتله المختار بَعْدُ بجبانة السبيع ، وهو ابن أخي لبيد بن ربيعة الشاعر ، وقيس بن جعونة الضبابي ، وعبد الله بن ورقاء السلولي .

فبعث عبد الله بن الزبير إلى ابن الحنفية بعد انصراف أهل الشام من مكة مع الحصين بن نمير السكوني ، وموت يزيد بن معاوية : أَنْ هَلُمَّ فبايعني . فأبىٰ عليه ، وبايع الناس ابن الزبير بالمدينة والكوفة والبصرة ، فأرسل إليه أن الناس قد بايعوا واستقاموا فبايعني . فقال له : إذا لم يبق غيري بايعتك .

وبعث إلى السبعة عشر الكوفيين فسألهم عن حالهم وأَمَرَهم بالبيعة له ، فقالوا : نحن قوم من أهل الكوفة اعتَزَلْنا أمر الناس حين اختلفوا ، وأتينا هذا الحرم لئلا نؤذي أحداً ولا نؤذىٰ ، فإذا اجتمعت الأمة على رجل دخلنا معهم فيما دخلوا فيه ، وهذا مذهب صاحبنا ، ونحن معه عليه وله صحبناه .

فوقع في ابن الحنفية وتنقصه وقال : أما والله ما صاحبكم بمَرْضيٍّ الدين ، ولا محمود الرأي ، ولا راجح العقل ، ولا لهذا الأمر بأهل .

فقام عبد الله بن هانىء فقال : قد فهمت ما ذكرت به ابن عمك من السوء ، ونحن أعلم به وأطول معاشرة له منك ، وأنت تقتل من لم يبايعك ، وهو يقول والله ما أحب أن الأمة بايعتني كلها غير سعد مولى معاوية ، فبعثت إليه فقتلته ، وإنما عرض به لأنه كان بعث إلى سعد فقتله .

وكلمه عبد الله بن هانىء بكلام كثير فقال : إلهزوه وجَؤُوا[1] في قفاه . فقال : أتفعل هذا في حرم الله وأمنه وجوار بيته ؟ فقالوا له : لئن لم يَضُرَّكَ إلا تركنا بيعتك لا يضرك شيء أبداً ، ولا يلحقك مكروه ، ودعا به فقال : إيه ، أبِيَ تضرب الأمثال ، وإياي تأتي بالمقاييس ؟ فقال : ﴿إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب﴾[2] فقال ابن الزبير : ادفعوهم عني لعنكم الله من عصابة .

فأتوا ابن الحنفية فأخبروه بما كان بينهم وبين ابن الزبير ، فجزاهم خيراً وعرض عليهم أن يعتزلوه فأبوا وقالوا : نحن معك في العسر واليسر ، والسهل والوعر ، لا نفارقك حتى يجعل الله لك فسحة وفرجاً ، وبايعوه على ذلك فقال لهم : إني بكم لمتأنس كثير ، وسأله بعضهم أن يرصدوا ابن الزبير فيقتلوه إذا خرج من الحرم فكره ذلك ، وقال : ما يسرني أني قتلت حبشياً مُجَدَّعاً ثم أجمع سلطان العرب كله .

وقدم على السبعة العشر الرجل من أبنائهم ثلاثة نفر : بشر بن

---

١ ـ أي اضربوا وادفعوه . القاموس .

٢ ـ سورة غافر ـ الآية : ٢٧ .

سرح ، والطفيل بن أبي الطفيل عامر بن واثلة ، وبشر بن هانىء بن قيس .
فلما يئس ابن الزبير من بيعة ابن الحنفية وأصحابه وقد فسدت عليه الكوفة ، وغلب المختار بن أبي عبيد الثقفي عليها ، وأخرج ابن مطيع عامله عليها ، ودعت الشيعة بها لابن الحنفية ثقل عليه مكان ابن الحنفية معه ، وخشي أن يتداعىٰ الناس إلى الرضى به . فحبسه وأهل بيته ومن كان معه من أصحابه أولئك بزمزم ومنع الناس منهم ، ووكل بهم الحرس ، ثم بعث إليهم : أعطي الله عهداً لئن لم تبايعوني لأضربنَّ أعناقكم أو لأحرقنكم بالنار .

وكان رسوله بذلك عمرو بن عروة بن الزبير ، فقال له ابن الحنفية : قل لعمك لقد أصبحت جريئاً على الدماء منتهكاً للحرمة متلثلثاً[1] في الفتنة .

وقال له عدة من السبعة العشر الرجل فيهم ابن مزعل : إن هذا حصرنا بحيث ترىٰ ، وخوفنا بما تعلم ، ووالله ما ننتظر إلا أن يقدم ، وقد ظهر بالكوفة من يدعو إلى بيعتك والطلب بدماء أهل بيتك فالطُفْ لبعثة رسل من قِبَلَكَ يعلمونهم حالك وحال أهل بيتك . فقال : اختاروا منكم نفراً فاختاروا الطفيل بن أبي الطفيل عامر بن واثلة ، وهو المقتول مع ابن الأشعث ، ومحمد بن نشر ، وأبا المعتمر وهانىء بن قيس ، فأمرهم ابن الحنفية بكتمان أمرهم ، وأمر لهم بأربع نجائب وأجَّلَهُم لذهابهم ومجيئهم ستاً وعشرين ليلة ، فلما هدأت العيون ونام طالع الكلاب ، ورمق الحرس فوجدهم نياماً مستثقلين دفع إليهم كتاباً منه إلى المختار بن أبي عبيد ومَنْ قِبَلَهُ من الشيعة ، يخبرهم فيه بحالهم وما يتخوفون من ابن الزبير ، ويقول فيه :

١ ـ اللثلثة : الإلحاح والإقامة . القاموس .

يا غوثنا بالله يا غوثنا بالله . وقال : إن رأيتم منه ما تحبون حمدتم الله على ذلك ، وإن رأيتم منه تقصيراً فاعلموا الناس ما جاء بكم ، والحال التي تركتمونا عليها .

فلما قرأ المختار الكتاب دعا أصحابه فقرأه عليهم، فوثب جميع من في القصر يبكون ويضجون ويقولون للمختار : سَرِّحْنَا إليه وعجِّل ، فخطب المختار الناس وقال : هذا كتاب مهديكم وصريخ أهل بيت نبيكم ومن معه من إخوانكم وقد تُركوا محظوراً عليهم حظار كزرب الغنم ينتظرون القتل والتحريق في آناء الليل ونارات النهار ، لستُ بأبي إسحاق إن لم أنصرهم نصراً مؤزراً وأسُرِّبُ إليهم الخيل آثار الخيل كالسيل يتلوه السيل حتى يحل بابن الكاهلية الويل - يعني بابن الكاهلية عبد الله بن الزبير وذلك أن أم خويلد أبي العوام زهرة بنت عمرو بن حنثر من بني كاهل بن أسد بن خزيمة - .

وأنفذ المختار جواب كتاب ابن الحنفية مع محمد بن نشر والطفيل بن أبي الطفيل عامر بن واثلة ، واحتبس قِبَلَهُ أبا المعتمر وهانىء بن قيس ليسرح معهما جيشاً .

ثم وجه أبا عبد الله بن عبد من ولد وائلة بن عمرو بن ناج بن يشكر بن عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان - وهو الذي يعرف بأبي عبد الله الجدلي، لأن أم عدوان بن عمرو بن فهم بن عمرو، يقال لها جديلة فهم ينسبون إليها - في سبعين راكباً ، وعقبة بن طارق الجشمي في أربعين راكباً ، ويونس بن عمرو بن عمران الجابري في أربعين راكباً ، وكان يونس قد رجع إلى الكوفة قبل شخوص هؤلاء الأربعة النفر ، فسار هؤلاء المائة والخمسون

ومن عليهم حتى وافوا مكة وابن الحنفية وأهل بيته وأولئك القوم بزمزم قد أعد لهم عبد الله بن الزبير الحطب ليحرقهم بالنار فيها يظهر للناس ولهم ، حتى يبايعوا . فعقل القادمون رواحلهم بالباب ودخلوا فكبروا ونادوا : يالثارات الحسين ثم شدوا على الحرس الموكلين بابن الحنفية وأصحابه فطردوهم ، ودخلوا عليه يفدونه بآبائهم وأمهاتهم ويقولون : خَلِّ بيننا وبين ابن الزبير . فقال : لا أستحل القتال في حرم الله .

وقال ابن الزبير : واعجباً من هذه الخشبية[1] الذين اعتزلوني في سلطاني ينعون حسيناً كأني أنا قاتل حسين ، والله لو قدرت على قَتَلَتِه لقتلتهم .

وكان دخولهم على ابن الزبير وفي أيديهم الخشب كراهة أن يشهروا السيوف في الحرم والمسجد الحرام . وقال بعضهم بل وثبوا على الخشب الذي كان ابن الزبير جمعه حول زمزم لإحراق ابن الحنفية وأصحابه ، فأخذ كل امرىء منهم بيده خشبة فسموا خشبية .

وأقبل ابن الزبير على أبي عبد الله الجدلي وأصحابه فقال : أتروني أخلي سبيل صاحبكم دون أن يبايع وتبايعوا ؟ فقال الجدلي : ورب الركن والمقام

١ ـ عرفت الحركة التي قادها المختار باسم الكيسانية ، وأدخلت هذه الحركة عدداً من الأفكار الجديدة ، من ذلك القتل الطقوسي بوساطة الأسلحة الخشبية ، ولقد اختفى الخشبية بعيد المختار ، ثم عاودوا الظهور بعد قرابة ألف سنة في المغرب الأقصى ، فقد تحدث اليوسي في محاضراته وفي رسالة خاصة عن جماعة وجدوا في أيامه في القرن الحادي عشر الهجري اسمهم «العكاكزة» استخدموا القتل الطقوسي ، فكانوا يتخلصون من خصومه بضربهم بالعصي فقط حتى الموت .

والحل والإحرام لتخلين سبيله فينزل من مكة حيث شاء ، ومن الأرض حيث أحب أو لنجالدنَّك بأسيافنا .

فقال ابن الزبير ـ ورأى أن أصحابه قد ملأوا المسجد ، وأن أصحاب ابن الحنفية لا يبلغون مائتين ـ : وما هؤلاء ، والله لو أذنت لأصحابي فيهم ما كانوا عندهم إلا أكلة رأس .

فقال صخير بن مالك : أما والله لأرجو إن رمت ذلك أن يوصَلَ إليك قبل أن ترى فينا ما تحب .

وقام الطفيل بن عامر فقال :

قد علمتْ ذات الشباب الرُّودِ والجرم ذي البضاضة المسودِ
إنا أسودٌ وبنو الأسُودِ

فقال ابن الحنفية لعامر : يا أبا الطفيل مر ابنك فليسكت ، وتكلم ابن الحنفية فقال : آمركم بتقوى الله وأن تحقنوا دماءكم ، وإني معتزل لهذه الفتنة حتى تجتمع الأمة . إذ اختلفت وتفرقت فأطيعوني .

وقال عبد الله بن عباس بن عبد المطلب لابن الزبير : قد نهيتك عن هذا الرجل وأعلمتك أنه لا يريد منازعتك فاكفف عنه وعن أصحابه .

فقال : والله لا أفعل حتى يبايع وتبايعوا ، أما بايع يزيد ولا يبايعني ؟!

فمكث القوم ثلاثة أيام قد صفّ بعضهم لبعض في المسجد والمعتمرون يمشون فيما بينهم بالصلح ـ فلما كان اليوم الثالث قدم عليهم من قبل المختار أبو المعتمر في مائة ، وهانىء بن قيس في مائة ، وظبيان بن عمارة التميمي في مائتين ، ومعه مال بعث به المختار ، وهو أربعمائة ألف درهم ،

ثم أقبلوا جميعاً حتى دخلوا المسجد يكبرون وينادون : يالثارات الحسين ، فلما رآهم اصحاب ابن الزبير خافوهم .

ورأىٰ ابن الحنفية أنه قد امتنع وأصحابه فقال لهم : اخرجوا بنا إلى الشِّعْب . ولم يقدر ابن الزبير على حبسهم فخرج فنزل شعب علي ، وضم إليه المال الذي عنده ، وأتته الشيعة من عشرة وعشرين ورجل ورجلين حتى اجتمع عنده أربعة آلاف رجل ، ويقال أقل من أربعة آلاف فقسم بينهم المال الذي أتاه ، فلما صار ابن الحنفية في هذا الجمع استأذنه قوم ممن كان قدم إليه في إتيان الكوفة للإلمام بأهليهم ثم الرجوع إليه ، منهم عبد الله بن هانىء الكندي ، وعقبة بن طارق الجشمي ، ومالك بن حزام بن ربيعة الكلابي ، وعبد الله بن ربيعة الجشمي ، فقدموا الكوفة ، فلما كانت وقعة جبانة السبيع[1] قاتلوا المختار إلاّ عبد الله بن هانىء فيقال إنه رجع إلى ابن الحنفية .

ثم إن المختار بعث إلى ابن الحنفية بثلاثين ألف دينار مع عبد الرحمن بن أبي عمير الثقفي ، وعبد الله بن شداد الجشمي ، والسائب بن مالك الأشعري ، وعبد الله وهو عَبْدَل لام بن الحُصل الطائي ، وبعث معهم برأس عبيد الله بن زياد ، وحصين بن نمير ، وابن ذي الكلاع ، فنصبت هذه الرؤوس على باب المسجد .

وقسم ابن الحنفية ذلك المال بين أصحابه فقووا وعزوا .

قالوا : ولم يزل ابن الحنفية بالشعب عزيزاً منيعاً حتىٰ قتل المختار ، وظهر مصعب بن الزبير على الكوفة ، واشتد أمر عبد الله بن الزبير وتضعضع

١ ـ سيرد ذكر هذه الوقعة لدى الحديث عن المختار .

أمر أصحاب ابن الحنفية ، وانقطعت عنهم موادهم ، واشتدت حاجتهم ، وقال ابن الزبير لابن عباس : لم يبلغك قتل الكذاب ؟ . قال : ومن الكذاب ؟ . قال : ابن أبي عبيد . فقال : قد بلغني قتل المختار ، قال : كأنك تكره تسميته كذاباً وتتوجع له ؟ . فقال : ذلك رجل قتل قتلتنا ، وطلب بدمائنا ، وشفى غليل صدورنا ، ليس جزاؤه منا الشتم والشماتة .

فقال ابن الزبير : لست أدري أأنت معنا أم علينا .

ومر ابن عباس بعروة بن الزبير فقال : قد قتل الكذاب المختار وهذا رأسه ، فقال ابن عباس : إنه قد بقيت لكم عقبة فإن صعدتموها فأنتم أنتم - يعني عبد الملك وأهل الشام - .

وبعث ابن الزبير إلى ابن الحنفية إن البلاد قد افتتحت ، وإن الامور قد استوسقت فاخرجْ إليَّ فادخل فيما دخل فيه الناس وإلا فإني منابذك .

وكان رسوله بذلك عروة بن الزبير ، فقال له ابن الحنفية : بؤساً لأخيك ما أَلَجَّهُ في إسخاط الله وأغفله عن ذات الله .

وقال لأصحابه في خطبة خطبها : إنه بلغني أن هذا العدو الذي قربت داره وساء جواره واشتدت ضغينته يريد أن يثور إلينا بمكاننا هذا من يومنا هذا ، وقد أذنت لمن أحب الأنصراف عنا في ذلك فإنه لا ذمام عليه منا ولا لوم فإني مقيم حتي يفتح الله بيني وبينه وهو خير الفاتحين .

فقام إليه أبو عبد الله الجدلي ، ومحمد بن نشر ، وعبد الله بن سبيع فتكلموا وأعلموه أنهم غير مفارقيه .

قالوا : وَجَدَّ ابن الزبير في قتال ابن الحنفية ، وكره ابن الحنفية أن يقاتله في الحرم ، وقد كان خبر ابن الحنفية انتهىٰ إلى عبد الملك بن مروان ،

وبلغه فعل ابن الزبير فبعث إليه يعلمه إنه إن قدم عليه أحسن إليه ، وعرض عليه أن ينزل إي الشام شاء حتى يستقيم أمر الناس ، وكان رسوله إليه حبيب بن كُرّه مولاهم .

وكتب عبد الله بن عباس إلى عبد الملك في محمد بن الحنفية كتاباً يسأله فيه الوصاة بمحمد بن الحنفية والعناية بشأنه والحيطة عليه ، إذا صار إلى الشام ، فأجابه عبد الملك بكتاب حسن يعلمه فيه قبول وصيته ، وسأله أن ينزل به[1] حوائجه ، وخرج ابن الحنفية وأصحابه يريدون الشام ، وخرج كثير عزة أمامه وهو يقول :

هُديت يا مهديّناً ابن المهتديْ أنت الذي نرضىٰ به ونرتجيْ
أنت ابنُ خير الناسِ من بعدِ النبيْ أنت إمام الحق لسنا نمتريْ
يا بنَ عليٍّ سِرْ وَمَنْ مثلُ عليْ[2]

وأتى ابن الحنفية مدين وبها مظهر بن حبّي العكي من قبل عبد الملك ، فحدثه أصحابه بما كان من غدر عبد الملك بعمرو بن سعيد بن العاص بعد أن أعطاه العهود المؤكدة فحذره ونزل أيلة ، وتحدث الناس بفضل محمد وكثرة صلاته وزهده وحسن هديه ، فلما بلغ ذلك عبد الملك ندم على إذنه له في قدوم بلده فكتب إليه : إنك قدمتَ بلادنا بإذن منا ، وقد رأيت أن لا يكون في سلطاني رجل لم يبايعني . فلك ألف ألف درهم أعجل لك منها مائتي ألف درهم ولك السفن التي أرفأت إليك من مصر ، وكانت سفناً بعث إليه فيها بأمتعة وأطعمة .

١ - في رواية أخرى «يعلمه فيه» (من هامش الأصل) .
٢ - ليسوا في ديوانه المنشور .

فكتب إليه ابن الحنفية : قد قدمنا بلادك بإذنك إذ كان ذلك لك موافقاً وارتحلنا عنها إذ أنت لجوارنا كارهاً .

وقدم ابن الحنفية فنزل الشعب بمكة ، فبعث إليه ابن الزبير : ارتحل عن هذا الشعب فما أراك منتهياً عنه أو يشعب الله لك ولأصحابك فيه أصنافاً من العذاب .

وكتب إلى مصعب بن الزبير أخيه يخبره بأسماء رؤساء أصحاب ابن الحنفية ويأمره أن يسيِّر نساءهم من الكوفة فسير نساء نفر منهم فيهن امرأة طفيل بن عامر بن واثلة ، وهي أم سلمة بنت عمرو الكنانية ، فجاءت حتى قدمت عليه فقال الطفيل في ذلك :

إنْ يَكُ سَيَّرَها مصعبٌ فإني إلى مصعب مُذْنِبُ
أقود الكتيبة مُسْتَلْئِماً كأني أَخُو عرةٍ[1] أجربُ
عليَّ دلاصٌ تَخَيَّرْتُها وبالكف ذو رونق مقضبُ
سَعَرْتُ عليهم مع الساعِرين ناراً إذا خَمَدَتْ تنقبُ
فلو أن يحيى به قوةٌ فينزو مع القوم أو يركبُ
ولكن يحيى كفرخ العقاب ريش قوادمه أزغبُ

فكفَّ ابن الزبير عن ابن الحنفية حتى إذا حج الناس ، وكان يوم النفر أرسل إليه : تنحَّ عن هذا المنزل وانفر مع الناس وإلا فإني مناجزك .

فسأله معاذ بن هانيء وغيره من أصحابه أن يأذن في مقارعته ، وقالوا : قد بدأك بالظلم واضطرك وإيانا إلى الامتناع ، فقال له ابن مطيع : لا يَغُرَّنَّكَ قول هؤلاء فإنهم قتلة أبيك وأخيك ، فقال له : نصبر لقضاء الله ،

١ ـ العرّ والعرة : الجرب . القاموس .

اللهم ألبس ابن الزبير لباس الذل والخوف ، وسلط عليه وعلى أشياعه وناصريه من يسومهم مثل الذي يسوم الناس ، اللهم أبْلِسْهُ بخطيئته ، وأجعل دائرة السوء عليه ، سيروا بنا على اسم الله إلى الطائف .

فقام ابن عباس فدخل على ابن الزبير فقال له : ما ينقضي عجبي من تَنَزِّيْكَ على بني عبد المطلب ، تخرجهم من حرم الله وهم والله أولى به وأعظم نصيباً فيه منك ، إن عواقب الظلم لَتُرَدُّ إلى وَبَالٍ .

فقال ابن الزبير : ما منك أعجب ولكن من نفسي حين أدعك تنطق عندي ملء فيك ، فقال ابن عباس : والله ما نطقتُ عند أحد من الولاة أَخَسَّ منك ، قد والله نطقتُ غلاماً عند رسول الله ﷺ ، وأبي بكر ، ونطقت رجلاً عند عمر وعثمان وعلي يروني أحقّ من نطق فيُستمع لرأيي ، وتُقبل مشورتي ، وكل هؤلاء خير منك ومن أبيك .

فقال : والله لئن كنت لي ولأهل بيتي مبغضاً ، لقد كتمتَ بغضك وبغض أهل أبيك مذ أربعون سنة . فقال ابن عباس : ذلك والله أبلغ إلى جاعِرتيك[1] ، بُغضي والله ضرك واثمك إذ دعاك إلى ترك الصلاة على النبي ﷺ في خطبك فإذا عوتبت على ذلك قلت إن له أُهَيْلَ سوءٍ ، فإذا صليت عليه تطاولت أعناقهم وسَمَتْ رؤوسهم .

فقال ابن الزبير : اخرج عني فلا تقربني . قال : أنا أزهد فيك من أن أقربك ، ولأخرجنَّ عنك خروج من يذمُّكَ ويَقْلِيْكَ . فلحق بالطائف فلم

١ ـ الجاعرة : الأست أو حلقة الدبر ، والجاعرتان : موضع الرقمتين من أست الحمار ، ومضرب الفرس بذنبه على فخذيه ، القاموس .

يلبث يسيراً حتى توفي فصلى عليه ابن الحنفية ، فكبّر عليه أربعاً وضرب على قبره فسطاطاً .

ولم يزل ابن الحنفية بالطائف حتى أقبل الحجاج بن يوسف من عند عبد الملك إلى ابن الزبير ، فلما حصره عاد ابن الحنفية إلى الشعب .

وكتب إليه عبد الملك بعد مقتل مصعب بن الزبير وبعثه الحجاج : أما بعد فإذا أتاك كتابي فاخرج إلى الحجاج عاملي فبايعه . فكتب إليه : إني لا أبايع حتى يجتمع الناس عليك فاذا اجتمعوا كنت أول من يبايع .

فلما قتل عبد الله بن الزبير ، وهو يومئذ بالشعب أيضاً سرح أبا عبد الله الجدلي بكتاب منه إلى عبد الملك يسأله فيه الأمان لنفسه وأصحابه ، وبعث اليه الحجاج يأمره بالبيعة فأبى وقال : قد كتبت الى عبد الملك كتاباً ، فإذا جاءني جوابه بما سألته بايعت .

قال : أو تشترط على أمير المؤمنين الشروط لتبايعنّي طائعاً أو كارهاً ؟! فأتاه عبدالله بن عمر بن الخطاب فقال له : ما تريد من رجل ما نعلم في زماننا مثله . أُمْسِك عنه حتى يأتيه كتاب ابن عمه .

وقد كان كتاب عبد الملك أتى الحجاج قبل قتل ابن الزبير يأمره فيه بالكف عن ابن الحنفية والرفق به ؛ فأمسك الحجاج حتى قدم على ابن الحنفية رسوله أبو عبد الله الجدلي بجواب كتابه ببسط الأمان وتصديق قوله ووصف ما هو عليه في إسلامه وعفافه وفضله وقرابته وعظيم حقه ، وقال له : لعمري لئن ألجأتُك الى الذهاب في الأرض خائفاً لقد ظلمتُك وجفوتُك ، وقطعتُ رحمك ، فبايع الحجاج على بركة الله ، وأمره بالقدوم عليه آمناً مأموناً وفي الرحب والسَّعة ، والى الكرامة والاثرة والمواساة .

فخرج الى الحجاج فبايعه لعبد الملك ، وأشخصه الحجاج إليه في جماعة منهم عبدالله بن عمرو بن عثمان ، ومحمد بن سعد بن أبي وقاص ، وعروة بن الزبير ، فلما قدم على عبد الملك أعظمه وأكرمه وبره وأقبل عليه ، فحسده الحجاج على ما رأى من احتفاء عبد الملك به فقال : والله يا أمير المؤمنين لقد أردت أن أضرب عنقه لولا تقدمك إلي في أمره لتأخره وتثاقله عن البيعة .

فقال له عبد الملك: مهلاً يا حجاج . فسأله ابن الحنفية أن ينزع عنه سلطانه فقال : إنه لا سلطان له عليك ولا لأحد من الناس دوني ، ولك في كل سنة رحلة ترفع إلي فيها حوائجك فأقضيها لك .

ويقال إنه قال : أخْلِني يا أمير المؤمنين . فقال : إنه ليس دون الحجاج سر . قال : فاعْدِني عليه فإنه يكلفني الغدوّ والرواح اليه ويعدي عليَّ غرمائي قبل بيع الثمرة . فقال عبد الملك : لا سلطان لك عليه دون بلوغ الثمرة ، ولا على عبدالله بن جعفر فإنهما ينتظران الغلة ، أوْ صَلَتنا .

ثم انصرف من عند عبد الملك وكان معه جماعة من أصحابه منهم عامر بن واثلة أبو الطفيل، ومحمد بن نشر، ومحمد بن يزيد بن مزعل حتى قدموا المدينة .

حدثني أبو الحسن المدائني عن ابن جعدبة عن ابن كيسان قال : قال عبد الملك لابن الحنفية حين قدم عليه وهما خلوان : أتذكر فِعْلَتَكَ يوم الدار ؟ فقال : أُنشدك الله والرحم يا أمير المؤمنين . فقال : والله ما ذكرتها ولا أذكرها .

وكان محمد سمع مروان قال لعلي يوم الدار : قطع الله الليلة أثرك ، فأخذ محمد بحمائل سيف مروان فرجع ففرق بينهما .

ويقال ان الحجاج وجه ابن الحنفية الى عبد الملك وافداً فأكرمه وبره ، ثم رده الى المدينة وقال : فِدْ إليَّ في كل عام ، وإن الحجاج لم يشخصه معه .

وفاة محمد ابن الحنفية

وتوفي محمد ابن الحنفية بالمدينة ودفن بالبقيع سنة احدى وثمانين ، ويقال في سنة اثنتين وثمانين .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي في اسناده قال : أرسل ابن الزبير إلى ابن العباس وابن الحنفية ان يبايعا فقالا : يجتمع الناس على رجل ثم نبايع فإنك في فتنة ، فغضب من ذلك ، ولم يزل الأمر يغلظ بينه وبينهما حتى خافا خوفاً شديداً ، وحبس ابن الحنفية في زمزم ، فبعث الى الكوفة يخبر بما هو فيه من أمر ابن الزبير ، فأخرج اليه المختار أربعة آلاف عليهم أبو عبدالله الجدلي فصاروا الى المسجد الحرام ، فلما رأى ابن الزبير ذلك دخل منزله ، وقد كان أيضاً ضيِّق على ابن عباس ، وبعث إلى حطب فجعله على باب ابن عباس وحَوْل محبس ابن الحنفية من زمزم فمنعه ذلك الجيش مما أراد .

وصار ابن الحنفية الى الشعب فنزله ، ثم ان ابن الزبير قوي على ابن الحنفية حين قتل المختار وغلب مصعب على الكوفة ، فأخرج ابن عباس وابن الحنفية عنه وقال : لا يجاوراني ولم يبايعاني ، فخرجا الى الطائف فمرض

ابن عباس ثمانية أيام ثم توفي بالطائف فصلى عليه ابن الحنفية ودفنه وكبر عليه أربعاً ، وكان الذي تولى حمله ودفنه مع ابن الحنفية أصحابه الشيعة .

وقال بعض الرواة : مات ابن الحنفية بأيلة وذلك غلط . والثبت ان ابن الحنفية مات بالمدينة وله خمس وستون سنة ، وصلى عليه أبان بن عثمان بن عفان وهو والي المدينة ، وقال له أبو هاشم ابنه : نحن نعلم أن الإمام أولى بالصلاة ، ولولا ذلك ما قدمناك .

ويقال ان أبا هاشم أبى أن يصلي على أبيه أبان ، فقال أبان : أنتم أولى بميتكم ، فصلى عليه أبو هاشم .

وروى الواقدي أن محمد ابن الحنفية قال في سنة الجحاف[1] حين دخلت سنة احدى وثمانين : هذه لي خمس وستون سنة قد جاوزتُ سن أبي بسنتين ، وتوفي تلك السنة[2] .

حدثني أبو مسعود الكوفي عن عيسى بن يزيد الكناني قال : سمعت المشايخ يتحدثون أنه لما كان من أمر ابن الحنفية ما كان تجمع بالمدينة قوم من السودان غضباً له ومراغمة لابن الزبير ، فرأى ابن عمر غلاماً له فيهم وهو شاهر سيفه فقال له : رباح؟ قال رباح : والله إنا خرجنا لنردكم عن باطلكم الى حقنا . فبكى ابن عمر وقال : اللهم ان هذا بذنوبنا .

وقال غيره : تجمعوا أيام الحرة وهم يظهرون نصرة يزيد على ابن الزبير وخرج غلام ابن عمر معهم .

---

١ - في هامش الأصل : يقال سيل جحاف ، وسيل جراف .
٢ - طبقات ابن سعد ج ٥ ص ١٠١ - ١١٦ .

المحتوى

بيعة علي بن أبي طالب ٧
وقعة الجمل ٢١
مقتل طلحةبن عبيد الله ٤٣
مقتل الزبير بن العوام ٤٩
أمر صفّين ٦٥
مقتل عمار بن ياسر ٩١
مقتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب ١٠١
ما تقاضى عليه علي ومعاوية في صفين ١٠٨
المحكِّمة ١١٠
أمر الحكمين وما كان منهما ١١٧
أمر الحرورية ١٢٢
أمر وقعة النهروان ١٣٣
أمر علي بن أبي طالب بعد النهروان ١٥٣
أمر مصر في خلافة علي ١٥٩

مقتل الأشتر ١٦٧
ولاية عمرو بن العاص مصر ١٦٩
مقتل محمد بن أبي بكر ١٧١
مقتل محمد بن أبي حذيفة ١٧٤
أمر الخرّيت بن راشد ١٧٧
أمر عبد الله بن عامر الحضرمي ١٨٥
الغارات بين علي ومعاوية ١٩٧
غارة الضحاك بن قيس ١٩٨
غارة سفيان بن عوف ٢٠١
غارة النعمان بن بشير ٢٠٥
غارة ابن مسعدة ٢٠٩
غارة بسر بن أبي أرطاة ٢١١
قدوم يزيد بن شجرة مكة ٢١٩
أمر ابن العشبة ٢٢٣
أمر مسلم بن عقبة المرّي ٢٢٥
غارة الحارث بن نمر ٢٢٧
غارة مالك الأشتر ٢٢٩
غارة عبد الرحمن بن قباث ٢٣١
غارة زياد بن خصفة ٢٣٥
أمر أشرس بن عوف ٢٣٩
أمر هلال بن عُلفة ٢٤١

أمر الأشهب بن بشير ٢٤٣
أمر سعيد بن قَفَل ٢٤٥
أمر أبي مريم السعدي ٢٤٧
ابن ملجم ومقتل علي بن أبي طالب ٢٤٩
وصية علي بن أبي طالب ٢٦٢
أبيات في قتل علي بن أبي طالب ٢٦٤
أمر الحسن بن علي ٢٦٧
المراسلات بين الحسن ومعاوية في أمر الصلح ٢٨٦
مبايعة الحسن لمعاوية ٢٨٨
موقف الشيعة من صلح الحسن ومعاوية ٢٩٠
فترة خلافة الحسن بن علي ٢٩٥
وفاة الحسن بن علي ٢٩٧
مرثية الإمام الحسن ٣٠٣
ولد الحسن ٣٠٤
موقف عبد الله بن حسن من خلافة بني العباس ٣٠٧
خلافة المنصور ٣١٣
خروج محمد بن عبد الله بن حسن ومقتله ٣١٩
أمر إبراهيم بن عبد الله بن حسن ومقتله ٣٤١
خروج يحيى بن عبد الله بن الحسن ٣٥٣
خروج الحسين بن علي بن حسن ٣٥٥
أمر الحسين بن علي بن أبي طالب ٣٥٩

شبر وشُبَيْر ومُشْبر ٣٦١
ولد الحسين بن علي بن أبي طالب ٣٦٢
موقف الحسين بن علي من صلح الحسن ـ معاوية ٣٦٣
شخوص الحسين بن علي إلى مكة ٣٦٨
المراسلات بين الحسين وأهل العراق ٣٦٩
خروج الحسين بن علي إلى الكوفة ٣٧٣
مقتل الحسين بن علي ٣٩٥
أمر زيد بن علي بن الحسين ٤٢٧
مقتل زيد بن علي بن الحسين ٤٤٥
أمر يحيى بن زيد ٤٥٣
أمر محمد بن محمد بن زيد ٤٥٩
أمر محمد بن علي ـ ابن الحنفية ـ ٤٦٣
أمر عبد الله بن محمد ـ أبو هاشم ٤٦٦
ابن الحنفية وابن الزبير وعبد الملك بن مروان ٤٦٩
ابن الحنفية وابن الزبير ٤٧٠
ابن الحنفية وعبد الملك بن مروان ٤٨٠
وفاة ابن الحنفية ٤٨٧